(فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الكامل)

صحيفة

صحيفة

الجزء الثالث من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الأثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

{ وبهامشه التاريخ المسمى بأخبار الدول وآثار الأول للعلامة الفاضل
أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره }

(تمت)

اهراق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لاحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الاسلام وبنو أسد تزعم انى لا أحسن أصلى وان الصيد يلهينى وخرج محمد بسعد وبهم معه الى المدينة فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى يا سعد قال اطيل الاوليين واحذف الاخريين فقال هكذا الظن بك يا أبا اسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا وقال من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد واما الوقعة فهى زمن عبد الله فنفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى خمسين ألفا ومائة ألف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وان يبدؤهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فان فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك ورأيك لا ننبو فى يديك ولا نكل عليك اليك هذا الامر فرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال أرى يا أمير المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر يا أمير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام اليه على بن أبى طالب فقال اما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان أشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير المؤمنين امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت احب ان اتابع عليه فأشيروا على برجل اوليه وقيل ان طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام والله اعلم فلما قال عمر اشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لاولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال هو النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جنديسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى

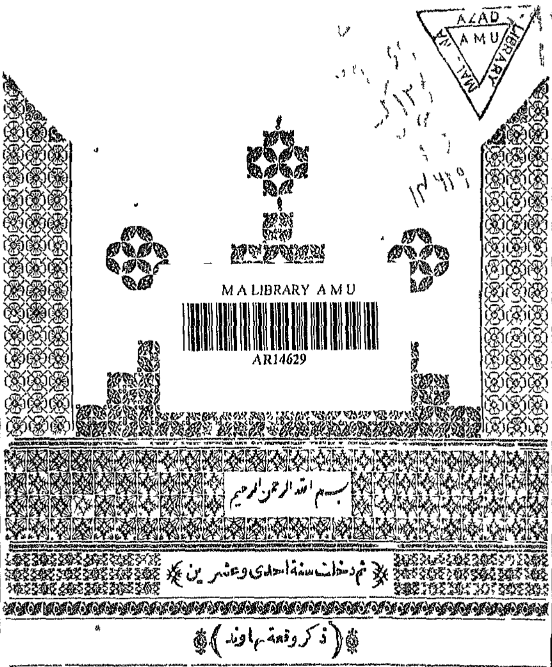
فلما مات قام مكانه أخوه (المختار القاسم) وكان وقورا مهيبا أديبا لبيبا مؤيدا موفقا فكانت مدة خلافته الى ان مات خمس عشرة سنة ولما توفى تولى مكانه أخوه (الهادى محمد) مدة فلما مات تولى مكانه الرشيد العباس وبه انقرضت دولتهم وانطوت خلافتهم

❊ الباب الثانى عشر فى ذكر دولة الطبرستانية من الدولة الحسنية والحسينية ❊

ذكر السيوطى فى تاريخه انه تداولها ستة رجال ثلاثة من بنى الحسن ثم ثلاثة من بنى الحسين فاول من قام منهم داعيا الى الحق والى الطريق القويم (الحسن ابن زيد) بن محمد بن اسمعيل ابن الحسن بن زيد الجواد ابن الحسن بن على بن أبى طالب سنة خمس وخمسين ومائتين بالرى والديلم ثم قام أخوه (القائم بالحق محمد) وقتل سنة ثمان وثمانين فقام حفيده (المهدى الحسن بن زيد بن القائم بالحق) وقام بعده (محمد بن الحسن)

❊ الباب الثالث عشر فى ذكر بعضهم بالحجاز وما سلك كل منهم من المحاسن وحاز ❊

ذكر المسعودى فى مروج



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم دخلت سنة احدى وعشرين ﴾

﴿ ذكر وقعة نهاوند ﴾

قيل فيها كانت وقعة نهاوند وقيل كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وكان الذى هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا اجند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو يزدجرد فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصلها أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان ممن تحرك فى أمره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعنى ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فأجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن على عليه السلام ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجء ونعال السيوف وقال سعد انى أول رجل

﴿ الباب الحادى عشر ﴾
فى ذكر دولة بنى طباطبا بالكوفة واليمن منبع الصفات الحميدة والمنن

ذكر السيوطى فى تاريخه ان أول من قام بالخلافة من بنى طباطبا العلوية الحسنية (ابو عبد الله) محمد بن ابراهيم طباطبا فى جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ومائة وسبب تلقيب هذه الطائفة بطباطبا انه كان يلثغ بالقاف فجعلها طاء فطلب يوما من الجارية ماء وسأله فقالت له تريد فرجية ام قباء فقال لها بل طباطبا يريد قباقبا فلقب بذلك لذلك وقام بالامر فى هذا العصر (الهادى يحيى بن الحسين بن قاسم بن ابراهيم طباطبا) ودعى له بامرة المؤمنين ومات فى ذى الحجة سنة ثمان ومائتين وقام مكانه ابنه (المرتضى محمد) مدة فى سيرة حسنة وتوفى فى سنة عشرين وثلثمائة وقام مكانه أخوه (الناصر احمد) ومات فى صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وقام بالامر بعده ولده (المنتخب الحسين) وسار سيرة أبيه فى العدل وكانت مدة خلافته ست سنين

اهراف

فقال التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معديكرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا وقال طليحة أرى ان نبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب فأمر القعقاع بن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فاخرجهم من خنادقهم كانهم جبال حديد قد تواثقوا ان لا يفروا وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هي هي فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ائذن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا وان قتلت فالامير بعدي حذيفة فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني أسألك ان تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه فكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا ازلق به فرسه فصرع وقيل بل رمي بسهم في خاصرته فقتله فسجاه أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة فأخذها وتقدم الى موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل في المعركة وقيل قتل في اللهب ثمانون الفا وفي المعركة ثلاثون الفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه بثنية همذان وهي اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فلما لم يجد

ارشانا ثمن جد ثامة ماوية بن بكر وهو أول من سكن هذا المكان عند مهلك عاد بالريح العقيم فلم يسلموا وتأهبوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فغلبتهم جرهم واستولوا عليه وقطنوه ونفوا العماليق عنه وكان رئيسهم مضاض بن عمرو فرأسوا عليهم اسمعيل عليه السلام وعرفوا فضله وزوجوه امرأة من أشرافهم ذكر صاحب المختصر في أخبار البشر ان المؤرخين قسمت العرب الى ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة (اما البائدة) فهم العرب الاول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وكانت على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم واما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وبهم اتصل اسمعيل عليه السلام ولم يبق من العرب البائدة الا القليل (واما العرب العاربة) فهم عرب اليمن من ولد قحطان (واما العرب المستعربة) فهم ولد اسمعيل عليه السلام لان أصل لسان اسمعيل كان عبرانيا فلذلك قيل له ولولده العرب المستعربة

ما اجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وقيل بل كان
النعمان بكسكر فكتب الى عمر يسأله ان يعزله ويبعثه الى جيش من المسلمين فكتب اليه عمر
يأمره بنهاوند فسار فكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان
كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الروادف ليبلوا في الدين
وليدركوا حظا فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على
النعمان وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارس عن المسلمين وعليهم المقترب
وحرملة وزر فاقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن أهل نهاوند واجتمع
الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان وابن عمر وجرير بن عبد الله البجلي والمغيرة بن
شعبة وغيرهم وأرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب وعمرو بن ثني وهو ابن أبي
سلمى ليأتوه بخبرهم وخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا ما رجعك فقال لم
أكن في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معديكرب
فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيئا فرجعت
ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون
فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ما شأنكم
فاعلموه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لاجزر العجم الطماطم هذه
العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فرحل النعمان
وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفا فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان
وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه
أمداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم وأميرهم
الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب وقد توافى اليهم
الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس
فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر اشراف الكوفة
فضربوه منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة
الكاتب وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر
وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وانشب النعمان القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم
الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم
المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج فخاف
المسلمون ان يطول أمرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من
المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي رووا فيه
فاخبروه فبعث الى من بقي من أهل النجدات والرأي فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون
المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤوا ولا يقدر المسلمون
على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق فما الرأي الذي به نستخرجهم الى
المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثني وكان أكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان

الذهب ان ابراهيم عليه
السلام لما أسكن ولده اسمعيل
مكة مع امه هاجر
واستودعهما خالقه أمر
ابراهيم عليه السلام هاجر ان
تتخذ عليه عريشا يكون
لهما سكنا وكان من ظما
اسمعيل وهاجر ما كان الى
ان انبع الله لهما زمزم
واقحط الشحر واليمن فتفرقت
العماليق نحو تهامة يطلبون
الماء والمرعى والديار الخصبة
وأميرهم السميدع فاشرف
روادهم لطلب الماء على
الوادي فنظروا الى العريش
وفيه هاجر واسمعيل فنزلوا
مستبشرين بما شاهدوا من
نور النبوة وموضع البيت
واستمروا الى ان وقع
التنازع بين قحطان وبين
جرهم بسبب انهم كثروا
وضاقت عليهم أرض اليمن
فطردوا جرهم فاقبلوا حتى
نزلوا بقرب مكة فارسلوا
الى العماليق وقالوا نحن
أحق منكم بهذا المكان
لانا أقرب قرابة من اسمعيل
وامس به رحما لانا نلتقي
نحن واياه الى هود عليه
السلام وأنتم لا تلتقون
معه الا الى سام بن نوح
عليه السلام فاخرجوا عن
هذا المكان فقال العماليق
عندنا لك ان هذا المكان

رأسه وبكى وقال له أكل عمر كبده وكان من نهاوند فأسرته الروم وأسره المسلمون من الروم فنسب الى حيث سبي وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم

﴿ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما﴾

لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث أهل البصرة مر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيمرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحا وقيل انه وجه السائب من الاهواز ففتح ولاية مهرجانقذف

﴿ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبى وأن لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها فاقتدوا بخسرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا واجمعوا على القبول واجمعوا على اتيان حذيفة فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك وكان اشرفهم قارن وقال لا تلقوهم في جمالكم فنعلوا وخالفهم فأتاهم في الديباج والحلي فأعطاهم حاجتهم واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعته والدخول في أمره فقيل ماه دينار لذلك وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهزاذان على مثل ذلك فنسب الى بهزاذان وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد لجأ اليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت الى النسير وهو تصغير نسر قيل دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال يا أهل الكوفة انكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولديكم فعلمت من اين أتيتم فاذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز

﴿ذكر دخول المسلمين بلاد الاعاجم﴾

وفيها امر عمر المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس اين كانوا وقيل كان ذلك سنة ثمان عشرة وقد تقدم ذكره وسبب ذلك ما كان من يزدجرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى فوجه الامراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد وعمل عمار اميران أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفي زمانه كانت وقعة نهاوند والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي وفي زمانه امر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث في وجه آخر وولي زياد وكان من المهاجرين فعمل قليلا والح في الاستعفاء فاعفاه عمر وولى عمار بن ياسر وكتب معه الى أهل الكوفة اني بعثت عمارا أميرا وجعلت معه ابن مسعود معلما وكان ابن مسعود قد صرف فسيره عمر الى الكوفة وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بأبي موسى وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح فبعث عمر لواء الى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان

(عمرو بن مضاض) ثم تولى اخوه (الحرث بن مضاض) مائتي سنة ثم ابنه (عمرو بن الحرث) مائة وعشرين سنة ثم أخوه (بشر بن الحرث) تولى الاثمائة ثم (مضاض الاصغر) مدة أربعين سنة وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم اسمعيل عليه السلام ونزلوا عنده بمكة وتزوج منهم اسمعيل عليه السلام ولما بغت جرهم في الحرم وطغت بعث الله عليهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصار ذا قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم فاخرجوهم من مكة ولحقوا ببلاد جهينة فأتاهم في بعض الليالي السيل فذهب بأجمعهم وفي خروجهم من مكة يقول عمرو بن الحرث في قصيدته التي منها

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والامر ظاهر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

وبانقراض جرهم انقرضت العرب العاربة ولم يبق من

طريقا فنزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلا فادركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الامتعة وغيرها وما حولها من الاسلاب والاثاث وجمعوا الى صاحب الاقباض السائب بن الاقرع وانتظر من بنهاوند ما يأتيهم من اخوانهم الذين على همذان مع القعقاع ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فابلغ حذيفة فقال اتؤمنني ومن شئت على ان أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا في سفطين فارسلهما مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفلهم منها وأرسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين أودعهما عنده النخيرجان فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من أين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذلك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فأتيته فقال ما وراءك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده قال فلما رأيت ذلك وما لقي قلت يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث في أثري رسولا فما أدركني حتى دخلت الكوفة فانخت بعيري وأناخ بعيره على عرقوب بعيري فقال الحق بأمير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الي "ومالي وللسائب" قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو الا ان نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا فيقولون لنكوينك بهما فأقول اني ساقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالفي ألف درهم ثم خرج بهما الى ارض الأعاجم فباعهما باربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين ولما قدم سبي نهاوند المدينة جعل ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيرا الا مسح

أجمع النسابون على ان اليمن كلها من ولد قحطان وكان لقحطان من الولد أحد وثلاثون ولدا ذكورا وأمهم امرأة واحدة وكانوا نزولا ببعض بلاد الهند فلما هلكت عاد وبادت وقد بقي من عقبهم بمكة طائفة وهم عاد الاخرى هلكوا وفي الحديث انهم مسخوا نسناسا لكل نسناس منهم يد ورجل من شق واحد ينقزون كما ينقز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود من النسناس خلق على حدة وليس منهم واختلف الناس في قحطان فذكر هشام بن الكلبي عن أبيه ان قحطان بن الهميسع بن نابت بن اسمعيل الذبيح بن ابراهيم عليه السلام وكان جرهم الثاني اشا يعرب بن قحطان فلك (يعرب) اليمن وملك أخوه (جرهم) الحجاز ثم ملك بعده ابنه (عبد ياليل بن جرهم) ثم ابنه (جرشم) فلما هلك ملك ابنه (عبد المدان بن جرشم) ثم ابنه (نفيلة بن عبد المدان) ثم ابنه (عبد المسيح بن نفيلة) ثم ابنه (مضاض بن عبد المسيح) تولى الملك ما ئتسنة ثم ابنه

قيل وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة صلحا وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين وقيل سنة عشرين كان الامراء في هذه السنة عمير بن سعد على دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية وقلقية ومعرة مصرين وعند ذلك صالح ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة على قلقية وانطاكية ومعرة مصرين وفيها ولد الحسن البصري والشعبي وحج بالناس عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك وكان على الكوفة عمار بن ياسر وشريح على القضاء وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثا الى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدي فقتل الجارود بعقبة تعرف بعقبة الجارود وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان وفيها مات جمة وهو من الصحابة بأصبهان بعد فتحها والعلاء ابن الحضرمي وهو على البحرين فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى الى عمر بن الخطاب وقيل مات سنة ثلاث وعشرين وقيل مات بالمدينة والاول اصح

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين)

في هذه السنة افتتحت اذربيجان وقيل سنة ثمان عشرة بعد فتح همذان والري وجرجان فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر اذربيجان بعدها

(ذكر فتح همذان ثانيا)

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده ويد القعقاع بن عمرو فلما رجعا عنها كفر أهلها مع خشرشنوم فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودع حذيفة وسار يريد همذان وعاد حذيفة الى الكوفة فخرج نعيم بن مقرن على تعبئة الى همذان فاستولى على بلادها جميعا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقد قيل ان فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر وبينا نعيم بهمذان في اثني عشر ألفا من الجند كاتب الديلم وأهل الري اذربيجان اذ خرج موتا في الديلم حتى نزل بواج روذ وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الري وأقبل اسفنديار أخو رستم في أهل اذربيجان فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا الى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج اليهم فاقتتلوا بواج روذ قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون فأرسلوا الى عمر مبشرا فأمر عمر نعيما بقصد الري وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها وقيل ان المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله الى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصاري

(ذكر فتح قزوين وزنجان)

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء بن عازب في جيش الى قزوين وأمره أن يسير اليها فان فتحها غزا الديلم منها وانما كان مغزاهم قبل من دستبى فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فآمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى

وسار الى اليمامة فملكها وملك أولاده بعده فيقال لهم الاخيضريون وبنو يوسف أيضا وتولى الامرة بعده (محمد بن الحسن بن يوسف) ثم ولده (أبو جعفر أحمد بن الحسن) ثم تولى بعده ولده (أبو عبد الله محمد ابن أحمد) ولم تزل بيده الى أن غلب عليها القرامطة وتولى أيضا (صالح بن اسمعيل بن يوسف) ثم استقل بملك مكة بعد نواب بني العباس بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وملك بعض من هؤلاء معها المدينة وجمعوا الحرمين ثم انقرض الملك منهم لان آخرهم شكر لم يعقب وغلب عليها بنو هاشم وكانت وفاة شكر في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وله شعر حسن منه

قوض خيامك عن أرض تضام بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة
فالمندل الرطب في أوطانه حطب

ثم استقل بملك مكة الهواشم وأول من ملك منهم (أبو هاشم محمد) العلوي الحسني ثم تولى محمد المذكور سنة

فاذا فتحها سار الى ماوراء ذلك الى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله الى اذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل وبعث عبد الله بن عبد الله الى أصبهان وأمّر عمر سراقة على البصرة

﴿ ذكر فتح أصبهان ﴾

وفيها بعث عمر اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من أشراف الصحابة ومن وجوه الانصار حليفا لبني الحبلى وأمدّه بابي موسى وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحي وعصمة بن عبد الله فساروا الى نهاوند ورجع حذيفة الى عمله على ماسقت دجلة وماوراءها وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان وعلى جندها الاسبيذان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم ومقدمة المشركين برستاق لاصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرزله عبد الله بن ورقاء الرياحي فقتله وانهزم أهل أصبهان فسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى اليوم وصالحهم الاسبيذان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جي وهي مدينة أصبهان فانتهى اليها والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جي وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وان على من أقام الجزية وأقام على ماله وان يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراهم ومن أبى وذهب كان لكم أرضه وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الاهواز وقد صالح فخرج القوم من جي ودخلوا في الذمة الا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وأبو موسى جيا وكتب بذلك الى عمر فقدم كتاب عمر الى عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل الى كرمان قيل وقد روى عن معقل بن يسار ان الامير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان بن مقرن وان عمر ارسله من المدينة الى اصبهان وكتب الى أهل الكوفة فامدوه فسار الى اصبهان وبها ملكها ذو الحاجبين فأرسل اليه المغيرة بن شعبة وعاد من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقت بطنه وانهزم أصحابه قال معقل فأتيت النعمان وهو صريع فجعلت عليه علما فلما انهزم المشركون أتيته ومعي اداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب فقال مافعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله ومات هكذا في هذه الرواية والصحيح ان النعمان قتل بنهاوند وافتتح أبو موسى قم وقاشان

﴿ ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمار عمر بن الخطاب فولى عمر جبير بن مطعم الكوفة وقال له لا تذكره لاحد فسمع المغيرة بن شعبة ان عمر خلا بجبير فأرسل امرأته الى امرأة جبير بن مطعم لتعرض عليها طعام السفر ففعلت فقالت نعم ماجيئتني به فلما علم المغيرة جاء الى عمر فقال له بارك الله لك فيمن وليت واخبره الخبر فعزله وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر وقيل ان عمارا عزل سنة اثنتين وعشرين وولى بعده ابو موسى وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيل

العرب الامن كان من عدنان وقحطان

﴿ الباب الرابع عشر في ذكر دولة الحسنية والدوحة الزكية الهاشمية بمكة المشرفة والمدينة المنورة ﴾

ذكر القلقشندي في نهاية الارب في معرفة قبائل العرب ان المهدي بن محمد ابن عبد الله الكامل بويع له بالخلافة بمكة في آخر الدولة الاموية ثم ظهر بالحجاز بنو الاخيضر في سنة احدى وخمسين ومائتين فاستمر بأيديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة بضع عشرة وثلثمائة وفي عمدة الطالب ان يوسف الاخيضر بن ابرهيم بن موسى الجون انقب ثلاثة أولاد منهم (اسمعيل بن يوسف) فظهر بالحجاز وتسمى بالسفاك سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قصد مكة وغلب عليها أيام المستعين وغور العيون واعترض الحاج فقتل منهم بها كثيرا ونهبهم ثم مات على فراشه بجدري في ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ولاعقب له ثم قام أخوه (محمد بن يوسف) بعد وفاته وسار في سيرته في السفك والنهب فارسل المعتز المفلح الاشتري في عسكر ضخم فهرب منه محمد

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه أهلها على الجزية وان يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم فرأى المدلجي وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد دخلوا البلد ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم الا بما خف معهم في مراكبهم وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنعوا عليه بطرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس جند عمرو عسكرا كثيفا وسيره الى سبرة فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم سار عمرو بن العاص الى برقة وبها لواتة وهم من البربر وكان سبب مسير البربر اليها والى غيرها من الغرب انهم كانوا بنواحي فلسطين من الشأم وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى اذا انتهوا الى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما قبيلتان من البربر الى الغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة أرض برقة وتعرف قديما بانطابلس وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة الى مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم لذلك وقام الافارق وهم خدم الروم على صلح يؤدونه الى من غلب على بلادهم وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم

(ذكر فتح اذربيجان)

قال فلما افتتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري وليس بأبي دجانة مددا لبكير بن عبد الله باذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه باذربيجان فاقتتلوا فهزم الفرس وأخذ بكير اسفنديار أسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك أم الحرب قال بل الصلح قال امسكني عندك فان أهل اذربيجان ان لم أصالح عليهم أو أجئ اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة مددا واسفنديار في اساره وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك أهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا باخماسها و[illegible]

الحجر الاسود وكان ذلك قد لم شعثه حين ضربه القرمطي بالدبوس وكان اخوه مكثر قد بنى على جبل ابي قبيس قلعة تحصن بها عند انهزامه من اخيه داود فلما بلغ صاحب مصر خبر داود عزله وولى مكة اخاه (مكثرا) وامر بنقض القلعة التي على جبل ابي قبيس وما زالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة ثم غلب على الملك بنو قتادة الذين منهم امراء مكة والمدينة المنورة وينبع الآن وهؤلاء غير الثعالبة التي بالينبع فانهم بنو صرحة بن ادريس وكان من امر قتادة ان قتادة بن ادريس كان شجاعا ولاهيبا جليلا شهما شجاعا وكانت له قلعة الينبع فلما رأى ضعف الهواشم غلب عليهم وانتزع مكة من يد مكثر المذكور وهو آخر امراء الهواشم بمكة في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستكثر جنده وخافته العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى المدينة المنورة وكان قتادة لا يخاف من احد من الخلفاء والملوك ويرى انه احق بالامر منهم وكتب اليه الناصر لدين

الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا اقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يدا فلما رأى اهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر وقال بعض المسلمين

قد علم الديلم اذ تحارب * حين أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب * فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب

وغزا البراء الديلم حتى أدّوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم وجيلان وموقان والببر والطيلسان ثم انصرف

﴿ ذكر فتح الري ﴾

ثم انصرف نعيم من واج روذ حتى قدم الري وخرج الزينبي أبو الفرخان من الري فاتى نعيما طالبا الصلح ومسالمه ومخالفا لملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين فاستمد سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي قال لنعيم ان القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالري نحوا مما في المدائن وصالحه الزينبي على الري ومرزبه عليهم نعيم فلم يزل شرف الري في اهل الزينبي وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي تقال العتيقة وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحدث وكتب نعيم الى عمر بالفتح وأنفذ الاخماس وكان البشير المضارب العجلي وراسله المصمغان في الصلح على شئ يفتدي به منه على دنباوند فاجابه الى ذلك وقد قيل ان فتح الري كان على يد قرظة بن كعب وقيل كان فتحها سنة احدى وعشرين وقيل غير ذلك والله أعلم

﴿ ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان ﴾

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الري كتب اليه عمر يامره بارسال أخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجملي وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فأجابهم الى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك ثم سار سويد الى جرجان فعسكر بها ببسطام وكتب الى ملك جرجان وهو زرنان صول وكاتبه زرنان صول وصالحه على جرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وان يعينه سويد ان غلب فأجابه سويد الى ذلك وتلقاه زرنان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جبى الخراج وسمى فروجها فسدها بترك دهستان ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين وقيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل سنة ثلاثين زمن عثمان قيل وراسل الاصبهبذ صاحب طبرستان سويدا في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيأ على غير نصر ولا معونة على أحد فقبل ذلك منه وكتب له كتابا

﴿ ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة ﴾

تسع وثمانين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة وملك بعده ابنه (قاسم بن أبي هاشم محمد) وتوفي في سنة سبع عشرة وخمسمائة وولي بعده ابنه (فليتة بن قاسم) وتوفي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة وولي مكانه ابنه (قاسم بن فليتة) فلما قرب الحاج من مكة أحس بالشر فصادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكانه عمه (عيسى بن قاسم ابن ابي هاشم) فبقي الى شهر رمضان ثم ان قاسما المذكور جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى وعاد قاسم فملكها ولم يكن معه ما يرضي به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل ابي قبيس فسقط عن فرسه فأخذه اصحاب عمه فقتلوه ودفن بالمعلاة عند ابيه واستقرت امرة مكة لعيسى ثم توفي عيسى وولي مكانه ابنه (داود بن عيسى) وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخذ داود المذكور اموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة

الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم أحد ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحا لهم فزادهم فسادا فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ الراية سلمان بن ربيعة اخوه فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس معه ابو هريرة الدوسي على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر تعديل الفتوح بين اهل الكوفة والبصرة ﴾

في هذه السنة عدل عمر فتوح اهل الكوفة والبصرة بينهم وسبب ذلك ان عمر بن سراقة كتب الى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة اهل البصرة وعجز خراجهم عنهم وسأله ان يزيدهم احد الماهين أو ماسبذان وبلغ أهل الكوفة ذلك فقالوا لعمار بن ياسر وكان على الكوفة أميرا سنة وبعض أخرى اكتب الى عمر ان رامهرمز وايذج لنا دونهم لم يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناهما فلم يفعل عمار فقال له عطارد أيها العبد الاجدع فعلام ندع فيئنا فقال لقد سببت أحب أذني الي فأبغضوه لذلك واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة وادعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمده به عمر بن الخطاب أهل الكوفة فقال لهم أهل الكوفة أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد فآسيناكم في المغانم والذمة ذمتنا والارض أرضنا فقال عمر صدقوا فقال اهل الايام والقادسية ممن سكن البصرة فلتعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم فاعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة أخذها من شهد الايام والقادسية ولما ولي معاوية وكان هو الذي جند قنسرين من أتاه من اهل العراقين أيام علي وانما كان قنسرين رستاقا من رساتيق حمص فأخذ لهم معاوية نصيبهم من فتوح العراق واذربيجان والموصل والباب لانه من فتوح أهل الكوفة وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة انتقل اليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين أيام علي فاعطاهم معاوية من ذلك نصيبا وكفر اهل ارمينية أيام معاوية وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرزان فاستجابوا له

﴿ ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمغيرة بن شعبة ﴾

وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى وسبب ذلك ان أهل الكوفة شكوه وقالوا له انه لا يحتمل ما هو فيه وانه ليس بأمين ويرأبه اهل الكوفة فدعاه عمر فخرج معه وفد فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه وقالوا انه غير كاف وعالم بالسياسة ولا يدري على ما استعملته وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وجرير بن عبد الله فسعيا به فعزله عمر وقال عمر لعمار أساءك العزل قال ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت فقال له قد علمت ما انت بصاحب عمل ولكني تأولت ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض

المسعى وقاتله ببطن مكة فانهزم الحسن وملك (المعواد) مكة واستولى عليها وذاق الحسن وبال امره بقتل ابيه وعمه واخيه وولي (اقسيس) بمكة واليامن قبله وعاد الى اليمن ومضى الحسن الى دمشق فلم ير بها وجها ثم مضى الى بغداد فلم ير بها ايضا قبولا بل أبادوا قتله ولم تزل مكة في ولاية اقسيس حتى مات سنة ست وعشرين وستمائة وانقلب على اليمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول جهز العساكر الى مكة المكرمة ووليها (الشريف راجح بن قتادة) واستمر اميرا الى عام سبع وأربعين وستمائة فولي امرة مكة المشرفة (ابو سعد حسن بن علي بن قتادة) واستقر أبو سعد المذكور في ذلك الى ان قتل في شوال سنة احدى وخمسين وستمائة قتله جماعة واستقر في الامرة (جماز بن حسن بن قتادة) ثم عاد اليه راجح بن قتادة ثم أخذها من راجح ولده (غانم ابن راجح) ولم تزل مكة مع غانم بن راجح حتى اخذها منه (ادريس بن حسن بن قتادة) وأبو نمي محمد بن حسن ابن علي بن قتادة) في الخامس والعشرين من شوال عام

عمر إلى عتبة مع بكير كتب لأهل أذربيجان كتابا بالصلح وفيها قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهداه له وكان عمر يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يحجزهم بذلك عن الظلم

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

في هذه السنة كان فتح الباب وكان عمر رد أبا موسى الى البصرة وبعث سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على احدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان عمر قد أمد سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذي أفسد بني اسرائيل وأغزى الشام بهم فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأتاه فقال اني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل ان يعينهم على ذي الحسب ولست من القبج ولا الارمن في شيء وانكم قد غلبتم على بلادي وأمتي فأنا منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم قال فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقبل منه سراقة ذلك وقال لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فأجابه الى ذلك وكتب سراقة في ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكر فتح موقان ﴾

لما فرغ سراقة من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة بالفتح الى عمر وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام وعدله مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتح أحد من أولئك القواد الا بكير فانه فض أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار وكان فتحها سنة احدى وعشرين ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك (أسيد في هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين والنور في الموضعين بالراء)

﴿ ذكر غزو الترك ﴾

لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار ما تريد ان تصنع قال أريد غزو بلنجر والترك قال انا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم وبالله ان معنا أقواما لو يأذن لهم أميرنا في الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من

الموت

الله صاحب مصر كتابا يستدعيه فكتب اليه هذه الابيات

ولي كف ضرغام أصول ببطشها
وأشري بها بين الورى وأبيع
وكل ملوك الارض يلثم ظهرها
وفي وسطها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحا ثم أبتغي
خلاصا لها اني اذا لرقيع
وما انا الا المسك في كل بقعة
يضوع واما عندكم فيضيع

وكان عادلا منصفا ذا نعمة ثم عكس هذا الامر في آخر عمره واحدث المكوس ونهب الحاج غير مرة فقتله ابنه الحسن وكان له من العمر نحو تسعين سنة فلما استقر الملك (للحسن) المذكور ارسل الى اخيه الذي بقلعة ينبع على لسان ابيه يستدعيه فلما حضر اخوه عنده قتله ايضا وارتكب امرا عظيما بقتل ابيه وعمه واخيه فلا جرم ان الله تعالى سلبه ملكه ولم يمهله وكان لقتادة ابن آخر يقال له راجح وكان مقيما عند العرب بظاهر مكة ينازع اخاه الحسن في امرة مكة فلما قدم الملك مسعود اقسيس مكة في رابع ربيع الاول سنة ست وعشرين وستمائة لقيه حسن بن قتادة في

مهزوما فجده خاقان في الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا
بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو أيضا وكان الاحنف
لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يتسمع هل يسمع برأي ينتفع به فمر برجلين
ينقيان علفا واحدهما يقول لصاحبه لو أسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا
خندقا وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان
ينصرنا الله فرجع فلما أصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة
عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم
القتال ويراوحونهم وفي الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان
قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان في وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله
ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله وأخذ
طوق التركي ووقف فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا
فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين فحمل عليه
الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج
ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك
الليلة بعد الثالث وأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وقد أصيب
فرساننا ما لنا في قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا وأتاهم
الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ
وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه
من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد ان يلحق بخاقان
قال له اهل فارس اي شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فأكون معه او بالصين قالوا له
ان هذا رأي سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء وهم اهل دين وان عدوا
يلينا في بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم فأبى
عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه
فهزموه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة
واقام يزدجرد ببلاد الترك فلم يزل مقيما زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان
يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك في موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على
الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على
أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين وأصاب الفارس يوم يزدجرد
كسهمه يوم قادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة
في كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر
خاقان ويزدجرد النهر لقيا رسول يزدجرد الذي أرسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين
قال له صف لي هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فاني اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم
ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير عندهم وشر فيكم فقلت سلني عما

في الامرة حتى صرفهما أخواهما (أبو الغيث وعطيفة) ثم عادا
وأظهرا العدل وأسقطا المكوس ولم
تزل المخاصمة والمنازعة في
الامرة بين الاخوين حميضة
ورميثة وأبو الغيث وعطيفة
فمنهم من قتل ومنهم من مات
حتى انتقلت امرة مكة لابن
(عجلان بن رميثة) في سنة
ثمان وأربعين وسبعمائة ثم
شاركه أخوه ثقبة بن رميثة
فمات عجلان وولي مكانه ولده
(أحمد بن عجلان) ولم يزل
أحمد اميرا بمكة المكرمة
حتى مات في العشرين من
شعبان سنة ثمان وثمانين
وسبعمائة وولي بعده ابنه
(محمد بن احمد بن عجلان)
وكان قوي النفس عالي
الهمة شجاعا ولما توفي تولى
عمه (كبيش بن عجلان)
فقتل وتولى مكانه (علي بن
عجلان) وشريكه (عنان بن
مغامس بن عجلان) ثم انهما
توجها الى مصر واعطى
الملك الظاهر عليا مالا وخيلا
ورجع الى مكة وسار سيرة
حسنة واقام عنان بمصر معزولا
مسجونا في القلعة حتى مات
بها وكانت مدته ثمان سنين
وشهر بن وقرر مكانه اخاه
(حسن بن عجلان) وخطب
له على منبر المدينة المنورة
وفي سنة اثنتين وثمانمائة في
عاشر جمادى الاولى حصل
بمكة في الليلة العاشرة مطر
عظيم حتى هجم السيل
وبلغ الماء الى الباب ودخل البيت الشريف وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة وفي هذه السنة في شوال وقع بالحرم

وشجعاهم أعفة وشجعانهم الوارثين ثم اقبل عمر على اهل الكوفة فقال من تريدون قالوا ابا موسى فأمره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا ان غلامه يتجر في جسرنا فعزله عنهم وصرفه الى البصرة وصرف عمر بن سراقة الى الجزيرة وخلا عمر في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين الا من عظيم فقال وأي شئ اعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير واصحاب الكوفة على مائة ألف مقاتل وأتاه اصحابه فقالوا ما شأنك فقال ان اهل الكوفة قد عضلوني واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مسدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان اسلامه لنفسه وضعفه عليك واما القوي المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين فولى المغيرة الكوفة فبقي عليها حتى مات عمر وذلك نحو سنتين وزيادة وقال له حين بعثه يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار ثم أراد عمر ان يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك فأوصى به

﴿ذكر فتح خراسان﴾

وفي هذه السنة غزا الاحنف بن قيس خراسان في قول بعضهم وقيل سنة ثماني عشرة وسبب ذلك ان يزدجرد لما سار الى الري بعد هزيمة اهل جلولاء وانتهى اليها وعليها آبان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يزدجرد يا آبان تغدر بي قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار في يد غيرك فاحببت ان أكتب على ما كان لي من شئ وأخذ خاتم يزدجرد واكتتب الصكاك بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شئ في كتابه وسار يزدجرد من الري الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار معه ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وأمن من ان يؤتى ودان له من بقي من الاعاجم وكاتب الهرمزان وأثار اهل فارس فنكثوا وأثار اهل الجبال والفيرزان فنكثوا فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس فسار الاحنف الى خراسان فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحرث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به امداد اهل الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان من هرب وشذ على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال علي ولم يا امير المؤمنين قال لان اهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون (٣) في الثالثة فكان ذلك بأهلها احب الي من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على مادون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر

اثنين وخمسين وستمائة ثم أخذها من المذكورين برطاش قاصد صاحب اليمن في ذي القعدة من السنة المذكورة ثم أخرجه منها الشريفان المذكوران ادريس وأبو نمي ثم أخرج ابو نمي ادريس من مكة واستقل بالامرة ثم حصلت المشاركة بينهما ثم قتل ابو نمي ادريس في حرب كان بينهما بخليص وانفرد أبو نمي بالامرة حتى أخرجه منها (جماز بن شيحة الحسيني) صاحب المدينة (وغانم بن ادريس بن حسن بن قتادة) صاحب ينبع في صفر سنة سبعين وستمائة ثم عاد (أبو نمي) الى مكة المكرمة بعد أربعين يوما واستقر فيها الى ان أخرجه ثانيا (جماز بن شيحة) بمعاونة امير المنصور قلاوون صاحب مصر والشام وخطب بالحجاز المذكور وضرب السكة باسمه وبطل ذلك بعد مدة يسيرة من السنة المذكورة وعاد الشريف ابو نمي الى مكة ولم يزل بها حتى تركها لولديه (حميضة ورميثة) قبل وفاته بيومين وكانت وفاته في رابع شهر صفر عام احدى وسبعمائة وولاية ملكه قريب من خمسين سنة واستقر حميضة ورميثة

أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود سابور واردشير خرّه فالتقى هو والفرس بتوّج فاقتتلوا ماشاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما في عسكرهم وحصروا توّج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وهذه توّج الآخرة والاولى هي التي استنقذتها جنود العلاء بن الحضرمي أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وارسل مجاشع ابن مسعود السلمي بالبشارة والاخماس الى عمر بن الخطاب

﴿ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما﴾

وقصد عثمان بن ابى العاص الثقفي لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فرّ فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقي في الناس وفتح عثمان كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرّجان وفتحا سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان أيضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن أبي العاص ابنه وأتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بأرض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة وبينهما وبين قرية لهما تدعى شهرك ثلاثة فراسخ يابني أين يكون غداؤنا ههنا أم بشهرك فقال له ياأبت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا نكون الا في المنزل وما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى نشب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذى قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان وقيل قتله سوّار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوّار فقتله وقيل ان اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين وقيل ان عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين الى فارس ففتح جزيرة بركاوان في طريقه ثم سار الى توّج وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا ومع شهرك وكان الجارود وأبو صفرة على مجنبتي المسلمين وأبو صفرة هذا هو والد المهلب فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم فقال الجارود أيها الامير فرد الجند فقال سترى أمرك قال فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤس فرأى المكعبر رأسا ضخما فقال أيها الامير هذا رأس الازدهاق يعني شهرك وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ازرنبان فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر ومات عمر وبعث عثمان ابن عفان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله ان ازرنبان يريد الغدر به فقال له أحب ان تتخذ لاصحابي طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فاني أحب أن أتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من أشد الناس فقام ازرنبان فأخذ برجله وقال هذا مقام العائذبك وأعطاه عهدا وأصابت عبيد الله منجنيق فأوصاهم وقال انكم ستفتحون هذه المدينة ان شاء الله فاقتلوهم لي ساعة فيها ففعلوا فقتلوا منهم بشرا كثيرا ومات عبيد الله بن معمر وقيل ان قتله كان سنة تسع وعشرين

﴿ذكر فتح فسا ودارابجرد﴾

عزلة وولى مكانه أخاه (عليا) أميرا على مكة عوضا عن أخيه بركات وفي سنة خمسين وثمانمائة توجه السيد محمد بن بركات الى القاهرة لاعادة الامرة لابيه الشريف (بركات) فأجيب لذلك وأعيد وكان ملكا شهما عارفا بالامور واستمر متوليا على مكة المكرمة الى عام تسعة وخمسين وثمانمائة فمات وتولى مكانه (محمد بن بركات) وحصل للناس في أيامه الامن الزائد وكان عاقلا بشوشا عفيفا أديبا شجاعا وفوض اليه نيابة السلطنة بالاقطار الحجازية والاستنابة في المدينة المنورة وينبع من يختاره وصرح باسمه على منابر الحرمين بعد السلطان وتوفي في شهر محرم سنة ثلاث وتسعمائة وخلف ستة عشر ولدا ذكرا وتولى مكانه الشريف (بركات بن محمد بن بركات) وكان قائم الناموس وافر الحرمة والحشمة واستمر في الامارة الى أن وقعت كائنة في موسم عام ست وتسعمائة حصل بسببها استيلاء الشريف (هزاع بن محمد بن بركات) على مكة المشرفة ثم مكث بها مدة وتولى مكانه الشريف (جازان بن محمد) في أوائل سنة ثمان وتسعمائة وابرل

أحييت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قالت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبناهم اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف طاعتهم امراءهم قالت أطوع قوم وأرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فاخبرته قال هل يحلون ما حرم عليهم او يحرمون ما حلل لهم قالت لا قال فان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم او يحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقالت الخيل العراب ووصفتها له فقال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالونى ماداموا على وصف فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهجهم مالم يهجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله فى خطبته على انجاز وعده ثم قال الا ان ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الا ان الله قد أورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لا أخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم وقيل ان فتح خراسان كان زمن عثمان وسيرد هنالك

﴿ ذكر فتح شهرزور والصامغان ﴾

لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح اهل الصامغان ودارا باذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحى قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم يزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها فى عشرة آلاف فارس من المسلمين وفيها ولد يزيد ابن معاوية وعبد الملك بن مروان وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عماله على الامصار فيها عماله فى السنة قبلها الا الكوفة فان عامله كان عليها المغيرة بن شعبة والا البصرة فان عامله عليها صار أبا موسى الاشعرى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ﴾

قال بعضهم كان فتح اصطخر سنة ثلاث وعشرين وقيل كان فتحها بعد توج الآخرة

﴿ ذكر الخبر عن فتح توج ﴾

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان معها سارية بن زنيم الكنانى فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه امير الى الجهة التى أمر بها و بلغ ذلك اهل فارس فافترقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت

الشريف المكي حريق عظيم احترق فيه وثلاث الحرم واحترق فيه مائة وثلاثون عمودا فصارت كما او استمر الى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فعزله السلطان وعين مكانه (على بن مبارك بن رميثة) ولم يتم أمره ومات وعاد الى الملك (حسن بن عجلان) المقدم ذكره وفى ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة عزل الشريف حسن وولى مكانه ابن أخيه (رميثة بن محمد بن عجلان) فلما بلغ حسنا خبر العزل أخذ من التجار المقيمين بمكة اموالا عظيمة وعاد الى الامرة وعزل رميثة فوقع الحرب بين حسن وبين رميثة وغلب حسن واستقر فى الامرة شريكا مع ولده (بركات) وفى سنة سبع وعشرين صرف الحسن عن الامرة وولى عوضه (على بن عنان بن مغامس) وفى أواخر سنة تسع وعشرين اعيد الحسن الى امرة مكة فاتفق انه مات يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة من هذه السنة وقدم ولده الشريف بركات من مكة الى القاهرة والتزم كل سنة بأن يحمل عشرة آلاف دينار وان يكون مكس جدة له وما يحصل من مراكب الهند يكون لسلطان مصر فتقلد (بركات) والياء على مكة وكان حسن السيرة فى الناس ولما مات الاشرف واستقر الظاهر جقمق بمصر

فيما يدعى آمل ودان اسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان وعقد لهم وأنزلهم البلاد وكتب الى معاوية بذلك يرى انه فتح عليه فقال معاوية ان ابن أخي ليفرح بامارته ليحزنني قال ولم يا أمير المؤمنين قال ان آمل بلاد بينها و بين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر فاذا اضطرب الحبل غدروا فأهون ما يجيء منهم انهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها وأقرهم على عهد سلم بن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رتبيل بمكانه ولم يرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زرنج فغزاها وحصر من بها حتى أتتهم الامداد من البصرة وصار رتبيل والذين معه عصبة وكانت تلك البلاد مذللة الى ان مات معاوية وقيل في فتح سجستان غير هذا وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر فتح مكران)❁

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مكران حتى انتهى اليها ولحق به شهاب بن المخارق وسهيل بن عدى وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فأمده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فأقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدى فلما قدم المدينة سأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هي أرض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها فقال اسجاع أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو أن لا يجوز مكران أحد من جنودكما وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم أثمانها على الغانمين (مكران بضم الميم وسكون الكاف)

❁(ذكر خبر بيروذ من الاهواز)❁

ولما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى أبي موسى ان يسير الى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشي أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقبل وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر فقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له أبو موسى فاستخلفه عليهم في جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع أبو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثي بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم ووفد أبو موسى وفدا معهم الاخماس فطلب ضبة بن محصن العنزي ان يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى وكان أبو موسى قد اختار من سبي بيروذ ستين غلاما فانطلق ضبة الى عمر شاكيا وكتب ابو موسى الى عمر يخبره فلما قدم ضبة على عمر سلم عليه فقال من انت فأخبره فقال لا مرحبا ولا اهلا فقال اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ثم سأله عمر عن حاله فقال ان ابا موسى انتقى ستين غلاما من ابناء الدهاقين لنفسه وله جارية تغدى جفنة وتعشى

الشريف بركات والد ابي نمي ودفن بالمعلاة واستقل بالامرة بعده ولده الشريف (ابو نمي) وعاش مدة مديدة حتى توفي في المحرم سنة احدى وتسعين وتسعمائة وعمره اثنان وثمانون سنة وقد رايته بمنى سنة ثمان وسبعين وهو محرم وهو في غاية القوة والصلابة بهذا العمر وتولى مكانه ولده الشريف (حسن) وهو الآن امير مكة في الدولة المؤيدة العثمانية واستناب ولده الشريف (حسينا) على الاقطار الحجازية على قاعدة اسلافه الزكية وكان في غاية اللطف والملاءمة فمات وولي مكانه ولده الشريف (مسعود) وكان ظالما جائرا فلم تطل مدته ومات فولي مكانه اخوه (ابو طالب بن حسن بن ابي نمي) وهو الآن امير ويرتجى منه الخير توفي الحسن والد المذكور في ثالث جمادى الآخرة سنة عشر والف ولابي طالب المشار اليه سيرة حسنة لاسيما بقتله عبد الرحمن بن عتيق عليه ما يستحق توفي ابو طالب في تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثني عشرة بعد الالف وتولى مكانه اخوه (ادريس) بن الشريف حسن بن ابي نمي والسيد

وقصد سارية بن زنيم الدئلى فسا ودارابجرد حتى انتهى الى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام فقال يا أيها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب يا سارية بن زنيم الجبل الجبل ثم اقبل عليهم وقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله واصاب المسلمون مغانمهم واصابوا في الغنائم سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به وبالفتح مع رجل الى عمر فقدم على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس وأكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا فلما فرغا قال الرجل أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين قال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة الدرج فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند ويقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين انى قد انضيت ابلى واستقرضت في جائزتى فأعطني ما أتبلغ به فما زال به حتى أبدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره في ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

ثم قصد سهيل بن عدى كرمان ولحقه أيضا عبد الله بن عبد الله بن عتبان وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا في ادانى أرضهم ففض الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فأجابهم اذا رأيتم ان في البخت فضلا فزيدوا وقيل ان الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى في خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال أقطعنى الطبسين فأراد أن يفعل فقيل انها رستاقان فامتنع عمر من ذلك

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم أهلها فالتقوا هم وأهل سجستان في أدانى أرضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ما شاء ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا في صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا واقيم أهل سجستان على الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وامما كثيرة فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية فهرب الشاه من اخيه رتبيل الى بلد

فيها

بها الى أن قتل في شهر رجب وأقيم عوضه الشريف (حميضة) واستقر مقيما بها الى آن وصل الخبر بتفويض الامر الى الشريف بركات المشار اليه وان يختاره فاختار تقديم اخيه الشريف (قايتباى) في امرة مكة المشرفة واشرك معه ولده الشريف (على ابن بركات) نائبا عنه وكان يدبر جميع الامور بنفسه ولما توفى ولده الشريف على استقر عوضه في النيابة عن عمه اخوه الشريف (محمد) الشافعى واستمر الى أن توفى واستقر عوضه اخوه الشريف (ابونمى بن بركات) واستمرت الاحوال على أحسن نظام الى ان قدر الله وفاة الشريف قايتباى فعن للشريف بركات ان يقدم نجله السعيد الشريف ابانمى بجهزه الى القاهرة وافدا على السلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى فأعاده مجبورا منصورا واستقر في النيابة عن والده واستمر والده في امرة مكة والمدينة وينبع وسائر الاقطار الحجازية يتصرف فيها كيف يشاء وهذا ما وجد في التواريخ المستفادة فيمن ولى مكة من آل قتادة وفى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة توفى

ثم انصرف عنه فقال عمر اقعد او عدني العبد الآن ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان الغد جاءه كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك قال أجده في كتاب التوراة قال عمر اتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكني اجد حليتك وصفتك وانك قد فني أجلك قال وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن ابي البكير الليثي وهو حليفه وقتل جماعة غيره فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر طريح فاحتمل فادخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له اني أريد ان أعهد اليك قال اتشير علي بذلك قال اللهم لا قال والله لا ادخل فيه ابدا قال فهبني صمتا حتى اعهد الى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا امركم انشدك الله يا علي ان وليت من أمور الناس شيأ أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان ان وليت من امور الناس شيأ أن تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيأ أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا امركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا أبا طلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوّؤا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصى الخليفة بالعرب فانهم مادة الاسلام ان يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصى الخليفة بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلني قال يا امير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يا عبد الله بن عمر اذهب الى عائشة فسلها ان تأذن لي ان أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون عليه ويقول لهم أهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما رآه عمر قال

توعدني كعب ثلاثا اعدها * ولا شك ان القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ودخل عليه علي يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فاثنى عليه فقال له عمر انت لي بهذا يا ابن عباس فاومأ اليه علي ان قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرني أنت وأصحابك ثم قال يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله جل ذكره ينظر الى فيرحمني والله لو ان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ودعي له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبنا فخرج كذلك ايضا فقال له اعهد يا أمير المؤمنين قال قد فرغت

فرسخا في فرسخ وكانت مدة ملكها أربعمائة سنة وهو المذكور في قوله تعالى لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور الآية ومدينة سبا كانت على ثلاث فراسخ من صنعاء ومن جملة طيبتها اثنتا عشرة طيبة (الاولى) لا عقرب فيها ولا حية ولا نمل ولا جراد ولا براغيث ولا بعوضة ولا بق ولا فار (والثانية) ان الرجل اذا مر ببلادهم وفي ثوبه القمل والبراغيث فتموت من طيب الهواء (والثالثة) لم يكن فيها مرض واذا أتى المريض من مسيرة ألف فرسخ يشفيه الله تعالى من مرضه لانه كان يهب فيها نسيم الجنة حتى يصل الى جسد المريض يبرأ من مرضه (والرابعة) اذا أتوا بذي العاهات الذي لم يوجد لمرضه دواء فاذا دخلوا به في تلك المدينة يشفيه الله تعالى من ساعته بفضله (والخامسة) لم يكن فيها اعمى ولا أعور ولا احول ولا اخرس ولا زمن ولا أعرج ولا مجنون وما أشبه ذلك (والسادسة) اذا اتى بالمجنون من البلدان ودخل في حدود البلد واغتسل من مائها يبريه الله من

حطيئة تدعى عقيلة وله قفيزان وله خاتمان وفوض الى زياد بن ابى سفيان امور البصرة واجاز الحطيئة بألف فاستدعى عمر أباموسى فلما قدم عليه حجبه أياما ثم استدعاه فسأل عمر ضبة عما قال فقال أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فقال له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لاهلى أقوتهم به وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر فعلم ان ضبة قد صدقه قال وولى زيادا قال رأيت له رأيا ونبلا فأسندت اليه عملى قال واجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالى ان يشتمنى فرده عمر وامره ان يرسل اليه زيادا وعقيلة ففعل فلما قدم عليه زياد سأله عن حاله وعطائه والفرائض والسنن والقرآن فرآه فقيها فرده وامر امراء البصرة ان يسيروا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر الا ان ضبة غضب على ابى موسى وفارقه مراغما أن فاته امر من امر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فاياكم والكذب فانه يهدى الى النار (بيروذ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وسكون الواو وآخره ذال معجمة)

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد ﴾

كان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفىء نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله اوذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا تدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما ام لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا قال فسار واحتى لقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم انه قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى آخر حجة حجها وفيها قتل عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر الخبر عن مقتل عمر رضى الله عنه ﴾

قال المسور بن مخرمة خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما فى السوق فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان نصرانيا فقال يا امير المؤمنين أعدنى على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان كل يوم قال وايش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما ارى خراجك كثيرا على ما تصنع من الاعمال قد بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم قال فاعمل لى رحى قال لئن سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب

(محسن) بن سنين بن ثمى

الباب الخامس عشر فى ذكر اقيال اليمن ولمع من اخبار الاسكندر وسيف بن ذى يزن

قال المسعودى تنازع الناس فى اليمن وتسميته يمنا فمنهم من زعم انه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة واول من تولى الملك والرياسة باليمن (يعرب بن قحطان) بعد اخوته واستولى على جميع اليمن سنين متطاولة وهو اول من نطق بالعربية واول من حياه ولده بتحية الملك ابيت اللعن وأنعم صباحا ✽ ذكر السيوطى ان اول من كتب بالعربية حرب ابن امية قيل له من أين تعلمته قال من عبد الله بن جدعان وهو اخذ من طريق كاتب الوحى لهود عليه السلام فلما هلك يعرب ملك بعده ابنه (يشجب بن يعرب) تولى الملك بعد والده سنين كثيرة ثم ملك بعده ابنه (عبد شمس) ولما ملك اكثر الغزو فى اقطار البلاد وسبى خلقا كثيرا وهو اول من فعل ذلك من ولد قحطان فسمى سبا وهو الذى بنى السد بأرض مأرب باليمن وفجر اليه سبعين نهرا وساق اليه السيول من امد بعيدة على بعض الاقوال وكان

ابن العوام فقتل عنها ايضا فخطبها علي فقالت لا أفعل اني أضن بك عن القتل فانك بقية الناس فتركها وخطب ام كلثوم ابنة أبي بكر الصديق الى عائشة فقالت ام كلثوم لا حاجة لي فيه انه خشن العيش شديد على النساء فارسلت عائشة الى عمرو بن العاص فقال انا اكفيك فاتى عمر فقال بلغني خبرا عيذك بالله منه قال ماهو قال خطبت ام كلثوم بنت ابي بكر قال نعم أفرغبت بي عنها ام رغبت بها عني قال ولا واحدة ولكنها احدثة نشأت تحت كنف امير المؤمنين في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك في شئ فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك وقال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب تعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب ام أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

﴿ ذكر بعض سيرته رضي الله عنه ﴾

قال عمر انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فاما انا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق قال نافع العبسي دخلت سر الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب قال فجلس عثمان في الظل يكتب وقام علي على رأسه على عليه ما يقول عمر وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر عليه بردان اسودان أتزر بأحدهما والف الآخر على رأسه يعد ابل الصدقة يكتب ألوانها واسنانها فقال علي لعثمان في كتاب الله يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين ثم اشار علي بيده الى عمر وقال هذا القوي الامين وقال عبد الله بن عامر ابن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ياليتني هذه التبنة وياليتني لم أك شيأ ياليت أمي لم تلدني ياليتني كنت نسيا منسيا وقال الحسن قال عمر لئن عشت ان شاء الله لاسيرن في الرعية حولا فاني أعلم ان للناس حوائج تقطع دوني اما عمالهم فلا يرفعونها الي واما هم فلا يصلون الي فاسير الى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين وبمصر شهرين وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين والله لنعم الحول هذا وقيل لعمر ان ههنا رجلا من الانبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبا فقال لقد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنين قيل خطب عمر الناس فقال والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسأل الله عنه وقال أبو فراس خطب عمر الناس فقال أيها الناس اني ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفس عمر بيده لاقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين ارأيتك ان كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته انك لتقصه منه قال اي والذي نفس عمر بيده اذن لاقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم قال بكر بن عبد الله جاء عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلا فقال له عبد الرحمن ما جاء بك في هذه الساعة قال رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فاتيا السوق فقعدا

من الحديد والنحاس والرصاص فامهلهم الله تعالى مائة سنة حتى يكملوا بنيانهم فلما كمل ما بنوه وباتوا تلك الليلة وهم مسرورون آمنون فأمر الله تعالى الجرذ والفار كل واحد مثل الكلب ولهم اسنان كامشاط الحديد فلما اصبحوا دخل الماء في المدينة من الانقاب التي ثقبها الفار والجرذ وغرق جميع ما في المدينة من الخلق وغيره وقد جعل الله بساتينهم شوكا بقدرته وقيل ان مارب اقب للملك الذي كان على اليمن وقيل ان مارب هو قصر الملك والمدينة سبا ولما هلك سبا خلف عدة أولاد منهم حمير وعمرو وكهلان ولما مات سبا تولى الملك بعده ابنه (حمير بن سبا) وكان أشجع الناس في وقته وافرسهم وأكثرهم جمالا وكان اول من وضع التاج المذهب على رأسه من ملوك اليمن واغاهي بحمير لكثرة لباسه الثياب الحمر وكان ملكه خمسمائة سنة ولما توفي ملك أخوه (كهلان بن سبا) فطالت مدته حتى قربت من ثلثمائة سنة ثم عاد الملك بعده الى ولد حمير وهو (وائل ابن حمير) ثم ملك بعده ابنه (السكسك بن وائل) ثم ملك بعده ابنه (يعفر بن السكسك)

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال

ظلوم لنفسي غير اني مسلم * أصلي الصلاة كلها واصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة الى ان توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقيل طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وثمانية أيام وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم وقيل كانت وفاته لاربع بقين من ذي الحجة وبويع عثمان لليلة بقيت من ذي الحجة واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافة عمر على هذا القول عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام وصلى عليه صهيب وحمل الى بيت عائشة ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ونزل في قبره عثمان وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعبد الله بن عمر

(ذكر نسب عمر وصفته وعمره)

فاما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي ابنة عم ابي جهل وقد زعم من لا معرفة له انها أخت أبي جهل وليس بشيء وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاروق وقيل بل سماه أهل الكتاب واما صفته فكان طوالا آدم اصلع اعسر يسر يعني يعمل بيديه وكان اطوله كأنه راكب وقيل كان أبيض أمهق يعني شديد البياض تعلوه حمرة طوالا اصلع أشيب وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ابن ستين سنة وقيل ابن ثلاث وستين سنة وأشهر وهو الصحيح وقيل ابن احدى وستين سنة (رياح بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

(ذكر أسماء ولده ونسائه)

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الاكبر وحفصة وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها في الهدنة فخلف عليها أبو جهم بن حذيفة وقتل عبيد الله بصفين مع معاوية وقيل كانت أم ام زيد الاصغر ام كلثوم بنت جرول الخزاعي وكان الاسلام فرق بينها وبين عمر وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية ففارقها في الهدنة ايضا فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فكانا سلفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان قريبة أخت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج ام حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومي في الاسلام فولدت له فاطمة فطلقها وقيل لم يطلقها وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الاوسي الانصاري في الاسلام فولدت له عاصما فطلقها ثم تزوج ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها أربعين ألفا فولدت له رقية وزيدا وتزوج فكيهة امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الاوسط وقيل الاصغر وقيل كانت عنده فكيهة ام ولد فولدت له زينب وهي أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن ابي بكر الصديق فقتل عنها فلما مات عمر تزوجها الزبير

ابن

ساعة (والسابعة) اذا زرعوا وادرك الحصاد وحصدوه وجمعوه في البيدر ودقوه فعند ذلك يرسل الله تعالى ريحا فيخلص الحبة من التبن (والثامنة) الثياب التي يلبسونها في الصيف لا يزيدون عليها في الشتاء ولا ينقصون في الصيف (والتاسعة) لم يكن فيها حر للشمس مثل سائر البلدان حتى يحتاجوا الى البرودة (والعاشرة) اذا تزوج الرجل امرأة وجدها بكرا كلما يأتيها (والحادية عشرة) اذا ارادت المرأة ان تضع حملها لم تجد الالم والوجع مثل ما نجد في زماننا بان يرسل الله تبارك وتعالى النوم على المرأة ثم تستيقظ من نومها فتجد الولد قد انفصل منها مقطوع السرة وقد طهرت من نفاسها في الحال (والثانية عشرة) اذا البست المرأة ولدها قميصا او ثوبا وقت صغره فكلما كبر الولد كبر القميص معه وكان الله تعالى قد أعطى لهم النعمة على هذه الصورة فطلب منهم الطاعة على لسان نبيهم الذي بعث اليهم كان اسمه ايضا على نبينا وعليه السلام ولم يطيعوه فأرسل الله عليهم سيل العرم فلما رأوا ذلك جمعوا الحدادين والصناعين وبنوا حول المدينة سورا

قال عمر لسلمان أملك انا ام خليفة قال له سلمان ان انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل
او اكثر ووضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فبكى عمر وقال أبو هريرة يرحم الله ابن حنتمة
لقد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده وانه ليعتقب هو واسلم فلما
رآني قال من أين يا ابا هريرة قلت قريبا فاخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا نحو من
عشرين بيتا من محارب فقال لهم ما اقدمكم قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا
يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطبخ حتى
اشبعهم ثم ارسل اسلم الى المدينة فجاءنا بابعرة فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان
يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك قال أبو خيثمة رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانا
يقصدون في المشي ويتكلمون رويدا فقالت ما هذا قالوا نساك فقالت كان والله عمر اذا تكلم
اسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب اوجع وهو والله ناسك حقا قال الحسن خطب عمر الناس
وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة منها أدم قال ابو عثمان النهدي رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه ازار
مرقع بقطعة جراب وقال علي رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة
فيها أدم وقال الحسن كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض وقيل
انه سمع قارئا يقرأ والطور فلما انتهى الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع سقط ثم
تحامل الى منزله فمرض شهرا من ذلك قال الشعبي كان عمر يطوف في الاسواق ويقرأ القرآن
ويقضي بين الناس حيث ادركه الخصوم قال موسى بن عقبة أتى رهط الى عمر فقالوا له كثر
العيال واشتدت المؤنة فزدنا في عطائنا قال فعلتموها جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال
الله لوددت أني واياكم في سفينة في لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس ان يولوا
رجلا منهم فان استقام اتبعوه وان جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه
قال لا القتل انكل لمن بعده احذروا فتى من قريش وابن كريمها الذي لا ينام الا على الرضا
ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته قال مجالد ذكر رجل عند عمر فقيل يا امير
المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيئا قال ذاك اوقع له فيه قال صالح بن كيسان قال المغيرة بن
شعبة لما دفن عمر اتيت عليا وأنا احب ان اسمع منه في عمر شيئا فخرج ينفض رأسه ولحيته
وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر يصير اليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد
صدقت ابنة ابي حنتمة ذهب بخيرها ونجا من شرها او والله ما قالت ولكن قولت وقالت عاتكة
بنت زيد بن عمرو في عمر

فجعني فيروز لا در دره * بأبيض تال للكتاب منيب
رؤف على الادنى غليظ على العدا * أخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت ايضا

عين جودي بعبرة ونحيب * لا تملي على الامام النجيب
فجعتني المنون بالفارس المعلم * يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهر * وغيث المنتاب والمحروب

ذا القرنين فسماه ابوه الاسكندر فلما هلك الحرث تولى مكانه ابنه (الاسكندر) فهو الاسكندر بن فيلسوف المصري وانما نسبته الروم الى امه لان اباه مات وهو صغير وكان رجلا طويل القامة رحب الجبين اختلف العلماء في نبوته قال مقاتل نبي لان الله تبارك وتعالى اوحى اليه لقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين والوحي للانبياء وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه ليس بنبي لكنه رجل صالح مطيع لاوامر الله تعالى قال ابو الحسن في قصيدته

وذو القرنين لم يعرف نبيا
كذا لقمان فاحذر عن جدال

واختلفوا في نسبه قال اهل التفسير هو ابن فيلقوس اليوناني وقال الدميري في حياة الحيوان انهما اثنان (أحدهما) على عهد ابراهيم عليه السلام وهو أول القياصرة وهو الذي بنى الاسكندرية قيل انه عاش الفا وستمائة سنة كذا في المحاضرة (والثاني) قبل مولد المسيح بثلثمائة وثلاث سنين والغالب انه كان في الفترة بين عيسى عليه السلام وبين نبينا صلى الله عليه وسلم وسبب تسميته بذي القرنين قيل كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم

على نشز من الارض يتحدثان فرفع لهما مصباح فقال عمر الم انه عن المصابيح بعد النوم فانطلقا فاذا قوم على شراب لهم قال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل اليه قال يافلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال وما اعلمك يا امير المؤمنين قال شئ شهدته قال اولم ينهك الله عن التجسس فتجاوز عنه وانما نهى عمر عن المصابيح لان الفارة تأخذ الفتيلة فترمى بها فى سقف البيت فتحرقه وكانت السقوف من جريد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك قبله وقال اسلم وخرج عمر الى حرة واقم وانا معه حتى اذا كنا بصرار اذا نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فهرولنا حتى دنونا منهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره ان يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السلام قال ادنو قالت ادن بخير أودع فدنا وقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال وأى شئ فى هذه القدر قالت ماء أسكتهم حتى يناموا فانا اعللهم واوهمهم انى أصلح لهم شيأ حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال اى رحمك الله مايدرى بكم عمر قالت يتولى امرنا ويغفل عنا فاقبل على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على ظهرى قال اسلم فقلت أنا أحمله عنك مرتين او ثلاثا فقال آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا ام لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيأ فجعل يقول لها ذرى على وانا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى انضج ثم انزل القدر فاتته بصحفة فافرغها ثم قال اطعميهم وأنا اسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا انت أولى بهذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولى خيرا فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتنى هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمنى حتى رأى الصبية يضحكون ويصطرعون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله فقال يا أسلم الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم (صرار بكسر الصاد المهملة وراءين) قال سالم بن عبد الله ابن عمر وكان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم واقسم بالله لا اجد أحدا فعله الا أضعفت عليه العقوبة قال سلام بن مسكين وكان عمر اذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه قال وهو أول من دعى بأمير المؤمنين وذلك انه لما ولى قالوا يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا امر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل انتم المؤمنون وانا اميركم فسمى أمير المؤمنين وهو أول من كتب التاريخ وقد تقدم وهو أول من اتخذ بيت مال وأول من عس الليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من نهى عن بيع امهات الاولاد وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يصلون أربعا وخمسا وستا قال الواقدى وهو أول من جمع الناس على امام يصلى بهم التراويح فى شهر رمضان وكتب به الى البلدان وأمرهم به وهو أول من حمل الدرة وضرب بها وأول من دون فى الاسلام قال زاذان

قال

ثم وثب على ملك اليمن (ذورياش) وهو عامر بن مازان بن عوف بن حمير ثم نهض من بنى وائل (نعمان ابن يعفر) بن السكسك بن وائل بن حمير واجتمع عليه الناس ثم ملك بعده ابنه (اصبح بن نعمان) المذكور ثم ملك بعده على قول بعضهم (عاد بن عوص) ثم ولده الاكبر (شديد) ثم (شداد) ابن عاد وكان لعاد ابنان أحدهما شديد والآخر شداد وهو الذى بنى مدينة ارم فى بعض صحارى عدن فى خمسمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة ثم ملك بعده ابنه (مرثد بن شداد) وكان آمن بهود عليه السلام وكان يكتم ايمانه من قومه خوفا من ان يخلعوه ولما مات ملك بعده ابنه (عمرو بن مرثد وكان هو ايضا مؤمنا بالله تعالى يكتم ايمانه فكان مدة ملكه مائة سنة ولما هلك ملك بعده عم أبيه (لقمان ابن عاد) عاش دهرا طويلا ثم ملك بعده أخوه (ذوسدد ابن عاد) ثم ملك بعده ابنه (الحرث) ويقال له الحرث الرايش وهو تبع الاول وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة وكان يسمى الفيلسوف لعقله وادبه فتزوج بامرأة من غسان وكانت على دين الروم فولدت

وصف قوما بالكراهة فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكره ان أقرك عليها فتزيل منزلتك مني فقلت ماهي يا امير المؤمنين فان كانت حقا فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك وان كانت باطلا فمثلي اماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغني انك تقول انما صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما فقلت اما قولك يا امير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسدا فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول فقلت مهلا يا امير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عن الحسد والغش فان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم فقال عمر اليك عني يا ابن عباس فقلت افعل فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال يا ابن عباس مكانك فوالله اني لراع لحقك محب لما سرك فقلت يا امير المؤمنين ان لي عليك حقا وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه اصاب ومن اضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى

﴿ ذكر قصة الشورى ﴾

قال عمرو بن ميمون الاودي ان عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا امير المؤمنين لو استخلفت فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالما شديد الحب لله تعالى فقال له رجل ادلك على عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما اردت الله بهذا ويحك كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لا ارب لنا في أموركم فما حمدتها فارغب فيها لاحد من أهل بيتي ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فقد صرف عنا بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسئل عن امر أمة محمد أما لقد جهدت نفسي وحرمت اهلي وان نجوت كفافا لا وزر ولا أجر اني لسعيد انظر فان أستخلف فقد استخلف من هو خير مني وان اترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه فخرجوا ثم راحوا فقالوا يا امير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتي ان انظر فاولي رجلا أمركم هو احرى ان يحملكم على الحق وأشار الى علي فرهقتني غشية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه اليه ويصيره تحته فعلمت ان الله غالب امره فما اردت ان اتحملها حيا وميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة وهم علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختار وا منهم رجلا فاذا ولوا واليا فأحسنوا موازرته وأعينوه فخرجوا فقال العباس لعلي لا تدخل معهم قال اني اكره الخلاف قال اذن ترى ما تكره فلما اصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن والزبير فقال لهم اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض واني لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا فيها ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت اصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه وقال اعرضوا عن هذا فاذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام

وولد الاسكندر وابن خالته الخضر في ليلة واحدة وفي بلغة الغواص ان ذا القرنين نشأ يتيما في بني حمير واسمه صعب بن جبول وامه هيلانة فحملته امه الى بيت الصنائع في القسطنطينية فقالت اختر يا بني ما تريد منها فرأى صانعا يصلح تاج الملك فوضع يده عليه فانتهرته مرارا فلم ينتهه وكان يونان الحكيم يبصرهما فنادا هما وقال لامه هيلانة انت هيلانة وهذا ابنك صعب بن جبول قالت نعم فأخذ منه العهد له ولذريته بالامان وقال له انت الملك الذي يصحب ذلك في مشارق الارض ومغاربها وامر امه بكتم امره فحملته الى ارض بابل فلما بلغ الحلم رأى ثلاث منامات في ثلاث ليال رأى ليلة كان الارض كلها خبزا فأكله ورأى ليلة اخرى انه شرب البحار وأكل طينها ورأى في الليلة الثالثة انه قدر في السماء فقطف نجومها ورماها الى الارض وركب الشمس وصحب بناصيته القمر فلما اصبح اجتمع بالخضر وقصها عليه فبشره بالملك الاعظم فعلت همته واشتدت شوكته وعظم في قومه والقى الله عليه الهيبة واجتمع مع ابراهيم عليه السلام في سفر بقرب مكة فاعطاه

وقيل كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل كان كريم الطرفين من أبيه وامه قال صاحب

قل لاهل الثراء والبؤس مروا * قد سقته المنون كاس شعوب

قال ابن المسيب وحج عمر فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العظيم العلي المعطي ما شاء من شاء كنت ارعى ابل الخطاب في هذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت وقد أمسيت وليس بيني وبين الله احد ثم تمثل

لا شئ فيما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجري الرياح به * والانس والجن فيما بينها برد

أين الملوك التي كانت نوافلها * من كل اوب اليها راكب يفد

حوضا هنالك مورودا بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

قال اسلم ان هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال اربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فاقرضها فخرجت فيها الى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها ان ابا سفيان وابنه عمرا اتيا معاوية فعدلت اليه وكان ابو سفيان قد طلقها فقال لها معاوية ما أقدمك اي امه قالت النظر اليك اي بني انه عمر وانما يعمل لله وقد اتاك ابوك فخشيت ان تخرج اليه من كل شئ واهل ذلك هو ولا يعلم الناس من أين اعطيته فيؤنبوك ويؤنبك عمر فلا تستقيلها ابدا فبعث الى ابيه والى اخيه بمائة دينار وكساهما وحملها فتسخطها عمرو فقال ابو سفيان لا تسخطها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ورجعوا جميعا فقال ابو سفيان لهند أربحت قالت الله اعلم فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة فقال لها عمر لو كان مالي لتركته لك ولكنه مال المسلمين وقال لابي سفيان بكم اجازك معاوية قال بمائة دينار (٣) قال ابن عباس بينما عمر بن الخطاب واصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان اشعر وقال بعضهم بل فلان اشعر قال فأقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بها من اشعر الشعراء قال قلت زهير بن أبي سلمى فقال هلم من شعره ما يستدل به على ما ذكرت فقلت امتدح قوما من غطفان فقال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا * مرزؤون بها ليل اذا حشدوا

محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر أحسن والله وما اعلم احدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه فقلت وفقت يا امير المؤمنين ولم تزل موفقا فقال يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكرهت ان أجيبه فقلت ان لم أكن ادري فان امير المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فقلت يا امير المؤمنين ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت قال تكلم قلت اما قولك يا امير المؤمنين اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لانفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود واما قولك انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل

ابتلاء الاخبار كان أبو الاسكندر أعلم اهل الارض بالنجوم ولم يراقب احد الفلك ما راقبه وكان قد مد الله تعالى له الاجل فقال ذات ليلة لزوجته قد قتلني السهر فدعيني أرقد ساعة وانظري في السماء فاذا رأيت قد طلع في هذا المكان نجم وأشار الى موضع طلوعه فنبهيني حتى اطأك فتعلقين بولد يعيش الى آخر الدهر وكانت اختها تسمع كلامه ثم نام ابو الاسكندر فجعلت اخت زوجته تراقب النجم فلما طلع اعلمت زوجها بالقصة فوطئها فعلقت منه بالخضر عليه السلام فهو ابن خالة الاسكندر ووزيره فلما استيقظ ابو الاسكندر ورأى النجم قد نزل في غير البرج الذي كان يرقبه فقال لزوجته هلا نبهتيني فقالت استحييت والله فقال لها اما تعلمين اني اراقب هذا النجم منذ اربعين سنة والله لقد ضيعت عمري في غير شئ ولكن الساعة يطلع في أثره نجم فأطأك فتعلقين بولد يملك قرني الشمس ولكن لا يعيش كثيرا فلم يلبث أن طلع النجم فواقعها فحملت بالاسكندر

بهامش الاصل من قوله فقال يا ابن عباس الى ذكر قصة الشورى زائد من قائل الله واضعه اهـ

ووصفا

ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه احد فقال فانا أنخلع منها فقال عثمان انا أول من رضي فقال القوم قد رضينا وعلي ساكت فقال ما تقول يا ابا الحسن قال أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا فقال أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم وعلي ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا واعطاهم مثله فقال لعلي تقول اني أحق من حضر بهذا الامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك ولكن ارأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ولي سابقة وفضل فاين يصرف هذا الامر عني ولكن لو لم تحضر أي هؤلاء الرهط تراه أحق به قال علي ولقي علي سعدا فقال له اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام اسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمي حمزة منك ان تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم حتى اذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة فايقظه وقال له لم اذق في هذه الليلة كبير غمض انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له خل بني عبد مناف وهذا الامر قال نصيبي لعلي وقال لسعد اجعل نصيبك لي فقال ان اخترت نفسك فنعم وان اخترت عثمان فعلي أحب الي أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا فقال له قد خلعت نفسي على ان اختار ولو لم أفعل لم أردها اني رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل ما رأيت اكرم منه فمر كانه سهم لم يلتفت الى شيء منها حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج منها ثم دخل فحل عبقري يجر خطامه ومضى قصد الاولين ثم دخل بعير رابع فوقع في الروضة ولا والله لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما احد فيرضى الناس عنه قال وارسل المسور فاستدعى عليا فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم نهض ثم أرسل الى عثمان فتناجيا حتى فرق بينهما الصبح قال عمرو بن ميمون قال لي عبد الله بن عمر من أخبرك انه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين واهل السابقة والفضل من الانصار والى امراء الاجناد فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله فقال ايها الناس ان الناس قد أجمعوا ان يرجع اهل الامصار الى امصارهم فاشيروا علي فقال عمار ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا وقال ابن ابي سرح ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبد الله بن ابي ربيعة صدقت ان بايعت عثمان قلنا سمعنا واطعنا فشتم ابن ابي سرح فقال عمار متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار ايها الناس ان الله اكرمنا بنبيه واعزنا بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم فقال رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها فقال سعد بن ابي وقاص يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن اني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن ايها الرهط على أنفسكم

فآمنوا ودخلوا في طاعته وفعل مثل ذلك لما بلغ مطلع الشمس وكان اذا أتى بحرا او نهرا عظيما بنى سفنا من الواح فحمل معه فنظمها ثم حمل عليها جميع ما معه قال الطبري من حيله في حروبه انه لما تلقاه ملك الهند بالفيلة نفرت منها خيل أصحابه فعاد عنه وامر باتخاذ فيلة من نحاس والبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليه ملكهم بما كره وفيله فامر الاسكندر فملئت بطون الفيلة من النفط والكبريت وركبت على العجل وجرت وسط العسكر ومعها جمع من أصحابه فلما نشبا الحرب امر باشعال النار في تلك الفيلة فلما حميت انكشفت اصحابه عنها وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على عسكر الهنود فانهزموا بين يديه فاهلكت غالب عسكرهم وقتل ملك الهند فور وانقاد اليه جميع ملوك الهند وروي انه لما توجه نحو المشرق رأى مدنا خرابا فسأل عن سبب ذلك فقيل له أخربها يأجوج ومأجوج وشكوا اليه من شرهم وسألوه أن يجعل بينهما سدا وكان السد بين جبلين متقابلين

وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم امير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شئ له من الامر وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الايام الثلاثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لى بطلحة فقال سعد بن ابى وقاص انا لك به ولا يخالف ان شاء الله تعالى فقال عمر أرجو أن لا يخالف ان شاء الله وما أظن يلى الا أحد هذين الرجلين على أو عثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى على ففيه دعابة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق وان تولوا سعدا فأهله هو والا فليستعن به الوالى فانى لم اعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وقال لابى طلحة الانصارى يا ابا طلحة ان الله طالما أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وادخل هؤلاء الرهط بيتا وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤسهما وان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع فيه الناس فخرجوا فقال على لقوم معه من بنى هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابدا وتلقاه عمه العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بى عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لا يخالف ابن عمه وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها احدهما الآخر فلو كان الآخران معى لم ينفعانى فقال له العباس لم ارفعك فى شئ الا رجعت الى مستأخرا بما اكره اشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الامر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان تعاجل الامر فأبيت واشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فابيت احفظ عنى واحدة كل ما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم به لنا غيرنا وايم الله لا يناله الا بشر لا ينفع معه خير فقال على اما لئن بقى عثمان لاذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولونها بينهم ولئن فعلوا ليجدنى حيث يكرهون ثم تمثل

حلفت برب الراقصات عشية * غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليختلبن رهط ابن يعمر فارسا * نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا

والتفت فرأى اباطلحة فكره مكانه فقال ابو طلحة لن تراع ابا الحسن فلما مات عمر وأخرجت جنازته صلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد اهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة وقيل فى بيت المال وقيل فى حجرة عائشة باذنها وطلحة غائب وأمروا اباطلحة ان يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان ان تقولا حضرنا وكنا فى اهل الشورى فتنافس القوم فى الامر وكثر فيهم الكلام فقال أبو طلحة انا كنت لان تدفعوها أخوف منى لان تتنافسوها والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التى أمر ثم أجلس فى بيتى فانظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه

الراية وعانقه وصافحه وقبله بين عينيه وهو أول من لبس العمامة وكانوا يلبسون التيجان قبله وأول ما جمع عامة رأيه انه أسلم وحسن اسلامه واستولى الملك فهدم بيوت النيران ببلاد الفرس وبيوت الاوثان واحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام وبنى اثنتى عشرة مدينة ثلاث مدائن بأعمال خراسان هراة ومرو واسكندر ومدينة بارض بابل ومدينة الاسكندرية بمصر والباقى متفرقة وذكر القرطبى فى تفسير قوله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا أن الله تعالى سخر له السحاب ومد له الاسباب وسخر له الظلمة والنور فكانا جندا من اجناده يهديه النور من امامه وتحفظه الظلمة من ورائه واحصى عسكره فكانوا الف الف وستمائة الف رجل فلما بلغ مغرب الشمس وجد جمعا لا يحصيها الا الله تعالى أصحاب قوة وباس فضرب حولهم جندا الظلمة مثل الدخان فأحاط بهم من كل مكان حتى دخلت فى افواههم وانوفهم واعينهم فتحيروا وايقنوا بالهلاك فضجوا الى الله تعالى فجمعهم فى مكان واحد ودخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى

ولا نعمى عمى الجاهلية فاتجيبك الى مادعوت ومعينك على ما أمرت ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله لى ولكم ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله وحمد صلى الله عليه وسلم انارت الطريق واستقامت السبل وظهر كل حق ومات كل باطل اياكم ايها النفر وقول الزور وامنية أهل الغرور وقد سلبت الامانى قوما قبلكم وورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتم فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيرا قال الله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون الى مكتب قربى واخذت سهمى الفالج وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى فأنا به كفيل وبما اعطيت عنه زعيم والامر اليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع وأستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم ثم تكلم على بن ابى طالب فقال الحمد لله الذى بعث محمدا منا نبيا وبعثه الينا رسولا فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان اهل الارض ونجاة لمن طلب انا حق ان نعطه أخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا عهده ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت ان يسرع أحد قبلى الى دعوة حق وصلة رحم لا حول ولا قوة الا بالله اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسى ان تروا هذا الامر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضهم أئمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة ثم قال

فان تك جاشم هلكت فانى * بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع فى الهواجر كل غى * بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن أيكم يطيب نفسا ان يخرج نفسه من هذا الامر ذكر يا ماتقدم ثم جلس عثمان فى جانب المسجد بعد بيعته ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل ابيه ابا لؤلؤة وقتل جفينة رجلا نصرانيا من اهل الحيرة كان ظهيرا لسعد بن مالك وقتل الهرمزان فلما ضربه بالسيف قال لا اله الا الله فلما قتل هؤلاء اخذه سعد بن ابى وقاص وحبسه فى داره واخذ سيفه واحضره عند عثمان وكان عبيد الله يقول والله لاقتلن رجالا ممن شرك فى دم ابى يعرض بالمهاجرين والانصار وانما قتل هؤلاء النفر لان عبد الرحمن بن ابى بكر قال غداة قتل عمر رأيت عشية امس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأونى ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله فلما أحضره عثمان قال اشيروا على فى هذا الرجل الذى فتق فى الاسلام ما فتق فقال على أرى ان تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص ان الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فقال عثمان انا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى وكان زياد بن لبيد البياضى الانصارى اذا رأى عبيد الله يقول

ألا يا عبيد الله مالك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دما والله فى غير حله * حراما وقتل الهرمزان له خطر
على غير شئ غير ان قال قائل * أتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة * نعم اتهمه قد أشار وقد امر

وساقتهم بخراسان ثم يهلكهم الله تعالى بالنفث فى رقابهم فلما فرغ الاسكندر من امر السد بلغه ان الله تعالى خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان وفى تلك الظلمة عين الخلد تنبع من الفردوس من شرب من مائها لم يمت ابدا الى يوم القيامة فلما سمع ذلك تأهب لرؤيتها وكان مسيره ممايلى القطب الشمالى والشمس جنوبية فلهذا كان مظلما والاقليم فى الارض موضع لا تطلع الشمس عليه ابدا فلما بلغوا طرف الظلمة فاذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست كظلمة الليل فسير الخضر عليه السلام على مقدمته بالفى رجل ومعه اربعة آلاف رجل فصار الخضر يرتحل وذو القرنين ينزل مكانه فساروا فيها ثمانية عشر يوما فوصل الخضر واديا فحقق ان العين فيه فقال لاصحابه قفوا هنا ولا يبرح رجل من موضعه فمشى وحده حتى انتهى اليها فرأى ماء اشد بياضا من اللبن واحلى من الشهد فشرب منه واغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ولبس ثيابه ثم رجع فاجتمع مع أصحابه واخطأ ذو القرنين الوادى فسلك فى الظلمة اربعين يوما ثم انصرفوا راجعين ورأوا فى طريقهم غلالا كالجمان فكانت الغلة تعثر الفارس عن فرسه فوصلوا العراق ومات الاسكندر فى طريقه بشهرزور وقيل ببلاد نصيبين من بلاد ديار ربيعة بعد ان ظهر انه

سبيلا ودعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين
من بعده قال أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال
نعم نعمل فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد اللهم اني قد
جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان فبايعه فقال علي ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم
في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك حجة وسبيلا فخرج علي وهو يقول سيبلغ
الكتاب أجله فقال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق وبه
يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال ان كنت اردت الله فأثابك الله ثواب
المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما أوتي الى اهل هذا البيت بعد نبيهم اني لأعجب من قريش
انهم تركوا رجلا ما أقول ولا اعلم أن رجلا اقضى بالعدل ولا أعلم منه اما والله لو اجد اعوانا
عليه فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله
من اهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال اهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن ابي طالب
فقال علي ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر بينها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم
تخرج منهم ابدا وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه
لعثمان فقيل له بايعوا لعثمان فقال كل قريش راض به قالوا نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت
على رأس أمرك وان ابيت رددتها قال اتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد
رضيت لا ارغب عما اجمعوا عليه وبايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا ابا محمد قد أصبت
أن بايعت عثمان وقال لعثمان ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا فقال عبد الرحمن كذبت
يا أعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة قال وكان المسور يقول ما رأيت أحدا بذ قوما
فيما دخلوا فيه بمثل ما بذهم عبد الرحمن قلت قوله ان عبد الرحمن صهر عثمان يعني ان عبد
الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه خلف عليها عقبة بعد
عثمان وقد ذكر أبو جعفر رواية اخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة وهي تمام حديث
مقتل عمر وقد تقدم والذي ذكره هنا قريب من الذي تقدم آنفا غير انه قال لما دفن عمر جمعهم
عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرق فتكلم عثمان فقال الحمد لله الذي اتخذ
محمدا نبيا وبعثه رسولا وصدقه وعده ووهب له نصرة على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله
عليه جعلنا الله تابعين وبأمره مهتدين فهو لنا نور ونحن بأمره نقوم عند تفرق الاهواء
ومجادلة الاعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته امراء لا يخرج امرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا
الا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحر بها يا ابن عوف ان تترك (٣) وأجدر بها ان يكون ان
خولف أمرك وترك دعاؤك فانا أول مجيب وداع اليك وكفيل بما اقول زعيم وأستغفر الله لي
ولكم ثم تكلم الزبير بعده فقال اما بعد فان داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الاهواء
ولي الاعناق ولن يقصر عما قلت الا غوي ولن يترك ما دعوت اليه الا شقي ولولا حدود الله
فرضت وفرائض الله حدت (٣) تراح على اهلها وتحيا ولا تموت لكان الموت من الامارة نجاة
والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا اجابة الدعوة واظهار السنة لئلا نموت موتة عمية

ولا

املسين كالطاق يزلق فيهما
كل شيء يزلق فيهما فوجد
هذا المعدنين فاستخرج
منهما ما كفاه من الحديد
والنحاس ثم أمر بحفر الاساس
حتى بلغ الماء ثم جمع الحديد
والحطب وجعله صفوفا
بعضها فوق بعض صف
حطب وصف قطع الحديد
حتى ساوى بالبناء الجبلين ثم
اشعل النار في الحطب فحمي
الحديد وافرغ عليه النحاس
المذاب فصار موضع الحطب
النحاس والحديد واستقر
مكانه فبقي السد كأنه برد
مخطط بسواد الحديد وحمرة
النحاس وجعل ارتفاعه
مائتي ذراع وخمسين ذراعا
وطول السور ما بين الجبلين
مائة فرسخ وعرضه خمسون
فرسخا عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان
يأجوج ومأجوج يحفرون
السد كل يوم حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس قال
الذي عليهم ارجعوا
فستحفرونه غدا فيعيده الله
تعالى كأشد ما يكون حتى
اذا اراد الله تعالى ان يبعثهم
على الناس حفروا حتى اذا
كادوا يرون شعاع الشمس
قال الذي عليهم ارجعوا
فستحفرونه غدا ان شاء الله
تعالى فيعودون اليه فيجدونه
كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون
على الناس مقدمتهم بالشام

فاندمل ثم انتقض عليه فمات منه وهو عقبي بدري وفيها مات ابو خراش الهذلي الشاعر وخبر موته مشهور وفيها توفي غيلان بن سلمة الثقفي وهو الذي اسلم وتحته عشر نسوة وفيها في آخرها مات الصعب بن جثامة بن قيس الليثي

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

(ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة)

في المحرم منها الثلاث مضين منه بويع عثمان بن عفان وقيل غير ذلك على ما تقدم وكان هذا العام يسمى عام الرعاف لكثرته فيه بالناس واجتمع أهل الشورى عليه وقد دخل وقت العصر فاذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الاذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزادهم مائة مائة ووفد أهل الامصار وهو أول من صنع ذلك وقصد المنبر وهو اشدهم كآبة فخطب الناس ووعظهم واقبلوا يبايعونه

(ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص)

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة واستعمل سعد بن أبي وقاص عليها بوصية عمر فانه قال أوصي الخليفة بعدي ان يستعمل سعدا فاني لم أعزله عن سوء ولا خيانة فكان أول عامل بعثه عثمان فعمل عليها سعد سنة وبعض اخرى وقيل بل اقر عثمان عمال عمر جميعهم سنة لان عمر أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعدا فعلى هذا القول تكون امارة سعد سنة خمس وعشرين وحج بالناس في هذه السنة عثمان وقيل عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان وقد تقدم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء انها كانت زمن عثمان وذكرت الخلاف هنالك * وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الانصاري وهو بدري وهو احد البكائين في غزوة تبوك وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وقيل مات بعد ذلك وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

(ذكر خلاف اهل الاسكندرية)

في هذه السنة خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصي فارسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصي وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور * وفيها بلغ سعد بن أبي وقاص عن اهل الري عزم على نقض الهدنة والغدر

وبه سميت وكان مدة ملكه مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه (ذو الاذعار عمرو بن ذي المنار) وسمي بذي الاذعار لانه غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى اليمن من سبيهم بقوم وجوههم في صدورهم فذعر الناس منهم فسمي بذي الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده (شرحبيل بن عمرو) ثم ملك بعده (الهدهاد ابن شرحبيل) وهو أبو بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وكان أبوه ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج منهم فخطب من الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن وذكر في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء

وكان سلاح العبد في جوف بيته * يقلبها والامر بالامر يعتبر

فشكا عبيد الله الى عثمان زياد بن لبيد فنهى عثمان زيادا فقال في عثمان

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان
فانك ان عفوت الجرم عنه * واسباب الخطا فرسا رهان
اتعفو اذ عفوت بغير حق * فمالك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك قال القماذبان بن الهرمزان كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض فمر فيروز بأبي لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع به قال آنس به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت الهرمزان دفعه الى فيروز فاقبل عبيد الله فقتله فلما ولي عثمان امكنني منه فخرجت به وما في الارض أحد الا معي الا انهم يطلبون الي فيه فقلت لهم ألي قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله قلت لهم أفلكم منعه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فحملوني فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤس الناس والاول أصح في اطلاق عبيد الله لان عليا لما ولي الخلافة اراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ولو كان اطلاقه بامر ولي الدم لم يتعرض له علي

(ذكر عدة حوادث)

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحرث الخزاعي وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن أمية وعلى الجند عبد الله بن ابي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة ابو موسى الاشعري وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية وعلى البحرين وما والاها عثمان بن ابي العاص الثقفي وفيها اغزا معاوية الصائفة ومعه عبادة بن الصامت وابو ايوب الانصاري وابو ذر وشداد بن اوس وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة كعب بن سور وقيل ان ابا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان الانصاري وهو الذي ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه وصلى عليه عمر بن الخطاب وهو بدري وقيل توفي سنة أربع وعشرين وفي خلافة عمر توفي الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وهو بدري وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وهو أسن من العباس وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وهو بدري وعمير بن وهب ابن خلف الجمحي شهد أحدا وعتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وعدي بن أبي الزغباء الجهني وهو عين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد غيرها ايضا وفيها مات عويم بن ساعدة الانصاري وهو عقبي بدري وقيل انه من بلي وله حلف في الانصار وفيها مات سهيل بن رافع الانصاري شهد بدرا ومسعود بن أوس بن زيد الانصاري وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي وفيها توفي واقد بن عبد الله التميمي حليف الخطاب وهو اول من قتل في سبيل الله في الاسلام وقتل عمرو بن الحضرمي وكان اسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وفيها مات ابو جندل بن سهيل بن عمرو واخوه عبد الله وكان عبد الله بدريا ولم يشهدها ابو جندل لان أباه حبسه بمكة ومنعه من الهجرة الى يوم الحديبية وقد تقدم كيف خلص وفيها مات ابو خالد الحرث بن قيس بن خالد وكان اصابه جرح باليمامة

فلما اشتد مرضه قال له الحكماء انك لا تموت الا على ارض من حديد وسقف من ذهب فاخذه الرعاف وكان راكبا فسقط عن دابته فبسط درعه على الارض فنام فادركته الشمس فاظلوه بترس من ذهب فنظر وهو مضطجع على حديد وفوقه ذهب فايقن بالموت فلما توفي طلي جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه وحمل الى امه بالاسكندرية في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر ودفن في أرض مصر وله قبر يعرف بقبر الاسكندر وللاسكندر في اسفاره وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد اوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب صورهم اخبار كثيرة من حروب ومكايد وفنون لا يسعها هذا المختصر وسنذكر شيأ من اخباره في ذكر ملوك اليونانيين وكان عمره ستا وثلاثين سنة ومدة ملكه اربع عشرة سنة ولما توفي الاسكندر ملك بعده ابنه (ذو المنار ابرهة) وانما سمي ذا المنار لانه أول من بنى المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها اذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده (افريقس بن ابرهة) وهو الذي نقل البربر من ارض فلسطين ومصر والساحل الى مساكنهم اليوم وكانت البربر أهل بعثة يوشع عليه السلام وافريقس هو الذي بنى افريقية

فاندمل

فوجهه اليها فاتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء أو الجزية فجلا
كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فيمن معه اشهرا وانما سميت قاليقلا لان امرأة
بطريق ارمنياقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قاله تعنى احسان قالى فعربتها
العرب فقالت قاليقلا ثم بلغه ان بطريق ارمنياقس وهى البلاد التى هى الآن بيد اولاد
السلطان قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس واقصرا وقونية وما والاها من البلاد الى خليج
القسطنطينية واسمه الموريان قد توجه نحوه فى ثمانين الفا من الروم فكتب حبيب الى معاوية
يخبره فكتب معاوية الى عثمان فأرسل عثمان الى سعيد بن العاص يامره بامداد حبيب فأمده
بسلمان فى ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد
الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق
فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها سجاف سرادق ومات
عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس فهى ام ولده ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قاليقلا
ثم سار منها فنزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامانه فأجراه عليه وحمل
اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهى من
البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى أزدشاط وهى القرية التى يكون بها القرمز
الذى يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم
منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم
لان المسلمين أخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها وقاتلوهم فظفروا بهم
ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقها على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان
فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى
جرزان فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهى من
جرزان وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلى الى اران ففتح
البيلقان صلحا على ان آمنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية
والخراج ثم اتى سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله اهلها
اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت
رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية
واذى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وهى مدينة قديمة ولم تزل
معمورة حتى اخربها السناوردية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن اسيد عن ارمينية
فعظم امرهم فعمرها بغا سنة أربعين ومائتين وسماها المتوكلية نسبة الى المتوكل وسار سلمان
الى مجمع ارس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان
وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده

(ذكر غزوة معاوية الروم)

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل
عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن

ملك بعده (شمر يرعش بن افريقس بن ابرهة ذى المنار) وسمى شمر يرعش لارتعاش كان به وخرج نحو العراق ثم توجه يريد الصين ودخل مدينة الصغد وهدمها فسميت شمركند اى شمر خربها وعربت بعد فقيل سمرقند وقيل الذى بناها شمر يرعش فقيل شمركند فعربت فقيل سمرقند ثم ملك بعده ابنه (ابو مالك بن شمر يرعش) ثم بعده ملك (عمران بن عامر الازدى) من نسل كهلان بن سبا ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن عامر الازدى المزيقيا) وانما سمى مزيقيا لانه كان يلبس فى كل يوم حلة او حلتين فاذا امسى مزقها لئلا يلبسها احد غيره وهو الذى احس بسيل العرم المقدم ذكره وخرج من اليمن الى ارض عك وتوفى بها ثم تفرق اولاده الى البلاد وقد ذكر فى كتب السير والتفاسير ان أرض مارب كانت العمارة بها أكثر من مسيرة شهرين للمجد وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر وكانت المرأة اذا أرادت ان تجنى من ثمرها شيأ وضعت مكتلها على راسها وخرجت تمشى

فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

(ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة)

في هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو اخو عثمان لامه أمهما أروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب وسبب ذلك ان سعدا اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا فلما تقاضاه ابن مسعود ولم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد ما أراك الا ستلقى شرا هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل فقال اجل والله انى لابن مسعود وانك لابن حمينة وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضرا فقال انكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليكما فرفع سعد يده ليدعو على ابن مسعود وكان فيه حدة فقال اللهم رب السموات والارض فقال ابن مسعود ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج ثم استعان عبد الله باناس على استخراج المال واستعان سعد باناس على انظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا وهؤلاء عبد الله فكان ذلك أول ما نزغ به بين اهل الكوفة واول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعدا واقر عبد الله واستعمل الوليد بن عقبة بن ابي معيط مكان سعد وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان بعده فقدم الكوفة واليا عليها واقام عليها خمس سنين وهو من أحب الناس الى اهلها فلما قدم قال له سعد أكست بعدنا ام حمقنا بعدك فقال لا تجزعن يا ابا اسحق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم جعلتموها ملكا وقال له ابن مسعود ما ادرى اصلحت بعدنا ام فسد الناس

(ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان)

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسي فاغار على اهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمان مائة الف درهم وقبض المال ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثنى عشر الفا فسار في ارمينية يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى المدينة فنزلها فأتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية بن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين في جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ما شاؤا وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذى امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية يأمره ان يغزى حبيب بن مسلمة في أهل الشام ارمينية

فوجهه

على البيضاء فقتل السوداء واطلق البيضاء فاذا هو ملك الجن وكانت السوداء من عبيده قد عصت عليه ثم ظهرت البيضاء في صورة شاب جميل فعرض على الملك المال فاستعفى وقال ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس فلما توفى أبوها جلست مكان أبيها (بلقيس بنت هدهاد) فلما استولت على سرير الملك أطاعها الملوك فكانت تجلس من كل أسبوع يوما للحكومة وتحتجب عن الناس ترخى ستورا رقيقة بحيث تراهم ولا يرونها والناس وقوف في حضرتها مطرقين رؤسهم من هيبتها واذا كان لاحد عندها حاجة يبعث بها اولا ثم يعرض حاجته وقد مر بعض وصفها ووصف عرشها في ذكر سليمان عليه السلام وكانت مدة ملكها عشرين سنة وملك سليمان عليه السلام اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد من بعده الملك الى حمير وتولى الملك بعدها عم بلقيس (ناشر النعم بن شرحبيل) وكان اسمه مالكا وسمى ناشر النعم لانعامه على الناس وكان شديد السلطان وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم

ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل اليه الخراج كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هنالك يقتتلون كل يوم وراسله عبد الله بن سعد يدعوه الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبد الله بن الزبير في جماعة اليهم ليأتيه باخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد اتاهم عسكر ففت ذلك في عضده ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن بالظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابي سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادي جرجير يقول من قتل عبد الله بن سعد فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف فحضر عنده وقال له تأمر مناديا ينادي من أتاني براس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف اشد من عبد الله ثم ان عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد ان أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في امداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فاحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله ابن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة الملك جرجير سبية ونازل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال مالم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف دينار ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بث جيوشه في البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على ألفي الف وخمسمائة الف دينار ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وارسله الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية وقيل ان ابنة الملك وقعت لرجل من الانصار فاركبها بعيرا وارتجز بها يقول

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك * ان عليك بالحجاز ربتك

* لتحملن من قباء قربتك *

ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد

من ثلثمائة سنة ثم ملك بعده (ابو كرب أسعد بن كليكرب) وهو تبع الاوسط الذي ذكر الله تعالى في القرآن وكان آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام وهو أول من كسا البيت الحرام وأوصى اهله بنظره وكان له بابا ومفتاحا وكان يدين بدين اليهودية فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن ثم قتل ابو كرب وتولى مكانه ابنه (حسان بن تبع) فتتبع قتلة ابيه فقتلهم عن آخرهم وهو الملك السائر من اليمن الى يثرب حتى نزل بين بيوتها واراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من احبار اليهود فكساها القصب اليماني وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم قتله أخوه وملك بعده وهو (عمرو بن تبع) فتوارثه الاسقام حتى كان لا يمضي الى الخلاء الا محمولا على نعش فسمي ذا الاعواد لذلك وكان ملكه اربعا وستين سنة وكان يتفحص كتب آبائه فوجد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في كتب جده افريقس ابن ابرهة فآمن به وقال في ذلك

فيا ليت ذا الاعواد ادرك أحمدا
فيعقل عنه كل من جار واعتدى
ويا ليت ذا الاعواد يشهد يومه

الحرالعبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

في هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى اطراف افريقية غازيا بأمر عثمان وكان عبد الله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبد الله كتب الى عثمان يستأذنه في غزو افريقية فأذن له في ذلك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها ارسل عثمان عبد الله بن عامر الى كابل وهي عمالة سجستان فبلغها في قول فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلها وفيها ولد يزيد بن معاوية وفيها كانت غزوة سابور الاولى وقيل سنة ست وعشرين وقد تقدم ذلك وحج بالناس عثمان

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين ﴾

﴿ ذكر الزيادة في الحرم ﴾

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد انصاب الحرم وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الاثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا وقال لهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فاطلقهم (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

﴿ ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وفتح افريقية ﴾

في هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فتباغيا فكتب عبد الله الى عثمان يقول ان عمرا كسر علي الخراج وكتب عمرو يقول ان عبد الله قد كسر علي مكيدة الحرب فعزل عثمان عمرا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له ما حشو جبتك قال عمرو قال قد علمت ولم أرد هذا وكان عبد الله من جند مصر وكان قد أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان ان فتح الله عليك فلك من الفيء خمس الخمس نفلا وامر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث على جند وسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية ثم يقيم عبد الله في عمله فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطئوا ارض افريقية وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عبد الله بن سعد لما ولي ارسل الى عثمان في غزو افريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار أكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره فسار بهم عبد الله بن سعد الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وسار نحو افريقية وبث السرايا في كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل

تحت الاشجار وهي تغزل او تعمل ما شاءت فلا ترجع حتى يمتلئ مكتلها مما شاءت من الثمار التي تتساقط عليها وكانوا لا يرون بها البعوض من حسن هوائها وكان متجرهم من اليمن الى الشام يبيتون بقرية ويقيلون باخرى ذات مياه واشجار لا يحتاجون الى حمل زاد ولا قيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة متصلة من سبا الى الشام ثم انهم بطروا النعمة وسئموا الراحة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز نركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة فاخرب بلادهم ثم ملك اليمن من بعده اخوه (الافرن) ثم ملك بعده ابنه (ذو حبشان) وهو الذي اوقع بطسم وجديس وذكر بعضهم ان الذي اوقع بجديس وطسم هو حسان بن تبع والله اعلم ثم ملك الامر بعد ذي حبشان اخوه (تبع الاكبر بن الافرن) وكان غزا بلاد الروم حتى بلغ وادي الياقوت فمات قبل ان يدخله وكان ملكه مائة وخمسين سنة ثم ملك بعده (كليكرب) وطال زمانه حتى قيل انه ملك أكثر

يسيرا الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما أمّا بعد فانّ القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل افريقية ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن افريقية ترك في عمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس فكان عليها ورجع عبد الله الى مصر وبعث عبد الله الى عثمان مالا قد حشده فيه فدخل عمرو على عثمان فقال له يا عمرو هل تعلم انّ تلك اللقاح درت بعدك قال عمرو انّ فصالها قد هلكت

ذكر عدّة حوادث

حج بالناس هذه السنة عثمان وفيها كان فتح اصطخر الثانى على يد عثمان بن ابى العاص وفيها غزا معاوية بن ابى سفيان قنسرين وفيها مات ابو ذؤيب الهذلى الشاعر بمصر منصرفا من افريقية وقيل بل مات بطريق مكة فى البادية وقيل مات ببلاد الروم وكلهم قالوا مات فى خلافة عثمان وفيها مات ابو رمثة البلوى بافريقية له صحبة وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة احدى وأربعين وقيل سنة خمس واربعين

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر فتح قبرس

قيل فى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاث وثلاثين وقيل انما غزيت سنة ثلاث وثلاثين لانّ أهلها غدروا على ما نذكره فغزاها المسلمون ولما غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم ابو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وأبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية قد لج على عمر فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال انّ قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص صف لى البحر وراكبه فكتب اليه عمرو بن العاص انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد خرق القلوب وانّ تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما قرأه كتب الى معاوية والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا وقد بلغنى انّ بحر الشام يشرف على اطول شئ من الارض فيستأذن الله فى كل يوم وليلة فى ان يغرق الارض فكيف احمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم احب الىّ مما حوت الروم واياك ان تعرض الىّ فقد علمت مالقى العلاء منى قال وترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وبعثت ام كلثوم بنت على بن ابى طالب زوج عمر بن الخطاب الى امرأة ملك الروم بطيب وشئ يصلح للنساء مع البريد فابلغه اليها فاهدت امرأة الملك اليها هدية منها عقد فاخر فلما رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى الصلاة جامعة فاجتمعوا واعلمهم الخبر فقال القائلون هو لها بالذى كان لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانعك وقال آخرون قد كنا نهدى لنستثيب فقال عمر لكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها فى صدرها فأمر بردها الى بيت المال واعطاها بقدر نفقتها فلما كان زمن عثمان كتب اليه معاوية يستأذنه فى غزو البحر مرارا فاجابه عثمان بآخرة الى ذلك وقال له لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن

ولا أثر وكان مدة ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (لخنيعة ذو الشناتر) لقب به لاصبع زائدة له ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ينكح الاحداث من ابناء الملوك لئلا يملكوا لانهم لم يكونوا يملكون من نكح ولم يزل يظهر الفسق واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وأنصف المظلوم وبعث الى يوسف ذى نواس وكان من ابناء الملوك فلما أتاه الرسول عرف ما يريده فأخذ سكينا لطيفا فاتخذه بين نعله وقدمه فلما خلا معه وثب اليه ذو نواس فقتله ثم حز رأسه وكان فى قصره كوة يشرف منها على عبيده اذا قضى حاجته من الغلام الذى ياخذه فوضع الرأس فيها ثم خرج على العبيد فقالوا له يا أبا نواس ارطب ام يباس فقال لهم سلوا الشيطان انخناس فابتدرت ذو نواس اى سلوا الرأس التى فى الكوة يخبركم واتركوا ذا نواس فلما رأوا ما فعل ذو نواس بلخنيعة قالوا ينبغى ان لا يملك علينا غيره الذى أراحنا منه فملكوا (ذا

من المسلمين الا ثلاثة نفر قتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هنالك وحمل خمس افريقية الى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه وهذا أحسن ماقيل في خمس افريقية فان بعض الناس يقول اعطى عثمان خمس افريقية عبد الله بن سعد وبعضهم يقول اعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا انه اعطى عبد الله خمس الغزوة الاولى واعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع افريقية والله اعلم

(ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية)

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك فلما صالح اهل افريقية عبد الله بن سعد ارسل هرقل الى اهلها بطريقا له وامره ان يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق في قرطاجنة وجمع اهل افريقية واخبرهم بما أمره الملك فابوا عليه وقالوا نحن نؤدي ماكان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له ان يساعدنا لما نالنا المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة فسار الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل علي فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية ابن حديج السكوني فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك الرومي ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين ألف مقاتل فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا مافيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر (حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) ثم لم يزل أهل افريقية من اطوع أهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب اليهم اهل العراق فاستثاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم الى اليوم وكانوا يقولون لا نخالف الائمة بما تجني العمال فقالوا لهم انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا حتى نخبرهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الابرش فقالوا ابلغ امير المؤمنين ان أميرنا يغزو بنا وبجنده فاذا غنمنا نفلهم ويقول هذا اخلص لجهادكم واذا حاصرنا مدينة قدمنا واخرهم ويقول هذا ازدياد في الاجر ومثلنا كفى اخوانه ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء البيض لامير المؤمنين فيقتلون الف شاة في جلد فاحتملنا ذلك ثم انهم ساموا نا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحببنا ان نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا ام لا فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم فكتبوا أسماءهم ودفعوها الى وزرائه وقالوا ان سأل عنا امير المؤمنين فاخبروه ثم رجعوا الى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النفر فعرف أسماءهم فاذا هم الذين صنعوا ذلك

(ذكر غزوة الاندلس)

لما افتتحت افريقية امر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان

الى ان يرى ذا المكرمات محمدا
شهدت بأن الله لارب غيره
واني له أخضعت عبدا موحدا
وان الذي يعطيه صفقة كفه
على نصره يوما فقد فاز واهتدى
ثم ملك بعده (عبد كلال بن ذي الاعواد) ثم ملك بعده (تبع بن حسان بن كليكرب) وهو تبع الاصغر ثم ملك بعده ابن أخيه (الحرث بن عمرو) ثم ملك بعده (مرثد بن كلال) وكان ملكه أربعين سنة ثم تفرقت بعده ملوك حمير والذي اشتهر بعده انه ملك (وليعة بن مرثد) مدة تسع وثلاثين سنة ثم ملك بعده (ابرهة بن الصباح) فكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن دقيقان) الذي كان له سيف عمرو بن معديكرب المعروف بالصمصامة وفي ذلك يقول
وسيف لابن دقيقان عندي
تخير نصله من عهد عاد
وذكر ان ملك الروم اهدى الى الرشيد جملة سيوف قلعية فامر الرشيد باحضار صمصامة عمرو واحضر عنده سيوفهم فجعل يقط بها السيوف سيفا فسيفا كما يقط الفجل في حضور رسل ملك الروم ثم اراهم جيد الصمصامة فاذا فيه فل

يسيرا

من تحبون فقال واغيلان بن خرشة في كل احد عوض من هذا العبد الذى قد أكل ارضنا اما منكم خسيس فترفعونه أما منكم فقير فتجبرونه يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الاشعرى هذه البلاد فانتبه لها عثمان فعزل ابا موسى وولى عبد الله بن عامر بن كريز فلما سمع ابو موسى قال يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين وكان عمر ابن عامر خمسا وعشرين سنة وجمع له جند ابى موسى وجند عثمان بن ابى العاص الثقفى من عمان والبحرين واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثى وهو من ثعلبة فاثخن فيها الى كابل واثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة الا أصلحها وبعث الى مكران عبيد الله بن معمر فاثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد الرحمن بن عبيس وبعث الى الاهواز وفارس نفرا ثم عزل عبد الله بن عمير واستعمل عبد الله بن عامر وأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عبيس واعاد عدى بن سهيل بن عدى وصرف عبيد الله بن معمر الى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان واستعمل على خراسان امير بن أحمر اليشكرى واستعمل على سجستان سنة اربع عمران بن الفضيل البرجمى ومات عاصم بن عمرو بكرمان (عبيس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء وكريز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء)

﴿ذكر انتقاض أهل فارس﴾

ثم ان أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيد الله بن معمر فسار اليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر وكان على ميمنته ابو برزة الاسلمى وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن الحصين وكلهم صحبة واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة وأتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور وهى اردشير خره فانتقضت اصطخر فلم يرجع وقدم السير الى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون اصطخر ويغزون نواحى كانت تنتقض عليهم فلما نزل ابن عامر عليها افتتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر ففتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق فقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى أكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها وقيل ان أهل اصطخر لما نكثوا عاد اليها ابن عامر قبل وصوله الى جور فملكها عنوة وعاد الى جور فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة ايضا ووطئ اهل فارس وطأة لم يزالوا منها فى ذل وكتب الى عثمان بالظفر فكتب اليه ان يستعمل على بلاد فارس هرم بن حيان اليشكرى وهرم بن حيان العبدى والخريت بن راشد والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمى وأمره ان يفرق كور خراسان على جماعة فجعل الاحنف على المروين وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة وأمير

والخسرويق بالنيران عبر بالحبشة اليهم وغلبهم (ارياط ابن اصحمة) فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه (ابرهة الاشرم) أبو يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ النجاشى ذلك غضب وحلف بالمسيح ان يجز ناصيته ويهريق دمه ويطأ تربته يعنى ارض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها فى حق من عاج وجعل من دمه فى قارورة وجعل من تربة اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف له بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية انه فى طاعته وانه بلغه ان الملك حلف بالمسيح ان يجز ناصيتى ويريق دمى ويطأ ارضى وقد انفذت الى الملك ناصيتى فليجزها بيده وبدمى فى قارورة فليرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأها بقدمه وليطفئ الملك عنى غضبه فلقد برت يمينه وهو على سرير الملك فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه وكان ذلك فى ملك قباذ ملك فارس وابرهة أبو يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل الى مكة لاخراب الكعبة

اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل عبد الله بن قيس الجاسي حليف بنى فزارة وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن ارادهم ممن وراءهم وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم قال جبير بن نفير ولما فتحت قبرس ونهب منها السبى نظرت الى ابى الدرداء يبكى فقلت ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله قال فضرب منكبى بيده وقال ما أهون الخلق على الله اذا تركوا امره بينما هى امة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى فسلط عليهم السباء واذا سلط السباء على قوم فليس له فيهم حاجة * وفى هذه الغزاة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها فى أول من يغزو فى البحر وبقى عبد الله بن قيس الجاسى على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البحر والبحر لم يغرق أحد ولم ينكب فكان يدعو الله ان يعافيه فى جنده فأجابه فلما أراد الله ان يصيبه فى جسده خرج فى قارب طليعة فانتهى الى المرفا من أرض الروم وعليه مساكين يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم الى قريتها فقالت للرجال هذا عبد الله بن قيس فى المرفا فثاروا اليه فهجموا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فاعلمهم فجاؤا حتى ارسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الازدى فخرج اليهم فقاتلهم فضجر فجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان فكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلينا فلزمها يقولها وأصيب فى المسلمين يومئذ وقيل لتلك المرأة بعد باى شئ عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته اعطانى كالملك فعرفته بهذا وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من ارض الروم وفيها تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانية فاسلمت قبل ان يدخل بها وفيها بنى عثمان الزوراء وحج بالناس عثمان هذه السنة (حرام بالحاء المهملة والراء والجاسى بالجيم والسين المهملة والفرافصة بفتح الفاء الا الفرافصة بن الاحوص الكلبى الذى من ولده نائلة زوج عثمان)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ﴾

﴿ ذكر عزل ابى موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها ﴾

قيل فى هذه السنة عزل عثمان ابا موسى الاشعرى عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزله ان اهل ايذج والاكراد كفروا فى السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى فى الناس وحضهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ماشيا فحمل نفر على دوابهم واجمعوا على ان يخرجوا رجالة وقال آخرون لا نعجل بشئ حتى ننظر ما يصنع فان اشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب فى المشى كما رغبتنا فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى واتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نحب ان تسألنا عنه فأبدلنا به فقال

نواس) واسمه يوسف وكان يهود يا جبارا وهو صاحب الاخدود الذى ذكره الله تعالى فى القرآن قال مقاتل كانت الاخاديد التى فى الدنيا ثلاثة واحد بنجران ليوسف المذكور وكان فى الفترة قبل البعثة بسبعين سنة والثانى بالشام لانطياقوس الرومى والثالث بفارس لبختنصر فأما الذى بالشام وفارس فلم يذكرا فى القرآن وانزل فى الذى كان بنجران كذا فى معالم التنزيل قيل أطيب البلاد نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن ودمشق من الشام والرى من خراسان ومرو سامن الروم ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا بعد حروب طويلة حتى قام من العار فاقتحم البحر بفرسه فغرق وهو آخر من ملك من أهل اليمن وكان مدة ملكه ستاوستين سنة فجملة زمان ولاية اليمن نحو ثلاثة آلاف سنة وسبب استيلاء الحبشة على اليمن ان النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس باتباع المسيح وما يعذبهم به من أنواع العذاب

كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم ان شبابا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكابروه فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ فاشرف عليهم أبو شريح الخزاعي وكان قد انتقل من المدينة الى الكوفة للقرب من الجهاد فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الازدي ومورع بن أبي مورع الاسدي وشبيل بن أبي الازدي وغيرهم فشهد عليهم أبو شريح وابنه فكتب فيهم الوليد الى عثمان فكتب عثمان بقتلهم فقتلهم على باب القصر ولهذا السبب اخذ في القسامة بقول ولي المقتول عن ملا من الناس ليفطم الناس عن القتل وكان أبو زبيد الشاعر في الجاهلية والإسلام في بني تغلب وكانوا اخوال الوليد فظلموه دينا له فأخذه الوليد حقه اذ كان عاملا عليهم فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع اليه وغشيه بالمدينة والكوفة وكان نصرانيا فاسلم عند الوليد وحسن اسلامه فبينما هو عنده أتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا وكانوا يحقدون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم ان الوليد وأبا زبيد يشربان الخمر فثاروا وأخذوا معهم نفرا من اهل الكوفة فاقتحموا عليه فلم يروا فانقلبوا يتلاومون وسبهم الناس وكتم الوليد ذلك عن عثمان وجاء جندب ورهط معه الى ابن مسعود فقالوا له ان الوليد معتكف على الخمر واذاعوا ذلك فقال ابن مسعود من استتر عنا لم نتبع عورته فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا ثم أتى الوليد بساحر فأرسل الى ابن مسعود يسأله عن حده واعترف الساحر عند ابن مسعود وكان يخيل الى الناس انه يدخل في دبر الحمار ويخرج من فيه فامره ابن مسعود بقتله فلما اراد الوليد قتله اقبل الناس ومعهم جندب فضرب الساحر فقتله فحبسه الوليد وكتب الى عثمان فيه وامره باطلاقه وتأديبه فغضب لجندب أصحابه وخرجوا الى عثمان يستعفون من الوليد فردهم خائبين فلما رجعوا اتاهم كل موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم ودخل أبو زينب وابو مورع وغيرهما على الوليد فقعدوا عنده فنام فأخذا الخاتم وسارا الى المدينة واستيقظ الوليد فلم ير خاتمه فسأل نساءه عن ذلك فأخبرنه أن آخر من بقي عنده رجلان صفتهما كذا وكذا فاتهمهما وقال هما أبو زينب وابو مورع وارسل يطلبهما فلم يوجد افتقدا ما على عثمان ومعهما غيرهما واخبراه انه شرب الخمر فأرسل الى الوليد فقدم المدينة ودعاهما عثمان فقال اتشهدان انكما رأيتماه يشرب فقالا لا قال فكيف قالا اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلده فاورث ذلك عداوة بين أهليهما فكان على الوليد خميصة فأمر علي بن ابي طالب بنزعها ساعة جلده كذا في هذه الرواية والصحيح ان الذي جلده عبد الله بن جعفر بن ابي طالب لان عليا أمر ابنه الحسن ان يجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فأمر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين فقال علي أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا احب الي وقيل ان الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعا ثم التفت اليهم وقال أزيدكم فقال له ابن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه عند عثمان فامر عليا بجلده فامر علي عبد الله بن جعفر فجلده وقال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ٭ ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ٭ أأزيدكم سكرا وما يدري

على سريره وقال اتريد انه قل له ما حاجتك فلما ذكر له الماشي بعير قال سقطت من عيني حيث جئت لا تهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك ولا تكلمني فيه اطلقك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع عبد المطلب وأتى باب الكعبة وأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فارسل الله عليهم الطير الابابيل امثال اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين مختلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاهلكهم الله تعالى ورجعت الحبشة يومئذ تسأل عن دليلها على الرجوع وقد ذكر في حدائق الاذهان ان ابرهة بعد ان رجع من الحرم سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حتى بعث الله عليه الطير الابابيل فاهلكه وكانت مدة ملكه الى ان هلك نحو خمسين سنة وتولى مكانه ابنه (يكسوم بن ابرهة) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك بعده (مسروق بن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الاذى فسيف بن ذي يزن وأباه وكان سيف يظن أنه ابن ابرهة

ابن أحمر على طوس وقيس بن هبيرة السلمي على نيسابور وبه تخرج عبد الله بن خازم وهو ابن عمه ثم جمعها عثمان قبل موته لقيس واستعمل امير بن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبد الرحمن ابن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على مكران وعمير ابن عثمان بن سعد على فارس وابن كندير القشيري على كرمان ثم أوفد قيس بن هبيرة عبد الله بن خازم الى ابن عامر في زمن عثمان وكان ابن عامر يكرمه فقال لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا ان خرج عنها قيس ففعل فرجع الى خراسان فلما قتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم لقيس الرأي ان تخلفني وتمضي حتى تنظر فيما ينظرون فيه ففعل فاخرج ابن خازم بعده عهدا بخلافته وثبت على خراسان الى ان قام علي بن أبي طالب وغضب قيس من صنيع ابن خازم * (الخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان)

(ذكر الزيادة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم)

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول وكان ينقل الجص من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كانت ايام عمر ستة ابواب

(ذكر اتمام عثمان الصلاة بجمع واول ما تكلم الناس فيه)

حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنى وكان اول فسطاط ضربه عثمان بمنى واتم الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس في عثمان ظاهرا حين اتم الصلاة بمنى فعاب ذلك غير واحد من الصحابة وقال له علي ما حدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر يصلون ركعتين وانت صدرا من خلافتك فما درى ما يرجع اليه وقال رأي رأيته وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه فجاءه وقال له ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ركعتين وصليتها أنت ركعتين قال بلى ولكني أخبرت أن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحتجوا بصلاتي وقد اتخذت بمكة أهلا ولي بالطائف مال فقال عبد الرحمن ما في هذا عذر اما قولك اتخذت بها أهلا فان زوجك بالمدينة تخرج بها اذا شئت وانما تسكن بسكناك واما مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال واما قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي والاسلام قليل ثم أبو بكر وعمر فصلوا ركعتين وقد ضرب الاسلام بجرانه فقال عثمان هذا رأي رأيته فخرج عبد الرحمن فلقي ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما تعلم قال فما اصنع قال اعمل بما ترى وتعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر وقد صليت بأصحابي أربعا فقال عبد الرحمن قد صليت بأصحابي ركعتين واما الآن فسوف اصلي أربعا وقيل كان ذلك سنة ثلاثين

(ثم دخلت سنة ثلاثين)

(ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد)

في هذه السنة عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص وقد تقدم سبب ولاية الوليد على الكوفة في السنة الثانية من خلافة عثمان وانه كان محببا الى الناس فبقي

وذلك لاربعين سنة خلت من ملك أنوشروان فعدل الى الطائف فبعث معه ثقيف بأبي رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك ابو رغال بالطريق في موضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره فلما قرب ابرهة مكة امر عبد المطلب قريشا ان تلحق ببطون الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقاد الابل النعال وخلاها في الحرم وهو يقول
يارب ان المرء
يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
ذكر العلامة ابو السعود في تفسيره ان ابرهة بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وكان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير التي كان خلاها في الحرم فخرج اليه في شأنها فلما رآه ابرهة عظم في عينه واجلسه معه

ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان

في هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان فإنه لم يغزها أحد الى هذه السنة وقد تقدم في أيام عمر الاختلاف في ذلك وان اصبهبذها صالح سويد بن مقرن أيام عمر على مال بذله وأمّا على هذا القول فان سعيدا غزاها من الكوفة سنة ثلاثين ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان على البحر فقاتله اهلها فصلى صلاة الخوف اعلمه حذيفة كيفيتها وهم يقتتلون وضرب سعيد يومئذ رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الامان فأعطاهم على ان لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلوا اجمعين الا رجلا واحدا وحوى ما في الحصن فأصاب رجل من بني نهد سفطا عليه قفل فظن ان فيه جوهرا وبلغ سعيدا فبعث الى النهدي فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سفطا ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فاذا خرقة صفراء وفيها أيران كميت وورد فقال شاعر يهجو بني نهد

آب الكرام بالسبايا وغنمه * وآب بنو نهد بأيرين في سفط
كميت وورد وافرين كلاهما * فظنوهما غنما فناهيك من غلط

وفتح سعيد نامية وليست بمدينة هي صحارى ومات مع سعيد محمد بن الحكم بن ابي عقيل جد يوسف بن عمر ثم رجع سعيد فمدحه كعب بن جعيل

فنعم الفتى اذ جال جيلان دونه * واذ هبطوا من دستبى وابهرا

في أبيات ولما صالح سعيد اهل جرجان كانوا يجبون احيانا مائة ألف واحيانا مائتي الف واحيانا ثلاثمائة الف ويقولون هذا صلح صلحنا وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس الا على خوف شديد منهم كان الطريق الى خراسان من فارس الى كرمان الى خراسان واول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان وقدمها يزيد بن المهلب فصالح صولا وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد

ذكر غزو حذيفة الباب وامر المصاحف

وفيها انصرف حذيفة من غزو الري الى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد ابن العاص فبلغ معه اذربيجان وكانوا يجعلون الناس ردءا فاقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص لقد رأيت في سفرتي هذه امرا لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه ابدا قال وما ذاك قال رأيت اناسا من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت اهل دمشق يقولون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابن مسعود واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابي موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب فلما وصلوا الى الكوفة اخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله

اتوا ساحل حضرموت موضعا يقال له موت فخرجوا من السفن وقد كان اصيب بعضهم في البحر فأمرهم وهرز ان يحرقوا السفن ويعلموا انه الموت ولا مفر منه فيجهدون انفسهم فلما خبرهم الى ملك اليمن مسروق ابن ابرهة فأتاهم في مائة الف من الحبشة وغيرهم فتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الحملة واستشعروا الصبر ثم تامل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف من محاربة الفرس على فرس استصغارا لاصحاب السفن فدعا بحمار فركبه فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل عن كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في تاجه بسلاسل من الذهب تضيء كالنار فرماه وهرز بسهم في جبهته فقتله وكان شديد الرمي لا يوتر قوسه غيره لشدتها ثم حملت الفرس عليهم فانهزموا واقتتلوا منهم نحو ثلاثين الفا وقد كان انوشروان شرط على معد يكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج من اليمن ولا تتزوج اليمن منهم وخراجا يحمل اليه

فأبوا ابا وهب ولو أذنوا * اقرنت بين الشفع والوتر
كفوا اعنانك اذ جريت ولو * تركوا اعنانك لم تزل تجرى

فلما علم عثمان من الوليد شرب الخمر عزله وولى سعيد بن العاص بن امية وكان سعيد قد ربى فى حجر عمر فلما فتح الشام قدمه فأقام مع معاوية فذكره عمر يوما قريشا فسأل عنه فأخبر انه بالشام فاستقدمه فقدم عليه فقال له قد بلغنى عنك بلاء وصلاح فازدد يزدك الله خيرا وقال له هل لك من زوجة قال لا وجاء عمر بنات سفيان بن عويف ومعهن أمهن فقالت أمهن هلك رجالنا واذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن فى أكفائهن فزوج سعيدا احداهن وزوج عبد الرحمن بن عوف اخرى وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلى فقلن له قد هلك رجالنا وبقى الصبيان فضعنا فى أكفائنا فزوج سعيدا احداهن وجبير بن مطعم الاخرى وكان عمر ومتمه ذوى بلاء فى الاسلام وسابقة فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش فلما استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميرا ورجع معه الاشتر وأبو خشة الغفارى وجندب بن عبد الله * وابن صعب بن جثامة وكانوا ممن شخص مع الوليد يعينونه فصاروا عليه فقال بعض شعراء الكوفة

فررت من الوليد الى سعيد * كأهل الحجر اذ جزعوا فبادوا
يلينا من قريش كل عام * امير محدث او مستشار
لنا نار تخوفها فنخشى * وليس لهم فلا يخشون نار

فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت اليكم وانى لكاره ولكنى لم أجد بدا اذ أمرت ان ائتمر الا ان الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها والله لاضربن وجهها حتى أقمعها وتعيينى وانى لرائد نفسى اليوم ثم نزل وسأل عن اهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت واعراب لحقت حتى لا ينظر الى ذى شرف وبلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب اليه عثمان أما بعد ففضل اهل السابقة والقدمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم الا ان يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل فأرسل سعيد الى أهل الايام والقادسية فقال أنتم وجوه الناس والوجه ينبئ عن الجسد فأبلغونا حاجة ذى الحاجة وادخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وجعل القراء فى سمره ففشت القالة فى اهل الكوفة فكتب سعيد الى عثمان بذلك فجمع الناس واخبرهم بما كتب اليه فقالوا له أصبت لا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل فانه اذا نهض فى الامور من ليس بأهل لها لم يحتملها وافسدها فقال عثمان يا اهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن وانى والله لاتخلصن لكم الذى لكم حتى انقله اليكم ان رأيتم حتى يأتى من شهد مع اهل العراق سهمه فيقيم معه فى بلاده فقالوا كيف تنقل الينا ما افاء الله علينا من الارضين فقال نبيعها من شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد ففرحوا وفتح الله لهم أمرا لم يكن فى حسابهم وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجازاهم عن تراض منهم ومن الناس واقرار بالحقوق

فاستعلم من امه أولادها ابرهة مسروق وكانت امه من آل ذى جدن وكان سيف بن ذى يزن الحميرى يكنى بأبى مرة فركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فأقام ببابه سبع سنين فلم ينجده لبعد بلاده وقلة خيرها فمضى الى كسرى انوشروان يستنجده فوعده انوشروان بالنصرة واشتغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف ابن ذى يزن فأتاه ابنه (معد يكرب بن سيف) فصاح على باب الملك فلما استخبر عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى انوشروان فسأله عن ميراثه فقال له انا ابن الشيخ الذى وعده الملك النصر على الحبشة قال مالى حاجة فى بلادك ثم قال الآن فى سجونى رجال سجنتهم للقتل نبعثهم معك فان هلكوا هلكوا وان ظفروا فانت هنالك وازددت ملكا الى ملكى فبعثهم وهم ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز بن اصبهبذ الديلمى وكان افضلهم حسبا ونسبا فحملوا فى ثمان سفائن من دجلة ومعهم خيولهم وعلمائهم وعددهم حتى اتوا ابلة البصرة وهى فرج البحر ولم يكن يومئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا فى سفن البحر وساروا حتى

وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر واشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة وقد ذكر في سبب ذلك امور كثيرة من سب معاوية اياه وتهديده بالقتل وحمله الى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصح النقل به ولو صح لكان ينبغي ان يعتذر عن عثمان فان للامام ان يؤدب رعيته وغير ذلك من الاعذار لا ان يجعل ذلك سببا للطعن عليه كرهت ذكرها واما العاذرون فانهم قالوا لما ورد ابن السوداء الى الشام لقي اباذر فقال يا اباذر الا تعجب من معاوية يقول المال مال الله الا ان كل شئ لله كانه يريد ان يحتجنه دون الناس و يمحو اسم المسلمين فأتاه ابوذر فقال ما يدعوك الى ان تسمي مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا اباذر السنا عباد الله والمال ماله قال فلا تقله قال ساقول مال المسلمين وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك فقال أظنك يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أباذر وكان أبوذر يذهب الى ان المسلم لا ينبغي له ان يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شئ ينفقه في سبيل الله أو يعده لكريم و يأخذ بظاهر القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فكان يقوم بالشام ويقول يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الاغنياء وشكا الاغنياء ما يلقون منهم فأرسل معاوية اليه بالف دينار في جنح الليل فانفقها فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله اليه فقال اذهب الى ابي ذر فقل له انقذ جسدي من عذاب معاوية فانه ارسلني الى غيرك واني أخطأت بك ففعل ذلك فقال له ابوذر يا بني قل له والله ما اصبح عندنا من دنانيرك دينار ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها فلما رأى معاوية ان فعله يصدق قوله كتب الى عثمان ان اباذر قد ضيق علي وقد كان كذا وكذا الذي يقوله الفقراء فكتب اليه عثمان ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها ولم يبق الا ان تثب فلا تنكأ القرح وجهز اباذر الي وابعث معه دليلا وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وبعث اليه بأبي ذر فلما قدم المدينة ورأى المجالس في اصل جبل سلع قال بشر اهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال له ما لاهل الشام يشكون ذرب لسانك فاخبره فقال يا اباذر علي ان اقضي ما علي وان ادعو الرعية الى الاجتهاد والاقتصاد وما علي ان اجبرهم على الزهد فقال ابوذر لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات فقال كعب الاحبار وكان حاضرا من ادى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه ابوذر فشجه وقال له يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا فاستوهب عثمان كعبا شجته فوهبه فقال ابوذر لعثمان تأذن لي في الخروج من المدينة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فأذن له فنزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين واجرى عليه كل يوم عطاء وكذلك على رافع بن خديج وكان قد خرج ايضا عن المدينة لشئ سمعه وكان ابوذر يتعاهد المدينة مخافة ان يعود اعرابيا واخرج معاوية اليه اهله فخرجوا ومعهم جراب مثقل يد الرجل فقال انظروا الى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده فقالت امرأته والله ما هو دينار ولا درهم ولكنها فلوس

المذكور وكان سبب اسلامه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كتابا لكسرى يدعوه الى الاسلام مزقه وأمر باذان المذكور وهو ملك اليمن ان أرسل الى رأس هذا الذي يدعي انه نبي فارسل باذان قاصده الى المدينة لينظر حيلة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى نبيه ما اضمر باذان وقاصده فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم القاصد ان كسرى قتل في يوم كذا في شهر كذا فرجع القاصد خائبا خاسرا فلما ثبت ان ما اخبر به حق اسلم باذان ومن معه وحسن اسلامه وتوفي باذان في السنة العاشرة من الهجرة وعين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا من اليمن الى ابنه شهر بن باذان وهو أول أمير ولي باليمن في الاسلام وقد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام من اليمن وغيرهم ان شاء الله تعالى وتعاظم

﴿الباب السادس عشر في ذكر ملوك الحيرة وما سلكوه من السيرة﴾

وكانت دولتهم من أعظم دول

عليه وسلم وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود ما تنكر ألسنا نقرأ على قراءة ابن
مسعود فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا انما أنتم أعراب فاسكتوا فانكم على خطا وقال
حذيفة والله لئن عشت لآتين امير المؤمنين ولأشيرن عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك فاغلظ
له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار الى عثمان فاخبره بالذي
رأى وقال أنا النذير العريان فادركوا الامة فجمع عثمان الصحابة واخبرهم الخبر فأعظموه
ورأوا جميعا ما راى حذيفة فارسل عثمان الى حفصة بنت عمر أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها
وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في ايام ابي بكر فان القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال
عمر لابي بكر ان القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني أخشى ان يستحر القتل
بالقراء فيذهب من القرآن كثير واني أرى ان تأمر بجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت
فجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر فلما توفي عمر
أخذتها حفصة فكانت عندها فأرسل عثمان اليها أخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن
الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان
اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان
الى حفصة وارسل الى كل أفق بمصحف وحرق ما سوى ذلك وأمر ان يعتمدوا عليها ويدعوا ما
سوى ذلك فكل الناس عرف فضل هذا الفعل الا ما كان من اهل الكوفة فان المصحف لما قدم
عليهم فرح به اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان اصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من
ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود وقال ولا كل ذلك فانكم والله قد سبقتم سبقا بينا
فاربعوا على ظلعكم ولما قدم علي الكوفة قام اليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف
فصاح وقال اسكت فعن ملأ منا فعل ذلك فلو وليت منه ما ولي عثمان لسلكت سبيله

(ذكر سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في بئر أريس)

وفيها وقع خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة
وكانت قليلة الماء فما أدرك قعرها بعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه لما أراد ان
يكاتب الاعاجم يدعوهم الى الله تعالى فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا مختوما فأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعمل له خاتم من حديد فلما جعله في اصبعه فأتاه جبريل فنهاه عنه فنبذه
وامر فعمل له خاتم من نحاس وجعله في اصبعه فقال جبريل انبذه فنبذه وأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بخاتم من فضة فصنع له فجعله في اصبعه فأمره جبريل ان يقره فأقره وكان نقشه
ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر فتختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ثم
تختم به ابو بكر حتى توفي ثم عمر حتى توفي ثم تختم به عثمان ست سنين فحفر بئرا بالمدينة شربا
للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده في البئر فطلبوه فيها ونزحوا
ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس
منه صنع خاتما آخر على مثاله ونقشه فبقي في اصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم فلم يدر
من أخذه

(ذكر تسيير ابي ذر الى الربذة)

فتوج وهرز معديكرب بتاج
كان معه وبدلة من الفضة البسه
اياها وكتب الى انوشروان
بالفتح واستوحشت الحبشة
من اليمن وكانت معهم فيه
اثنتين وسبعين سنة ثم عاد ملك
اليمن الى حمير وكان مدة
مسروق الى ان قتل ثلاث
سنين وكان معديكرب بعد
ان جلس على سرير الملك
وأتته الوفود من العرب
تهنئه بعود الملك اليهم قد
اصطفى جماعة من الحبشان
وجعلهم من خاصته فاغتالوه
وقتلوه وبه انقطع الملك
باليمن عن أولاد سبا وكان
وهرز والى معديكرب فاعلم
ملك الفرس بذلك فسيره
من البر اربعة آلاف من
الاساورة وأمره باصلاح
اليمن وان لا يبقي أحدا من
الحبشة فأتى (وهرز) اليمن
ونزل صنعاء فلم يترك أحدا
من السودان ولا من انسابهم
وملك انوشروان وهرز على
اليمن الى ان هلك بصنعاء ثم
ملك بعده ولده (مرزبان
ابن وهرز) الى ان هلك فولى
كسرى مكانه رجلا من
فارس يقال له (سيحان) ثم
مات سيحان فأمر كسرى
ابنه (خرخسره) ثم عزله وأمر
(باذان بن ساسان) فلم يزل
عليها حتى بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلم باذان

حذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة وأظهرا عيبه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما وأدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال لا تركبا معنا فركبا في مركب ما معهما الا القبط فلقوا العدو فكانا أقل المسلمين نكاية وقتالا فقيل لهما في ذلك فقالا كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا فأرسل اليهما عبد الله ينهاهما ويتهددهما فقسد الناس بقولهما وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به وأما قسطنطين فانه سار في مركبه الى صقلية فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه في المركب وأذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية * وقيل في هذه السنة فتحت ارمينية على يد حبيب بن مسلمة وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ﴾

في هذه السنة هرب يزدجرد من فارس الى خراسان في قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فيه وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها الى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهي اردشيرخره في سنة ثلاثين فوجه ابن عامر في اثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن حيان العبدي وقيل هرم بن حيان اليشكري فاتبعه الى كرمان فهرب يزدجرد الى خراسان وأصاب مجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمق واشتد البرد وكان الثلج قيد رمح فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية فشق بطن بعير وأدخلها فيه وهرب فلما كان الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمي ذلك القصر قصر مجاشع لأن جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان من أعمال كرمان هذا على قول من يقول ان هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة وأما سبب قتله على ما تقدم ذكره من فتح فارس وخراسان فقد اختلف الناس في سبب قتله فقيل انه هرب من كرمان في جماعة الى مرو ومعه خرزاد أخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالا فمنعه فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشيا الى شط المرغاب فأوى الى بيت رجل ينقر الأرحاء فلما نام قتله وقيل بل بيته أهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره الى بيت الذي ينقر الأرحاء فأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله وكان يزدجرد قد وطئ امرأة بمرو فولدت له غلاما ذاهب الشق ولدته بعد قتله وسمي المخدج فولد له أولاد بخراسان فوجد قتيبة بن مسلم حين افتتح الصغد وغيرها جاريتين من ولد المخدج فبعث بهما أو باحداهما الى الحجاج فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص وأخرج يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل الى اصطخر فوضع في ناووس هناك وقيل ان يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند الى أرض اصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيأ يسيرا فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم فحجبه بوابه ليستأذن له فضرب وجهه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فرحل عن أصبهان من

قال قد فعلت تخطيها وأشهدا القوم عليه فعلت رقاش انه سيذكر اذا أفاق فقالت ادخل علي ففعل فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه فهرب عدي المذكور ولحق بقومه وقيل انه ظفر به وقتله وحبلت رقاش فقال لها جذيمة

حدثيني وأنت غير كذوب
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد
أم بدون وأنت أهل لدون

(فأجابته رقاش تقول)

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والمجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره وجاءت بولد وسمته عمرا وتبناه جذيمة وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له ولد ثم عدم الغلام وتزعم العرب ان الجن اختطفته ثم وجده رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل بوادي سماوة فحملاه الى جذيمة وذلك بعد ان بالغ جذيمة في السؤال عنه في الآفاق فعرفه وضمه اليه وقال لهما اطلبا ما شئتما فقالا له نطلب منادمتك ما بقيت وبقينا وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال كندماني جذيمة ويقال انهما نادماه أربعين

كان اذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسا لحوائجنا ولما نزل الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة فقال تقدم يا ابا ذر فقال لا تقدم أنت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اسمع واطع وان كان عليك عبد مجدع فأنت عبد وانست بأجدع وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء وفيها مات حاطب بن ابي بلتعة اللخمي وهو من اهل بدر (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق بوزن مفرعة) وفيها مات عمرو بن ابي سرح الفهري وكان بدريا ٭ وفيها مات مسعود بن الربيع وقيل ابن ربيعة بن عمرو القاري من القارة اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وشهد بدرا وكان عمره قد جاوز الستين ٭ وفيها مات عبد الله بن كعب بن عمرو الانصاري شهد بدرا وكان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم فيها وفي غيرها ٭ وفيها مات عبد الله بن مظعون أخو عثمان وكان بدريا وجبار بن صخر وهو بدري ايضا (جبار بالجيم وآخره راء)

﴿ثم دخلت سنة احدى وثلاثين﴾

﴿ذكر غزوة الصواري﴾

قيل وفي هذه السنة كانت غزوة الصواري وقيل كانت سنة اربع وثلاثين وقيل في سنة احدى وثلاثين كانت غزوة الاساورة وقيل كانتا معا سنة احدى وثلاثين وكان على المسلمين معاوية وكان قد جمع الشام له أيام عثمان وسبب جمعه له ان أبا عبيدة بن الجراح لما حضر استخلف على عمله عياض بن غنم وكان خاله وابن عمه وكان جوادا مشهورا وقيل استخلف معاذ بن جبل على ما تقدم فمات عياض واستخلف عمر بعده سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد وأمر عمر مكانه عمير ابن سعد الانصاري ومات عمر وعمير على حمص وقنسرين ومات يزيد بن ابي سفيان فجعل عمر مكانه اخاه معاوية فاجتمعت لمعاوية الاردن ودمشق ومرض عمير بن سعد فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع الى اهله فأذن له وضم عثمان حمص وقنسرين الى معاوية ومات عبد الرحمن بن علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من امارة عثمان فهذا كان سبب اجتماع الشام له واما سبب هذه الغزوة فان المسلمين لما اصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع لم تجمع الروم مثله مذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن ابي سفيان وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا الليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا في موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري بعد الهزيمة أياما ورجع فكان أول ما تكلم به محمد بن أبي

ملوك العرب اولهم (مالك ابن فهم الازدي) وكان بخروج من عمرو لما أحس بسيل العرم باليمن نزل بالحيرة وكان ملكا على مشارف الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت دياره بالموضع المعروف بالمضيق من بلاد الخانوقة وقرقيسيا وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف وكانت مدة ملكه على الحيرة عشرين سنة ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم الازدي) ثم ملك بعده ابن أخيه (جذيمة الوضاح) وكان يقال له الابرش لبرص كان به وهو أول من عمل له المنجنيق من ملوك العرب واول من حذيت له النعال واول من رفع بين يديه الشمع وكان من تجبره لا ينادم أحدا من الناس وكان ينادم الفرقدين واذا شرب قدحا صب لهذا قدحا ولهذا قدحا وكان جذيمة جمع غلمانا من ابناء الملوك يخدمونه منهم عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عمرو بن سبا وكان جميلا فعشقته رقاش اخت جذيمة فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبني اليه فانه يزوجك وأشهد القوم عليه فلما سقى عدي جذيمة وسكر قال له سلني ما أحببت قال زوجني اختك رقاش

دل عليه فضربه حتى اتى على نفسه وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب اليها فمر على الطبسين وقهستان فى أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لاحدهما براز ولا آخر سنجان وكانا متباغضين فسعى براز بسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وافشى ذلك الى امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف يزدجرد فهرب ايضا الى رحا على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحا فاطعمه الطحان فطلب منه شيأ فاعطاه منطقته فقال انما يكفينى أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان بفاس كان معه وأخذ ما عليه والقى جيفته فى الماء وشق بطنه وثقله وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وانما شهريار ابن شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقها واحسانها الى اهل ملتنا مع ما نال النصارى فى ملك جده انوشروان من الشرف فينبغى ان نحزن لقتله وبنى له ناووسا فاجابوه الى ذلك وبنوا له ناووسا واخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها فى الناووس وكان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين فى دعة وست عشرة سنة فى تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل اردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ ذكر مسير ابن عامر الى خراسان وفتحها ﴾

لما قتل عمر بن الخطاب نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن أوس التميمى فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال أولم نؤمر بالمسير وكره ان يظهر انه قبل رأيه وقيل ان ابن عامر لما افتتح فارس عاد الى البصرة واستخلف على اصطخر شريك بن الاعور الحارثى فبنى شريك مسجد اصطخر فلما دخل البصرة أتاه الاحنف بن قيس وقيل غيره فقال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فتجهز وسار واستخلف على البصرة زيادا وسار الى كرمان فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وأمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا ايضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثى وكانوا ايضا قد غدروا ونقضوا الصلح وسار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه أهلهما وسار الى قهستان فلقيه اهلها وقاتلهم حتى الجأهم الى حصنهم وقدم عليها ابن عامر فصالحه اهلها على ستمائة ألف درهم وقيل كان المتوجه الى قهستان أمير بن أحمر اليشكرى وهى بلاد بكر بن وائل وبعث ابن عامر سرية الى رستاق زام من أعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من أعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من أعمال نيسابور ايضا ووجه ابن عامر الاسود بن كلثوم العدوى من عدى الرباب وكان ناسكا الى بيهق من أعمالها أيضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره من بطون السباع والطير فلم يواره أخوه ودفن من استشهد من اصحابه وفتح ابن عامر بشت من نيسابور (وهذه بشت بالشين المعجمة وليست بست التى بالسين المهملة تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور) وافتتح خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على أعمالها وافتتحها فحصر

ويعطيه الى الزباء على انه كسب متجرها مرة بعد اخرى حتى أتى بقفل نحو ألف جمل من الصناديق واقفالها من داخل وفيها رجال مستعدون للحرب فلما شاهدت الزباء ثقل تلك الاحمال ارتابت منها وقالت

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا

فلما دخلت الابل الى حصن الزباء خرجت الرجال من الصناديق وأخذوا المدينة عنوة فخرجت الزباء هاربة من قصرها الى السرب الذى اتخذته تحت الفرات الى حصن أختها فى الجانب الآخر وكان قصير قد وقف على طريق السرب فابصرت قصيرا ومعه عمرو وبيده السيف فمصت خاتما كان فى يدها فيه سم ساعة وقالت بيدى لا بيد عمرو فذهبت مثلا وخربت المدينة وسبيت الذرارى وأخذ عمرو بثار خاله جذيمة وطال ملكه الى ان بلغ مائة سنة ثم ملك بعده ابنه (امرؤ القيس بن عمرو) مدة ستين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن امرئ القيس) خمسا وعشرين سنة وكان ملكه فى أيام سابور ذى الاكتاف وكانت امه مارية التى يضرب المثل

ساعته فأتى الرى فخرج اليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها فلم يجبه
وقيل مضى من فوره ذلك الى سجستان ثم سار الى مرو فى ألف فارس وقيل بل قصد فارس فأقام
بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثا فطلب اليه دهقانها شيأ فلم يجبه فجره برجله
وطرده عن بلاده فسار الى سجستان فأقام بها نحوا من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان
ليجمع الجموع ويسير بهم الى العرب فسار الى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه
فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر يستمدهم وكان
الدهقان يومئذ بمرو ماهويه أبو براز فوكل ماهويه بمرو ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد
خوفا من مكره فركب يزدجرد يوما وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز
فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل وأومأ اليه أبوه ان لا يفعل ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد
فأعلمه بذلك واستأذنه فى قتله فلم يأذن له وقيل أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه الى
سنجان ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه فعمل فى هلاك يزدجرد فكتب الى نيزك طرخان يدعوه الى
القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له ان فعل ان يعطيه كل يوم ألف درهم
فكتب نيزك الى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وانه يقدم عليه بنفسه ان أبعد عسكره
وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى ان تبعد عنك أصحابك
وفرخزاد وقال أبو براز أرى ان تتألف نيزك وتجيبه الى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده
فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال اقتلكم قاتلى هذا ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط
يده انه آمن وانه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه الى ماهويه وأشهد بذلك وأقبل نيزك فاقيه
يزدجرد بالمزامير والملاهى أشار عليه بذلك ابو براز فلما لقيه تأخر عنه ابو براز فاستقبله نيزك
ماشيا وأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه فركبها فلما توسط عسكره تواقفا فقال له نيزك فيما يقول
زوجنى احدى بناتك حتى أناصحك فى قتال عدوك فسبه يزدجرد فضربه نيزك بمقرعته وصاح
يزدجرد وركض منهزما وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد الى بيت طحان
فمكث فيه ثلاثة ايام لم يأكل طعاما فقال له الطحان اخرج أيها الشقى فكل طعاما فقد جعت
فقال لست أصل الى ذلك الا بزمزمة وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان فى ذلك
ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فأخبرهم
به وبحليته فأرسل اليه أبو براز رجلا من الاساورة وأمره بخنقه والقائه فى النهر وأتى الطحان
فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه انى لاجد
ريح مسك ونظر الى طرف ثوبه من ديباج فى الماء فجذبه فاذا هو يزدجرد فسأله ان لا يقتله ولا
يدل عليه ويجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له اعطنى أربعة دراهم وأخلى عنك فلم يكن
معه وقال ان خاتمى لا يحصى ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبر انى سأحتاج الى
أربعة دراهم فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان ليستر عليه وارادوا قتله
فقال ويحكم انا نجد فى كتبنا انه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا فلا تقتلونى واحملونى
الى الدهقان او الى العرب فانهم يستحيون مثلى فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس والقوه فى
الماء فأخذه اسقف مرو وجعله فى تابوت ودفنه وسأل ابو براز عن أحد القرطين وأخذ الذى

سنة ولم يعد اعلمه حديثا
(وفى أيامه) كان قد ملك
الجزيرة واعمال الفرات
ومشارف الشام رجل من
العمالقة يقال له عمرو بن
الظرب بن حسان العمليقى
فجرى بينه وبين جذيمة
حروب فانتصر جذيمة عليه
وقتل عمرو وكان لعمرو بنت
تدعى الزباء واسمها نائلة
فملكت بعده وبنت مدينتين
متقابلتين على شاطئ الفرات
من الجانب الشرقى والغربى
وهما اليوم خراب وكان
قيل كرقد أسقفت الفرات
وجعلته طريقا بين مدينتيها
وأخذت فى الحيلة على جذيمة
وأطمعته بنفسها حتى اغتر
جذيمة وكانت بكرا فجمع
جذيمة أصحابه فاستشارهم
فأشاروا عليه بالمضى اليها
وخالفهم قصير بن سعد تابع
كان له من لخم وقال له لا تفعل
فخالفه وقدم اليها فظفرت
به وقتلته وأخذت بثأر أبيها
فلما قتل جذيمة ملك بعده
ابن أخته (عمرو بن عدى)
وأخذ فى الحيلة فاتفق عمرو
مع قصير وجدع أنف قصير
فضربه بالسياط وهرب
قصير على تلك الحالة الى الزباء
على انه معاضب لعمرو فلما
رأته على تلك الحالة أنعمت
عليه وقربته وصار من
أخصائها وكان قصير يتجر
للزباء ويأخذ المال من مولاه

ثم عاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجبيهم المهرجان فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودواب وأوانى وثياب وغير ذلك فقال لهم ما صالحناكم على هذا فقالوا لا ولكن هذا شئ نفعله فى هذا اليوم بامرائنا فقال ما أدرى ما هذا ولعله من حقى ولكن أقبضه حتى أنظر فقبضه حتى قدم الاحنف فاخبره فسألهم عنه فقالوا ما قالوا لاسيد فحمله الى ابن عامر واخبره عنه فقال خذه يا أبا بحر قال لا حاجة لى فيه فأخذه ابن عامر قال الحسن البصرى فضمه القرشى وكان مضما ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لاجعلن شكرى لله على ذلك ان أخرج محرما من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهله وأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين حضين بن المنذر بالضاد المعجمة)

(ذكر فتح كرمان)

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان على ما ذكرناه قبل أمره ان يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا ففتح هميد عنوة واستبقى أهلها واعطاهم أمانا وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان وهى مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فجلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار فى كرمان فدوخ أهلها وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واستقروا الها التى فى مواضع منها وادوا العشر منها

(ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما)

قد تقدم ذكر فتح سجستان أيام عمر بن الخطاب ثم ان أهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى أتى حصن زالق فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فافتدى نفسه بأن غرز عنزة وغمرها ذهبا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه أهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها وأصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة وأتى الربيع ناشر وذففتحها ثم أتى شرواذ فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فأرسل اليه مرزبانهم ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها الى سناروذ وهى وادفعبره واتى القرية التى بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله أهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين ألف رأس

وقال والله أقدر ان أبنى قصرا بديعا كلما مضت ساعة من النهار تلون بلون الشمس فغضب امرؤ القيس وقال قصرت فى حقى فأمر به فألقى من أعلى القصر فمات قال الشاعر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله
يجازى الذى جوزى قديما سنمار

ثم ملك بعده ابنه (المنذر ابن امرئ القيس) ويقال لامه ماء السماء لحسنها وجمالها واسمها مارية وقيل لولدها بنو ماء السماء وطرد كسرى قباذ المنذر المذكور عن ملك الحيرة وولى مكانه (الحرث بن عمرو بن حجر الكندى) ثم لما تمكن كسرى انوشروان فى الملك طرد الحرث واعاد (المنذر) المذكور ثم ملك بعده (عمرو ابن المنذر) أربعا وعشرين سنة ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعده أخوه (قابوس بن المنذر) ثم ملك بعده أخوهما (المنذر بن المنذر ابن امرئ القيس) ثم ملك بعده (النعمان بن المنذر ابن المنذر بن ماء السماء) ملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى ابرويز وهذا هو الذى ينسب اليه الزهر المعروف بشقائق النعمان ولقد أحسن من قال فى

أهلها أشهراً وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامان على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على ألف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وابيورد فافتتحوها صلحا وسير سرية أخرى الى سرخس مع عبد الله بن خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فأجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبد الله بن خازم وقيل غيره فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر في الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي الف درهم وقيل غير ذلك وأرسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها أخذت عنوة (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم) ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصرها اهلها فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم فقال الاحنف أصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بغ واستاقت منه مواشي ثم صالحوا أهله وجمع له أهل طخارستان فاجتمع اهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خيل وقال يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تعدل اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة فقال ابن الغريرة النهشلي

سقى صوب السحاب اذا استهلت * مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوث * اقادهم هناك الاقرعان

وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب وقيل بل فتحها أمير بن أحمر ثم سار الاحنف الى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه أهلها على أربعمائة الف وقيل سبعمائة ألف واستعمل على بلخ أسيد بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار أصحابه فقال له حضين بن المنذر قال عمرو بن معديكرب

اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

بقرطها فيقال قرطها ذو به ثم ملك بعده من العمالقة (أوس بن قلام العمليقي) ثم ملك آخر من العماليق ثم رجع الملك الى بني عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخميين المذكورين وملك منهم (امرؤ القيس الثاني) المعروف بالمحرق لانه أول من عاقب بالنار ثم ملك بعده (النعمان الاعور بن امرئ القيس) وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكراديس وبقي في الملك ثلاثين سنة ويقال انه أشرف يوما على جانب الخورنق فقال أكل ما أراه الى نفاد فقيل له نعم فتزهد وخرج عن الملك فقال اي خير في ملك آخره الى نفاد وكان ذلك في زمن بهرام جور ولما تزهد ملك بعده ابنه (المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده ابنه (الاسود ابن المنذر) قتلته غسان وانتصرت عليه ثم ملك بعده اخوه (المنذر بن المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده (علقمة الذميلي) وذميل بطن من لخم ثم ملك بعده (امرؤ القيس بن النعمان) وهو الذي قتل سنمار الذي بنى لامرئ القيس قصره لئلا يبني لغيره مثله فالقاه من اعلاه قيل انه كان واقفا يوما بين يدي الملك وذكر القصر وحسن بنائه فاغتر

الشباب وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ورأى يزيد بن
معاوية أن غزالا جيء به لم ير أحسن منه فلف في ملحفة ثم دفن في قبر لم ير أحسن منه عليه ثلاثة نفر
قعود فلما استيقظوا اقتتل الناس رمي بحجر فهشم رأسه فمات فكأنما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ
فدفن في قبر على الصورة التي رأى وقال معضد لعلقمة أعرني بردك اعصب به رأسي ففعل فأتى
برج بالبرج الذي أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم وأتاه حجر عرادة ففضخ هامته فأخذه أصحابه
فدفنوه الى جنب يزيد وأخذ علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه وكان يشهد فيه
الجمعة ويقول يحملني على هذا أن دم معضد فيه وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما
اشتهى ثم قتل وأما القرثع فانه قاتل حتى خرق بالحراب فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال انا لله
انتكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم واقبل بهم وكان عثمان قد كتب الى سعيد بن العاص ان
ينفذ سلمان الى الباب للغزو فسيره فلقي المهزومين على ما تقدم فنجاهم الله به فلما أصيب عبد الرحمن
استعمل سعيد سلمان بن ربيعة على الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان
وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى قال أهل
الشام لقد هممنا بضرب سلمان فقال الكوفيون اذن والله نضرب حبيبا ونحبسه وان أبيتم
كثرت القتلى فينا وفيكم وقال أوس بن مغراء في ذلك

ان تضربوا سلمان نضرب حبيبكم * وان ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وان تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا * وهذا أمير في الكتائب مقبل
ونحن ولاة الامر كنا حماته * ليالي نرمي كل ثغر ونكل

واراد حبيب ان يتأمر على صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش اذا جاء من الكوفة فكان ذلك
اول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام وغزا حذيفة ثلاث غزوات فقتل عثمان في الثالثة
ولقيهم مقتل عثمان فقال حذيفة بن اليمان اللهم العن قتلته وشتامه اللهم انا كنا نعاتبه ويعاتبنا
فاتخذوا ذلك سلما الى الفتنة اللهم لا تمتهم الا بالسيوف

(ذكر وفاة ابي ذر)

وفيها مات أبو ذر وكان قد قال لابنته استشرفي يا بنية هل ترين احدا قالت لا قال فما جاءت ساعتي
بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال اذا جاءك الذين يدفنوني فانه سيشهدني قوم صالحون
فقولي لهم يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها انظري هل
ترين أحدا قالت نعم هؤلاء ركب قال استقبلي بي الكعبة ففعلت فقال بسم الله وبالله وعلى ملة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت رحمكم الله اشهدوا أبا ذر قالوا
وأين هو فاشارت اليه قالوا نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه
ودفنوه وقالت لهم ابنته ان أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا
ففعلوا وحملوا اهله معهم حتى اقدموهم مكة ونعوه الى عثمان فضم ابنته الى عياله وقال يرحم
الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربذة ولما حضر واشتموا من الخباء ريح مسك فسألوها عنه فقالت انه
لما حضر قال ان الميت يحضره شهود ويجدون الريح لا يأكلون فدوفي لهم مسكا بماء ورشي به

يا أخا النعمان فيك الـ
ـيوم عن شيخ علاله
ابن شيبان قتيل
أحسن الله فعاله
فقال شريك هو علي اصلح
الله الملك فضمن الطائي
وأجل أجلا يأتي فيه فلما
كان ذلك اليوم أحضر
النعمان شريكا وجعل
يقول له ان صدر هذا اليوم
قد ولى وشريك يقول ليس
لك علي سبيل حتى يمسي فلما
أمسى اقبل شخص من
بعيد والنعمان ينظر اليه
والى شريك فقال له ليس
لك علي سبيل حتى يدنو
الشخص فلعله صاحبي
فبينما هم كذلك اذ اقبل
الطائي فقال النعمان والله
مارأيت اكرم منكما وما
أدري أيكما اكرم أهذا
الذي ضمنك في الموت ام
انت اذ رجعت الى القتل
ثم قال لشريك الوزير ما حملك
على ضمانه مع علمك انه
الموت قال لئلا يقال ذهب
الكرم من الوزراء وقال
للطائي ما حملك على الرجوع
وفيه تلافك قال لئلا يقال
ذهب الوفاء من الناس
ويكون عارا في عقبي وقبيلتي
قال النعمان فوالله
لاكون الا ثم الثلاثة فيقال
ذهب العفو من الملوك فعفا
عنه وأمر برفع يوم بؤسه

وكان كاتبه الحسن البصري فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم في جبل الزور ثم صالحهم ودخل على الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان أعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج وأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها امير بن أحمر اليشكري وانصرف فأخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا ولامير يقول زياد بن الاعجم

لولا أمير هلكت يشكر ❊ ويشكر هلكى على كل حال

❊(ذكر عدة حوادث)❊

وحج بالناس هذه السنة عثمان وفيها مات ابو الدرداء الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وفيها مات ابو طلحة الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة احدى وخمسين وفيها مات أبو أسيد الساعدي وقيل مات سنة ستين وهو على هذا القول آخر من مات من البدريين (أسيد بضم الهمزة) وفيها مات ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ❊ وأخوه الطفيل وابو سفيان بن حرب بن امية وهو ابن ثمان وثمانين سنة

❊(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين)❊

قيل في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة وقيل فاختة

❊(ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة)❊

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين وسببه ان الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون وما أصيب منهم احد في غزوهم وقد كان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعد رؤسهم الى حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبد الرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ أهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفزر التميمي في خباء واحد وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن ذري والقرثع في خباء فكانوا متجاورين في ذلك العسكر وكان القرثع يقول ما أحسن لمع الدماء على

حق أبي حنيفة رحمه الله تعالى

ايا جبلي نعمان ان حصا كما
ابحصى وما تحصى مناقب نعمان
جلائل كتب الفقه طالع تجدلها
حقائق نعمان شقائق نعمان

(حكي) انه كان له نديمان يقال لاحدهما عمرو بن سعد وللآخر عمرو بن الملك فسكر النعمان ذات ليلة فأمر بدفنهما حيين فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بخبرهما فبنى عليهما بناء وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم فاذا لقيه أحد يوم بؤسه قتله وطلى بدمه ذلك البناء وهو موضع معروف بالكوفة وكان اذا لقيه أحد يوم نعيمه اغناه فاستقبله في يوم بؤسه أعرابي من طي فأراد قتله فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا ولم اوص بهم احدا فان رأى الملك ان يأذن لي في اتيانهم واعطيه عهد الله ان أرجع اليه اذا أوصيت بهم فرق له النعمان وقال له لا الا ان يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه وكان مع النعمان وزيره شريك ابن عمرو فنظر اليه الطائي فقال

يا شريكا يا ابن عمرو
هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب

وفتح المروين ومسير ابن عامر الى نيسابور وفتحها فى قول بعضهم وقد تقدم ذكر ذلك وفيها كانت غزوة قبرس فى قول بعضهم وقد تقدم ذكرها مستوفى وقيل ان فتحها كان سنة ثمان وعشرين فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعان اهلها الروم على الغزاة فى البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة فقتل وسبى ثم اقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثنى عشر ألفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وقيل كانت غزوته الثانية سنة خمس وثلاثين

﴿ذكر تسيير من سير من اهل الكوفة الى الشام﴾

وفى هذه السنة سير عثمان نفرا من اهل الكوفة الى الشام وكان السبب فى ذلك ان سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شهد على الوليد بشرب الخمر أمره ان يسير الوليد اليه فقدم سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر فنهاه رجال من بنى أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك فلم يجبهم واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسية وقراء أهل الكوفة فكان هؤلاء دخلته داخلا وأما اذا خرج فكل الناس يدخل عليه فدخلوا عليه يوما فبيناهم يتحدثون قال حبيش ابن فلان الاسدى ما اجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ان من له مثل النشاستج لحقيق ان يكون جوادا والله لو ان لى مثله لاعاشكم الله به عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث والله لوددت أن هذا الملطاط لك يعنى لسعيد وهو ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذى يلى الكوفة فقالوا فض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال ابو غلام فلا تجازوه فقالوا يتمنى له سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه فثار به الاشتر وجندب وابن ذى الحبكة وصعصعة وابن الكواء وكميل وعمير بن ضابئ فأخذوه فثار ابوه ليمنع عنه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطرا فسمعت بذلك بنو اسد فجاؤا وفيهم طلحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد فخرج سعيد الى الناس فقال ايها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية فردهم فتراجعوا وافاق الرجلان فقالا قتلنا غاشيتك فقال لا يغشونى ابدا فكفا ألسنتكما ولا تجرئا الناس ففعلا وقعد أولئك النفر فى بيوتهم واقبلوا يقعون فى عثمان وقيل بل كان السبب فى ذلك انه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الارحبى والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان ومالك الاشتر وغيرهم فقال سعيد انما هذا السواد بستان قريش فقال الاشتر اتزعم ان السواد الذى افاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم معه فقال عبد الرحمن الاسدى وكان على شرطة سعيد اتردون على الامير مقالته واغلظ لهم فقال الاشتر من ههنا لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطؤه وطأ شديدا حتى غشى عليه ثم جروا برجله فنضح بماء فافاق فقال قتلنى من انتخبت فقال والله لا يسمر عندى أحد ابدا فجعلوا يجلسون فى مجالسهم يشتمون عثمان وسعيدا واجتمع اليهم الناس حتى كثروا فكتب سعيد واشراف اهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم فكتب اليهم ان يلحقوهم بمعاوية وكتب الى معاوية ان نفرا قد خلقوا للفتنة فاقم عليهم وانههم فان آنست منهم رشدا فاقبل وان اعيوك فارددهم على فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم واجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان وكان يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما انكم قوم من العرب لكم اسنان والسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم

العراق مثل ما كان ملوك غسان عمال القياصرة على عرب الشام

(الباب السابع عشر فى ذكر ملوك الشام من آل غسان ولمع من سيرهم فيما ملكوه من الزمان)

ذكر صاحب البحر الزخار والعلم التيار ان أهل غسان من اليمن من بنى الازد من اولاد سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة فأخرجهم غسان عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم وأول من ملك من غسان (جفنة ابن عمرو) وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بما يزيد على أربعمائة سنة وقيل أكثر من ذلك وبنى بالشام عدة مصانع ثم هلك وملك بعده ابنه (عمرو بن جفنة) وبنى بالشام عدة ديورة منها دير حالى ودير أيوب ودير هند ثم هلك وملك ابنه (ثعلبة بن عمرو) وهو الذى صرح الغدير فى اطراف حوران مما يلى البلقاء ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن ثعلبة) ثم ملك بعده ابنه (جبلة بن الحرث) وهو الذى بنى القناطر وادرج الاساطل ثم ملك

الخباء وكان النفر الذين شهدوه ابن مسعود وأبا ذر وبكر بن عبد الله التميمي والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومالك الاشتر النخعيين والحلال الضبي والحرث بن سويد التميمي وعمرو بن عتبة السلمي وابن ربيعة السلمي وأبا رافع المزني وسويد بن شعبة التميمي ويزيد بن معاوية النخعي واخا القرثع الضبي وأخا معضد الشيباني وقيل كان موته سنة احدى وثلاثين وقيل ان ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذر معه اغا تركهم حتى قدم على عثمان بمكة فاعلمه بموته فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه

❁(ذكر خروج قارن)❁

ثم جمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان واقبل في أربعين ألفا فقال قيس لابن خازم ماترى قال ارى ان تخلي البلاد فاني اميرها ومعي عهد من ابن عامر اذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتابا كان قد افتعله عمدا فكره قيس منازعته وخلاه والبلاد واقبل الى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال قد تركت البلاد حربا واقبلت قال جاءني بعهد منك قال فسار ابن خازم الى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أوقطنا ثم يكثر وادهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران عنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن فانهزم المشركون واتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضي واقره على خراسان فلبث عليها حتى انقضى امر الجمل وأقبل الى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي وكان معه في دار سنبيل وقيل لما جمع قارن استشار قيس بن الهيثم عبد الله ابن خازم فيما يصنع فقال ارى انك لاتطيق كثرة من قد أتانا فاخرج بنفسك الى ابن عامر فتخبره بكثرة العدو ونقيم نحن في الحصون ونطاولهم ويأتينا مددكم فخرج قيس فلما امعن أظهر ابن خازم عهدا وقال قد ولاني ابن عامر خراسان وسار الى قارن فظفر به وكتب بالفتح الى ابن عامر فأقره على خراسان ولم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من اهل خراسان فاذا عادوا تركوا اربعة آلاف نجدة

❁(ذكر عدة حوادث)❁

وفي هذه السنة مات العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره يوم مات ثمانيا وثمانين سنة كان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وفيها مات عبد الرحمن بن عوف وعمره خمس وسبعون سنة وعبد الله بن مسعود وصلى عليه عمار بن ياسر وقيل عثمان وتوفي عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أري الاذان

✻ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ✻

في هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية ملطية وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد افريقية الثانية حين نقض أهلها العهد وفيها كان مسير الاشتر الى خراسان

وانشد الطائي

واقمد منى للخلاف جماعة
فأبيت عندهم الاقوال
الى امرؤ من الوفاء خليقة
وفعال كل مهذب بذال
فقال له النعمان ماحملك
على الوفاء مع ماذكرت قال
أيها الملك ديني قال وما دينك
قال النصرانية قال اعرضها
علي فعرضها عليه فتنصر
النعمان ويقال انه قتله
كسرى بعد مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم بست سنين
وثمانية أشهر ثم انتقل الملك
في الحيرة الى (اياس بن قبيصة
الطائي) وكان ملكه تسع
سنين ثم ملك بعده (زادويه
ابن ماهسان) الهمداني ثم
عاد الملك الى اللخميين فملك
بعد زادويه المذكور
(المنذر بن النعمان) ويسمه
العرب المغرور واستمر ملكا
بالحيرة الى ان قدم اليها (خالد
ابن الوليد) واستولى على
الحيرة وكانت مدة ملكهم
ستمائة سنة واثنين وعشرين
سنة وثمانية أشهر ولم يزل
عمرانها يتناقص من الوقت
الذي ذكرنا الى أيام المعتضد
وانه استولى عليها الخراب
وقد كان جماعة من الخلفاء
العباسية ينزلونها لطيب
هوائها وصحة تربتها وقرب
الخورنق والنجف منها
وكانت آل نصر بن ربيعة
عمالا للاكاسرة على عرب

سعيدا ومن عندهم فانهم ليسوا لاكثر من شغب ولكن نخرجوا من دمشق فقالوا لا ترجعوا
بنا الى الكوفة فانهم يشمتون بنا ولكن سيروا بنا الى الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد وكان على حمص فدعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان
محسورا وانتم بعد نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا ادرى أعرب هم أم
عجم لا تقولوا لي ما بلغني انكم قلتم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد انا ابن من قد عجمته العاجمات
انا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغني يا صعصعة ان احدا ممن معي دق انفك ثم عمصك لاطيرن بك طيرة
بعيدة المهوى فأقامهم شهرا كلما ركب امشاهم فاذا مر به صعصعة قال يا ابن الخطيئة اعلمت ان
من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول كما بلغني انك قلت لسعيد ومعاوية فيقولون نتوب
الى الله أقلنا اقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر الى عثمان فقدم اليه
تائبا فقال له عثمان احلل حيث شئت فقال مع عبد الرحمن بن خالد فقال ذلك اليك فرجع اليه
قيل وقد روى أيضا نحو ما تقدم وزادوا فيه ان معاوية لما عاد اليهم من القابلة وذكرهم كان مما
قال لهم وانى والله لا آمركم بشئ الا وقد بدأت فيه بنفسى وأهل بيتى وقد عرفت قريش ان ابا
سفيان كان اكرمها وابن اكرمها الا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه انتجبه واكرمه
وانى لاظن ان ابا سفيان لو ولد الناس لم يلد الا حازما فقال صعصعة قد كذبت قد ولدهم خير من ابى
سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وامر الملائكة فسجدوا له وكان فيهم البر
والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا
ثم قال ايها القوم ردوا خيرا واسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع اهاليكم
والمسلمين فاطلبوه فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك ان تطاع فى معصية الله فقال
اليس أول ما ابتدأتكم به ان أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا قالوا بل امرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى آمركم الآن
ان كنت فعلت فاتوب الى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم
الجماعة وان توقروا أئمتكم وتدلوهم على احسن ما قدرتم عليه فقال صعصعة فانا نأمرك ان
تعتزل عملك فان فى المسلمين من هو أحق به منك من كان ابوه احسن قدما فى الاسلام من ابيك
وهو احسن فى الاسلام قدما منك فقال والله ان لى فى الاسلام قدما ولغيرى كان احسن قدما
منى ولكنه ليس فى زمانى احد اقوى على ما انا فيه منى ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان
غيرى اقوى منى لم تكن عند عمر هوادة لى ولا لغيرى ولم أحدث من الحدث ما ينبغى لى ان اعتزل
عملى ولو رأى ذلك امير المؤمنين لكتب الى فاعتزلت عمله فهلا فان فى ذلك واشباهه ما يتمنى
الشيطان ويأمر ولعمرى لو كانت الامور تقضى على رأيكم وامانيكم ما استقامت لاهل
الاسلام يوما ولا ليلة فعاودوا الخير وقولوه وان لله لسطوات وانى لخائف عليكم ان تتابعوا فى
مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهوان فى العاجل والآجل فوثبوا عليه
واخذوا رأسه ولحيته فقال مه ان هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى اهل الشام ما صنعتم
بي ما ملكت ان انهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى ان صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم قام من
عندهم وكتب الى عثمان نحو الكتاب المتقدم فكتب اليه عثمان يأمره ان يردهم الى سعيد بن

قوله (جبلة بن الايهم بن
جبلة) وهو آخر ملوك غسان
وهو الذى اسلم فى خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه ثم عاد الى الروم
فتنصر وسبب ذلك انه خرج
الى الحج مع عمر فبينما هو
يطوف بالبيت اذ وطئ رجل
من فزارة على ازاره فلطمه
جبلة فهشم انفه فاقبل
الفزارى الى عمر رضى الله
عنه فشكا فاحضره عمر
وقال افتد نفسك والا امرت
الفزارى ان يلطمك فانف
من ذلك جبلة وقال امهلنى
هذه الليلة حتى انظر فى
امرى فلما جاء الليل سار
جبلة بخيله ورجله الى الشام
ثم سار الى القسطنطينية
وتبعه خمسمائة رجل من
قومه فتنصروا عن آخرهم
وفرح هرقل بهم واكرمه
واقطعه الاموال وغيرها
فلما بعث عمر بن الخطاب
رضى الله عنه رسولا الى
هرقل يدعوه الى الاسلام
او الى الجزية فأجاب الى
الجزية اجتمع الرسول بجبلة
فوجده فى نعيم لا يوصف
وقال له ويحك يا جبلة
ألا تسلم وقد عرفت الاسلام
وفضله قال ان كنت تضمن
لى ان يزوجنى عمر ابنته
ويولينى الامر من بعده
رجعت الى الاسلام قال
ضمنت له التزويج ولم

مواريثهم وقد بلغني انكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم اذلة ان أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم فقال رجل منهم وهو صعصعة اما ما ذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا واما ما ذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذي اغراكم على هذا قلة العقول وانت خطيبهم ولا ارى لك عقلا اعظم عليك امر الاسلام وتذكرني بالجاهلية اخزى الله قوما عظموا أمركم افقهوا عني ولا اظنكم تفقهون ان قريشا لم تعز في جاهلية ولا اسلام الا بالله تعالى لم تكن باكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا اكرمهم احسابا وامحضهم انسابا واكملهم مروءة ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم هل تعرفون عربا أو عجما او سودا او حمرا الا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته الا ما كان من قريش فانهم لم يردهم احد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله ان يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه اف لك ولاصحابك اما أنت يا صعصعة فان قريتك شر القرى أنتنها نبتا واعمقها واديا واعرفها بالشر وألأمها جيرانا لم يسكنها شريف قط ولا وضيع الا سب بها ثم كانوا ألأم العرب القابا واصهارا نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى اذا ابرزك الاسلام وخلطك بالناس اقبلت تبغي دين الله عوجا وتنزع الى الذلة ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر فاغرى بكم الناس وهو صارعكم ولا تدركون بالشر امرا ابدا الا فتح الله عليكم شرا منه واخزى ثم قام وتركهم فتقاصرت اليهم انفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال اني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احدا ابدا ولا يضره ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة فان اردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم وقال لهم اني معيد عليكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما فولاني وادخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني ولم يولني أحد الا وهو عني راض وانما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعمال اهل الجزاء من المسلمين والغنى وان الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تعرضوا الامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فان الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدي للناس سرائركم وكتب معاوية الى عثمان انه قدم علي اقوام ليست لهم عقول ولا اديان أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمون بحجة انما همهم الفتنة وأموال اهل الذمة والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين ينكون احدا الا مع غيرهم فانه

أخوه (النعمان بن الحرث) وهو الذي بنى دير ضخم ودير النبوة ثم ملك (عمرو بن الحرث) ثم ملك (جفنة الاصغر بن المنذر الاكبر) وهو الذي أحرق الحيرة وبذلك سموا آل محرق ثم ملك اخوه (النعمان الاصغر ابن المنذر الاكبر) ثم ملك (النعمان بن عمرو ابن المنذر) وبنى قصر السويدا ثم الخلع وملك ابنه (جبلة) وهو الذي قاتل المنذر بن ماء السماء وكان جبلة ينزل بصفين ثم ملك بعده (النعمان بن الايهم ابن الحرث ثم ملك بعده اخوه (الحرث بن الايهم) ثم ملك بعده (النعمان بن الحرث) وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة من اللخميين ثم ملك بعده ابنه (المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن النعمان) ثم ملك اخوهما (حجر بن النعمان) ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن حجر) وكنيته ابو كرب ولقبه قطام ثم ملك بعده (الايهم بن جبلة بن الحرث) وهو صاحب تدمر وبنى له بالبرية قصرا عظيما ومصانع ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن جبلة) ثم ملك بعده (جبلة ابن الحرث بن جبلة) ثم ملك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس عثمان وفيها مات المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الاسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى ان يصلي عليه الزبير وفيها توفي الطفيل والحصين ابنا الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف شهدا بدرا وأحدا وقيل ماتا سنة احدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين

﴿ ثم دخلت سنة اربع وثلاثين ﴾

قيل فيها كانت غزوة الصواري في قول بعضهم وقد تقدم ذكرها وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون انهم نقموا عليه

﴿ ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة ﴾

قد ذكرنا خبر المسيرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ووفد سعيد بن العاص الى عثمان سنة احدى عشرة من خلافة عثمان وكان سعيد قد ولى قبل مخرجه الى عثمان بسنة وبعض أخرى الاشعث بن قيس اذربيجان وسعيد بن قيس الري والنسير العجلي همذان والسائب بن الاقرع أصبهان ومالك بن حبيب ماه وحكيم بن سلام الحزامي الموصل وجرير بن عبد الله قرقيسيا وسلمان بن ربيعة الباب وجعل القعقاع بن عمرو على الحرب وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم فأخذه القعقاع بن عمرو فقال انما نستعفي من سعيد فقال اما هذا فنعم فتركه وكاتب يزيد المسيرين في القدوم عليه فسار الاشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد فسبقهم الاشتر فلم يفجأ الناس يوم الجمعة الا والاشتر على باب المسجد يقول جئتكم من عند امير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم ورد اولي البلاء منكم الى الفين ويزعم ان فيئكم بستان قريش فاستخف الناس وجعل اهل الرأي ينهونهم فلا يسمع منهم فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي من شاء ان يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فبقي اشراف الناس وحلماؤهم في المسجد وعمرو بن حريث يومئذ خليفة سعيد فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وامرهم بالاجتماع والطاعة فقال له القعقاع اترد السيل عن ادراجه هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء الا المشرفية ويوشك ان تنتضى ويعجون عجيج العبدان ويتمنون ما هم فيه اليوم فلا يرده الله عليهم ابدا فاصبر قال أصبر وتحول الى منزله وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة وهي قريب من القادسية ومعه الاشتر فوصل اليهم سعيد بن العاص فقالوا لا حاجة لنا بك قال انما كان يكفيكم ان تبعثوا الى امير المؤمنين رجلا والي رجلا وهل يخرج الالف لهم عقول الى رجل واحد ثم انصرف عنهم واحسوا بمولى له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغي لسعيد ان يرجع فقتله الاشتر ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فاخبره بما فعلوا وانهم يريدون البدل وانهم يختارون اباموسى فجعل اباموسى الاشعري اميرا وكتب اليهم اما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد والله لافرضنكم عرضي ولابذلن لكم صبري ولاستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيأ احببتموه لا يعصى الله فيه الا سألتموه ولا شيأ كرهتموه لا يعصى الله فيه الا استعفيتم منه انزل فيه عندما احببتم حتى لا يكون لكم على الله حجة ولنصبرن كما أمرنا

ملكا وقد كان بالشام ملوك ببلاد مارب من أرض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك بمدائن قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ملوك لم نذكرالا من اشتهر ملكه وعرفت مملكته وسائر الامم الخالية والممالك الباقية لم نذكرهم ميلا الى الاختصار

(الباب الثامن عشر في ذكر ملوك كندة ذي سطوة ونجدة في أرض بكر بن وائل أحسن العشائر والقبائل)

ذكر صاحب البحر الزخار ان أول ملوكهم (حجر) بضم الحاء المهملة وهو من أولاد سبا وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك فأكل القوي الضعيف فلما ملك حجر سدد امورهم وساسهم وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ثم ملك بعده ابنه (عمرو بن حجر) ويقال له عمرو المذكور المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن عمرو) فلما عاد المنذر الى ملك ابيه زمن انوشروان هرب الحرث الى ديار كلب وبقي بها حتى عدم وملك بعده ابنه (حجر ابن الحرث) على بني أسد بن خزيمة بن مدركة وملك باقي

العاص بالكوفة فردهم فاطلقوا ألسنتهم فضج سعيد منهم الى عثمان فكتب اليه عثمان ان يسيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بحمص فسيرهم اليها فانزلهم عبد الرحمن واجرى عليهم رزقا وكانوا الاشتر وثابت بن قيس الهمدانى وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخاه صعصعة وجندب ابن زهير الغامدى وجندب بن كعب الازدى وعروة بن الجعد وعمرو بن الحق الخزاعى وابن الكواء قيل سأل معاوية ابن الكواء عن نفسه فقال انت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الاسلام سدّت بك فرجة مخوفة قال فاخبرنى عن اهل الاحداث من الامصار فانك اعقل اصحابك قال اما اهل المدينة فهم احرص الامة على الشر واعجزهم عنه وأما اهل الكوفة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى واما اهل مصر فهم أوفى الناس بشر واسرعهم ندامة واما أهل الشام فهم اطوع الناس لمرشدهم واعصاهم لغويهم

(ذكر تسيير من سير من اهل البصرة الى الشام)

ولما مضت ثلاث سنين من امارة عبد الله بن عامر بلغه ان رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدى وكان عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء هو الرجل النازل عليه واجتمع اليه نفر فطرح اليهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه فأرسل اليه ابن عامر فسأله من انت فقال رجل من اهل الكتاب رغبت فى الاسلام وفى جوارك فقال ما يبلغنى ذلك اخرج عنى فخرج حتى اتى الكوفة فاخرج منها فقصد مصر فاستقر بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم وكان حمران بن ابان قد تزوج امرأة فى عدتها ففرق عثمان بينهما وضربه وسيره الى البصرة فلزم ابن عامر فتذاكروا يوما المرور بعامر بن عبد القيس فقال حمران الا اسبقكم فاخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ فى المصحف فقال الامير يريد المرور بك فاحببت ان اعلمك فلم يقطع قراءته فقام من عنده فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال انه لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا ودخل عليه ابن عامر فاطبق المصحف وحدثه فقال له ابن عامر ألا تغشانا فقال سعد بن ابى القرحاء يحب الشرف فقال ألا نستعملك فقال حصين بن الحر يحب العمل فقال الا نزوجك فقال ربيعة بن عسل يعجبه النساء فقال ان هذا يزعم انك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلا ففتح المصحف فكان أول ما وقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فسعى به حمران واقام حمران بالبصرة ما شاء الله واذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة فالحقه بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريدا فأكل أكلا عربيا فعرف ان الرجل مكذوب عليه فعرفه معاوية سبب اخراجه فقال اما الجمعة فانى اشهدها فى مؤخر المسجد ثم ارجع فى اوائل الناس وأما التزويج فانى خرجت وانا يخطب على وأما اللحم فقد رأيت ولكنى لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصابا يجر شاة الى مذبحها ثم وضع السكين على حلقها فما زال يقول النفاق النفاق حتى ذبحها قال فارجع قال لا ارجع الى بلد استحل اهله منى ما استحلوا فكان يكون فى السواحل فكان يلقى معاوية فيكثر معاوية ان يقول ما حاجتك فيقول لا حاجة لى فلما أكثر عليه قال ترد على من حر البصرة شيأ لعل الصوم ان يشتد على فانه يخف على فى بلادكم

(ذكر

أضمن له الامر فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط على وما ضمنت له قال نعم الا ضمنت له الامر فاذا اتى الله به مضى علينا بحكمه ثم جهزنى عمر الى هرقل ثانية وأمرنى ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه فى ام الكتاب وكان ندم على تنصره وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها اللجاج ونخوة
فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امى لم تلدنى وليتنى
رجعت الى الامر الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة
وكنت أسيرا فى ربيعة او مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة
اجالس قومى ذاهب السمع والبصر

وقد اختلف فى مدة ملك الغسانية فقيل أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وكانت ديار ملوك غسان اليرموك بالجولان وغيرها من غوطة دمشق وأعمالها ومنهم من نزل الاردن من أرض الشام وجميع من ملك الشام من آل غسان احد وعشرون

ما أدري ما أقول لك ولا أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وما خصصنا بأمر دونك وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره وما ابن ابي قحافة باولى بالعمل منك بالحق ولا ابن الخطاب باولى بشيء من الخير منك وأنت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماً ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالاه وما سبقاك الى شيء فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة وان الطريق لواضح بين وان اعلام الدين لقائمة اعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة متروكة فوالله ان كلا لبين وان السنن لقائمة لها اعلام وان البدع لقائمة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وأضل فامات سنة معلومة واحيا بدعة متروكة واني احذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد اليم واحذرك أن تكون امام هذه الامة الذي يقتل فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعاً لا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً فقال عثمان قد علمت والله ليقولن الذي قلت اما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكراً أن وصلت رحماً وسددت خلة وآويت ضائعاً ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي انشدك الله يا علي هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هناك قال نعم قال فتعلم ان عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومني ان وليت ابن عامر في رحمه وقرابته قال علي ان عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به اقصى العقوبة وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على اقربائك قال عثمان وهم اقرباؤك ايضاً قال اجل ان رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم قال عثمان هل تعلم ان عمر ولى معاوية فقد وليته فقال علي انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له قال نعم قال علي فان معاوية يقتطع الامور دونك ويقول للناس هذا امر عثمان وانت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال اما بعد فان لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون امثال النعام يتبعون اول ناعق احب مواردهم اليهم البعيد لا يشربون الا نغصاً ولا يردون الا عكراً يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور ألا فقد والله عبتم علي ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي اما والله لانا أعز نفراً واقرب ناصراً واكثر عدداً واحرى ان قلت هلم أتي الي ولقد عددت لكم اقراناً وأفضلت عليكم فضولاً وكشرت لكم عن نابي واخرجتم مني خلقاً لم اكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به فكفوا عني السنتكم وعيبكم وطعنكم على ولاتكم فاني كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا الا فاتفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي ولم تكونوا تختلفون عليه فقام مروان بن الحكم فقال ان شئتم حكمنا والله ما بيننا وبينكم السيف نحن وانتم والله كما قال الشاعر

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم * معارسكم تبنون في دمن الثرى

وكان بنو اسد يهشون من عندهم رجلاً الى الروم ليفسد الامر على امرئ القيس يقال له الطماح فوشى به الى قيصر ان يقتله فوجه معه جيشاً ثم اتبعه رجلاً ومعه حلة مسمومة فقال له أقرئه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك هذه ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج فالبسه اياها ففعل ذلك الرجل فلما لبسها تقطر بدنه فكان يحمل في محفة وذلك قوله

لقد طمح الطماح من بعد أرضه
ليلبسني من دائه ما تلبسا

فبدلت قرحاً دامياً بعد صحة
فيا لك من نعمى تحولن أبؤسا

ثم نزل الى جنب جبل يقال له عسيب بقرب مدينة انكورية الروم وفي سفحه قبره فقال

أجارتنا ان الخطوب تنوب
واني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا مقيمان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

فان تصلينا فالقرابة بيننا
وان تصرمينا فالغريب غريب

* ولنذكر بعد هذا خبر عمرو بن عامر وخبر سيل العرم وتفرقهم في البلاد وبعض اخبار العرب وكان أول من خرج من اليمن في أيام تمزيقهم عمرو بن عامر ويقال له مزيقياً لانه كان

حتى تبلغوا ما تريدون ورجع من الامراء من قرب من الكوفة فرجع جرير من قرقيسيا وعتيبة بن النهاس من حلوان وخطبهم ابو موسى وامرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فأجابوا الى ذلك وقالوا صل بنا فقال لا الا على السمع والطاعة لعثمان قالوا نعم فصلى بهم وأتاه ولايته فولاهم وقيل سبب يوم الجرعة انه كان قد اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا اعمال عثمان فاجمع رأيهم فأرسلوا اليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد القيس فأتاه فدخل عليه فقال له ان ناسا من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما فاتق الله وتب اليه فقال عثمان انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارئ ثم هو يجيء يكلمني في المحقرات والله ما يدري اين الله فقال عامر بلى والله اني لادري ان الله لبالمرصاد فأرسل عثمان الى معاوية وعبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم ان لكل امرئ وزراء ونصحاء وانكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا الي ان أعزل عمالي وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم فقال له ابن عامر أرى لك يا امير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة احدهم الا في نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروته وقال سعيد احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف ان لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم امر فقال عثمان ان هذا هو الرأي لولا ما فيه وقال معاوية اشير عليك ان تأمر امراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله واكفيك انا اهل الشام وقال عبد الله بن سعد ان الناس اهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فان ابيت فاعتزم عزما وامض قدما فقال له عثمان مالك قمل فروك أهذا الجد منك فسكت عمرو حتى تفرقوا فقال والله يا امير المؤمنين لانت اكرم علي من ذلك ولكني علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولي فيثقوا بي فاقود اليك خيرا وادفع عنك شرا فرد عثمان عماله الى اعمالهم وامرهم بتجهيز الناس في البعوث وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه ورد سعيدا الى الكوفة فلقيه الناس من الجرعة وردوه كما سبق ذكره قال ابو ثور الحداني جلست الى حذيفة وأبي مسعود الانصاري بمسجد الكوفة يوم الجرعة فقال ابو مسعود ما أرى ان ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لتردن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم وما ارى اليوم شيئا الا وقد علمته والنبي صلى الله عليه وسلم حي فرجع سعيد الى عثمان ولم يسفك دم وجاء ابو موسى أميرا وامر عثمان حذيفة بن اليمان ان يغزو الباب فسار نحوه

(ذكر ابتداء قتل عثمان)

في هذه السنة تكاتب نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بعضهم الى بعض ان اقدموا فان الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه وليس احد من الصحابة ينهى ولا يذب الا نفر منهم زيد بن ثابت وابو اسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا علي بن ابي طالب فدخل على عثمان فقال له الناس ورائي وقد كلموني فيك والله

بنيه على قبائل العرب فملك ابنه شرحبيل بن الحرث على بكر بن وائل وملك ابنه معد يكرب على قيس ابن عيلان وملك ابنه سلمة على تغلب أما حجر المذكور وهو أبو امرئ القيس الشاعر فبقي أبوه متمالكا في بني اسد مدة ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وبالغ في نكايتهم ودخلوا تحت طاعته ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة ولما بلغ امرأ القيس قتل ابيه وكان في شربه مع أصحابه فقال ضيعني أبي صغيرا وحملني ثقل الثار كبيرا اليوم خمر وغدا امر اليوم سلاف وغدا ثقاف فارسل ذلك مثلا وكان أبوه طرده حين قال الشعر وشهر به وقال الملوك لا تمدح وانما هي تمدح ثم استنجد امرؤ القيس لاخذ ثار أبيه ببكر وتغلب على بني اسد فانجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعوهم فلم يظفروا بهم فأوقع ببني كنانة ظنا منه انهم بنو أسد فقتلهم قتلا ذريعا فقالت هوزوا اللات أيها الملك ما نحن بثارك وانما ثارك بنو اسد وقد ارتحلوا من قبل الليل حين استشعروا بك ثم صار يدخل قبائل العرب وينتقل من اناس الى اناس حتى دخل على قيصر فاستنصره فأجابه

معهم سعيد بن العاص وعمرا فقال ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة انى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الا بى فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشئ والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الامر أصلا ولا يحل الاخذ بهذه الاذاعة فقال أشيروا على فقال سعيد هذا أمر مصنوع يلقى فى السر فيتحدث به الناس ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذى عليهم اذا أعطيتهم الذى لهم فانه خير من ان تدعهم وقال معاوية قد وليتنى فوليت قوما ولا يأتيك عنهم الا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما والرأى حسن الادب وقال عمرو أرى أنك قد لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى ان تلزم طريقة صاحبك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به على ولكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الامر الذى يخاف على هذه الامة كائن وان بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواتاة الا فى حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد على حجة وقد علم الله انى لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فاذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نفر عثمان وشخص معاوية والامراء معه واستقل على الطريق رجز به الحادى فقال

قد علمت ضوامر المطى * وضمرات عوج القسى

ان الامير بعده على * وفى الزبير خلف رضى

فقال كعب كذبت بل يلى بعده صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فطمع فيها من يومئذ فلما قدم عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير وعنده معاوية فحمد الله معاوية ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الامة لا يطمع فيه احد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع انى ارجو ان يكون اكرم على الله ان يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيه من شئ فهذه يدى لكم به ولا تطمعوا الناس فى امركم فوالله ان طمعوا فيه لا رأيتم منها ابدا الا ادبارا قال على مالك ولذلك لا ام لك قال دع أمى فانها ليست بشر امهاتكم قد اسلمت وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم وأجبنى عما اقول لك فقال عثمان صدق ابن اخى انا أخبركم عنى وعما وليت ان صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وانا فى رهط اهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شئ من ذلك لما اقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لامركم تبع فقالوا قد اصبت واحسنت قد اعطيت عبد الله بن خالد بن اسيد خمسين الفا واعطيت مروان خمسة عشر الفا فأخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين وقال معاوية لعثمان اخرج معى الى الشأم فانهم على الطاعة قبل ان يهجم عليك ما لا قبل لك به فقال لا ابيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ وان كان فيه خيط عنقى قال فان بعثت اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت قال لا اضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لتغتالن ولتغزين فقال حسبى الله ونعم الوكيل ثم خرج معاوية فمر على نفر من المهاجرين فيهم على وطلحة والزبير وعليه ثياب السفر فقام عليهم وقال

هلاك السد قالت لا يعلم ذلك الا الله عز وجل فعلم ان ذلك واقع وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه واجمع على بيع كل شئ له بارض مارب ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها خلق كثير فنزلوا أرض عك ابن عدنان وبقوا بها حتى مات عمرو فكان عمره ثمانمائة سنة وكان معه أربعمائة ملك وتفرقوا فى البلاد فمنهم من سار الى الشأم وهم أولاد جفنة ومنهم من سار الى يثرب وهم أبناء قيلة الاوس والخزرج وسارت ازد الى الشراة وعمان وسار مالك بن فهم الى العراق ونزلت ربيعة تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم وتفرقوا فى البلاد كل ممزق ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وهو سيل العرم الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وكان لربيعة المذكور ولد اسمه كليب الذى يقال فيه أعز من كليب وائل وبلغ من عزه فى قومه أنه كان لا توقد نار مع ناره ولا يرد ابل مع ابله ويقول وحش الفلاة فى جوارى فلا تهاج فاجتمعت عليه معد كلها حتى بلغ من بغيه وعزه ما قد ذكرناه وقتله جساس بن مرة وهو صهره وابن عمه وكان سبب قتله

فقال عثمان اسكت لا سكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا ألم اتقدم اليك أن لا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله على الناس وعظم وزاد تألبهم عليه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج هذه السنة بالناس عثمان وفي هذه السنة توفي كعب الاحبار وهو كعب بن ماتع واسلم أيام عمر وفيها مات أبو عبس عبد الرحمن بن جبر الانصاري شهد بدرا وفيها مات مسطح بن أثاثة المطلبي وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل بل عاش وشهد صفين مع علي وهو الاكثر وكان بدريا وفيها توفي عبادة بن الصامت الانصاري وهو ممن شهد العقبة وكان نقيبا بدريا وعاقل بن البكير وهو بدري أيضا

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ﴾

﴿ ذكر مسير من سار الى حصر عثمان ﴾

قيل في هذه السنة كان مسير من سار من اهل مصر الى ذي خشب ومسير من سار من اهل العراق الى ذي المروة وكان سبب ذلك ان عبد الله بن سبا كان يهوديا واسلم ايام عثمان ثم تنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد اضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فاخرجه اهل الشام فأتى مصر فأقام فيهم وقال لهم العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع و يكذب ان محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة فقبلت منه ثم قال لهم بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدؤا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس و بث دعاته وكاتب من استفسد في الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكتب اهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا بذلك الارض اذاعة فيقول اهل كل مصر انا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا لفي عافية مما فيه الناس فأتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين ايأتيك عن الناس الذي يأتينا فقال ما جاءني الا السلامة وانتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي قالوا نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله الى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة وارسل عمار ابن ياسر الى مصر وارسل عبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ما انكرنا شيأ أيها الناس ولا انكره اعلام المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار حتى ظنوا انه قد اغتيل فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر ان عمارا قد استماله قوم وانقطعوا اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فكتب عثمان الى أهل الامصار اني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع الى أهل المدينة ان اقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيأ من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني او من عمالي او تصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الامصار بكى الناس ودعوا لعثمان و بعث الى عمال الامصار فقدموا عليه في الموسم عبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية وادخل

يحرق في كل يوم مائتين لئلا يلبسها أحد بعده كما مر وسبب خروجه من اليمن انه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريفة وكانت رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم أصعقت فاحرقت كل ما وقعت عليه ففزعت طريفة فزعا شديدا فأتت زوجها وهي تقول ارأيت ما ازال عني النوم رأيت غيما أرعد وأبرق طويلا ثم اصعق فما وقع على شيء الا احترق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها ثم ان عمرا دخل حديقة كانت لهما فرأيا الشجر تتحرك من غير ريح قال عمرو وما ترين في ذلك قالت أجل ان فيه الويل ومالك فيه من قيل وان الويل فيما يجيء به السيل قال وما علامات ما تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر في السد بيديه الحفر و يقلب برجليه جلامد الصخر فاعلم ان العقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الذي تذكرين قالت وعد من الله نزل وباطل طال ونكال نكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى زوجته فاخبرها بذلك وقال لها حتى يكون

وأتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك وأتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك وكل منهم يقول نحن نمنع اخوانا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علي كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل حتى رجعتم علينا هذا والله أمر أبرم بليل فقالوا ضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزل عنا وعثمان يصلي بهم وهم يصلون خلفه وهم أدق في عينه من التراب وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجدهم ويأمرهم بالحث للمنع عنه ويعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الامصار على الصعب والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وقام بالكوفة نفر يحضون على اعانة أهل المدينة منهم عقبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن التابعين مسروق والاسود وشريح وعبد الله بن حكيم وغيرهم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وغيرهم من الصحابة ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان وغيرهما وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذلك بمصر ولما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء الله الله فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطأ بالصواب فقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فأقعده حكيم بن جبلة وقام زيد ابن ثابت فأقعده محمد بن أبي قتيرة وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فأدخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبي وقاص والحسين بن علي وزيد بن ثابت وأبو هريرة فأرسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وأقبل علي وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون وكان عند عثمان نفر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم فقالوا كلهم لعلي أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وعادوا هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أميرهم الغافقي وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليمتنع به وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وقد قيل ان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان وسار محمد بن أبي بكر مع من سار الى عثمان وأقام ابن أبي حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد على ما يأتي فلما خرج المصريون الى قصد عثمان أظهروا انهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وبعث عبد الله بن سعد رسولا الى عثمان يخبره بحالهم وانهم قد اظهروا العمرة وقصدهم خلعه أو قتله فخطب عثمان الناس واعلمهم حالهم وقال لهم انهم قد اسرعوا الى الفتنة واستطالوا عمري والله لئن فارقتهم ليتمنون ان عمري كان عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والاحن والاثرة الظاهرة والاحكام المغيرة وكان عبد الله بن سعد خرج الى عثمان في آثار المصريين باذنه له فلما كان بأيلة بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه وان محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر

علم كليب ان السراب صنعت ذلك رماها بسهم خرم ضرعها فلما رأتها البسوس ألقت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه فلما سمعها جساس وعلم بذلك ركب فرساله وأخذ رمحه بيده وركب معه عمرو بن الحرث على فرس له حتى دخلا على كليب في حماه فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو فوقع كليب يفحص برجله حتى مات ولما قتل جساس كليبا وقعت الحرب بين بكر وتغلب وشمر مهلهل أخو كليب لحرب بكر وسمي مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر أي رققه وهو خال امرئ القيس الشاعر فاستعد مهلهل لحرب بني تغلب وترك النساء والغزل وحرم القمار والخمر وأرسل رجالا من تغلب الى بكر وعرض عليهم أربع خصال وأتت رسله الى مرة أبي جساس وهو في نادي قومه فقالوا لهم انكم أتيتم عظيما في قتلكم كليبا الاجل ناقة وقطعتم بيننا وبينكم الرحم ونريد أن نعرض عليكم خصالا أربعا فقال مرة وما هي قال تحيي لنا كليبا أو تدفع لنا جساسا فنقتله أو همام أخاه وتمكنا من نفسك فان فيك وفاء من دمه فقال اما احياء كليب

انكم قد علمتم ان هذا الامر كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان اخذوا بذلك فالامر امرهم والناس لهم تبع وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله الى غيرهم وان الله على البدل لقادر واني قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيرا وكانفوه تكونوا اسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال علي كنت ارى في هذا خيرا فقال الزبير والله ما كان قط اعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم واتعد المنحرفون عن عثمان يوما يخرجون فيه بالامصار جميعها اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم ذلك ولما رجع الامراء ولم يتم لهم الوثوب صاروا يكاتبون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن اشياء لتطير في الناس وكان بمصر محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة يحرضان على عثمان فلما خرج المصريون خرج فيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وقيل في الف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعليهم جميعا الغافقي بن حرب العكي وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والاشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الاصم العامري وهم في عداد اهل مصر وخرج اهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش وهم بعداد اهل مصر واميرهم حرقوص بن زهير السعدي فخرجوا جميعا في شوال واظهروا انهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من اهل البصرة فنزلوا ذا خشب وكان هواهم في طلحة وتقدم ناس من اهل الكوفة وكان هواهم في الزبير ونزلوا الاعوص وجاءهم ناس من اهل مصر وكان هواهم في علي ونزلوا عامتهم بذي المروة ومشى فيما بين اهل مصر واهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم وقالا لهم لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم فقد بلغنا انهم عسكروا النافوا الله ان كان هذا حقا واستحلوا قتالنا بعد علم حالنا ان امرنا الباطل وان كان الذي بلغنا باطلا رجعنا اليكم بالخبر قالوا اذهبا فذهبا فدخلا المدينة فلقيا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليا وطلحة والزبير فقالا انما نريد هذا البيت ونستعفي من بعض عمالنا واستأذناهم في الدخول فكلهم ابى ونهاهما فرجعا الى اصحابهما فاجتمع نفر من اهل مصر فأتوا عليا ونفر من اهل البصرة فأتوا طلحة ونفر من اهل الكوفة فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم ان بايعنا صاحبنا والا كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم فأتى المصريون عليا وهو في عسكر عند احجار الزيت متقلدا سيفه وقد ارسل ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمع اليه فسلموا عليه وعرضوا له فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون ان جيش ذي المروة وجيش ذي خشب والاعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانصرفوا عنه واتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنيه الى عثمان واتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنه عبد الله الى عثمان فرجعوا وتفرقوا عن ذي خشب وذي المروة والاعوص الى عسكرهم ليتفرق اهل المدينة ثم يرجعوا اليهم فلما بلغوا عسكرهم تفرق اهل المدينة فرجعوا اليهم فلم يشعر اهل المدينة الا والتكبير في نواحيها ونزلوها واحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن وصلى عثمان بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه واتاهم اهل المدينة وفيهم علي فقال لهم ما ردكم بعد ذهابكم فقالوا اخذنا مع بريد كتابا بقتلنا

انه كانت لجساس جارة يقال لها البسوس وكانت لها ناقة يقال لها السراب وبها تضرب العرب المثل في الشؤم فيقال اشأم من البسوس واشأم من السراب وذلك لاجل ما جرى بين ابني وائل بسببها فانه يقال ان الحرب دامت بينهما اربعين سنة وكانت هذه الناقة معقولة بفناء بيت البسوس يوما من الايام فمرت ابل كليب فقطعت السراب عقالها وتبعت ابل كليب فلما انتهت الى كليب انكرها فرمى السراب بسهم فأصاب ضرعها فنفرت الناقة وقيل ان سبب رميها اياها وهي ناقة البسوس انه كان كليب في بعض الايام يمشي في حماه فوجد قنبرة قد باضت في ذلك الحمى فقال كليب هذه القنبرة في جواري وكان يسمى تلك الارض بحماه المعمر وكان يخاطبها فقال

يا لك من قنبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
قد رفع الفخ فماذا تحذري
ونقري ما شئت ان تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
لابد من أخذك يوما فاحذري

فدخلت ناقة البسوس ذلك الحمى فوطئت على بيض القنبرة فكسرت بيضها فلما

وذويه ولا احتجب عنكم فرق الناس وبكوا حتى اخضلوا لحاهم وبكى هو ايضا فلما نزل عثمان وجد مروان وسعيدا ونفرا من بني امية في منزله لم يكونوا شهدوا خطبته فلما جلس قال مروان يا امير المؤمنين أتكلم ام اسكت فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤثموه انه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فقال لها مروان ما أنت وذاك فوالله قد مات ابوك وما يحسن يتوضأ فقالت مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن ابي وهو غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عن نفسه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه لاخبرتك عنه ما لن اكذب عليه قالت فأعرض عنها مروان فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أم أسكت قال تكلم فقال مروان بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبيين وبلغ السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها أجمل من توبة يخوف عليها وأنت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرب بالخطيئة وقد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج اليهم فكلمهم فاني أستحي أن أكلمهم فخرج مروان الى الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه الى من أريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا والله ائن رمتمونا ليمرن عليكم منا امر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين على ما في ايدينا فرجع الناس واتى بعضهم عليا فأخبره الخبر فأقبل علي على عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث فقال احضرت خطبة عثمان قال نعم قال افحضرت مقالة مروان للناس قال نعم فقال علي أي عباد الله يا للمسلمين اني ان قعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقي واني ان تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال له اما رضيت من مروان ولا رضي منك الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه وايم الله اني لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على رأيك فلما خرج علي دخلت عليه امرأته نائلة ابنة الفرافصة فقالت قد سمعت قول علي لك وليس يعاودك وقد اطعت مروان يقودك حيث شاء قال فما اصنع قالت تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك فانك متى اطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى علي فاستصلحه فان له قرابة وهو لا يعصى فأرسل عثمان الى علي فلم يأته وقال قد أعلمته اني غير عائد فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجلس بين يدي عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسود وجهك فهي والله أنصح لي منك فكف مروان وأتى عثمان الى علي بمنزله ليلا وقال له اني غير عائد واني فاعل فقال له علي بعد ما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو يقول خذلتني وجرأت الناس علي فقال علي والله اني لاكثر الناس ذبا عنك ولكني كلما جئت بشيء اظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي ولم يعد علي يعمل ما كان

ولم يزل المهلهل يطالب بثار كليب ولا يبالي بمن يقتل من بكر واستمرت الحرب بين بكر وتغلب زمانا الى أن قتل همام بن مرة اخو جساس واصطلحت بكر وتغلب ففر المهلهل بنفسه فنزل بمذحج في قوم يقال لهم جنب فأجاره معاوية الخير وتزوج ابنة المهلهل واستقر عندهم الى أن قتل وكان سبب قتل المهلهل انه لما نزل من مذحج اشترى عبدين يغزوان معه فغزا بهما حتى طال عليهما فأحبا الراحة منه فأجمعا على قتله بموضع قفر فلما شعر بهما ولم ير لنفسه ملجأ قال لهما اذا قتلتماني وعدتما فأبلغا عني هذه الرسالة لاهلي فقالا له هات رسالتك فأنشدهما

من مبلغ عني بأن مهلهلا
لله دركما ودر أبيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بنيه قالوا لهما ما فعل سيدكما قالا مات بأرض كذا فدفناه بها سالما فقيل لهما فما أوصى بشيء حين مات قالا اوصانا بكيت وكيت فلم يدر احد ما أراد وقالوا ما هذا بشعر مهلهل فقالت ابنته والله ما كان ابي رديء الشعر ولا سفساف الكلام وانما اراد ان يخبركم ان العبدين قتلاه وانما معنى هذا البيت

من مبلغ عني بأن مهلهلا

واستجابوا له فعاد عبد الله الى مصر فنعى عثمان فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان فأقبل القوم
ذا خشب يريدون قتل عثمان ان لم ينزع عما يكرهون ولما رأى عثمان ذلك جاء الى علي فدخل
عليه بيته فقال له يا ابن عم ان قرابتي قريبة ولي عليك حق عظيم وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم
وهم مصبحي ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب ان تركب اليهم فتردهم عني فان في
دخولهم علي توهينا لامري وجراءة علي فقال علي على أي شيء أردهم عنك قال على ان أصير الى
ما أشرت اليه ورأيته لي فقال علي اني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع
عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتني قال
عثمان فانا أعصيهم وأطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والانصار ثلاثون رجلا فيهم
سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص
وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الانصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت
وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين فكلموهم وكان
الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا الى مصر فقال ابن عديس لمحمد بن
مسلمة أتوصينا بحاجة قال نعم تتقي الله وترد من قبلك عن امامهم فانه قد وعدنا ان يرجع وينزع
قال ابن عديس أفعل ان شاء الله ورجع علي ومن معه الى المدينة فدخل على عثمان فأخبره
برجوعهم وكلمه بما في نفسه ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد
فقال له تكلم وأعلم الناس ان اهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا قبل ان
يجيء الناس اليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان فلما خطب الناس
قال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها معك فتب الى الله نتب
فناداه عثمان وانك هنالك يا ابن النابغة قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودي من
ناحية أخرى تب الى الله فرفع يديه وقال اللهم اني اول تائب وخرج عمرو بن العاص الى منزله
بفلسطين وكان يقول والله اني كنت لالقى الراعي فأحرضه على عثمان والقى عليا وطلحة والزبير
فأحرضهم على عثمان فبينما هو بقصره بفلسطين ومعه ابناه ومحمد بن عبد الله وسلامة بن روح
الجذامي اذ مر به راكب من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال هو محصور فقال عمرو أنا ابو عبد
الله قد يضرط العير والمكواة في النار ثم مر به راكب آخر فسأله فقال قتل عثمان فقال عمرو أنا
ابو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها فقال له سلامة بن روح يا معشر قريش كان بينكم وبين
العرب باب فكسرتموه فقال اردنا ان نخرج الحق من حاصرة الباطل ليكون الناس في الحق
شرعا سواء وقيل ان عليا لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان فقال له تكلم كلاما
يسمعه الناس منك ويشهدون عليك ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابة فان البلاد
قد تمخضت عليك فلا آمن ان يجيء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا علي اركب اليهم
فان لم افعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها
واعطى الناس من نفسه التوبة وقال انا اول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فمثلي
نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني اشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبدا لاستنن بسنة
العبد ولاذلن ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضا ولانحين مروان

فلا سبيل اليه وأما جساس
فانه غلام طعن طعنة على
عجل ثم ركب فرسه فلا أدري
أي البلاد احتوت عليه
وأما أخوه همام فانه أبو
عشرة وأخو عشرة وعم
عشرة كلهم فرسان قومهم
وان يسلموه اليك فادفعه اليكم
ليقتل بجريرة غيره وأما أنا
فما هو الا ان تجول الخيل
غدا جولة فأكون أول
قتيل بينهما فما أتعجل من
الموت ولكن عندي
خصلتان اما احداهما
فهؤلاء بني الباقون وهم
تسعة ضموا في عنق من
شئتم منهم فانطلقوا به الى
رحالكم فاذبحوه ذبح
الخروف والا فألف ناقة
سوداء المقل أقيم لكم
فغضب القوم وقالوا لقد
أسأت تبذل لنا صغار ولدك
وتسومنا اللبن من دم كليب
ووقعت الحرب بينهما فقال
المهلهل يرثي كليبا
كليب لا خير في الدنيا ومن فيها
اذ أنت خليتها فيمن يخليها
نعى النعاة كليبا لي فقلت لهم
مالت بنا الارض أو زالت
رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنائعه
ما كل آلائه يا قوم أحصيها
ليت السماء على من تحتها
وقعت
وانشقت الارض فانجابت
بمن فيها

فقال دعني ا كلمهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك فما انت وهذا الامر اخرج عني فخرج مروان وقال علي ومحمد لعثمان ما قال المصريون فأقسم بالله ما كتبته ولا علم لي به فقال محمد صدق هذا من عمل مروان ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة فعرفوا الشر فيهم وتكلموا فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين واهل الذمة والاستئثار في الغنائم فاذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين وذكروا شيأ مما أحدث بالمدينة وقال له وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك فردنا علي ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ما تكلمنا فيه فرجعنا الى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس فحلف عثمان انه ما كتب ولا أمر ولا علم فقال علي ومحمد صدق عثمان قال المصريون فمن كتبه قال لا أدري قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث الى عاملك بهذه الامور العظيمة وأنت لا تعلم قال نعم قال ما أنت الا صادق أو كاذب فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق وان كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه كما خلعك الله فقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ولكني أتوب وأنزع قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى وان منعك اصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص اليك فقال أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل احب الي من ذلك وأما قولكم تقاتلون من منعني فاني لا امر احدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير امري قاتل ولو أردت قتالكم لكتبت الى الاجناد فقدموا علي او لحقت ببعض أطرافي وكثرت الاصوات واللغط فقام علي فخرج وأخرج المصريين ومضى علي الى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب الى معاوية وابن عامر وامراء الاجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وارسال الجنود اليه فتربص به معاوية فقام في اهل الشأم يزيد بن اسد القسري جد خالد بن عبد الله القسري فتبعه خلق كثير فسار بهم الى عثمان فلما كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا وقيل بل سار من الشأم حبيب بن مسلمة الفهري وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صرارا بناحية المدينة اتاهم قتل عثمان فرجعوا وكان عثمان قد استشار نصحاءه في امره فأشاروا عليه ان يرسل الى علي يطلب اليه ان يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده فقال انهم لا يقبلون التعلل وقد كان مني في المرة الاولى ما كان فقال مروان اعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا عليا فقال له قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم عني فاني اعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي وغيري فقال علي الناس الى عدلك احوج منهم الى قتلك ولا يرضون الا بالرضا وقد كنت أعطيتهم أولا عهدا فلم تف به فلا تغررني هذه المرة فاني معطيهم عليك الحق فقال اعطهم فوالله لافين لهم فخرج علي الى الناس فقال لهم انما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم انه منصفكم من نفسه فقال الناس قبلنا فاستوثق منه لنا فانا لا نرضى بقول دون فعل فدخل عليه علي فأعلمه فقال اضرب بيني وبينهم أجلا فاني لا أقدر على أن ارد ما كرهوا في يوم واحد فقال علي اما ما كان

اخوه (ابو الجيش اسحق بن ابراهيم) وطالت مدته وتوفي في سنة احدى وسبعين وثلثمائة وخلف في الملك طفلا اسمه (زياد) وبقي في الملك مدة ثم توفي وانتقل ملك اليمن الى طفل آخر من آل زياد اسمه (ابراهيم) فقتل وهو آخر ملوك اليمن من بني زياد فتكون مدة ملك بني زياد باليمن مائتي سنة واربع سنين والله اعلم

(الباب العشرون في ذكر ملوك اليمن من آل نجاح ذوي الاخلاق العظام السجاح)

ولما قتل ابراهيم المذكور ملك اليمن عبد من عبيده يقال له (نجاح) فضرب السكة باسمه وكان له عدة اولاد واستقل بملك اليمن في سنة اثنتي عشرة واربعمائة حتى توفي سنة اثنتين وخمسين واربعمائة ثم ملك بعده ابنه (سعيد) الاحول وبقي في الملك سنتين وغلب عليهم الصليحي في سنة خمس وخمسين واربعمائة فهرب بنو نجاح الى دهلك وكان الصليحي ابو الحسن علي بن محمد عالما بارعا وكان ابوه قاضيا باليمن وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة ثم ان سعيدا الاحول وانشاء جيشا جرارا ومعه سبعون رجلا من زبيد حتى ادرك الصليحي وهو نازل عند بئر ام معبد وقتله

يصل الى ان منع عثمان الماء فقال على لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان قال وقد قيل ان عليا كان عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة والناس يجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر فلما قدم على أتاه عثمان وقال له اما بعد فان لى حق الاسلام وحق الاخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شئ وكنا فى الجاهلية لكان عارا على بنى عبد مناف ان ينتزع أخو بنى تيم يعنى طلحة أمرهم فقال له على سيأتيك الخبر ثم خرج الى المسجد فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهو فى خلوة من الناس فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذى وقعت فيه فقال يا أبا الحسن بعدما مس الحزام الطبيين فانصرف على حتى أتى بيت المال فقال افتحوه فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب وأعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقى وحده وسر بذلك عثمان وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له يا أمير المؤمنين أردت أمرا فحال الله بينى وبينه فقال عثمان والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة

﴿ ذكر مقتل عثمان ﴾

قد ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيرا من الاسباب التى جعلها الناس ذريعة الى قتله لعلل دعت الى ذلك ونذكر الآن كيف قتل وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه قبل قتله فكان من ذلك ان ابلا من ابل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى الدار وقيل وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه وبيده جامعة فسلم فرد القوم فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ثم قال لعثمان والله لاطرحن هذه الجامعة فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن سعد منهم من نزل القرآن بذمه وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فاجترأ الناس عليه وقد تقدم قول عمرو بن العاص له فى خطبته قيل وخطب يوما وبيده عصا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يخطبون عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته فرمى فى ذلك المكان بأكلة وقيل كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق منهم ان أردتم الجهاد فهلموا اليه فان دين محمد صلى الله عليه وسلم قد أفسده خليفتكم فأقيموه فاختلفت قلوب الناس على ما تقدم ذكره وجاء المصريون كما ذكرنا الى المدينة فخرج اليهم على ومحمد بن مسلمة كما تقدم فكلماهم فعادوا ثم رجعوا فلما رجعوا انطلق اليهم محمد بن مسلمة يسألهم عن سبب عودهم فأخرجوا صحيفة فى أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من ابل الصدقة ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم وقيل ان الذى أخذت منه الصحيفة أبو الاعور السلمى فلما رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لا فسألوه فى أى شئ هو فتغير كلامه فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون فلما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له قد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه وكلمنا سعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد فقالا لا ندخل فى امركم وقالوا لمحمد بن مسلمة احضر مع على عند عثمان بعد الظهر فوعدهم بذلك فدخل على ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا المصريين عليه وعنده مروان

فقال

اضحى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودر ابيكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا
فقتل العبدان بعد أن اقرا بذلك واتهم الحبالرا حة منه اطول ما أتهمها من الغزو والسفر

(الباب التاسع عشر فى ذكر ملوك اليمن من بنى زياد القائمين بحرب الاشراك والالحاد)

وكان ابتداء ملكهم فى سنة ثلاث ومائتين اولهم (محمد بن زياد) وقيل ابراهيم بن عبد الله بن زياد وكان المأمون سيره وجماعة من بنى امية الى الفضل بن سهل ذى الرياستين وبلغ المأمون اختلاف امر اليمن فأثنى ابن سهل على محمد بن زياد المذكور فأمر المأمون بارساله الى اليمن فسار ابن زياد المذكور ومعه جماعة وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب واستقرت قدم ابن زياد باليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة اربع ومائتين وملك اقاليم اليمن بأسرها وبه كملت دولة بنى زياد حتى قتل ابن زياد وبقى محمد بن زياد كذلك حتى توفى ثم ملك بعده ابنه (ابراهيم بن زياد بن محمد) ثم ملك بعده ابنه (زياد بن ابراهيم) ولم تطل مدته ثم ملك بعده

بني أمية عند هذا الرجل فأحببت ان أسأله عنها السلاح تهلك أموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها الى بيتها فأشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال انشدكم الله هل تعلمون انى اشتريت بئر رومة بمالى ليستعذب بها فجعلت رشائى فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعونى ان اشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ثم قال انشدكم بالله هل تعلمون انى اشتريت ارض كذا فزدتها فى المسجد قيل نعم قال فهل علمتم ان أحدا منع ان يصلى فيه قبلى ثم قال انشدكم بالله اتعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنى كذا وكذا أشياء فى شأنه ففشى النهى فى الناس يقولون مهلا عن أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال لعله مكر به وبكم وخرجت عائشة الى الحج واستتبعت أخاها محمدا فأبى فقال والله انى استطعت ان يحرمهم الله ما يحاولون لافعلن فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك ام المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب الى ما لا يحل وان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف ثم رجع حنظلة الى الكوفة وهو يقول

عجبت لما يخوض الناس فيه * يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم * ولاقوا بعدها ذلا ذليلا
وكانوا كاليهود وكالنصارى * سواء كلهم ضلوا السبيلا

وبلغ طلحة والزبير ما لقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقى عثمان يسقيه آل حزم فى الغفلات فاشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره ان يحج بالناس وكان ممن لزم الباب فقال جهاد هؤلاء احب الى من الحج فاقسم عليه فانطلق قال عبد الله بن عباس بن ابى ربيعة دخلت على عثمان فأخذ بيدى فاسمعنى كلام من على بابه فمنهم من يقول ما تنتظرون به ومنهم من يقول انظروا عسى ان يراجع قال فبينما نحن واقفون اذ مر طلحة فقال أين ابن عديس فقام اليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لا تتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لى عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفنى طلحة فانه حمل على هؤلاء وألبهم على والله انى لارجو ان يكون منها صفرا وان يسفك دمه قال فأردت ان أخرج فمنعونى حتى امرهم محمد بن ابى بكر فتركونى اخرج وقيل ان الزبير خرج من المدينة قبل ان يقتل عثمان وقيل ادرك قتله ولما رأى المصريون ان اهل الموسم يريدون قصدهم وان يجتمعوا لذلك الى حجهم مع ما بلغهم من مسير اهل الامصار قالوا لا يخرجنا من هذا الامر الذى وقعنا فيه الا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال انتم فى حل من نصرتى فأبوا ففتح الباب لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء واقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى عثمان فبيناهو يناشده ان يعتزلهم اذ رماه كثير بن الصلت الكندى بسهم فقتله فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع الينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لاقتل رجلا نصرنى وانتم تريدون قتلى فلما رأوا ذلك ثاروا الى الباب فلم يمنعهم احد منه والباب مغلق لا يقدرون على الدخول منه فجاؤا بنار فاحرقوه والسقيفة التى على الباب وثار أهل الدار وعثمان يصلى قد

(الباب الحادى والعشرون فى ذكر ملوك اليمن من بنى المهدى الناصر لدين القويم المهدى)

وكان المهدى من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة من واحل زبيد وكان رجلا صالحا ونشأ ابنه (على ابن المهدى) على طريقة أبيه ثم حج واجتمع بالعراقيين وتضلع من معارفهم واجتمع عليه الناس واستفحل أمره حتى قصد يغازى الغارات وقطع الحرث والقوافل وحاصر زبيد وقتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح بعد حروب كبيرة واستقر فى دار الملك يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة اربع وخمسين وخمسمائة وبقى ابن المهدى فى الملك شهرين واحدا وعشرين يوما ومات ثم ملك بعده ولده (مهدى بن على بن مهدى) ثم ملك بعده ولده (عبد النبى) ثم خرجت المملكة عن عبد النبى الى أخيه (عبد الله) ثم عادت الى عبد النبى المذكور واستقر فى ملك اليمن الى ان سار توران شاه بن أيوب من مصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة ففتح اليمن واسر عبد النبى واستولى على مدائن عظيمة لعبد النبى وعبد النبى آخر ملوك اليمن

بالمدينة فلا اتعجل فيه وما غاب فأجله وصول امرك قال ثم فأجلني فيما في المدينة ثلاثة ايام فأجابه الى ذلك وكتب بينهم كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جندا فلما مضت الايام الثلاثة ولم يغير شيئا ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الانصاري الى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذي خشب فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم فقال ان كنت مستعملا من أردتم وعازلا من كرهتم فلست في شيء والامر أمركم فقالوا والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن فأبى عليهم وقال لا أنزع سربالا سربلنيه الله فحصروه واشتد الحصار عليه فأرسل الى علي وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال يا أيها الناس اجلسوا فجلسوا المحارب والمسالم فقال لهم يا أهل المدينة استودعكم الله وأسأله ان يحسن عليكم الخلافة من بعدي ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون انكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون ان الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولي والدين لم يتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة انما كان مكابرة فوكل الله الامة اذ عصته ولم يشاوروا في الامامة أم تقولون ان الله لم يعلم عاقبة أمري وأنشدكم بالله أتعلمون لي من سابقة خير وقدم خير قدمه الله لي يحق على كل من جاء بعدي ان يعرفوا لي فضلها فمهلا لا تقتلوني فانه لا يحل الا قتل ثلاثة رجل زنى بعد احصانه وكفر بعد ايمانه أو قتل نفسا بغير حق فانكم اذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا قالوا أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فان كل ما صنع الله خيرة ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسابقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمته ولا نترك اقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك انه لا يحل الا قتل ثلاثة فانا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى في الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقد من نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالامارة علينا فان زعمت انك لم تكابرنا عليها فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا انما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان ولزم الدار وامر اهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا الا الحسن بن علي وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم واجتمع اليه ناس كثير فكانت مدة الحصار أربعين يوما فلما مضت ثماني عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار فأخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شيء حتى الماء فأرسل عثمان الى علي سرا والى طلحة والزبير وازواج النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد منعوني الماء فان قدرتم ان ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان اولهم اجابة علي وام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فجاء علي في الغلس فقال يا أيها الناس ان الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا امر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت ورجعت وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على اداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت ان وصايا

بني

ما رأى الحج فبغتتاه فقتلاه وقتلا أخاه عبد الله ٧٢ وحز سعيد رأسيهما واحتاط على امرأة الصليحي اسماء بنت شهاب وسار عائدين الى زبيد والرأسان قدامهما أمامهودج اسماء واستوثق الامر بتهامة لسعيد بن نجاح واستقرت اسماء أسيرة فأرسلت كتابا الى ابنها الملك المكرم احمد بن الصليحي وكان ملكا في بعض حصون اليمن تخبره وتستحثه على الوثوب على ملك نجاح فجمع جموعا وهرب سعيد ومن سلم معه الى دهلك واستولى (الملك المكرم احمد) على زبيد وانزل الرأسين ودفنهما وولى على زبيد خاله (اسعد ابن شهاب) وماتت اسماء المذكورة بعد ذلك ثم عاد بنو نجاح وملكوا زبيد واخرجوا اسعد منها في سنة تسع وسبعين ثم غلب عليهم الملك المكرم وملك زبيد فملكها في بقايا سنة احدى وثمانين واربعمائة ومات في سنة خمسمائة وترك عدة اولاد فملك ولده (فايك) ثم مات فملك ابنه (منصور) دون البلوغ ثم ملك بعده ولده (فايك بن منصور) ثم ملك بعده ابن عمه واسمه أيضا (فايك بن محمد بن فايك) وهو آخر ملوك اليمن من بني نجاح وكانوا قائمين بدعوة الفاطمية وكانت مدة دولة آل نجاح باليمن مائة وبضع عشرة سنة ثم انتقل الملك الى بني المهدي الحميري

خالعا قميصا كسانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه فقالوا ما صنعت فقال والله لا ينجيهم من الناس الا قتله ولا يحل لنا قتله فادخلوا عليه رجلا من بني ليث فقال له لست بصاحبي لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لك ان تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع فرجع عنه وفارق القوم ودخل عليه رجل من قريش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دما حراما فرجع وفارق أصحابه وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لا تغمدوه ويلكم ان سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لا يقوم الا بالسيف ويلكم ان مدينتكم محفوفة بالملائكة فان قتلتموه لتتركنها فقالوا يا ابن اليهودية ما أنت وهذا فرجع عنهم وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن ابي بكر فقال له عثمان ويلك اعلى الله تغضب هل لي اليك جرم الا حقه اخذته منك فأخذ محمد بلحيته وقال قد أخزاك الله يا نعثل فقال لست بنعثل ولكني عثمان وأمير المؤمنين وكانوا يلقبون به عثمان فقال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن اخي فما كان ابوك ليقبض عليها فقال محمد لو رآك ابي تعمل هذه الاعمال انكرها عليك والذي اريد بك اشد من قبضي عليها فقال عثمان استنصر الله عليك واستعين به فتركه وخرج وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان في يده والاول اصح قال فلما خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان ليضربه فاكبت عليه امرأته واتقت السيف بيدها فنفح أصابعها فاطن أصابع يدها وولت فغمزا وركها وقال انها الكبيرة العجز وضرب عثمان فقتله وقيل الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي وكان عثمان رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يقول له انك تفطر الليلة عندنا فلما قتل سقط من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد اعتق من كف يده منهم فلما ضرب سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ووثب قتيرة على الغلام فقتله وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيرة فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى اخذوا ما على النساء واخذ كلثوم التجيبي ملاءة من على نائلة فضربه غلام لعثمان فقتله وتنادوا ادركوا بيت المال ولا تسبقوا اليه فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه الا غرارتان فقالوا النجاة فان القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس وقيل انهم ندموا على قتله واما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال فاما ثلاث منها فاني طعنتهن اياه لله تعالى واما ست فلما كان في صدري عليه وأرادوا قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن وضربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه واقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعا من اضلاعه وقال سجنت ابي حتى مات في السجن وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام وقيل بل كان قتله سنة ست وثلاثين لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وقيل بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل

واستبد بالامر وتوفي والده الامام في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وتسعمائة ودفن بالجبلة وفي أيام الشريف مطهر عظم امر الاروام بالديار اليمنية وفي هذه السنة سار ازدمر باشا الى صنعاء اليمن وبها الشريف صلاح الدين ابن الامام من قبل مطهر فغلب عليه واستولى على صنعاء فاباحها ثلاثة أيام قتلا ونهبا ثم اقتتل هو والشريف مطهر في قاع صنعاء قتالا شديدا انتصر فيه ازدمر باشا واستولى على حوائج الشريف ثم امتدت الحروب والفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة وفيها وصل من الروم مصطفى باشا المشهور بالنشاري ومعه كتاب من السلطان سليمان مضمونه هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف العالي الخاقاني لا زال نافذا بالعون الصمداني واليمن الرباني الى الامير الكبير الحسيني النسيب فرع الشجرة الزكية الطاهرة وطراز العصابة العلوية الفاخرة الشريف مطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم وثناء أعم نبدي بعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بسامعنا الشريفة

افتتح طه فما شغله ما سمع ما يخطى وما يتتعتع حتى أتى عليها فلما فرغ جلس الى المصحف يقرأ فيه وقرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقال لمن عنده بالدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأخرج على رجل ان يستقتل او يقاتل وقال للحسن ان أباك الآن لفي امر عظيم من امرك فاقسمت عليك لما خرجت اليه فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله فبرز المغيرة بن الاخنس بن شريق وكان قد تعجل من الحج في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار وارتجز يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والحلى والانامل الطفول
لتصدقن بيعتي خليلي * بصارم ذي رونق مصقول
* لا أستقيل اذ أقلت قيلي *

وخرج الحسن بن علي وهو يقول

لا دينهم ديني ولا أنا منهم * حتى اسير الى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول

انا ابن من حامى عليه بأحد * ورد احزابا على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداة الدار والموت واقف * بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نصرة * نشافههم بالضرب والموت ناقب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان عليه وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال هذا يوم طاب فيه الضرب ونادى يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار وبرز مروان وهو يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والكف والانامل الطفول
اني أروع أول الرعيل * بغارة مثل القطا الشليل

فبرز اليه رجل من بني ليث يدعى النباع فضربه مروان وضربه مروان على رقبته فاثبته وقطع احد علباويه فعاش مروان بعد ذلك اوقص وقام اليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليذفف عليه فقامت فاطمة ام ابراهيم بن عدي وكانت ارضعت مروان وارضعت له فقالت ان كنت تريد قتله فقد قتل وان كنت تريد ان تلعب بلحمه فهذا قبيح فتركه وادخلته بيتها فعرف لها بنو ذلك واستعملوا ابنها ابراهيم بعد ونزل الى المغيرة بن الاخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة قال فلما سمع الناس يذكرونه قال انا لله وانا اليه راجعون فقال له عبد الرحمن بن عديس ما لك فقال رأيت فيما يرى النائم هاتف يهتف فقال بشر قاتل المغيرة بن الاخنس بالنار فابتليت به واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها ودخلوا من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان حتى ملؤها ولا يشعر من بالباب وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا يقتله فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال اخلعها وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا اسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست

من بني حنيفة وكان مذهبهم التكفير بالمعاصي وكان من دأبهم قتل من خالف اعتقادهم من اهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم

* (الباب الثاني والعشرون في ذكر ملوك اليمن من أولاد الرسول وأبناء فاطمة الزهراء البتول) *

اولهم الامام المهدي لدين الله الشريف (احمد بن يحيى بن رسول) ثم ولده النجيب السيد الجليل المدعو بالخليفة والامام أمير المؤمنين (شرف الدين يحيى) بن شمس الدين المهدي لدين الله وكان جده شرف الدين من علماء الزيدية وهو مصنف كتاب الاحكام في اصول الزيدية وكان شرف الدين هذا يدعي الاجتهاد ويقول تقليد الحي خير من تقليد الميت وكانت عامة بلاد اليمن في يده الى ان ذهب من بلاد الروم اويس باشا في شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وانتزع زبيد وظفار وغيرهما من يده بعد مقاتلة عديدة ثم استولى على مدينة تعز واستبد في أموالها وبذلك تزلزل أمر الشريف وعصى كل عامل له في ناحية ثم وقع الوحشة بينه وبين ولده الكبير الشريف (مطهر)

فى الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضى به (قيل وكان كعب بن ذى الحبكة النهدى يلعب بالنار نجيات فبلغ عثمان فكتب الى الوليد ان يوجعه ضربا فعزره واخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان وفيه انه قد جد بكم فجدوا واياكم والهزل فغضب كعب وكان فى الذين خرجوا عليه وكان سيره الى دنباوند فقال فى ذلك للوليد

لعمرى لئن طردتنى ما الى التى * طمعت بها من سقطتى لسبيل
رجوت رجوعى يا ابن أروى ورجعتى * الى الحق دهرا غال ذلك غول
فان اغترابى فى البلاد وجفوتى * وشتمى فى ذات الاله قليل
وان دعائى كل يوم وليلة * عليك بدنباوندكم لطويل

قال وأما ضابئ بن الحرث البرجمى فانه استعار فى زمن الوليد بن عقبة من قوم من الانصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعه الانصاريون منهم فهجاهم وقال

تجشم دونى وفد قرحان خطة * تضل لها الوجناء وهى حسير
فباتوا شباعا ناعمين كانما * حباهم ببيت المرزبان امير
فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم * فان عقوق الامهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان فعزره وحبسه فما زال فى السجن حتى مات فيه وقال فى الفتك معتذرا الى أصحابه

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله
وقائلة قد مات فى السجن ضابئ * الا من لخصم لم يجد من يحاوله

فلذلك صار ابنه عمير سبئيا قال وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ فانهما سارا الى المدينة لقتل عثمان فاما عمير فانه نكل عنه واما كميل فانه جسر وثاوره فوجأ عثمان وجهه فوقع على استه فقال أوجعتنى يا أمير المؤمنين قال أولست بفاتك قال لا والله فقال عثمان فاستقدنى وقال دونك فعفا عنه وبقيا الى أيام الحجاج فقتلهما وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى قيل وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك معونة على مروءتك قيل فلما حصر عثمان قال على لطلحة أنشدك الله الا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطى بنو أمية الحق من أنفسها وكان عثمان يلقب ذا النورين لانه جمع بين ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم قال الاصمعى استعمل عبد الله بن عامر قطن بن عبد عوف على كرمان فاقبل جيش للمسلمين فنعهم سيل فى واد من العبور وخشى قطن الفوت فقال من عبر له ألف درهم فحملوا انفسهم وعبروا وكانوا أربعة آلاف فاعطاهم أربعة آلاف ألف درهم فأبى ابن عامر ان يجرى ذلك له وكتب الى عثمان فكتب عثمان أن احسبها له فانه انما اعان بها فى سبيل الله فلذلك سميت الجوائز لاجازة الوادى وقال حسان بن زيد سمعت عليا وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته يا أيها الناس انكم تكثرون فى وفى عثمان فان مثلى ومثله كما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال ابو حميد الساعدى وهو بدرى وكان مجانبا لعثمان فلما قتل عثمان قال والله ما أردنا قتله اللهم لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك

(ذكر نسبه وصفته وكنيته)

المنصورة وصحبته ثلاثة آلاف من جنودنا المنصورة معونة لامير الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام ازدمر باشا دامت معدلته حال وصول ركاب مصطفى باشا المشار اليه الى تلك الديار تقابله بقلب منشرح وصدر منفسح وتمشى تحت صنا جقنا الشريفة وتكون مع عساكرنا المنصورة على قلب رجل واحد فان فعلت فأنت من الفائزين ولا تخف ولا تحزن انك من الآمنين وان حصل والعياذ بالله خلاف ذلك واستمر على الضلال والعناد فيصير دمه فى رقبته ويهلك نفسه ويدخل فى قول اصدق القائلين يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين ويصير بعد الوجود الى العدم ويندم حيث لا ينفعه الندم وقد حذرناه رأفة به وتحننا عليه فان خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها ولنخرجنه منها اذلة لا ملجأ له من سطوتنا لا اليه ومثله لا يدل الا على صوابه (صورة كتاب المطهر) نور الله شموس الاسلام ومطالعها وبفروعين معين الشريعة النبوية وأنبعها وفتح أكمام السعادة الابدية وأينعها ولا لأ

خمسا وسبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة

(ذكر الموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه)

قيل بقى عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم ان حكيم بن حزام القرشى وجبير بن مطعم كلما عليا فى ان يأذن فى دفنه ففعل فلما سمع من قصد بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم وفيهم الزبير والحسن وابو جهم بن حذيفة ومروان بين المغرب والعشاء فاتوا به حائطا من حيطان المدينة يسمى حش كوكب وهو خارج البقيع فصلى عليه جبير بن مطعم وقيل حكيم ابن حزام وقيل مروان وجاء ناس من الانصار ليمنعوا من الصلاة عليه ثم تركوهم خوفا من الفتنة وأرسل على الى من اراد ان يرجم سريره ممن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه ودفن فى حش كوكب فلما ظهر معاوية بن ابى سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهدم وأدخل فى البقيع وامر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتصل الدفن بمقابر المسلمين وقيل انما دفن بالبقيع مما يلى حش كوكب وقيل شهد جنازته على وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من ثم من أصحابه قال وقيل لم يغسل وكفن فى ثيابه

(ذكر بعض سيرة عثمان)

قال الحسن البصرى دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان اليه فقضى بينهما وقال الشعبى لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة وقال أخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم فى البلاد فان جاء الرجل منهم ليستأذنه فى الغزو فيقول قد كان لك فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من غزوك اليوم ان لا ترى الدنيا ولا تراك وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من اهل مكة فلما ولى عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البلاد وانقطع اليهم الناس وكان أحب اليهم من عمر قيل وحج عثمان بالناس سنوات خلافته كلها وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر وكتب الى الامصار ان يوافيه العمال فى الموسم ومن يشكوهم وان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانه مع الضعيف على القوى مادام مظلوما وقيل كان اول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمى على الجلاهقات وهى قوس البندق واستعمل عليها عثمان رجلا من بنى ليث سنة ثمان من خلافته فقص الطيور وكسر الجلاهقات قيل وسأل رجل سعيد ابن المسيب عن محمد بن أبى حذيفة ما دعاه الى الخروج على عثمان فقال كان يتيما فى حجر عثمان وكان والى ايتام أهل بيته ومحتملا كلهم فسأل عثمان العمل فقال يا بنى لو كنت رضا لاستعملتك قال فأذن لى فاخرج فاطلب الرزق قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله واعطاه فلما وقع الى مصر كان فيمن اعان عليه حيث منعه الامارة قيل وعمار بن ياسر كان بينه وبين عباس ابن عتبة بن ابى لهب كلام فضربهما عثمان فأورث ذلك تعاديا بين اهل عمار وأهل عباس وكانا تقاذفا قيل وسئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبى بكر ما دعاه الى ركوب عثمان قال الغضب والطمع كان من الاسلام بمكان فغره اقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فأخذه عثمان من ظهره فاجتمع هذا الى ذلك فصار مذمما بعد ان كان محمدا قيل واستخف رجل بالعباس بن عبد المطلب فضربه عثمان فاستحسن منه ذلك وقال أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص

الخلاص لدينا وانقياده الى جنابنا وباقفنا الآن عنه خلاف ذلك وتغيير ما كتبنا به فى السابق وانه وقع بينه وبين امرائنا وعساكرنا بتلك البلاد خلاف كثير ووقائع متناقضة عم ضررها الامور والامير وهذا من الخطأ المحض المرتب عليه ذهاب الارواح لمن عقل وفهم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أمامه لان عساكرنا المنصورة لا يعجزهم صغير ولا كبير ولا جليل ولا حقير والآن حضرنا القينا شرذمة من عساكرنا المنصورة قابلين نحو مائة الف أو يزيدون وأردنا ان نلحق الجيش بالجيش حتى تصل عساكرنا المنصورة أولهم فى البلاد اليمنية وآخرهم فى ممالكنا المحمية ولكن غلب حلمنا عليه لكونه سلالة سيد المرسلين ومن آل بيت النبوة الطاهرين ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة قبل اتساع الخرق عليه ان نعرفه بعض الامور وقد اقتضت أوامرنا الشريفة تعيين افتخار الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام مصطفى باشا بكاربكى زبيد سابقا وقادامت معه المقاتلة باشا على العساكر

نقطتان وياء ثانية وآخره نون تصغير عين والنسير بالنون والسين المهملة تصغير نسر)

﴿ ذكر الخبر عمن كان يصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان ﴾

قيل وجاء ذلك اليوم الذي منع فيه عثمان الصلاة سعد القرظ وهو المؤذن الى علي بن ابي طالب فقال من يصلي بالناس فقال ادع خالد بن زيد فدعاه فصلى بالناس فهو أول يوم عرف ان اسم أبي أيوب الانصاري خالد بن زيد فصلى أياما ثم صلى بعد ذلك بالناس وقيل بل أمر علي سهل بن حنيف فصلى بالناس من اول ذي الحجة الى يوم العيد ثم صلى علي بالناس العيد ثم صلى بهم حتى قتل عثمان وقد تقدم غير ذلك في ذكر قتله

﴿ ذكر ما قيل فيه من الشعر ﴾

قال حسان بن ثابت الانصاري

أتركتم غزو الدروب وراءكم * وغزوتمونا عند قبر محمد
فلبئس هدي المسلمين هديتم * ولبئس أمر الفاجر المتعمد
ان تقدموا نجعل قرى سرواتكم * حول المدينة كل لين مذود
أو تدبروا فلبئس ما سافرتم * ولمثل امر اميركم لم يرشد
وكأن أصحاب النبي عشية * بدن تذبح عند باب المسجد
ابكي أبا عمرو لحسن بلائه * امسى ضجيعا في بقيع الغرقد

وقال ايضا

ان تمس دار ابن أروى اليوم خاوية * باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته * فيها ويهوى اليها الذكر والحسب
يا ايها الناس أبدوا ذات أنفسكم * لا يستوي الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا * بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم * مستلئما قد بدا في وجهه الغضب

وقال ايضا

من سره الموت صرفا لا مزاج له * فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماذي قد شفعت * قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمي وما ولدت * قد ينفع الصبر في المكروه احيانا
لقد رضينا بأهل الشام نافرة * وبالامير وبالاخوان اخوانا
اني لمنهم وان غابوا وان شهدوا * ما دمت حيا وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال أبو عمر بن عبد البر وقد ذكر بعض هذه الابيات وقد زاد فيها اهل الشام ولم ارد ذكره وهو ما فيها من ذكر علي وهو

ياليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا

وقال الوليد بن عقبة بن ابي معيط يحرض اخاه عمارة

ونحسن من مودتكم على يقين ونرجو أنكم لا تصغوا اذنا لكلام الفاسقين ولا تقطعوا حق الذرية النبي الامين وابناء علي الانزع البطين كرم الله وجهه في عليين قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وذلك هدى الكتاب المبين وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به ان يرعى ويقر من عين النبي الكريم عينا وسيدا والذي أشرتم اليه من الوقوع في الفتنة لعساكركم المنصورة وجيوشكم القاهرة الموفورة ليس له صحة ولا ثبات ولا كان لنا الى حربهم قصد ولا التفات بل ضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفا وأماما ودهمونا بمدافع لا يرمي بها الا الذين يعبدون اصناما ولم يعلموا اننا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراما ومن الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فدفعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع ودرأنا عن محارمنا وتركنا الدرء عنها لا يستطاع وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى الى هذه الجهات اليمنية والديار التي هي بسيوف قهركم محمية بسط عدله في أهل اليمن واخمد نيران الفتن ما ظهر منها وما بطن واطلع على الحقائق وهو يعرفكم عن حالنا السابق وما نحن

أما نسبه فهو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وامها ام حكيم بنت عبد المطلب واما صفته فانه كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدرى كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وقيل كان كثير شعر الرأس أروح الرجلين واما كنيته فانه كان يكنى ابا عبد الله بولد جاءه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله توفى وعمره ست سنين نقره ديك فى عينه فمرض فمات فى جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة وقيل كان يكنى أبا عمرو

﴿ ذكر وقت اسلامه وهجرته ﴾

قيل كان اسلامه قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان ممن هاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر أزواجه وأولاده ﴾

تزوج رقية وام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له رقية عبد الله وتزوج فاختة بنت غزوان فولدت له عبد الله الاصغر هلك وتزوج ام عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسية ولدت له عمرا وخالدا وابانا وعمر ومريم وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ولدت له الوليد وسعيدا وأم سعيد وتزوج ام البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ولدت له عبد الملك هلك وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة ولدت له عائشة وام أبان وأم عمرو وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية ولدت له مريم بنت عثمان وقيل ولدت له ام البنين بنت عيينة عبد الملك وعتبة وولدت له نائلة عنبسة وكان له منها ايضا ابنة تدعى ام البنين وكانت عند عبد الله بن يزيد ابن أبى سفيان وقتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وام البنين ابنة عيينة وفاختة بنت غزوان غير أنه طلق أم البنين وهو محصور فهؤلاء أزواجه فى الجاهلية والاسلام وأولاده

﴿ ذكر أسماء عماله فى هذه السنة ﴾

كان عماله فى هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمى وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر خرج منها ولم يول عثمان عليها أحدا وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهرى وعلى الاردن ابو الاعور السلمى وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنانى وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزارى وعلى القضاء أبو الدرداء فى قول بعضهم والصحيح انه كان قد توفى قبل أن قتل عثمان وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزنى وهو صاحب المسناة الى جانب الكوفة وسماك الانصارى وعلى حربها القعقاع بن عمرو وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى اذربيجان الاشعث بن قيس الكندى وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى ماه مالك بن حبيب وعلى همذان النسير وعلى الرى سعيد بن قيس وعلى اصبهان السائب بن الاقرع وعلى ماسبذان حبيش وعلى بيت المال عقبة بن عامر وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت (عتيبة بن النهاس بالتاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة وعيينة بن حصن بالياء تحتها نقطتان

كواكب الدين الحنيفى واسطعها واعلى منارات الملة البيضاء ورفعها وكسر فواجم قرون الشرك والبغى وقمعها بدوام ايام مولانا السلطان العظيم ذى الملك الباهر القاهر المستقيم القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار اثيم الهادى بأوامره ونواهيه الى سواء الصراط المستقيم المتسم بحماية آل الرسول وابناء فاطمة البتول الملك المظفر المنصور والهمام المؤيد المشهور السلطان سليمان ابن سليم اهدى الى مقامه الشريف بجانب كاتب التحيات والتسليم ورحمته الطيبة وبركاته الصيبة الموصلة بنعيم دار النعيم وحرس جنابه العالى من صروف الايام والليالى وبعد فانه ورد الينا من تلقائه اطال الله تعالى للمسلمين والاسلام فى بقائه مرسوم سطعت أنواره وطلعت بالمسرات شموسه واقماره وعرفنا ماذكره سلطاننا سلطان الامم ومالك رقاب العرب والعجم فالحمد لله الذى وفقنا الطاعته وأزالنا عن السلوك فى مسالك مخالفته كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق ومعصيتكم يظلم منها المغارب والمشارق

عثمانية فاما حسان فكان شاعرا لا يبالى ما يصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يا معشر الانصار كونوا انصارا لله مرتين فقال له ابو ايوب ما تنصره الا لانه أكثر لك من العبدان وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك له ما أخذ منهم ولم يبايعه عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة فاما النعمان بن بشير فانه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التى قطعت وقميص عثمان الذى قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الاصابع فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدا فى أمرهم ثم رفعه فاذا احس منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لها حوارها تحن فيعلقها وقد قيل ان طلحة والزبير انما بايعا عليا كرها وقيل لم يبايعه الزبير ولا صهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد فأما على قول من قال ان طلحة والزبير بايعا كرها فقال ان عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة ايام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه ووجدوا طلحة فى حائط له ووجدوا سعدا والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بنى امية قد هربوا الا من لم يطق الهرب وهرب سعيد والوليد ومروان الى مكة وتبعهم غيرهم فأتى المصريون عليا فباعدهم وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم وأتى البصريون طلحة فباعدهم وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة فارسلوا الى سعد يطلبونه فقال انى وابن عمر لا حاجة لنا فيها فأتوا ابن عمر فلم يجبهم فبقوا حيارى قال بعضهم لبعض ان رجع الناس الى امصارهم بغير امام لم نأمن الاختلاف وفساد الامة فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم يا أهل المدينة انتم اهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وحكمكم جائز على الامة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع وقد أجلنا كم يومكم فوالله ان لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وناسا كثيرا فغشى الناس عليا فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من بين القرى فقال على دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشدك الله الا ترى ما نحن فيه الا ترى الاسلام الا ترى الفتنة الا تخاف الله فقال قد اجبتكم واعلموا انى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وان تركتمونى فانما أنا كاحدكم الا انى من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا ان دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون الى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا احذر لا تحابه ومعه نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف فبايع وبعثوا الى طلحة الاشتر ومعه نفر فأتى طلحة فقال دعنى انظر ما يصنع الناس فلم يدعه فجاء به يتله تلا عنيفا وصعد المنبر فبايع وكان الزبير يقول جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت والسيف على عنق وأهل مصر فرحون فلما اجتمع عليه أهل المدينة وقد خشع أهل الكوفة والبصرة ان كانوا اتباعا لاهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظا ولما أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على فصعد المنبر وقال ايها الناس عن ملا واذن ان هذا أمركم ليس لاحد فيه حق الا من أمرتم وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فأبيتم الا ان أكون عليكم الا وانه ليس لى دونكم الا مفاتيح مالكم معى وليس لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على

مرادباشا اقام رضوان باشا مكانه نائبا باليمن أميرا يقال له قزل باش محمد بيك وارتحل هو الى الباب العالى فاغتنم الفرصة الشريف فقام واستولى على صنعاء ونواحيها وقاتل الاروام قتالا شديدا حتى أفناهم وكان الباشا مراد قد وصل اذذاك الى زبيد فرأى ان يسير الى تعز خوفا عليها وعلى ما فيها من الخزائن السلطانية فلما كان بوادى حدان استقبلهم العرب وهم فى عدد لا يعلمهم الا الله تعالى وكان عدد الاروام ثلاثة آلاف نفر فوقع القتال بين الفريقين حتى انتصر العرب وهزموا الاروام وأفنوهم قتلا وأسرا ثم ساروا وغلبوا على عامة بلاد اليمن حتى لم يبق بيد الاروام الا زبيد ثم حاصروا زبيد مدة أربعين يوما الى ان وصل من باب السلطان عثمان باشا ابن ازدمر فى جمادى الاولى سنة ست وسبعين وتسعمائة فدخل زبيد وأصلح شأنها ثم سار منها بعد أن مكث بها مدة اشهر بالعسكر فحاصر تعز وبها على بن سوغان نائب الشريف الى ان انتصر عليه وانتزع البلدة من يده ثم قدم محمد بن شمس الدين قائد الشريف بعسكر كثير فحاصر عثمان باشا بتعز فى

الان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فان يك ظني بابن امي صادقا * عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
يبيت وأوتار ابن عفان عنده * مخيمة بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن العباس

اتطلب ثارا لست منه ولا له * وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمها * وتنسى أباها اذ تسامي اولي الفخر
الا ان خير الناس بعد ثلاثة * وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه * وأول من اردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الانصار ظلم ابن أمكم * بزعمكم كانوا له حاضري النصر
كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله * وأن يسلموه للاحابيش من مصر

قوله وأين ابن ذكوان فان الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو اسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ويذكر جماعة من النسابين ان ذكوان مولى لامية فتبناه وكناه ابا عمرو ويعني انك مولى لست من بني امية حتى تكون ممن يطلب بثار عثمان وقال غيرهم من الشعراء ايضا بعد مقتله فمن بين مادح وهاج ومن ناع وباك ومن سار فرح فمن مدحه حسان كما تقدم وكعب بن مالك في آخرين غيرهم كذلك

﴿ ذكر بيعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﴾

وفي هذه السنة بويع امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد اختلفوا في كيفية بيعته فقيل انه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له انه لا بد للناس من امام قال لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك وترددوا اليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك انا لا نعلم أحدا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا اقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فاني اكون وزيرا خيرا من ان أكون أميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفية ولا تكون الا في المسجد وكان في بيته وقيل في حائط ابي عمرو بن مبذول فخرج الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئا على قوس فبايعه الناس وكان اول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال انا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير وقال لهما علي ان احببتما أن تبايعاني وان احببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا انه لا يبايعنا وهربا الى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر وبايعه الناس وجاؤا بسعد بن ابي وقاص فقال علي بايع فقال لا حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس فقال خلوا سبيله وجاؤا بابن عمر فقالوا بايع قال لا حتى يبايع الناس قال ائتني بكفيل قال لا ارى كفيلا قال الاشتر دعني اضرب عنقه قال علي دعوه انا كفيله انك ما علمت لسيء الخلق صغيرا وكبيرا وبايعت الانصار الا نفيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا

عليه من حسن المساعي والطرائق ولعمري انه اجل عظيم وذو شأن فخيم فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا ويدفع بعنايته عن الانام والاسلام شرورا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الباشا مصطفى والباشا ازدمر صعدا الى صنعاء وحشدا عسكرا كثيرا فحاصرا الشريف في حصن ثلا مدة طويلة فلم يغنيا شيأ وقيل دخلا بعد ان استأمنا على أنفسهما فوقع بينهما المهادنة والمسالمة ثم نزلا وفي سنة ثنتين وستين وتسعمائة وقع القحط العظيم باليمن حتى اكل الناس الشجر والعشب ومات أكثرهم جوعا ومات من اهل الجبال بمدينة اب نحو خمسة آلاف نفر ومن أهل المدينة نحو أربعة آلاف نفر وكان سبب ذلك حدوث الجراد بها وطول مكثه حتى أكل الاشجار والنباتات ثم دخل على الناس في بيوتهم فخاف الناس منه خوفا عظيما وفي سنة خمس وستين وتسعمائة وقع باليمن طاعون عظيم أهلك من أهلها خلقا كثيرا وكانت الامطار والخصب كثيرا وفي عام أربعة وسبعين وتسعمائة عزل نائب صنعاء الباشا رضوان وعين مكانه مراد باشا فقبل ان يصل

فسمع ذلك خطيبهم وذكر فضائلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والاجر من الله عليه ونادى برئت الذمة من عبد لا يرجع الى مولاه فتذامرت السبئية والاعراب وقالوا لنا غدا مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشئ وقال ايها الناس اخرجوا عنكم الاعراب فليلحقوا بمياههم فابت السبئية واطاعهم الاعراب فدخل علىّ بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثاركم فاقتلوه فقالوا عموا عن ذلك فقال هم والله بعد اليوم اعمى وقال

ولو ان قومى طاوعتنى سراتهم * امرتهم امرا يديخ الاعاديا

وقال طلحة دعنى آتى البصرة فلا يفجؤك الا وانا فى خيل وقال الزبير دعنى آتى الكوفة فلا يفجؤك الا وانا فى خيل فقال حتى انظر فى ذلك قيل وقال ابن عباس اتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودى من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا فقال قال لى قبل مرته هذه ان لك حق الطاعة والنصيحة وانت بقية الناس وان الرأى اليوم تحرز به ما فى غد وان الضياع اليوم تضيع به ما فى غد اقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على اعمالهم حتى تاتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت فابيت عليه ذلك وقلت لا اداهن فى دينى ولا اعطى الدنية فى امرى قال فان كنت ابيت على فانزع من شئت واترك معاوية فان فى معاوية جرأة وهو فى اهل الشام يستمع منه ولك حجة فى اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام فقلت لا والله لا استعمل معاوية يومين ثم انصرف من عندى وانا اعرف فيه انه يود انى مخطئ ثم عاد الىّ الآن فقال انى اشرت عليك اول مرة بالذى اشرت وخالفتنى فيه ثم رأيت بعد ذلك ان تصنع الذى رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم اهون شوكة مما كان قال ابن عباس فقلت لعلىّ اما المرة الاولى فقد نصحك واما المرة الثانية فقد غشك قال ولم نصحنى قلت لان معاوية واصحابه اهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون من ولى هذا الامر ومتى تعزلهم يقولون اخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فتنتقض عليك الشام واهل العراق مع انى لا آمن طلحة والزبير ان يكرا عليك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايعك فعلىّ ان اقلعه من منزله وقال علىّ والله لا اعطيه الا السيف ثم تمثل

وما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا امير المؤمنين انت رجل شجاع لست صاحب رأى فى الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال بلى فقلت اما والله لئن اطعتنى لاصدرنهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون فى دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية فى شئ قال ابن عباس فقلت له اطعنى والحق بمالك بينبع واغلق بابك عليك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فابى علىّ فقال تشير علىّ وارى فاذا عصيتك فاطعنى قال فقلت افعل ان ايسر مالك عندى الطاعة فقال له علىّ تسير الى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأى معاوية رجل من بنى امية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن ان يضرب عنقى بعثمان وان ادنى ما هو صانع ان يحبسنى فيتحكم علىّ لقرابتى منك وان كل ما حمل

مطهر ودفن فى الاوبولى مكانه ولده (يحيى بن على بن مطهر) والآن آل الامر الى قريبه وصهره (على بن سويع) استمال القلوب وقاد الجيوش واستولى على صعدة فصار يحيى مغلوبا بالطور

(الباب الثالث والعشرون فى ذكر ملوك الغرب من الطوائف ذوى المفاخر والمعارف)

فلما انقرضت الدولة الاموية من الغرب اقتسمها اصحاب الاطراف وصاروا امثال ملوك الطوائف فاما قرطبة فاستولى عليها (ابو الحسن على) بن جهور الى ان مات سنة خمس وثلاثين واربعمائة وقام بامر قرطبة بعده ابنه (الوليد محمد بن على) ثم سار الى الامير (المعتمد بن عباد) ثم اخذها منه (ابن تاشفين) وقتل المذكور ووزيره ابا بكر بن زيدون وكانا من خيار الناس والوليد هذا هو الذى انشأ القصيدة الفراقية المشهورة التى يقول فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم ايامنا فغدت
سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالامس كنا ولا يخشى تفرقنا

أحدقة الواشين على ما فارقنا عليه بالامس فقال اللهم اشهد ولما جاؤا بطلحة ليبايع فقال انما ابايع كرها فبايع وكان به شلل فقال رجل يعتاف انا لله وانا اليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الامر ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفي الزبير اختلاف ثم جيء بعده بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على اقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا وصار الامر امر أهل المدينة وكانهم كما كانوا فيه وتفرقوا الى منازلهم وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة والناس يحسبون بيعته من قبل عثمان وأول خطبة خطبها علي حين استخلف حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض ادوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم الموت فان الناس امامكم وان ما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس اخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت السبئية

خذها اليك واحذرن ابا حسن * انا نمر الامر امرار الرسن
صولة أقوام كاشداد السفن * بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن * حتى يمرون على غير عنن

فقال علي

اني عجزت عجزة لا اعتذر * سوف أكيس بعدها واستمر
ارفع من ذيلي ما كنت أجر * واجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبني العجول المنتصر * ان تتركوني والسلاح يبتدر

ورجع علي الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة فقالوا يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا بانفسهم فقال يا اخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه ابدا الا ان يشاء الله ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض آخذ بها ابدا ان الناس من هذا الامر ان حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وتركها على حالها واعا هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم فبعضهم يقول ما قال علي وبعضهم يقول نقضي الذي علينا ولا نؤخره والله ان عليا لمستغن برأيه وليكونن اشد على قريش من غيره

منتصف هذا العام ثم انضم الى عثمان باشا سنان باشا الوزير لمعونة عثمان باشا فقاتلوا القائد المذكور من الضحى الى الليل حتى أجلوه عن البلد وغنموا أسبابه ثم لم يزل يسير الباشا سنان بالعساكر والجنود يقاتل العرب حتى وصل الى القاعدة ثم الى الشوال ثم الى حبيش ثم الى النفكسر وتعران ثم الى زياد ثم الى صنعاء ثم الى قيعان ثم الى كوكبان فحاصرها مدة سبعة أشهر ثم افتتحها ثم وصل من السلطان بهرام باشا موليا على البلاد اليمنية فوصل الى تعز ثم الى القاعدة وفيها اقدم على ابن الامام صاحب حبب في ثلاثين ألف مقاتل وقاتل بهرام باشا من الضحوة الى الظهر فانتصر بهرام باشا وقتل من العرب مائة وعشرين نفرا ثم حاصر بهرام باشا الامير المذكور في حصن حبب فلم يزل يعمل الحيلة في احراق بيت البارود حتى تم له ذلك ثم لم يلبث أن مات الامير المذكور فاذعن أهله بالطاعة وذلك في رجب ثم كان لبهرام باشا المذكور في فتح البلاد اليمنية قدم راسخة وفي غرة رجب سنة ثمانين وتسعمائة توفي صاحب البلاد اليمنية الشريف

فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخربتا وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنحن على جديلتنا حتى تحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع علي ما لم يقدم إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة وكتب قيس الى علي بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر في ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وقالت فرقة ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثأر عثمان وهو يقول لهفي على امر لم يسبقني ولم أدركه وكان خروجه عند عوده القعقاع من اغاثة عثمان فلما لقي عمارة قال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فان ابيت ضربت عنقك فرجع عمارة الى علي بالخبر وانطلق عبيد الله ابن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن منية كل شيء من الجباية وخرج به الى مكة فقدمها بالمال ودخل عبيد الله اليمن ولما رجع سهل بن حنيف من الشام وأتت عليا الاخبار دعا طلحة والزبير فقال ان الامر الذي كنت أحذركم قد وقع وان الذي قد وقع لا يدرك الا باماتته وانها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكاثر وأما ان تدعنا فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكي وكتب الى معاوية والى أبي موسى فكتب اليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك حتى كان علي كأنه يشاهدهم وكان رسول علي الى أبي موسى معبد الاسلمي وكان رسوله الى معاوية سبرة الجهني فقدم عليه فلم يجبه معاوية بشيء كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله

أدم ادامة حصن أو خذا بيدي ✽ حربا ضروسا تشب الجزل والضرما

في جاركم وابنكم اذ كان مقتله ✽ شنعاء شيبت الاصداغ واللمما

اعيا المسود بها والسيدون فلم ✽ يوجد لنا غيرنا مولى ولا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية رجلا من بني عبس يدعى قبيصة فدفع اليه طومارا مختوما عنوانه من معاوية الى علي وقال له اذا دخلت المدينة فاقبض على اسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول واعاد رسول علي معه فخرجا فقدما المدينة في ربيع الاول فدخلها العبسي كما أمره قد رفع الطومار فتبعه الناس ينظرون اليه وعلموا ان معاوية معترض ودخل الرسول على علي فدفع اليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك قال آمن انا قال نعم ان الرسول لا يقتل قال ورائي اني تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من خيط رقبتك وتركت ستين الف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق قال أمني يطلبون دم عثمان ألست موتورا كترة عثمان اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان نجا والله قتلة عثمان الا أن يشاء الله فانه اذا أراد امرا أصابه اخرج قال واني آمن قال وانت آمن فخرج العبسي وصاحت السبئية وقالت هذا الكلب رسول الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل اقسم بالله ليردنها عليكم اربعة آلاف خصي فانظروا كم الفحول والركاب وتعاونوا عليه فمنعته مضر فجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا أتاهم ما يوعدون لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله اعمالهم وذهبت ريحهم فوالله

فاستولى عليها قاضيها (ابو القاسم محمد) بن اسمعيل بن عباد اللخمي المنذري ثم صارت للامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) واما سرقسطة والثغر الاعلى فصارت بعد المنذر بن يحيى لولده وبعد ولده الى (سليمان بن أحمد) بن محمد بن هود الجذامي وتلقب بالمستعين بالله وكان به من البسالة والشجاعة ما لا يوصف وهو الذي وجد في زمانه في المعركة بعد ارتفاع الحرب مع الكفار قطعة من بيضة الخودة الحديد قد دخلت بها اسوته من الرأس فيقال انه لم ير قط ضربة أقوى منها ثم صارت بعده لولده (احمد بن سليمان) الملقب بالمقتدر بالله وهو الذي كسر الطاغية وزدمير عظيم الروم بعد ان اشرفوا على الانهزام وكانت وقعة هائلة ثم صارت بعده لولده (عبد الملك) بن أحمد بن سليمان ثم صارت بعده لابنه (أحمد ابن عبد الملك) وتلقب بالمنتصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس ثلثمائة فصارت بلادها جميعها للموحدين وأما طليطلة وطرطوشة وبلنسية فصارت الى (اسمعيل بن عبد الرحمن) وتلقب بالظافر بحول الله ثم ملك بعده ولده (المأمون

عليك حل على ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده فقال لا والله لا كان هذا ابدا وكان المغيرة يقول نصحته فلما لم يقبل غششته وخرج فلحق بمكة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أعنى سنة خمس وثلاثين سار قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب يريد أرض المسلمين قبل قتل عثمان فسلط الله عليهم ريحا عاصفا فغرقهم ونجا قسطنطين فأتى صقلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا هكذا قال ابو جعفر وهذا قسطنطين هو الذى هزمه المسلمون فى غزوة الصوارى سنة احدى وثلاثين وقتله أهل صقلية فى الحمام وان كانوا قد اختلفوا فى السنة التى كانت الوقعة فيها فلولا قوله ان المراكب غرقت لكانت هذه الحادثة هى تلك فانها فى قول بعضهم كانت سنة خمس وثلاثين * وفى خلافة عثمان مات أوس بن خولى الانصارى وفى خلافة عثمان أيضا مات الجلاس بن سويد الانصارى وكان من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسنت توبته وفيها مات الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو الملقب ببة وفى آخرها مات الحكم بن أبى العاص وهو والد مروان وعم عثمان * وفيها مات حبان بن منقذ الانصارى وهو والد يحيى بن حبان (بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة) وفيها مات عبد الله بن قيس بن خالد الانصارى وقيل بل قتل بأحد شهيدا وفى خلافته مات قطبة بن عامر الانصارى وهو عقبى بدرى وفى خلافته مات زيد بن خارجة بن زيد الانصارى وهو الذى تكلم بعد موته وفيها قتل معبد بن العباس بن عبد المطلب بافريقية فى آخر خلافة عثمان * وفيها مات معيقيب بن أبى فاطمة وكان من مهاجرة الحبشة وكان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل مات سنة أربعين فى خلافة على وفيها مات مطيع بن الاسود العدوى وكان اسلامه يوم الفتح * وفى خلافته مات نعيم بن مسعود الاشجعى وقيل بل قتل فى وقعة الجمل مع مجاشع بن مسعود وفى خلافته مات عبد الله بن حذافة السهمى وهو بدرى وكان فيه دعابة * وفيها مات عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى والد عمر الشاعر وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حصر فسقط عن راحلته فمات وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مات فى خلافة على وهو أصح * وفى خلافته توفى أبو سبرة ابن أبى رهم العامرى من عامر بن لؤى وهو بدرى * وفيها مات هاشم بن عتبة بن ربيعة خال معاوية أسلم يوم الفتح وكان صالحا * وفيها مات ابو الدرداء وقيل عاش بعده والاول أصح

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين﴾

﴿ذكر تفريق على عماله وخلاف معاوية﴾

وفى هذه السنة فرق على عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكان له هجرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على اى شئ قال على الشام قالوا ان كان بعثك عثمان فحى هلا بك وان كان بعثك غيره فارجع قال اوما سمعتم بالذى كان قالوا بلى فرجع الى على وأما قيس بن سعد فانه لما انتهى الى ايلة لقيته خيل فقالوا له من أنت قال من فالة عثمان فأنا اطلب من آوى اليه فانتصر به لله قالوا من أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق اهل مصر فرقا فرقة دخلت فى الجماعة

واليوم بتاولا يرجى تلاقينا
وهى قصيدة طويلة بديعة
وأما (بطليوس) فاستولى عليها بعد المنصور سابور الفتى العاوى ينسب الى بنى الافطس البربرى وأول من ملك منهم (أبو بكر محمد) ابن عبد الله بن مسلم المعروف بابن الافطس ويلقب بالمظفر فلما توفى تولى بعده ولده (عمر ابن محمد) ويلقب بالمتوكل واتسع ملكه وقتل صبرا مع ولديه الفضل والعباس عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الاندلس وهو الذى رثاه الشاعر فى قصيدته المشهورة الموسومة بالعبدونية
بنى المظفر والايام ما برحت
مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت
بمثله ليلة فى مقبل العمر
من للاسرة او من للاعنة او
من للسواعدا وللنفع والضرر
من للعدى وعوالى الخط قد عقدت
اطراف السنها بالعى والحصر
وطوقت بالمنايا السود بيضهم
اعجب بذاك وما منها سوى ذكر
ما قع كارثة اودفع آزفة
اورفع حادثة تغنى عن القدر
ويح السماح وويح الجود لو سلما
واحسرة الدين والدنيا على عمر
صارت بلاده الى يوسف ابن تاشفين وأما اشبيلية

الناس فسمعت ام كلثوم فأتت عليا فاخبرته الخبر فطابت نفسه وقال انصرفوا والله ما كذبت ولا كذب والله انه عندى ثقة فانصرفوا وكان سبب اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بنى ليث يقال له عبيد بن أبى سلمة وهو ابن ام كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردونى ردونى فانصرفت الى مكة وهى تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم والله ان أول من امال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الاخير خير من قولى الاول فقال لها ابن ام كلاب

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت امرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب اثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فستترت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت ايها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام واخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم والله لو ان الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء اى يغسل فقال عبد الله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب فكان اول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان الى مكة ورفعوا رؤسهم وكان اول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بنى أمية وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن أمية وهو ابن منية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فأناخ بالابطح وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ما وراءكما فقالا انا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم فقالت انهضوا الى هذه الغوغاء فقالوا نأتى الشام فقال ابن عامر قد كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فان لى بها صنائع ولهم فى طلحة هوى قالوا اقبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما اقام معاوية فنكتفى بك ثم نأتى الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا فاستقام الرأى على البصرة وقالوا لها اتركى المدينة فانا خرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء وأتى بلدا مضيعا سيحتجون علينا ببيعة على

وأصحبوا الانفراد فدخلوا فى الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وكان من أمرهم انهم ينتسبون الى حمير فلما كانت هذه السنة توجه رجل منهم اسمه جوهر بن قبيلة جدالة الى افريقية طالبا الحج فلما عاد استصحب معه فقيها من القيروان يقال له عبد الله بن ياسين ليعلم أهل تلك البلاد دين الاسلام فانه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة فى بعضهم فتوجه عبد الله مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمتونة وهى القبيلة التى منها يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين ودعاهم الى العمل بشرائع الاسلام فاجابه أكثرهم وامتنع أقلهم فقال الفقيه للمجيبين يجب عليكم قتال المخالفين فأقيموا لكم اميرا فقالوا انت اميرنا فامتنع الفقيه وقال لجوهر انت الامير فامتنع ايضا ثم اتفقا على (ابى بكر بن عمر) رأس قبيلة لمتونة فعرضا عليه فقبل وعقدت له البيعة وسماه الفقيه امير المسلمين واجتمع اليه خلق كثير وحرضهم الفقيه على الجهاد وسماهم المرابطين فقاتلوا المخالفين ثم جرى بين المرابطين وبين أهل سوس قتال شديد قتل فى تلك الحروب الفقيه ثم سار

ما امر واحتى عرف الذل فيهم واحب اهل المدينة ان يعلموا رأى على فى معاوية وقتاله اهل القبلة أيجسر عليه ام ينكل عنه وقد بلغهم ان ابنه الحسن دعاه الى القعود وترك الناس فدسوا زياد بن حنظلة التميمى وكان منقطعا الى على فجلس اليه ساعة فقال له على يا زياد تيسر فقال لاى شئ فقال لغزو الشام فقال زياد الاناة والرفق أمثل وقال

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

فتمثل على وكانه لا يريده

متى تجمع القلب الزكى وصارما * وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه وقالوا ما وراءك فقال السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل واستأذنه طلحة والزبير فى العمرة فاذن لهما فلحقا بمكة ودعا على محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمر بن ابى سلمة او عمرو بن سفيان بن عبد الاسد ولاه ميسرته ودعا ابا ليلى ابن عمر بن الجراح ابن اخى ابى عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يول ممن خرج على عثمان احدا وكتب الى قيس بن سعد والى عثمان بن حنيف والى ابى موسى ان يندبوا الناس الى أهل الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وقال لهم ان فى سلطان الله عصمة امركم فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يأرز الامر اليها انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما افسد أهل الآفاق وتقضون الذى عليكم *(خربنا بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والباء الموحدة وآخره ألف)

(ذكر ابتداء امر وقعة الجمل)

فبينما هم كذلك على التجهز لاهل الشام اتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة وأهل مكة بنحو آخر وانهم على الخلاف فاعلم على الناس ذلك وان عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا امارته ودعوا الناس الى الاصلاح وقال لهم ساصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكف ان كفوا واقتصر على ما بلغنى ثم اتاه انهم يريدون البصرة فسره ذلك وقال ان الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم فقال له ابن عباس ان الذى سرك من ذلك ليسوءنى ان الكوفة فسطاط فيه من اعلام العرب ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيها من يسمو الى امر لا يناله فاذا كان كذلك شغب على الذى قد نال ما يريد حتى تكسر حدته فقال على ان الامر ليشبه ما تقول وتهيأ للخروج اليهم فندب أهل المدينة للمسير معهم فتثاقلوا فبعث الى عبد الله بن عمر كميلا النخعى فجاء به فدعاه الى الخروج معه فقال انما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا فى هذا الامر فدخلت معهم فان يخرجوا اخرج معهم وان يقعدوا اقعد قال فاعطنى كفيلا قال لا افعل فقال له على لولا ما اعرف من سوء خلقك صغيرا وكبيرا لانكرتنى دعه فانا كفيله فرجع ابن عمر الى المدينة وهم يقولون والله ما ندرى كيف نصنع ان الامر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضىء لنا فخرج من تحت ليلته واخبر ام كلثوم ابنة على وهى زوجة عمر بالذى سمع وانه يخرج معتمرا مقيما على طاعة على ما خلا النهوض فاصبح على فقيل له حدث الليلة حدث هو اشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية قال وما ذاك قالوا خرج ابن عمر الى الشام فاتى السوق واعد الظهر والرجال وأخذ لكل طريق طلابا وماج

يحيى بن اسمعيل) وهو الذى بنى القصر بطليطلة واحكمه فبينما هو نائم اذ سمع منشدا ينشد

اتبنى بناء الخالدين وانما
بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية
لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يمض كثير حتى أخذت الفرنج من ولده القادر بالله طليطلة فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وصار هو ببلنسية ثم قتله بها القاضى ابن جحاف الاحنف وأما دانية والجزائر والمرية فصارت الى ايدى العامريين الى ان انتقلت وصارت للملثمين وأما مرسية فوليها (بنو طاهر) ثم صارت الى (المعتمد بن عباد) ثم صارت للملثمين واما غرناطة فملكها (حبوس بن ماكسن) الصنهاجى ثم صارت بعد ولده للملثمين وأما مالقة فملكها (بنو على بن حمود العلوى) الى ان أخذها باديس ابن حبوس صاحب غرناطة

(الباب الرابع والعشرون فى ذكر ملوك الغرب من الملثمين أهل الفضل والهدى واليقين)

وكان أول مسيرهم من اليمن فى أيام ابى بكر الصديق سيرهم الى جهة الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم الى الغرب مع موسى بن نصير

بعيرها فاناخته وقالت ردوني انا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا حولها يوما وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها النجاء النجاء قد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفناء البصرة لقيهم عمير بن عبد الله التميمي وقال يا أم المؤمنين انشدك الله ان تقدمي اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحدا فيكفيك ابن عامر فان له بها صنائع فليذهب اليهم فليلقوا الناس الى ان تقدمي ويسمعوا ما جئتم به فارسلته فاندس الى البصرة فأتى القوم وكتبت عائشة الى رجال من أهل البصرة والى الاحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم وأقامت بالحفير تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك اهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران ابن حصين وكان رجل عامة والزمه بأبي الاسود الدؤلي وكان رجل خاصة وقال لهما انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجا فانتهيا اليها بالحفير فأذنت لهما فدخلا وسلما وقالا ان أميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلي يغطي لبنيه الخبر ان الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام واحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين اعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت لاخير في كثير من نجواهم الآية فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه فخرج عمران وأبو الاسود من عندها فأتيا طلحة وقالا ما اقدمك فقال الطلب بدم عثمان فقالا الم تبايع عليا فقال بلى والسيف على عنقي وما استقبل عليا البيعة ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة وقال لهما مثل قول طلحة فرجعا الى عثمان بن حنيف ونادى مناديها بالرحيل فدخلا على عثمان فبادر ابو الاسود عمران فقال

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر ٭ وطاعن القوم وجالد واصبر

وابرز لهم مستلئما وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا بأي زيفان نزيف فقال عمران اي والله لتعركنكم عركا طويلا فقال فاشر علي يا عمران فقال اعتزل فاني قاعد فقال عثمان بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين فانصرف عمران الى بيته وقام عثمان في أمره فأتاه هشام بن عامر فقال ان هذا الامر الذي تريده يسلم الى شر مما تكره ان هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجبر فارفق بهم وسامحهم حتى يأتي أمر علي فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح فاجتمعوا الى المسجد وأمرهم بالتجهز وأمر رجلا دسه الى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال ايها الناس انا قيس بن العقدية الحميسي ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير وان كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان فاطيعوني وردوهم من حيث جاؤا فقام الاسود بن سريع السعدي فقال اوزعموا انا قتلة عثمان انما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا فكسره ذلك فاقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد فدخلوا من اعلاه

وتزعم هذه الطائفة انهم من ولد عمر بن الخطاب وجدهم المنسوبون اليه هو أبو حفص عمر صاحب ابن تومرت فلما كان سنة احدى وخمسين وخمسمائة بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد وطلب من ابي حفص ان ينزل عن العهد لولده المذكور فأجاب ابو حفص الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن فصار بعده ولده (عبد الواحد بن أبي حفص) ثم صار من بعده ابنه ابو زكريا يحيى) وتلقب بأمير المؤمنين وعظم شأنه الى ان توفي ومات بعده ابنه (محمد ابن ابي زكريا) وتلقب بالمنتصر ثم ملك بعده اخوه (يحيى بن يحيى) سبعة عشر يوما ثم بعده اخوهما (ابو اسحق ابراهيم) بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص ثم انتقل الملك الى رجل من أهل بجاية يقال له (محمد بن ابي عمارة) وملك أربع سنين ثم عاد الملك للحفصيين وملك منهم بعد ابن أبي عمارة ابو حفص (عمر بن يحيى) ثم ملك بعده ولده (عبد الرحمن) بن عمر المذكور وملك خمسة وعشرين يوما ثم خلع وملك بعده رجل من الحفصيين يقال له (أبو عبد الله) وكان يلقب بابي عصيدة ثم ملك بعده (ابو بكر بن عبد

فثبطهم كما ثبطت أهل مكة فان أصلح الله الامر كان الذي اردنا والا دفعنا بجهدنا حتى يقضي
الله ما اراد فاجابتهم الى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم فأبى وقال انا من أهل المدينة
افعل ما يفعلون فتركوه وكان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم معها على قصد المدينة فلما تغير
رأيها الى البصرة تركن ذلك واجابتهم حفصة الى المسير معهم فمنعها أخوها عبد الله بن عمر
وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر بمال كثير ونادى
مناديها ان ام المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن اراد اعزاز الاسلام وقتال
المحلين والطلب بثار عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا
في ألف وقيل في تسعمائة من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل
وبعثت ام الفضل بنت الحرث ام عبد الله بن عباس رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على
ان يأتي عليا بالخبر فقدم على علي بكتابها وخرجت عائشة ومن معها من مكة فلما خرجوا منها
اذن مروان بن الحكم ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن
بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبي عبد الله يعني اباه الزبير وقال محمد بن طلحة على ابي محمد
يعني اباه طلحة فأرسلت عائشة الى مروان وقالت له اتريد ان تفرق امرنا ليصل بالناس ابن اختي
تعني عبد الله بن الزبير وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل فكان
معاذ بن عبيد يقول والله لو ظفرنا لاقتتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والامر ولا كان طلحة يترك
الزبير والامر وتبعها امهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم ير يوم كان أكثر باكيا
وباكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب فلما بلغوا ذات عرق لقي سعيد بن العاص
مروان بن الحكم وأصحابه بها فقال أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل وراءكم يعني
عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم فقالوا نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا
فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لمن تجعلان الامر اصدقاني قالا نجعله لاحدنا أينا
اختاره الناس قال بل تجعلونه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا ندع شيوخ
المهاجرين ونجعلها لايتام قال فلا أراني أسعى الا لاخراجها من بني عبد مناف فرجع ورجع
عبد الله بن خالد بن أسيد وقال المغيرة بن شعبة الرأي ما قال سعيد من كان هنا من ثقيف فليرجع
فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان واعطى يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر
اشتراه بثمانين دينارا فركبته وقيل بل كان جملها لرجل من عرينة قال العرني بينما انا أسير على
جمل اذ عرض لي راكب فقال أتبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال امجنون أنت
قلت ولم والله ما طلبت عليه أحدا الا ادركته ولا طلبني وأنا عليه احد الا فته قال لو تعلم لمن نريده
انما نريده لام المؤمنين عائشة فقلت خذه بغير ثمن قال بل ترجع معنا الى الرحل فنعطيك ناقة
ودراهم قال فرجعت معه فأعطوني ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة وقالوا لي يا أخا عرينة
هل لك دلالة بالطريق قلت أنا من ادل الناس قالوا فسر معنا فسرت معهم فلا امر على واد الا
سألوني عنه حتى طرقنا الحوأب وهو ماء فنبحتنا كلابه فقالوا اي ماء هذا فقلت هذا ماء الحوأب
فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون اني لهيه سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد

المرابطون الى سجلماسة
واستولوا عليها وقتلوا
صاحبها وفوض حكومتها
الى يوسف بن تاشفين
اللمتوني وكان رجلا دينا
حازما ثم اجتمع طوائف
المرابطين وملكوا عليهم
(أبا النصر يوسف ابن تاشفين)
وتلقب بأمير المؤمنين
وقوي امره وعلا قدره
ببلاد الغرب ولم يزل يحارب
ويقاتل من يعاديه حتى توفي
سنة خمسمائة وقام مكانه
ابنه (علي بن يوسف) بن
تاشفين وفي زمانه ظهر
الموحدون وابتدات دولتهم
وفي سنة سبع وثلاثين
وخمسمائة توفي علي المذكور
وقام في الملك بعده ولده
(تاشفين بن علي) ولم يزل
الحرب قائما بينه وبين الملك
الكبير أبي محمد حتى سقط
من جرف عال فهلك وقتل
كل من كان معه ثم ولي أخوه
(اسحق بن علي) وكان صغير
السن فسار اليه عبد المؤمن
الموحدي فملك بلاده وقتل
اسحق وهو آخر ملوك
المرابطين الملثمين وكانت
مدة ملكهم سبعين سنة والله
سبحانه أعلم

(الباب الخامس والعشرون
في ذكر دولة بني حفص ملوك
تونس وافريقية ولمع من
وقائعهم مع نصارى اسبانية)

الصلح وتوادعوا فكتبوا بينهم كتابا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة يسأل أهلها فان كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان بن حنيف عن البصرة واخلاها لهما وان لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير وكتبوا بينهم كتابا بذلك وسار كعب بن سور الى أهل المدينة يسألهم فلما قدمها اجتمع الناس اليه وكان يوم جمعة فقام وقال يا أهل المدينة انا رسول أهل البصرة نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعة على ام أتياها طائعين فلم يجبهما أحد الا أسامة بن زيد فانه قام وقال انهما بايعا وهما مكرهان فأمر به تمام بن العباس فواثبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب وأبو أيوب فى عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا ان يقتل أسامة فقالوا اللهم نعم فتركوه وأخذ صهيب اسامة بيده الى منزله وقال له اما وسعك ما وسعنا من السكوت قال ما كنت اظن ان الامر كما ارى فرجع كعب وبلغ عليا الخبر فكتب الى عثمان يعجزه وقال والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا وقدم الكتاب على عثمان وقدم كعب بن سور فارسلوا الى عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب وقال هذا امر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال فى ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فابطأ عثمان فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فاقبلوا عليهم فاقتتلوا فى المسجد فقتلوا وهم أربعون رجلا فأدخلا الرجال على عثمان فاخرجوه اليهما فلما وصل اليهما وقد بقى فى وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا الى عائشة يعلمانها الخبر فارسلت اليهما أن خلوا سبيله وقيل لما أخذ عثمان ارسلوا الى عائشة يستشيرونها فى امره فقالت اقتلوه فقالت لها امرأة انشدتك الله فى عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهم احبسوه فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه فضربوه أربعين سوطا ونتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه وحبسوه ثم اطلقوه وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وقد قيل فى اخراج عثمان غير ما تقدم وذلك ان عائشة وطلحة والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان من عائشة ام المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنها الخالص زيد بن صوحان اما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا فان لم تفعل فخذل الناس عن على فكتب اليها أما بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت ورجعت الى بيتك والا فأنا أول من نابذك وقال زيد رحم الله ام المؤمنين أمرت ان تلزم بيتها وأمرنا ان نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه وكان على البصرة عند قدومها عثمان بن حنيف فقال لهم ما نقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره اولى بها منا وقد صنع ما صنع قال فان الرجل أمرنى فاكتب اليه فاعلمه ما جئتم به على ان اصلى أنا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث الا يومين او ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وارادوا قتله ثم خشوا غضب الانصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا اهل البصرة توبة بحوبة انما أردنا ان نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه فقال الناس لطلحة يا ابا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير هل جاءكم منى كتاب فى شأنه ثم ذكر قتل عثمان واظهر عيب على

مدته وتوفي وتولى مكانه حفيده (يحيى بن مسعود) واستقام امره وأظهر العدل ومشى على سيرة جده أبي فارس وكان شحيحا بالاموال فابغضه العسكر بسبب ذلك فلما خرج عليه عبد المؤمن واشتد الحرب بينهما انعزل الجند من عند يحيى فبقي هو وجماعة وكان يقاتل بنفسه ويقول انا يحيى الغريب فقتل وقتل معه عدة من جماعته وملك تونس بعده (عبد المؤمن) ابن ابراهيم بن عثمان واستقر بكرسيها واحسن السيرة بأهلها ثم تولى أخوه (زكريا) وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة وقع فناء عظيم ومات زكريا مع جملة من مات وتولى السلطنة (محمد ابن الحسن) وكان مشتغلا عن أمور الملك باللهو وشرب الخمر (وفي ايامه) في سنة ست عشرة وتسعمائة استولى الافرنج على وهرانه ثم على بجاية ثم على طرابلس وبقيت في أيديهم مدة اثنين وأربعين سنة حتى أخذها منهم سنان باشا اخو الوزير الاعظم رستم باشا وزير المرحوم السلطان سليمان من بني عثمان عام ثمانية وخمسين وتسعمائة فلما مات محمد بن الحسن بعد ان ملك أكثر من ثلاثين

ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج اليها من أهل البصرة من اراد أن يكون معها فاجتمع القوم بالمربد فتكلم طلحة وهو فى ميمنة المربد وعثمان فى ميسرته فانصتوا له فحمد الله واثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحثهم عليه وكذلك الزبير فقال من فى ميمنة المربد صدقا وبرا وقال من فى ميسرته فجرا وغدرا وأمرا بالباطل فقد بايعا عليا ثم جاءا يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وارهجوا فتكلمت عائشة وكانت جهورية الصوت فحمدت الله وقالت كان الناس يجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبرونا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر ألا ان مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله وقرأت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية فافترق أصحاب عثمان فرقتين فرقة قالت صدقت وبرت وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به فتحاثوا وتحاصبوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر اهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا فى المربد فى موضع الدباغين وبقى أصحاب عثمان على حالهم ومال بعضهم الى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان وأقبل جارية بن قدامة السعدى وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك ان كنت أتيتنا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت أتيتنا مكرهة فاستعينى بالناس وخرج غلام شاب من بنى سعد الى طلحة والزبير فقال اما أنت يا زبير فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى امكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فأنا منكم فى شئ واعتزل وقال فى ذلك

صنتم حلائلكم وقدتم امكم * هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها فى بيتها * فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها * بالنبل والخطى والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها * هذا المخبر عنهم والكافى

واقبل حكيم بن جبلة العبدى وهو على الخيل فانشب القتال واشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه فلم ينته وقاتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها فاقتتلوا على فم السكة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا الى مقبرة بنى مازن وحجز الليل بينهم ورجع عثمان الى القصر وأتى اصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق فغاداهم حكيم بن جبلة وهو يسب وبيده الرمح فقال له رجل من عبد القيس من هذا الذى تسبه قال عائشة قال يا ابن الخبيثة ألأم المؤمنين تقول هذا فطعنه حكيم فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها ايضا فقالت له ألأم المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة فطعنها فقتلها ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا الى ان زال النهار وكثر القتل فى أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح فى الفريقين فلما عضتهم الحرب تنادوا الى

الرحمن) المخلوع ثم قتله (ابو البقاء) وتولى مكانه ثم ملك بعده (ابو يحيى زكريا) اللحيانى من أولاد ابى حفص ثم ملك بلاد الغرب (ابو بكر بن يحيى) ويقال له السباع فمات واستقر الملك بعده لولده ٣ (ابو فارس محمد عبد العزيز) بن ابى العباس أحمد وكان يمشى فى الاسواق ويتبختر ثم قتل فقام مكانه ابنه (ثابت بن محمد) فقتل واستولى الافرنج على طرابلس الغرب فجمع ابو بكر بن محمد بن ثابت جيشا وأخذ البلد عنوة فلما توفى ولى مكانه (على بن عمارة) ابن محمد بن ثابت وفى سنة ثمانمائة قبض ابو فارس على على بن عمارة واقام مكانه (يحيى بن ابى بكر) واخاه عبد الواحد الى ان استولى ابو فارس فقبض عليهما ايضا فانتهت دولة آل عمارة وفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة توفى السلطان ابو فارس وكان حسن السيرة عدلا فى الرعية واستقر فى الملك (المنتصر ابو عبد الله محمد) ابن الامير محمد المنصور ونكل عمه المعتمد ابن أبى فارس وقتل أخاه ابا الفضل وولده الفضل ومات لطول مرضه واستقر بعده شقيقه (عثمان ابن محمد) واستمر عثمان فى الملك وحسن حاله وطالت

مخالفين لعمار بن ياسر يطلبان بدم عثمان فقرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم انهم لم يريدا عثمان فناداه مناد ياخبيث جزعت من أصحابك وأصحابك حين عضك نكال الله بما ركبتم من الامام المظلوم وفرقتم الجماعة وأصبتم من الدماء فذق وبال الله وانتقامه الى كلام وقتلوا وقتل معهم قتله يزيد بن الاسحم الحدانى فوجد حكيم قتيلا بين يزيد وأخيه كعب وقيل قتله رجل يقال له ضخيم وقتل معه ابنه الاشرف وأخوه الرعل بن جبلة ولما قتل حكيم ارادوا قتل عثمان بن حنيف فقال اما ان سهلا بالمدينة فان قتلتمونى انتصر فخلوا سبيله فقصد عليا وقتل ذريح ومن معه وافلت حرقوص بن زهير فى نفر من أصحابه فلجؤا الى قومهم فنادى منادى طلحة والزبير من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجئ بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا حرقوص بن زهير فان عشيرته بنى سعد منعوه وكان منهم فنالهم من ذلك أمر شديد وضربوا فيه اجلا وخشنوا صدور بنى سعد وكانوا عثمانية فاعتزلوا وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب اليهم الى ماهم عليه من لزوم الطاعة لعلى فأمر طلحة والزبير للناس باعطياتهم وأرزاقهم وفضلا اهل السمع والطاعة فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم الى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق على وأقام طلحة والزبير وليس معهما ثأر الا حرقوص بن زهير وكتبوا الى أهل الشام بما صنعوا وصاروا اليه وكتبت عائشة الى اهل الكوفة بما كان منهم وتأمرهم ان يثبطوا الناس عن على وتحثهم على طلب قتلة عثمان وكتبت الى اهل اليمامة والى أهل المدينة بما كان منهم ايضا وسيرت الكتب وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فلما بايعوهما قال الزبير الا ألف فارس اسير بهم الى على اقتله بياتا اوصباحا قبل ان يصل الينا فلم يجبه أحد فقال ان هذه للفتنة التى كنا نحدث عنها فقال له مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويلك انا نبصر ولا نبصر ما كان امر قط الا وأنا اعلم موضع قدمى فيه غير هذا الامر فانى لا ادرى أمقبل انا فيه ام مدبر وقال علقمة بن وقاص الليثى لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة واحب المجالس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره فقلت يا ابا محمد أرى احب المجالس اليك اخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك ان كرهت شيأ فاجلس قال فقال لى يا علقمة بينا نحن يد واحدة على من سوانا اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا انه كان منى فى عثمان شئ ليس توبتى الا ان يسفك دمى فى طلب دمه قال فقلت فرد ابنك محمدا فان لك ضيعة وعيالا فان يك شئ يخلفك قال فامنعه قال فأتيت محمدا ابنه فقلت له لو أقمت فان حدث به حدث كنت تخلفه فى عياله وضيعته قال ما احب ان اسأل عنه الركبان

(يعلى ابن منية بضم الميم وسكون النون والياء المحتية باثنتين من تحتها وهى امه واسم أبيه أمية عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح همزة اسيد جارية بن قدامة بالجيم حكيم بن جبلة بضم الحاء وفتح الكاف وقيل بفتح الحاء وكسر الكاف وصوحان بضم الصاد وآخره نون)

(ذكر مسير على الى البصرة والوقعة)

قد ذكرنا فيما تقدم تجهز على الى الشام فبينما هو على ذلك اتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان

ما يكفيه ثم ان خير الدين باشا عرض على السلطان بأن العمارة لا تطيق ان تخرج من هنا وتسير مسافة أشهر ثم تجتمع بالكفار ولا بد ان تنشؤا عمارتكم قريب بلاد الكفار ثم تسير منها الى حيث تشاء فما ثم موضع تسع فيه عمارتكم غير مينا حلق الوادى امام تونس فقال السلطان كيف يمكن ذلك مع الحسن وهو امير بلاد تونس فقال ان اهل تونس متضجرون من سلطانهم وهذا أخوه الرشيد عندنا والناس يحبونه ويطيعونه فان امر السلطان سيرت بالعمارة وذكرت لاهل تونس ان الرشيد معنا فتملك تونس مع اتفاق من أهلها وتكون البلاد كلها للسلطان فقال السلطان نعم الرأى فسار خير الدين باشا بعمارة عظيمة ودخل حلق الوادى وارسى بمينائها وارسل الى أهل تونس يخبرهم بقدوم الرشيد وانهم جاؤا مدد اله ليملكوه البلاد فلما بلغ ذلك أهل تونس قاموا قومة واحدة وقالوا الله ينصر السلطان رشيد وساروا نحو العمارة فلما تيقن الحسن بالقصة أخذ اهل بيته واقاربه وامواله وهرب الى اخوالهم مشايخ العرب فقام خير الدين باشا وهو يظهر ان الرشيد معه

فقام اليه رجل من عبد القيس فقال أيها الرجل انصت حتى نتكلم فانصت فقال العبدي يا معشر المهاجرين انتم اول من اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس في الاسلام كما دخلتم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم فرضينا وسلمنا ولم تستأمرونا في شيء من ذلك فجعل الله للمسلمين في امارته بركة ثم مات واستخلف عليكم رجلا فلم تشاورونا في ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفي جعل أمركم الى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم انكرتم منه شيأ فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فما الذي نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفيء او عمل بغير الحق او أتى شيأ تنكرونه فنكون معكم عليه والا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فمنعته عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين وبقي طلحة والزبير بعد اخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال لست اخاف الله ان لم أنصره فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام اراد عبد الله بن الزبير ان يرزقه اصحابه فقال له عبد الله مالك يا حكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا عثمان فيقيم في دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علي وايم الله لو اجد اعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وان دماءكم لنا الحلال بمن قتلتم اما تخافون الله بم تستحلون الدم الحرام قال بدم عثمان قال فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان اما تخافون مقت الله فقال له عبد الله لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمان حتى تخلع عليا فقال حكيم اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه لست في شك من قتال هؤلاء القوم فمن كان في شك فلينصرف وتقدم فقاتلهم فقال طلحة والزبير الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحدا فاقتتلوا اقتتالا شديدا ومع حكيم أربعة قواد فكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيال الزبير وابن المحترش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلثمائة وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول

اضربهم باليابس * ضرب غلام عابس

من الحياة آيس * في الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها فحبا حتى اخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثم اتكأ عليه وقال

يا ساق لن تراعي * ان معي ذراعي * احمي بها كراعي

وقال ايضا

ليس علي ان اموت عار * والعار في الناس هو الفرار

* والمجد لا يفضحه الدمار *

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك يا حكيم قال قتلت قال من قتلك قال وسادتي فاحتمله وضمه في سبعين من اصحابه وتكلم يومئذ حكيم وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم وما يتتعتع ويقول انا خلفنا هذان وقد بايعا عليا واعطياه الطاعة ثم اقبلا

سنة تولى مكانه ولده (السلطان حسن) وكان خلف ابوه خمسا وأربعين ذكرا فلما تسلطن الحسن وضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم ولم يفلت منهم الا اخواه الرشيد وعبد المؤمن وكانا غائبين ثم ان الحسن رام قتل الرشيد فاستشعر ولحق ببعض احياء العرب واشتغل الحسن باللهو وجمع من الملاهي ما يزيد على أربعمائة شاب أمرد يفسق بهم فشق ذلك على أهل البلد وطلبوا منه ترك ذلك حتى رجموا داره بالحجارة فأبى ان يترك فنفرت عنه القلوب فارسلوا الى الرشيد ليملكوه فلم يكن فقدم الرشيد الى خير الدين باشا صاحب الجزائر والتجأ اليه فلما علم ذلك السلطان حسن شق عليه وأرسل الى السلطان سليمان يشكو من خير الدين باشا انه آوى أخاه وارسل صحبة الرسول اموالا وتحفا فأجاب اليه السلطان بالوعد وقال طب نفسا فانا نأمر خير الدين باشا باستصحاب أخيك معه فاذا حصل اخوك عندنا أودعناه عندنا وما خليناه يعود الى بلادك ابدا فلما قدم خير الدين باشا الى السلطان ومعه الرشيد عين له السلطان كل يوم خمسمائة درهم جامكية ومن الما كل

أطاعنى حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما قولك ان أجلس فى بيتى حين خرج طلحة والزبير
فكيف لى بما قد لزمنى أو من تريدنى أتريدنى ان أكون كالضبع التى يحاط بها ويقال ليست ههنا
حتى يحل عرقوباها (٣) حتى تخرج واذا لم انظر فيما يلزمنى من هذا الامر ويعنينى فمن ينظر فيه
فكف عنك يا بنى ولما قدم على الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها الى الكوفة محمد بن أبى بكر
الصديق ومحمد بن جعفر وكتب اليهم انى اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا
لدين الله أعوانا وأنصارا وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا ومضى وبقى على
بالربذة وأرسل الى المدينة فأتاه ما يريد من دابة وسلاح وأمر أمره وقام فى الناس فخطبهم وقال
ان الله تبارك وتعالى أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به اخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد
فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب امامهم حتى اصيب هذا
الرجل بايدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الامة الا ان هذه الامة لا بد
مفترقة كما افترقت الامم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن * ثم عاد ثانية وقال انه لا بد مما هو كائن
ان يكون الا وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلنى ولا تعمل بعملى
وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهديى فانه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما
أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما واماما فلما أراد المسير من الربذة الى البصرة قام اليه
ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين اى شئ تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذى نريد وننوى
فالاصلاح ان قبلوا منا وأجابونا اليه قال فان لم يجيبونا اليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق
ونصبر قال فان لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم اذن
وقام الحجاج بن غزية الانصارى فقال لارضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول وقال

دراكها دراكها قبل الفوت * فانفر بنا واسم بنا نحو الصوت
* لا وألت نفسى ان تكرهت الموت *

والله لننصرن الله كما سمانا انصارا ثم أتاه جماعة من طيئ وهو بالربذة فقيل لعلى هذه جماعة قد
أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كلا خيرا وفضل
الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فلما دخلوا عليه قال لهم ما شهدتمونا به قالوا شهدنا لك
بكل ما تحب فقال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم بصدقاتكم
المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال يا امير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما فى
قلبه وانى والله ما أجد لسانى يعبر عما فى قلبى وساجهد وبالله التوفيق اما انا فسأنصح لك فى
السر والعلانية وأقاتل عدوك فى كل موطن وأرى من الحق لك ما لا أراه لاحد غيرك من اهل
زمانك لفضلك وقرابتك فقال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين وسار
على من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد ابن الحنفية وعلى على
ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما نزل بفيد أتته أسد وطيئ فعرضوا عليه انفسهم فقال الزموا
قراركم فى المهاجرين كفاية وأتاه رجل بفيد من الكوفة فقال له من الرجل قال عامر بن مطر
الشيبانى قال اخبرنى ما وراءك فاخبره فسأله عن ابى موسى فقال ان اردت الصلح فأبو موسى

البلد وهم يحترسون ويقاتلون
عن دينهم وعن أنفسهم
فاستمر القتال بين الفريقين
نحو أحد وثلاثين يوما ثم
اتفق ان اشتاقت نفس خير
الدين باشا الى الخروج من
البلد والقتال مع الكفار
فنزل من القلعة وفوض
أمرها الى قائده الكبير
جعفر اغا وكان افرنجيا
يبطن الكفر وكان فى البلد
محبوس خير الدين باشا من
الاسارى نحو أربعين الف
نفر فقام جعفر اغا الملعون
فاطلقهم من الحبس ومكنهم
من القلعة وأسوارها
ومدافعها فصار المسلمون
بين عدوين المدافع من
البلد والسيف من امامهم
فانهزموا أقبح هزيمة فصاروا
اما عرضة السيف واما
هالكة تحت سنابك الخيل
والهاربون هلك غالبهم من
العطش ودخل ملك اسبانية
البلد وأجلس الحسن على
التخت وأعطاه الحسن
نفائس الاموال وأعطاه
من أسارى المسلمين ما يزيد
على سبعين الف نفس عن
يتم عوالاة الرشيد ثم التمس
الحسن ان يترك عنده نحو
اربعة آلاف افرنجى يقيمون
عند ساق الوادى ويبنوا
هناك معقلا وذلك فى
حدود سنة أربعين وتسعمائة
ثم انهم كثروا وبنوا مدينة

آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم امركم فتثاقلوا فلما رأى
زياد بن حنظلة تثاقل الناس انتدب الى علي وقال له من تثاقل عنك فانا نخف معك فنقاتل
دونك وقام رجلان صالحان من أعظم الانصار أحدهما ابو الهيثم بن التيهان وهو بدري والثاني
خزيمة بن ثابت قيل هو ذو الشهادتين وقال الحكم ليس بذي الشهادتين مات ذو الشهادتين أيام
عثمان فأجابه الى نصرته قال الشعبي ما نهض في تلك الفتنة الا ستة نفر بدريون ما لهم سابع وقال
سعيد بن زيد ما اجتمع اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لخير يعملونه الا وعلي احدهم
قيل وقال ابو قتادة الانصاري لعلي يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدني هذا
السيف وقد أغمدته زمانا وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين يألون الامة غشا وقد
أحببت ان تقدمني فقدمني وقالت أم سلمة يا امير المؤمنين لولا ان أعصي الله وانك لا تقبله مني
لخرجت معك وهذا ابن عمي وهو والله أعز علي من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك فخرج
معه وهو لم يزل معه واستعمله علي على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي فلما
أراد علي المسير الى البصرة وكان يرجو ان يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما الى
البصرة او يوقع بهما فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس وعلى مكة قثم بن العباس
وقيل امر على المدينة سهل بن حنيف وسار علي من المدينة في تعبيته التي تعباها لاهل الشام
آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فقالت اخت علي بن عدي من بني عبد شمس

لاهم فاعقر بعلي جمله * ولا تبارك في بعير حمله
* الا علي بن عدي ليس له *

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في تسعمائة وهو يرجو أن يدركهم
فيحول بينهم وبين الخروج او يأخذهم فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين
لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبوه فقال دعوا الرجل
من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى الى الربذة فلما انتهى اليها اتاه خبر سبقتهم
فاقام بها يأتمر ما يفعل وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا
بمضيعة لا ناصر لك فقال له علي انك لا تزال تحن حنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك قال
أمرتك يوم أحيط بعثمان ان تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم امرتك يوم قتل ان لا تبايع
حتى تأتيك وفود العرب وبيعة اهل كل مصر فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت علي وأمرتك
حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان ان تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان
على يد غيرك فعصيتني في ذلك كله فقال أي بني اما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان
فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به واما قولك لا تبايع حتى يبايع اهل الامصار فان الامر امر
اهل المدينة وكرهنا ان يضيع هذا الامر ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى
احدا أحق بهذا الامر مني فبايع الناس ابو بكر الصديق فبايعته ثم ان ابا بكر انتقل الى
رحمة الله وما أرى احدا احق بهذا الامر مني فبايع الناس عمر فبايعته ثم ان عمر انتقل الى
رحمة الله وما ارى احدا احق بهذا الامر مني فجعلني سهما من ستة اسهم فبايع الناس عثمان
فبايعته ثم سار الناس الى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين فأنا مقاتل من خالفني بمن

اطاعني

فدخل البلد واستولى على
التخت وقتل بعض مشايخ
المتعصبين خفية ثم تحقق
أهل البلد بأن الرشيد ما جاء
وانما هي حيلة عملها خير
الدين باشا فقاموا على خير
الدين باشا وقاتلوه وقتل
من أهل تونس ما يزيد على
ثلاثين الف نفس ما بين رجل
وامرأة ثم كف عنهم خير
الدين باشا وصالحهم ولما
بلغ الحسن ذلك اغار في
بعض الليالي على البلد فقتل
من العثمانية المقيمين بها
نحو ألف وثلثمائة نفس ثم
ركب البحر وسار الى اسبانية
واستمد من ملكها على
خير الدين باشا وقال أنت
تعلم ان تونس بيت ملك قديم
وان خير الدين حرامي جاءنا
وأخرجنا عن ملكنا بالحيلة
وانه ان تمكن هنالك مدة
قطع عليكم مراكب الميرة
والتجارة فيحصل لكم بذلك
منه مضرة عظيمة فأجابه ملك
اسبانية الى مسؤله ووعده
النصر وعين له كل يوم
أربعة آلاف دينار افرنجي
لما كله وكان مكثه عنده
سبعة أيام ثم سار بعمارة
كبيرة نحو أربعمائة غراب
فنازل تونس فلما رأى اهل
تونس ما حل بهم من البلاء
العظيم استأنسوا مع خير
الدين باشا واطاعوه واتفقوا
معه على ان لا يخرج هو من

من أتاهما المسروق بن الاجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم
عثمان قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا قال فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لكان خير للصابرين فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمه اليه وأقبل على عمار فقال يا أبا يقظان
اعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فأحللت نفسك مع الفجار فقال لم أفعل ولم يسؤني فقطع
الحسن عليهما السلام وأقبل على أبي موسى فقال له لم تثبط الناس عنا فوالله ما أردنا
الا الاصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ فقال صدقت بأبي أنت وأمي ولكن
المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة القاعد فيها خير
من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وقد حرم
علينا دماءنا وأموالنا فغضب عمار وسبه وقام وقال يا أيها الناس انما قال له وحده أنت فيها
قاعد خير منك قائما فقام رجل من بني تميم فسب عمارا وقال أنت أمس مع الغوغاء واليوم
تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ووقف
زيد على باب المسجد ومعه كتاب اليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها وكتاب الى أهل
الكوفة بمعناه فأخرجهما فقرأهما على الناس فلما فرغ منهما قال أمرت ان تقر في بيتها وأمرنا
ان نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقال له شبث بن ربعي
يا عماني لانه من عبد القيس وهم يسكنون عمان سرقت بجلولاء فقطعت يدك وعصيت أم المؤمنين
وتهاوى الناس وقام أبو موسى وقال أيها الناس أطيعوني وكونوا جرثومة من جراثيم العرب
يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ان الفتنة اذا أقبلت شبهت فاذا أدبرت بينت
وان هذه الفتنة فاقرة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور تذر الحليم وهو
حيران كابن امس شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم خلوا
قريشا اذا أبوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالامراء استنصحوني ولا تستغشوني
أطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها فقام زيد فشال يده
المقطوعة فقال يا عبد الله بن قيس رد الفرات على ادراجه اردده من حيث يجيء حتى يعود كما
بدأ فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد فدع عنك ما لست مدركه سيروا الى أمير المؤمنين
وسيد المسلمين انفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق فقام القعقاع بن عمرو فقال اني لكم ناصح وعليكم
شفيق أحب لكم ان ترشدوا ولأقولن لكم قولا هو الحق أما ما قال الامير فهو الحق لو أن اليه
سبيلا وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الامر فلا تستنصحوه والقول الذي هو الحق انه لا بد من
امارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم وهذا أمير المؤمنين ولي بما ولي وقد أنصف في الدعاء
وانما يدعو الى الاصلاح فانفروا وكونوا من هذا الامر بمرأى ومسمع وقال عبد خير الخيواني
يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير قال نعم قال هل أحدث علي ما يحل به نقض بيعته قال لا أدري
قال لا دريت فنحن نتركك حتى تدري هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة انما الناس أربع فرق
علي بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها
عدو فقال أبو موسى اولئك خير الناس وهي فتنة فقال عبد خير غلب عليك غشك يا أبا موسى
فقال سيحان بن صوحان أيها الناس لا بد لهذا الامر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز

من ثلثمائة امرأة من بنات
الناس وامتدت أيامه
حتى بلغ خمسا وعشرين
سنة وثلاثة أشهر ونصفا
فلما كان أفول شمس حميدة
خرج من تونس الى قتال
بعض أحياء العرب فلما
أبعد عن البلد أرسل أهلها
الى نائب الجزائر قلج علي
باشا بتسليم البلد اليه فقام
قلج علي باشا فدخل تونس
واستولى على أموال حميدة
وكانت عظيمة على ما يحكى
وخطب بها وبجميع بلاد
افريقية باسم السلطان سليم
خان ابن السلطان سليمان
خان من آل عثمان وكان
ذلك في أواخر شوال سنة
ثمان وسبعين وتسعمائة ثم
ان حميدة جامعة قدر عشرة
آلاف وثمانمائة رجل يريد
قتال علي باشا فخرج اليه
علي باشا فقاتله وهزمه
واستقر قدم علي باشا في
المملكة ثم انه أقام رجلا
مكانه وسار حتى لحق بعمارة
السلطان في البحر وكانوا
عازمين على ملاقاة عمارة
الكفار ثم ان حميدة استمد
من اسبانية كما هو دأب
أسلافه فأمدوه بعمارة
كثيرة نحو مائة وخمسين
غرابا فنازلوا تونس فلما أحس
نائب تونس حيدر باشا بغلبة
الكفار خرج هو وأهل
البلد جميعا الى جهة قيروان

صاحبه وان أردت القتال فليس بصاحبه فقال علي والله ما أريد الا الصلح حتى يرد علينا ولما نزل علي الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه فاخبر أصحابه الخبر فقال اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير فلما انتهى الى الاساد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان فقال الله أكبر ما ينجيني من طلحة والزبير ان اصابا ثارهما وقال

دعا حكيم دعوة الزماع * حل بها منزلة النزاع

فلما انتهى الى ذي قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة وقيل أتاه بالربذة وكانوا قد نتفوا شعر رأسه ولحيته على ما ذكرناه فقال يا امير المومنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرد فقال اصبت اجرا وخيرا ان الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثم نكثا بيعتي والبا الناس علي ومن العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وعثمان وخلافهما علي والله انهما ليعلمان اني لست بدون رجل ممن تقدم اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما احكما في انفسهما وارهما المساءة فيما قد عملا وأقام بذي قار ينتظر محمدا ومحمدا فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس فقال عبد القيس خير ربيعة وفي كل ربيعة خير وقال

يا لهف ما نفسي على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعه

قد سبقتني فيهم الوقيعه * دعا علي دعوة سميعه

* حلوا بها المنزلة الرفيعه *

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطي واسد واما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فأتيا ابا موسى بكتاب علي وقاما في الناس بأمره فلم يجابا الى شيء فلما امسوا دخل ناس من اهل الحجى على أبي موسى فقالوا ما ترى في الخروج فقال كان الراي بالامس ليس اليوم ان الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جر عليكم ما ترون انما هما امران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا فلم ينفر اليه أحد فغضب محمد ومحمد واغلظا لابي موسى فقال لهما والله ان بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما فان لم يكن بد من قتال لا نقاتل احدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا الى علي فاخبراه الخبر وهو بذي قار فقال للاشتر وكان معه أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء اذهب أنت وابن عباس فاصلح ما افسدت فخرجا فقدما الكوفة فكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة فقام لهم ابو موسى وخطبهم وقال ايها الناس ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه اعلم بالله وبرسوله ممن لم يصحبه وان لكم علينا حقا وانا مؤد اليكم نصيحة كان الرأي ان لا تستخفوا بسلطان الله وان لا تجترؤا على الله وان تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الامامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعي فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة فرجع ابن عباس والاشتر الى علي فاخبراه الخبر فارسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال لعمار انطلق فاصلح ما افسدت فاقبلا حتى دخلا المسجد وكان أول

سورة حتى تفرقهم الخلق كافة فكان الحسن هو الذي صار سببا لقهر الكفار بها ثم ان الحسن لما اطمأنت به الدار وحصل له القرار خرج من البلاد الى قتال صاحب قيروان رجل يقال له ابن الخطيب وكان يعاديه وخالف في تونس ولده سعيدة فلما بعد الحسن قام أهل البلد وجاؤا الى سعيدة وقالوا لا يخفى عليك ما حل بنا من جهة ابيك المشؤم فان كان لك حاجة بالملك فقم نبايعك والا دعونا نعمل ما نريد الملك فبايعناه فلما رأى سعيدة منهم الجد رضي بذلك فبايعوه وقلدوه الامر ولما بلغ الحسن ذلك ترك ابن الخطيب وركب البحر وعاد الى اسبانية ثانيا فقام من اسبانية بعمارة عظيمة وارسى في حلق الوادي ونازل تونس فخرج سعيدة ومعه جنود العرب فقاتلوا اسبانية قتالا عظيما حتى افنوا اغلبهم بالقتل وهرب الحسن فظفر به بعض أهل تونس فأتوا به الى سعيدة فحبسه ثم هجم عليه اهل البلد فقالوا لا بد من سمل عينيه فسمله واستقر في الحبس حتى مات وكان سعيدة سعيد الفعال في أول امره ثم تغير وظلم ومد النظر الى حريم الناس على عكس ما كان ابوه يفعله حتى اجتمع عليها كثر

لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذلك الذي نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق
حتى يبدؤنا بظلم ولم ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله واجتمعوا عنده
بذي قار وعبد القيس بأسرها في الطريق بين علي والبصرة ينتظرونه وهم الوف وكان رؤساء
الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وكان
رؤساء النفار زيد بن صوحان والاشتر وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وامثال
لهم ليسوا دونهم الا انهم لم يؤمروا منهم حجر بن عدي فلما نزلوا بذي قار دعا علي القعقاع فأرسله
الى اهل البصرة وقال الق هذين الرجلين وكان القعقاع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فادعهما الى الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس
عندك فيه وصاة قال نلقاهم بالذي امرت به فاذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا
رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغي قال انت لها فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة
فسلم عليها وقال اي امه ما اشخصك وما اقدمك هذه البلدة قالت اي بني الاصلاح بين الناس
قال فابعثي الى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت اليهما فجاآ فقال لهما اني
سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح بين الناس فما تقولان انتما أمتابعان ام مخالفان
قالا متابعان قال فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح
قالا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتما قتلة عثمان من اهل البصرة وأنتم
قبل قتلهم اقرب الى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم
وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما
تقولون وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذي حذرتم وقويتم به هذا الامر أعظم
مما أراكم تكرهون وانتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم
نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير قالت عائشة فماذا
تقول أنت قال أقول ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا اسكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة
خير وتباشير رحمة ودرك بثأر وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كانت علامة
شر وذهاب هذا المال فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا
للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا واياكم وايم الله اني لاقول هذا القول وأدعوكم اليه واني لخائف ان
لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذي
حدث أمر ليس يقدر وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا قد
أصبت وأحسنت فارجع فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع الى علي
فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود
العرب من أهل البصرة نحو علي بذي قار قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى اخوانهم من
أهل الكوفة وعلى أي حال نهضوا اليهم وليعلموهم ان الذي عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم
قتالهم على بال فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وادخلوهم
على علي فأخبروه بخبرهم وسأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق أمرهما
وجليله وقال له اما الزبير فيقول بايعنا كرها وأما طلحة فيتمثل الاشعار ويقول

الى القسطنطينية وحبس في
القلال السبع وهو آخر من
تولى الملك من اهل هذا البيت
والله تعالى أعلم

*(الباب السادس والعشرون
في ذكر دولة بني الليث
الصفار سلاطين سجستان
ذوي القشاعم والفرسان
والايادي والاحسان)*

وهم ثلاثة أنفار ومدة ملكهم
خمسون سنة وكان الليث
من أهل سجستان يبيع
الصفر وبعده صار من قطاع
الطريق واتفق انه نقب ليلة
خزانة درهم بن نصر أمير
سجستان وأخذ الاموال
فوقع نظره في شيء أبيض
يبرق فأخذ منه وذاقه
فوجده ملحا فرد المال الذي
أخذه الى مكانه وخرج هو
وأصحابه ولم يأخذوا منه
شيأ فلما أصبح الامير درهم
واطلع على الحال نادى
بالامان لمن دخل خزانته ولم
يأخذ منها شيأ ليطلع على سر
ذلك فحضر الليث فسأله
لم أخذ المال ورده فقال
وجدت في خزانتك شيأ
أبيض فذقت منه فوجدته
ملحا فما رأيت ان آخذ من
مالك وأخونك بشيء بعد ان
ذقت ملحك فحصل عند
الامير منه موقع وأثبته في
ديوانه واستخدمه وفيما بعد
اتخذه رأس العسكر فلما
توفي الليث ولي الامير درهم

المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه في الدين فمن نهض اليه فانا سائرون معه فلما فرغ سحبان قال عمار هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم الى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى طلحة والزبير وانى اشهد انها زوجته في الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه فقال له رجل انا مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له فقال له الحسن اكفف عنا فان للاصلاح اهلا وقام الحسن بن علي فقال أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد الى هذا الامر من ينفر اليه والله لأن يليه اولو النهى امثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة فاجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي هذا ظالما أو مظلوما واني اذكر الله رجلا رعى حق الله الا نفر فان كنت مظلوما اعانني وان كنت ظالما اخذ مني والله ان طلحة والزبير لاول من بايعني واول من غدر فهل استأثرت بمال او بدلت حكما فانفروا وافروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فسامح الناس وأجابوا ورضوا وأتى قوم من طي عدي بن حاتم فقالوا ماذا ترى وما تأمر فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا الى جميل والى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون فقام هند بن عمرو فقال ان أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا الى قوله وانتهوا الى أمره وانفروا الى أميركم فانظروا معه في هذا الامر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدي فقال أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا واخفوا فاوثقا الامر وانا أولكم فاذعن الناس للمسير فقال الحسن أيها الناس اني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء فنفر معه قريب من تسعة آلاف أخذ في البرية آلاف ومائتان وأخذ في الماء الفان واربعمائة وقيل ان عليا ارسل الاشتر بعد ابنه الحسن وعمار الى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وابو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن وعمار معه في منازعة وكذلك سائر الناس كما تقدم فجعل الاشتر لا يمر بقبيلة فيها جماعة الا دعاهم ويقول اتبعوني الى القصر فانتهى الى القصر في جماعة الناس فدخله وابو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا وعمار ينازعه فأخرج الاشتر غلمان ابي موسى من القصر فخرجوا يعدون وينادون يا ابا موسى هذا الاشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا فنزل ابو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتر اخرج لا ام لك اخرج الله نفسك فقال أجلني هذه العشية فقال هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى فمنعهم الاشتر وقال أنا له جار فكفوا عنه فنفر الناس في العدد المذكور وقيل ان عدد من سار من الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل قال ابو الطفيل سمعت عليا يقول ذلك قبل وصولهم فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا وكان على كنانة واسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي وكان على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج الذهلي وكان على مذحج والاشعريين حجر بن عدي وعلى بجيلة وانمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الازدي فقدموا على امير المؤمنين بذي قار فلقيهم في ناس معه فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال يا اهل الكوفة انتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم

لتشهدوا

فيها عسكر الكفار واستولوا على تونس ثم قبضوا على حميدة فارسلوه الى بلاد اسبانية وكان له أخ يقال له مولى محمد بن الحسن وكان هرب من أخيه حميدة الى بلاد الافرنج فجاؤا به وأجلسوه على سرير الملك وليس معه مال ولا عسكر ولا قدرة وهو كالمأسور والحكم للافرنج وتركوا في تونس ثمانية آلاف مقاتل وبنوا معاقل في عدة أماكن ولله الامر ولم يزل مولاي محمد المذكور ملكا بتونس مع ضعف الحال حتى تغلب السلطان الاعظم سليم خان العثماني وأرسل عمارة عظيمة من البحر صحبة الوزير الاعظم سنان باشا ومعه علي باشا كاشف وجه البحر بفتح قلعة حلق الوادي واسترداد تونس فوصلوا في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة الى بر تونس فحاصروا حلق الوادي وهو من أمنع الحصون في الدنيا فافتتحوها بعد قتال وقع من الطرفين اناس كثيرة فقتلوا من بها من الكفار وفتحوا تونس واستولوا عليها وأسروا صاحبها الافرنجي وصادفوا فيها صاحب تونس مولاي محمد قد قصد من فيها شوقا من العثمانية فأسروه ثم جاؤا به

الدواب عن الرطبة وانه رأى في عسكره في غير هذا الوقت رجلا من قواده

من أن يمنع و يشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فابصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون وأصبح علىّ على ظهر ومضى ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وسار من هناك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريد البصرة وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور الى عمرو بن مرحوم العبدى أن اخرج فاذا خرجت فمل بنا الى عسكر علىّ فخرجا فى عبد القيس و بكر بن وائل فعدلوا الى عسكر علىّ فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال فكان يرسل علىّ اليهم يكلمهم ويدعوهم وكان نزولهم فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ونزل بهم على وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به فلما نزل قال أبو الجرباء للزبير ان الرأى ان تبعث ألف فارس الى علىّ قبل ان يوافى اليه أصحابه فقال انا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم من لم يأت الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على امر وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا واصبروا واقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأى فى الحرب خير من الشدة فقالا ان هذا امر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ويكون فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زعم قوم انه لا يجوز تحريكه وهم علىّ ومن معه وقلنا نحن انه لا ينبغى لنا ان نتركه ولا نؤخره وقد قال علىّ ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وقد كاد يتبين لنا وقد جاءت الاحكام بين المسلمين بأعمها منفعة وقال كعب بن سور ياقوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم فأجابوه بنحو ما تقدم وقام علىّ فخطب الناس فقام اليه الاعور بن بنان المنقرى فسأله عن اقدامهم على اهل البصرة فقال له علىّ على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم قال فان لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال دفعناهم عن انفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم وقام اليه ابو سلامة الدالانى فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا ارادوا الله بذلك قال نعم قال افترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشئ اذا كان لا يدرك ان الحكم فيه احوطه واعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال انى لارجو ان لا يقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا ادخله الله الجنة وقال فى خطبته أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم ايديكم والسنتكم واياكم ان تسبقونا فان المخصوم غدا من خصم اليوم وبعث اليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر فى هذا الامر وخرج اليه الاحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمان لانه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه قال الاحنف ولم ابايع عليا حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وانا اريد الحج وعثمان محصور فقلت لكل منهم ان الرجل مقتول فمن تأمرونى ابايع فكلهم قال بايع عليا فقلت اترضونه لى فقالوا نعم فلما قضيت حجى ورجعت الى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا ورجعت الى اهلى ورأيت الامر قد استقام فبينما انا كذلك اذ اتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك فقلت ما جاء بهم قال يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان فأتانى افظع امر فقلت ان خذلانى ام المؤمنين وحوارى

والدرع الحديد على بدنه لا ثوب تحته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البس السلاح وكنت عريانا اغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب فلبست الدرع امتثالا لامره وقد كان انتخب من اصحابه الف رجل فجعلهم اصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها الف مثقال ومثلهم اصحاب اعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد وفى اليوم الذى يحتاج فى مثله الى مباهاة الاعداء دفع اليهم تلك الاعمدة ومشوا فى خدمته اجلالا له فكان لا يطلع على سره احد ولا يعرف تدابيره غيره واكثر نهاره هو خال بنفسه يفكر فيما يدبره وكانت وفاته لسبع بقين من شوال عام خمسة وستين ومائتين بجنديسابور وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وتولى مكانه اخوه (عمرو بن الليث) وسار سيرته حسنة وزاد فى رفعته حتى خطب له بمدينة بغداد وكان لا يذكر غير اسم الخليفة وفى سنة سبع وثمانين ومائتين كانت الحرب بين اسمعيل بن احمد السامانى وبين عمرو المذكور بناحية بلخ وكانت اسرة اسمعيل المذكور معه على

عادة الفرس فى السفر فخرجت يوما الى حافة نهر تغتسل وأخرجت عقدها الثمين ووضعته على حافة النهر فجاء طير فاختطف ذلك

الا أبلغ بنى بكر رسولا * فليس الى بنى كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم * طويل الساعدين له فضول

فتمثل على عندها

ألم تعلم أبا سمعان انا * نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
ويذهل عقله بالحرب حتى * يقوم فيستجيب لغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر * ومابك يا سراقة من دفاع

ورجعت وفود أهل البصرة برأى أهل الكوفة ورجع القعقاع من البصرة فقام على خطيبا فحمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والاسلام والسعادة وانعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها والله بالغ أمره الا وانى راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشئ من أمور الناس وليغن السفهاء عنى أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسى وشريح بن أوفى والاشتر فى عدة ممن سار الى عثمان ورضى بسير من سار وجاء معهم المصريون وابن السوداء وخالد بن ملجم فتشاوروا فقالوا ما الرأى وهذا على وهو والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقرب الى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر اليه سواهم والقليل من غيرهم فكيف به اذا شام القوم وشاموه ورأوا قلتنا فى كثرتهم وأنتم والله ترادون وما أنتم بانجى من شئ فقال الاشتر قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا وأما على فلم نعرف رأيه الى اليوم ورأى الناس فينا واحد فان يصطلحوا مع على فعلى دمائنا فهلموا بنا نثب على على وطلحة فنلحقهما بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأى رأيت أنتم يا قتلة عثمان بذى قار الفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا ابن الحنظلية يعنى طلحة وأصحابه فى نحو من خمسة آلاف بالاشواق الى أن يجدوا الى قتالكم سبيلا فقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فان قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم وان كثروا كان أحرى ان يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقوون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت ود والله الناس انكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ولو انفردتم لتخطفكم الناس كل شئ فقال عدى بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله (٣) فى خوض الحديث فأما اذا وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح فان أقدمتم أقدمنا وان أمسكتم أمسكنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فانى لم أرد ذلك والله لئن لقيتهم غدا لا أرجع الى شئ واحلف بالله انكم لتفرقن السيف فرق قوم لا تصير أمورهم الا الى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولا وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغى لكم تعجيله ولا تعجلوا أمرا ينبغى لكم تأخيره فانا عند الناس بشر المنازل وما أدرى ما الناس صانعون اذا ما هم التقوا وقال ابن السوداء يا قوم ان عزكم فى خلطة الناس فاذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدا

من

مكانه ولده السلطان (يعقوب)
ولما توفى الامير رحمه تولى مكانه فى أواسط شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين فانقادت له جميع العساكر لحسن سيرته فملك سجستان وبلاد خراسان وكرمان وكان ذلك فى خلافة المهتدى بالله العباسى فلما بسق عظم نجم جريدته واتسعت رقعة ولايته فملك بلاد فارس وخوزستان واتخذ نيسابور دار ملكه وكانت له سياسة ان معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من ملوك الامم الغابرة من الفرس وغيرهم وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم لطاعته لما كان شملهم من احسانه وغمرهم من بره ولا قلوبهم من هيبته ورغبته فما ذكر من طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح للناس ان يرعوا دوابهم ثم حدث أمر أوجب الرحيل عن تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الربيع وانه رأى رجلا من أصحابه قد أسرع الى دابته وهى ترعى والحشيش فى فيها فأخرجه من فم الدابة ومنعها ان تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة كالمخاطب لها فقال بالفارسية أمير كفت اسبان بسبز ببرند وتفسير ذلك أمر الامير بقطع

وافترق اهل البصرة ثلاث فرق فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي وفرقة لاترى القتال منهم الاحنف وعمران بن حصين وغيرهما وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحدان في الازد ورأس الازد يومئذ صبرة بن شيمان فقال له كعب بن سور ان الجموع اذا تراءت لم تستطع ائتلافها بحور تدفق فأطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك فاني أخاف ان لا يكون صلح ودع مضر وربيعة فهما اخوان فان اصطلحا فالصلح أردنا وان اقتتلا كنا حكاما عليهم غدا وكان كعب في الجاهلية نصرانيا فقال له صبرة أخشى ان يكون فيك شيء من النصرانية أتأمرني ان أغيب عن اصلاح بين الناس وان اخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير ان ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان والله لا أفعل هذا أبدا فاطبق أهل اليمن على الحضور وحضر مع عائشة الحباب بن راشد في الرباب وهم تيم وعدي وثور وعكل بنو عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وضبة بن أد ابن طابخة وحضر أيضا أبو الجرباء في بني عمرو بن تميم وهلال بن وكيع في بني حنظلة وصبرة بن شيمان على الازد ومجاشع بن مسعود السلمي على سليم وزفر بن الحرث في بني عامر وغطفان ومالك بن مسمع على بكر والخريت بن راشد على بني ناجية وعلى اليمن ذو الاجرة الحميري ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون في الصلح ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح وعائشة في الحدان والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا وردوا حكيما ومالكا الى علي انا على ما فارقنا عليه القعقاع ونزل علي بحيالهم فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الى اليمن فكان بعضهم يخرج الى بعض لا يذكرون الا الصلح وكان أصحاب علي عشرين ألفا وخرج علي وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثا هما محمد بن ابي طلحة الى علي وارسل علي الى رؤساء اصحابه وطلحة والزبير الى رؤساء أصحابهما بذلك فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا يتشاورون فاجمعوا على انشاب الحرب فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فقصد مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم ويمنهم الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبعث طلحة والزبير الى الميمنة وهم ربيعة اميرا عليها عبد الرحمن بن الحرث والى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وثبتا في القلب وقالا ما هذا قالوا طرقنا اهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه لن يطاوعنا فردا اهل البصرة أولئك الكوفيين الى عسكرهم فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضع السبئية رجلا قريبا منه يخبره بما يريد فلما قال علي ما هذا قال ذلك الرجل ما شعرنا الا وقوم منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس فارسل علي صاحب الميمنة الى الميمنة وصاحب الميسرة الى الميسرة وقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وانهما لن يطاوعانا والسبئية لا تفتر ونادى علي في الناس كفوا فلا شيء وكان من رأيهم جميعا في تلك الفتنة ان لا يقتتلوا حتى يبدؤا يطلبون بذلك الحجة وان لا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا

في استتاره على ثلثمائة جمل واليوم يحملها كلب في عنقه وكانت مدة تملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (طاهر بن عمرو ابن الليث) خمس سنين وهذا آخر من ملك من بني الصفار وقد انقرضت دولتهم في سنة خمس وثلثمائة والله اعلم

(الباب السابع والعشرون في ذكر دولة آل سامان بما وراء النهر وخراسان)

ذكر العتبي في تاريخه ان ملك آل سامان كان بما وراء النهر الى سجستان واصفهان وهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وسبعين سنة وستة اشهر اولهم (ابو ابراهيم اسمعيل) بن احمد وهو الذي قبض على عمرو ابن الليث المذكور وكان منعوتا بالعدل والرأفة موسوما بطاعة الخلافة توفي ببخارا ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده (ابو نصر احمد بن اسمعيل) فملك ست سنين وثلاثة اشهر وقتله نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان مقتديا بسيرة أبيه في اتباع العدل الى ان طوت الدنيا صحائف ايامه وملك بعده ولده (ابو الحسن نصر بن أحمد) ثلاثين سنة وكان رفيع العماد قوي العماد فلما توفي تلاه في ارث الملك (نوح بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امر وفي بيعته اشد فلما اتيتهم قالوا جئنا لكذا وكذا قال فقلت يا ام المؤمنين ويا زبير ويا طلحة انشدتكم الله أقلت لكم من تأمرونني ابايع فقلتم بايع عليا فقالوا نعم ولكنه بدل وغير فقلت والله لا اقاتلكم ومعكم ام المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتموني ببيعته ولكني اعتزل فأذنوا له في ذلك فاعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف وهي من البصرة على فرسخين فلما قدم علي أتاه الاحنف فقال له ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم قال ما مثلي يخاف هذا منه وهل يحل هذا الا من تولى وكفر وهم قوم مسلمون قال اختر مني واحدة من اثنتين اما ان أقاتل معك واما ان أكف عنك عشرة آلاف سيف قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال ان من الوفاء لله قتالهم قال فاكفف عنا عشرة آلاف سيف فرجع الى الناس فدعاهم الى القعود ونادى يا آل خندف فأجابه ناس ونادى يا آل تميم فأجابه ناس ثم نادى يا آل سعد فلم يبق سعدي الا أجابه فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس فلما كان القتال وظفر علي دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلي هذا الزبير فقال اما انه أحرى الرجلين ان ذكر بالله تعالى ان يذكر وخرج طلحة فخرج اليهما علي حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال علي لعمري قد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن اخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي قال طلحة ألبت على عثمان قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت اما بايعتني قال بايعتك والسيف على عنقي فقال علي للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أراك لهذا الامر أهلا ولا أولى به منا فقال له علي ألست له أهلا بعد عثمان قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وذكره أشياء وقال له تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر الي فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له قال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبدا فانصرف علي الى أصحابه فقال اما الزبير فقد أعطى الله عهدا ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة فقال لها ما كنت في موطن منذ عقلت الا وأنا اعرف فيه امري غير موطني هذا قالت فما تريد ان تصنع قال اريد ان ادعهم واذهب قال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الفئتين حتى اذا حدد بعضهم لبعض اردت ان تتركهم وتذهب لكنك خشيت رايات ابن ابي طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد وان تحتها الموت الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك وقال اني حلفت ان لا اقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فاعتق غلامه مكحولا وقيل سرجس فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي

لم ار كاليوم اخا اخوان ✻ اعجب من يكفر الايمان

الابيات وقيل انما عاد الزبير عن القتال لما سمع ان عمار بن ياسر مع علي فخاف ان يقتل عمارا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمار تقتلك الفئة الباغية فرده ابنه عبد الله كما ذكرناه

العقد وطار به فلحقته الخيول فأتى الطائر العقد في ترك البرية فنزل اعوان السلطان الى البئر فوجدوا في اسفل البئر ثمانية وسبعين صندوقا مملوءة من الذهب والجواهر وهي خزينة خصمه الذي خرج لقتاله وهو عمرو بن الليث واستبشر بذلك انه بعاقبة عمر وكان كذلك وفي تواريخ الفرس ان عمرو ابن الليث هذا أمسكه الملك اسمعيل منفردا وأسره ولم يحصل لاحد من عسكره بأس وذلك ان فرس عمرو عشق فرسا انثى في جانب خصمه اسمعيل المذكور فحملت فرسه كرها عليه ولم يستطع ردها الى ان دخل بين عسكر عدوه فأمسكوه فلما انتصر اسمعيل وأسر عمرو ارسله الى الخليفة المعتضد بالله فلما ادخل الى مدينة بغداد وكان رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان انفذه الى الخليفة في هدايا تقدمت له فقال في ذلك الحسين بن محمد

الم تر هذا الدهر كيف يكون ✻ يكون يسيرا امره وعسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة ✻ يروح ويغدو في الجيوش اميرا
حباهم باجمال ولم يدر انه ✻ على جمل منها يقاد اسيرا

فلما مثل بين يدي الخليفة امر بحبسه ومنع الطعام عنه فهلك في السجن من الجوع وقيل انتهى طعاما فوضعوا له قطعة لحم في سطل بجانب كلب ووضع عنقه في السطل وتعلق برقبته وافترق

صوتها كثرة الله الله اذكروا الله والحساب فيأبون الا اقداما فكان أول شئ أحدثته حين ابوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم واقبلت تدعو وضج الناس بالدعاء فسمع على فقال ما هذه الضجة قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال على اللهم العن قتلة عثمان فأرسلت الى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن اثبتا مكانكما وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم على فنخس قفا ابنه محمد وكانت الراية معه وقال له احمل فتقدم حتى لم يجد متقدما الا على سنان رمح فأخذ على الراية من يده وقال يا بنى بين يدى وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبتان على حالهما لا تصنع شيأ ومع على قوم من غير مضر منهم زيد بن صوحان طلبوا ذلك منه فقال له رجل تنح الى قومك مالك ولهذا الموقف الست تعلم ان مضر بحيالك والجمل بين يديك وان الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت اريد فأصيب هو واخوه سيحان وارتث صعصعة أخوهما واشتدت الحرب فلما رأى على ذلك بعث الى ربيعة والى اليمن أن اجمعوا من يليكم فقام رجل من عبد القيس من اصحاب على فقال ندعوكم الى كتاب الله فقالوا وكيف يدعونا اليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قتل كعب بن سور داعى الله ورمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه فقام مسلم بن عبد الله العجلى مكانه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم وأبى اهل الكوفة الا القتال ولم يريدوا الا عائشة فذكرت اصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ثم عادت يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس اخذها فثبتت في يده وهو يقول

قد عشت يا نفسى وقد عشيت * دهرا فقدك اليوم ما بقيت

* اطلب طول العمر ما حييت *

وانما تمثلها وقال ابن ابى نمران الهمدانى

جردت سيفى فى رجال الازد * اضرب فى كهولهم والمرد

* كل طويل الساعدين نهد *

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل على رايتهم وهم فى الميسرة زيد وعبد الله بن رقبة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول اللهم انت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا فى شبهة وعلى ريبة وقتل واشتد الامر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة اهل البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة اهل الكوفة ان يختلطوا بقلبهم وان كانوا الى جنبهم وفعل مثل ذلك ميسرة اهل الكوفة بميمنة اهل البصرة فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا طرفوا اذا فرغ الصبر فجعلوا يقصدون الاطراف الايدى والارجل فما رؤى وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعا مقطوعة ولا رجلا مقطوعة وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله فنظرت عائشة من يسارها فقالت من القوم عن يسارى قال صبرة بن شيمان بنوك الازد فقالت يا آل غسان حافظوا اليوم جلادكم الذى كنا

وهم عشرة أنفار ومدة ملكهم مائة سنة واثنتان وسبعون سنة وأول من تولى الملك منهم (سبكتكين) وسببه انه ورد بخارا فى أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المقدم ذكرهم وكان وروده فى صحبة ابى اسحق بن ألبتكين وهو حاجبه ولما خرج ابو اسحق المذكور واليا الى غزنه انصرف الامير سبكتكين وعليه مدار أموره فلم يلبث أبو اسحق بعدها وافاته ان تفنى شعبه ولم يبق من ذوى قرابته من يصلح لمكانه ثم وقع اتفاقهم على تولية الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع فى الغزو والاغارة على اطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم جبروته وآخر الامر انه وصل الى مدينة بلخ من طوس فرض بها فاشتاق الى غزنه فخرج اليها فمات فى الطريق قبل وصوله وذلك فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (اسمعيل) بعهد منه وكان

وأقبل كعب بن سور حتى اتى عائشة فقال ادركى فقد ابى القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك فركبت وألبسوا هودجها الادراع فلما برزت من البيوت وهي على الجمل بحيث يسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه ويقول أتقتلني يا ابا اليقظان فيقول لا يا ابا عبد الله وانما كف الزبير عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ولولا ذلك لقتله وبينما عائشة واقفة اذ سمعت ضجة شديدة فقالت ما هذا قالوا ضجة العسكر قالت بخير او بشر قالوا بشر فما فجأها الا الهزيمة فمضى الزبير من وجهه الى وادي السباع وانما فارق المعركة لانه قاتل تعذيرا لما ذكره علي واما طلحة فاتاه سهم غرب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادي الي الي عباد الله الصبر الصبر فقال له القعقاع ابن عمرو يا ابا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى فلما امتلأ خفه دما وثقل قال لغلامه اردفني وأمسكني وأبلغني مكانا انزل فيه فدخل البصرة فأنزله في دار خربة فمات فيها وقيل انه اجتاز به رجل من اصحاب علي فقال له انت من اصحاب امير المؤمنين قال نعم قال امدد يدك ابايعك له فبايعه فخاف ان يموت وليس في عنقه بيعة ولما قضى دفن في بني سعد وقال لم ارشيخا اضيع دما مني وقتل عند دخول البصرة مثله ومثل الزبير

فان تكن الحوادث اقصدتني * واخطأهن سهمي حين ارمي

فقد ضيعت حين تبعت سهما * سفاها ما سفهت وضل حلمي

ندمت ندامة الكسعي لما * شريت رضا بني سهم برغمي

اطعتهم بفرقة آل لاي * فألقوا للسباع دمي ولحمي

وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره واما الزبير فانه مر بعسكر الاحنف بن قيس فقال والله ما هذا الخيار يجمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا لحق ببيته وقال الاحنف للناس من يأتيني بخبره فقال عمرو بن جرموز لاصحابه انا فاتبعه فلما لحقه نظر اليه الزبير فقال ما وراءك قال انما اريد ان أسألك فقال غلام للزبير اسمه عطية انه معد قال ما يهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه في جربان درعه فقتله واخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلى عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع الى الناس بالخبر وقال الاحنف لابن جرموز والله ما ادري احسنت ام اسأت فاتى ابن جرموز عليا فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال علي ائذن له وبشره بالنار واحضر سيف الزبير عند علي فأخذه فنظر اليه وقال طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث به الى عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة فلما رأوا الخيل اطافت بالجمل عادوا قلبا كما كانوا حيث التقوا وعادوا في امر جديد ووقفت ربيعة بالبصرة ميمنة وبعضهم ميسرة وقالت عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس لكعب بن سور خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم اليه وناولته مصحفا فاستقبل القوم والسبئية امامهم فرموه رشقا واحدا فقتلوه ورموا ام المؤمنين في هودجها فجعلت تنادي البقية البقية يا بني ويعلو

نصر) وهو الجد في آرائه السديد في آلائه ملك اثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة ايام وتوفي ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه (عبد الملك ابن نوح) فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا وخلفه في الولاية اخوه (منصور بن نوح) خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولي امره ولده (نوح بن منصور) احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر فتوفي وولي بعده ولده (منصور بن نوح) ثم بعد عامين وثب عليه اخوه عبد الملك بن نوح فقبض عليه فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه (عبد الملك ابن نوح) فما استقرت قدمه في الولاية حتى غربت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعامته وشالت نعامته فطار الى بخارا وقبض ايلك خان عليه وانتزع ولايته من يديه وكانت مدة ملكه ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما وتولى بعده (اسمعيل بن نوح) وهو آخر من تولى الملك من هذه الطائفة فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول

(الباب الثامن والعشرون في ذكر دولة بني سبكتكين ذوي الرأي الصحيح والعقل الرصين صورتها

تبغي ابن عفان بأطراف الاسل * الموت احلى عندنا من العسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقيل ان هذه الابيات لوسيم بن عمرو الضبي وكان عمرو يحرض أصحابه يوم الجمل وقد أخذ الخطام ويقول

نحن بنو ضبة لا نفر * حتى نرى جماجما تخر
يخر منها العلق المحمر

ويقول يا أمنا يا عيش لن تراعي * كل بنيك بطل شجاع

ويقول يا أمنا يا زوجة النبي * يا زوجة المبارك المهدي

ولم يزل الامر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلا قالت عائشة ما زال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة قال واخذ الخطام سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بخطام الجمل وكان ممن اخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة وقال يا أمتاه مريني بأمرك قالت آمرك ان تكون خير بني آدم ان تركت فجعل لا يحمل عليه احد الا حمل وقال حاميم لا ينصرون واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله المكعبر الاسدي والمكعبر الضبي ومعاوية بن شداد العبسي وعفار السعدي النصري فانفذه بعضهم بالرمح ففي ذلك يقول

واشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شئ غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الاشرف فجعل لا يدنو منه احد الا خبطه بالسيف فاقبل اليه الحرث بن زهير الازدي وهو يقول

يا أمنا يا خير أم نعلم * اما ترين كم شجاع يكلم
وتختلي هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه واحدق اهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام احد الا قتل وكان لا يأخذه والراية الا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب انا فلان بن فلان فوالله ان كانوا ليقاتلون عليه وانه للموت لا يوصل اليه الا بطلبة وعنت وما رامه احد من اصحاب علي الا قتل او افلت ثم لم يعد وحمل عدي بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت من أنت فقال ابنك ابن اختك قالت واثكل اسماء وانتهى اليه الاشتر فاقتتلا فضربه الاشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبد الله ضربة خفيفة واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا الى الارض يعتركان فقال ابن الزبير

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

لو يعلمون من مالك لقتلوه انما كان يعرف بالاشتر فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما قال الاشتر لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت اشد الناس واخرقه ما لبثته ان قتلته ولقيت الاسود بن عوف فلقيت أشد الناس واشجعه فما كدت انجو منه فتمنيت اني لم أكن لقيته وتلقي

من هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين وبين هذه القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس فلما وصلوا الى القلعة وجدوها خالية فافتتحوها في ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم ووجدوا حوله من اصنام الذهب المرصع بأنواع الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه يزعمون انها الملائكة واحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في اذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم السلطان محمود عن ذلك فقالوا كل حلقة عبادة الف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم ويزعمون أن هذا الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة فأدحض عنهم الدناس الشرك ومناقب هذا السلطان كثيرة وسيرته من احسن السير وكان مولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفي في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه قريبا من خمس وثلاثين سنة وقام بالامر بعده ولده (محمد) بعهد منه واجتمعت عليه الكلمة وكان اخوه ابو سعيد مسعود

نسمع به وغفلت

وجالد من غسان اهل حفاظها * وكعب وأوس جالدت وشبيب

فكان الازد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك وقالت لمن عن يمينها من القوم عن يمينى قال بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل

وجاؤا الينا فى الحديد كأنهم * من العزة القعسا بكر بن وائل

انما بازائكم عبد القيس فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك واقبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية قالت بخ بخ سيوف ابطحية قرشية فجالدوا جلادا يتفادى منه ثم اطافت بها بنو ضبة فقالت ويها جمرة الجمرات فلما رقوا خالطهم بنو عدى بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت من أنتم قالوا بنو عدى خالطنا اخوتنا فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديدا ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف حتى اذا كثر ذلك وظهر فى العسكر بن جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم او يصرع الجمل وصار مجنبتا على الى القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره القوم بعضهم بعضا وأخذ عميرة بن يثربى برأس الجمل وكان قاضى البصرة قبل كعب بن سور فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله فقال على من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملى المرادى فاعترضه ابن يثربى فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربى ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربى فقتله وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة وقال ابن يثربى

أنا لمن ينكرنى ابن يثربى * قاتل علباء وهند الجملى

* وابن لصوحان على دين على *

وقال ابن يثربى ايضا

اضربهم ولا أرى اباحسن * كفى بهذا حزنا من الحزن

* انا نمر الامر امرار الرسن *

فناداه عمار لقد عذت بحريز وما اليك من سبيل فان كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة الى فترك الزمام فى يد رجل من بنى عدى حتى اذا كان بين الصفين تقدم عمار وهو ابن تسعين سنة وقيل أكثر من ذلك عليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف وهو أضعف من بارزه واسترجع الناس وقالوا هذا لاحق بأصحابه وضربه ابن يثربى فاتقاه عمار بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج واسف عمار لرجليه فضربه فقطعهما فوقع على استه وأخذ اسيرا فأتى به الى على فقال استبقنى فقال ابعد ثلاثة تقتلهم وأمر به فقتل وقيل ان المقتول عمرو بن يثربى وان عميرة بقى حتى ولى قضاء البصرة مع معاوية ولما قتل ابن يثربى تولى ذلك العدوى الزمام فتركه بيد رجل من بنى عدى وبرز فخرج اليه ربيعة العقيلى يرتجز ويقول

يا امتا أعق ام نعلم * والام تغذو ولدا وترحم

الا ترين كم شجاع يكلم * وتختلى منه يده ومعصم

كذب فهى من ابر أم نعلم ثم اقتتلا فأثخن كل واحد منهما صاحبه فماتا جميعا وقام مقام العدوى الحرث الضبى فما رؤى اشد منه وجعل يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * نبارز القرن اذا القرن نزل

اخوه (السلطان محمود) بخراسان مقيما بمدينة بلخ واسمعيل بغزنة فلما بلغه نعى أبيه وتولية أخيه اسمعيل قصده فى جيش عظيم فظفر به وحبسه واستولى على الملك ولما انتظم له الامر سير له الامام القادر بالله العباسى خلعة السلطنة ولقبه بسيف الدولة ثم يمين الدولة وفرض على نفسه غزو الهند فى كل عام ولم يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه فى الاسلام راية ولم تتل به قط سورة ولا آية فوصل الى بلد فيه الصنم المعروف بسومنات وان هذا الصنم عند الهنود يحيى ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت اليه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وان مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته ولم يبق فى بلاد السند والهند احد الا وقد تقرب لهذا الصنم بما عز عليه حتى بلغت اوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلأت خزائنه من اصناف الاموال وفى خدمته ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون يرقصون عند بابه ولكل طائفة

* ليس بوهواه ولا براع *

وقال القعقاع

اذا وردنا آجنا جهرناه * ولا يطاق ورد ما منعناه

وزحف الى زفر بن الحرث الكلابي وتسرعت عامر الى سويه فأصيبوا فقال القعقاع لبجير بن دلجة وهو من أصحاب علي يا بجير بن دلجة صح بقومك فليعقروا الجمل قبل ان تصابوا وتصاب ام المؤمنين فقال بجير يا آل ضبة يا عمرو بن دلجة ادع بي اليك فدعاه فقال انا آمن حتى أرجع عنكم قال نعم فاجتث ساق البعير فرمى نفسه على شقه وجرجر البعير فقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وانه كالقنفذ لما فيه من السهام ثم أطافا به وفر من وراءه ذلك من الناس فلما انهزموا أمر علي مناديا فنادى ألا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر علي نفرا ان يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر اخاها محمد بن ابي بكر ان يضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل اليها شيء من جراحة فادخل رأسه في هودجها فقالت من انت فقال ابغض أهلك اليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت يا بابي الحمد لله الذي عافاك وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر اليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت من هذا فقال اخوك البر قالت عقق قال يا أخية هل اصابك شيء قالت ما أنت وذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة وقال لها عمار كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أماه قالت لست لك بأم قال بلى وان كرهت قالت فخرتم أن ظفرتم واتيتم مثل الذي نقمتم هيهات والله ان يظفر من كان هذا دأبه فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها احد واتاها علي فقال كيف انت يا امه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء أعين بن ضبيعة بن اعين المجاشعي حتى اطلع في الهودج فقالت اليك لعنك الله فقال والله ما أرى الا حميراء فقالت له هتك الله سترك وقطع يدك وابدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عريانا في خربة من خرابات الازد ثم اتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع ابن عمرو فسلم عليها فقالت اني رأيت بالامس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك قال نعم ذاك الذي قال اعق ام نعلم وكذب انك لابر أم نعلم ولكن لم تطاعي قالت والله لوددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة * وخرج من عندها فأتى عليا فقال له علي والله لوددت اني مت من قبل اليوم بعشرين سنة وكان علي يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال

اليك اشكو عجري وبجري * ومعشرا اغشوا علي بصري
قتلت منهم مضري بمضري * شفيت نفسي وقتلت معشري

فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد بن ابي بكر البصرة فانزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهي ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف وتسالل الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة فأقام علي بظاهر البصرة ثلاثا واذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وطاف علي في القتلى فاتى على كعب بن سور قال ازعمتم انه خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون واتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم يعني انهم كانوا يطيفون به واجتمعوا على الرصافة

ذكر ابن عساكر في تاريخه ان طولون كان من الاتراك الذين اهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارا الى المأمون في سنة مائتين وان احمد بن طولون ولي على مصر في زمن المعتز بالله العباسي في سنة خمسين ومائتين ثم أضيفت اليه نيابة الشام والثغور وأفريقية فأقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى قلعة يافا ولم يكن لها قبل ذلك قلعة وبنى بين مصر والقاهرة الجامع المعروف به واستقل بالامر وخطب باسمه وكان كثير الصدقات فقال له يوما المتولي على صدقاته ربما امتدت الي اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم أفأمنع هذه الطبقة فقال هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف احذران ترد يدا امتدت اليك وأعط من استعطاك فعلى الله تعالى أجره وكان يتصدق في كل اسبوع بثلاثة آلاف دينار سوى الراتب ويجري على أهل المساجد في كل شهر ألف دينار وفرق على العلماء والصلحاء ببغداد في أيامه الفي ألف دينار ومائتي ألف دينار وكان خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وكان لابن طولون ما بين رحبة مالك بن طوق الى اقصى بلاد الغرب وفي النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة أن احمد بن طولون قدم الى دمشق في

جندب بن زهير الغامدي فضربه فقتلته قال ورأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدي بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناه فقتلناه قال واخذ الخطام الاسود بن ابي البختري فقتل وهو قرشي ايضا واخذه عمرو بن الاشرف فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من اهل بيته وهو ازدي وجرح مروان بن الحكم وجرح عبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية قال وما رأيت مثل يوم الجمل ما ينهزم منا احد وما نحن الا كالجبل الاسود وما يأخذ بخطام الجمل احد الا قتل حتى ضاع الخطام ونادى علي اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضرب به رجل فسقط فما سمعت صوتا اشد من عجيج الجمل وكانت راية الازد من اهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل واخذها الصقعب واخوه عبد الله بن سليم فقتل واخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده وكانت راية عبد القيس من اهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة نفر فقتلوا منهم عبد الله بن رقية ثم اخذها منقذ بن النعمان فدفعها الى ابنه مرة بن منقذ فانقضى الحرب وهي في يده وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل مع الحرث بن حسان الذهلي فاقدم وقال يا معشر بكر لم يكن احد له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه وخمسة من بني أهله وقتل الحرث فقيل فيه

انعى الرئيس الحرث بن حسان * لآل ذهل ولآل شيبان

وقال رجل من بني ذهل

تنعى لنا خير امرئ من عدنان * عند النزال والطعان الاقران

وقال أخوه بشر بن حسان

انا ابن حسان بن خوط وأبي * رسول بكر كلها الى النبي

وقتل رجال من بني محدوج وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا وقال رجل لاخيه وهو يقاتل يا اخي ما احسن قتالنا ان كنا على الحق قال فانا على الحق ان الناس أخذوا يمينا وشمالا وانا تمسكنا باهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وجرح يومئذ عمير بن الاهلب الضبي فمر به رجل من اصحاب علي وهو في الجرحى يفحص برجليه ويقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم تنصرف الا ونحن رواء

لقد كان في نصر ابن ضبة امه * وشيعتها مندوحة وغناء

اطعنا قريشا ضلة من حلومنا * ونصرتنا اهل الحجاز عناء

اطعنا بني تيم بن مرة شقوة * وهل تيم الا اعبد واماء

فقال له الرجل قل لا اله الا الله قال ادن مني فلقني في صمم فدنا منه الرجل فوثب عليه فعض اذنه فقطعها وقيل في عقر الجمل ان القعقاع لقي الاشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال هل لك في العود فلم يجبه فقال يا اشتر بعضنا اعلم بقتال بعض منك وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحرث وكان آخر من أخذ الخطام فلم يبق شيخ من بني عامر الا أصيب قدام الجمل وزفر بن الحرث يرتجز ويقول

يا أمنا مثلك لا يراع * كل بنيك بطل شجاع

غالبا فقدم نيسابور فمال الناس اليه لان محمدا كان سيئ الخلق والتدبير متهمكا في لذاته فأجمع الجند على عزل محمد وتفويض الملك الى (مسعود) ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه الى قلعة ووكلوا به فكانت مدة ملكه سنتين واستقر الملك للامير مسعود فجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها حتى قتل في سنة ثلاثين وأربعمائة ومدة ملكه ثلاث عشرة سنة وتولى بعده ولده (شهاب الدولة مودود) ثم ابنه (أبو المظفر ابراهيم) وكان صالحا عابدا وكان أكثر مجالسه في الجوامع والمساجد يدبر الملك ويفيد الطالبين بالدرس فكانت مدة ملكه اثنتين وأربعين سنة ثم تولى الملك بعده ولده (ابو الفتح ارسلان شاه) مدة فلما مات بعده اخوه (المظفر بهرام شاه) ولم تزل تتلاشى امورهم ويختل نظامهم حتى ملك ولده (ابو شجاع خسروشاه) وهو آخر من ملك من هذه الطائفة واستولى على الملك السلجوقية فسبحان من لا يزول ملكه

(الباب التاسع والعشرون في ذكر دولة بني طولون بالديار المصرية وطرف من أوصافهم السنية وخصائلهم البهية)

مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما وسألت عائشة يومئذ عمن قتل من الناس منهم معها ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعي واحد من الجميع قالت يرحمه الله فقيل لها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان في الجنة وفلان في الجنة وقال علي اني لارجو ان لا يكون احد نقي قلبه لله من هؤلاء الا ادخله الله الجنة ثم جهز علي عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا من خرج معها الا من احب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة والمعروفات وسيره معها اخاها محمد بن أبي بكر فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه اتاها علي فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت يا بني لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وبين احمائها وانه على معتبتي لمن الاخيار وقال علي صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذلك وانها الزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيعها اميالا وسرح بنيه معها يوما فكان وجهها الى مكة فأقامت الى الحج ثم رجعت الى المدينة وقال لها عمار حين ودعها ما ابعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك قالت والله انك ما علمت لقوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى على لسانك لي واما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم وكان منهم عتبة بن أبي سفيان فخرج هو وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم فساروا في البلاد فلقيهم عصمة بن أبير التيمي فقال لهم هل لكم في الجوار فقال نعم فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيرهم نحو الشام في أربعمائة راكب فلما وصلوا الى دومة الجندل قالوا قد وفيت ذمتك وقضيت ما عليك فرجع واما ابن عامر فانه خرج ايضا فلقيه رجل من بني حرقوص يدعى مري فأجاره وسيره الى الشام واما مروان بن الحكم فاستجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له وحفظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم وانتفع بهم وشرفوه بذلك وقيل ان مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خلف وخرج معها الى الحجاز فلما سارت الى مكة سار الى المدينة وأما عبد الله بن الزبير فانه نزل بدار رجل من الازد يدعى وزيرا فقال له ائت ام المؤمنين فاعلمها بمكاني ولا يعلم محمد بن ابي بكر فأتى عائشة فاخبرها فقالت علي بمحمد فقال لها انه قد نهاني ان يعلم محمد فلم تسمع قوله وأرسلت الى محمد وقالت اذهب مع هذا الرجل حتى تأتيني بابن أختك فانطلق معه وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا الى دار عائشة في دار عبد الله بن خلف ولما فرغ علي من بيعة اهل البصرة نظر في بيت المال فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة فقال لهم ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها الى اعطياتكم فخاض في ذلك السبئية وطعنوا على علي من وراء وراء وطعنوا فيه ايضا حين نهاهم عن اخذ اموالهم فقالوا ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا اموالهم فقال لهم علي القوم امثالكم من صفح عنا فهو منا ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر وقال القعقاع ما رأيت شيئا اشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم باسنتنا ونتكئ على ازجتنا وهم مثل ذلك حتى لو ان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال عبد الله بن سنان الكاهلي لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتشبكت في صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال علي السيوف يا بني المهاجرين فما شبهت اصواتها الا بضرب القصارين وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل ان تغرب

بمصر ودفن بها وكان سببه انه نقل اليه ان جواريه قد اتخذت كل واحدة منها وجعلته لها كالزوج وقصد خمارويه تقرير بعض الجواري على ذلك فاجتمع جماعة من الخدم واتفقوا على قتله ولما قتل تولى مكانه ولده (جيش بن خمارويه) وكان صبيا فأقام تسعة أشهر ثم خلعه طغج بن جف أمير دمشق لصباه وتقريبه الاراذل وتهديده القواد اياه فقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر واحرقوها وأجلسوا اخاه (هرون بن خمارويه) في الولاية وكانت مدة ولاية اخيه جيش المذكور تسعة أشهر ولم يزل هرون واليا مع ضعف من الامر بسبب اختلاف القواد عليه واختل نظام مملكته حتى استقل (طغج بن جف) بدمشق وخرج عن طاعته وفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعث المكتفي جيشا أمر عليهم محمد بن سليمان الواثق فاستولى على دمشق وسار حتى دنا من مصر وجرى بينه وبين عسكر هرون وقعات حتى قتل هرون وتولى بالامر مكانه عمه (أبو المغانم شيبان) بن أحمد بن طولون ثم هرب من الجيش تحت الليل واستولى (محمد ابن سليمان) على مصر وقبض على أولاد طولون وكانوا بضعة عشر رجلا واستصفى اموالهم وقدرها أربعمائة حمل بغل من التحف وألف ألف دينار وحملهم الى المكتفي ببغداد وانقرضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكانت مدة ولايتهم

اصلاتهم ومر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال له في عليك يا ابا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم انه لم يخرج الينا الا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم وصلى علي على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الاطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شئ وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيأ فليأخذه الا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من اصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة وقيل غير ذلك وقتل من ضبة ألف رجل وقتل من بني عدي حول الجمل سبعون رجلا كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ ولما فرغ علي من الوقعة أتاه الاحنف بن قيس في بني سعد وكانوا قد اعتزلوا القتال فقال له علي تربصت فقال ما كنت أراني الا وقد احسنت وبأمرك كان ما كان يا امير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد وأنت الى غدا أحوج منك امس فاعرف احساني واستصف مودتي لغد ولا تقل مثل هذا فاني لم ازل لك ناصحا ثم دخل على البصرة يوم الاثنين فبايعه اهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة واتاه عبد الرحمن بن ابي بكرة في المستأمنين ايضا فبايعه فقال له علي وما عمل المتربص المتقاعد بي ايضا يعني أباه ابا بكرة فقال والله انه لمريض وانه على مسرتك لحريص فقال علي امش أمامي فمشى معه الى ابيه فلما دخل عليه علي قال له تقاعدت بي وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بين واعتذر اليه فقبل عذره واراده على البصرة فامتنع وقال رجل من أهلك يسكن اليه الناس وسأشير عليه فافترقا على ابن عباس وولى زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس ان يسمع منه ويطيع وكان زياد معتزلا ثم راح الى عائشة وهو في دار عبد الله بن خلف وهي اعظم دار بالبصرة فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف وكان عبد الله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع علي وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي فلما رأته قالت له يا علي يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع ايتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيأ ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها ثم قال جبهتنا صفية اما اني لم ارها منذ كانت جارية فلما خرج علي اعادت عليه القول فكف بغلته وقال لقد هممت ان افتح هذا الباب وأشار الى باب في الدار واقتل من فيه وكان فيه ناس من الجرحى فأخبر علي بمكانهم فتغافل عنهم فسكت وكان مذهبه ان لا يقتل مدبرا ولا يذفف على جريح ولا يكشف سترا ولا يأخذ مالا ولما خرج علي من عند عائشة قال له رجل من ازد والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب وقال مه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا ولا تهيجن امرأة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فان النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف اذا هن مسلمات ومضى علي فلحقه رجل فقال له يا امير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو امض شتيمة لك من صفية قال ويحك لعلها عائشة قال نعم قال احدهما جزيت عنا امنا عقوقا وقال الآخر يا امي توبي فقد اخطأت فبعث القعقاع بن عمرو الى الباب فاقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين من ازد الكوفة وهما محمد ابنا عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما

سنة سبعين ومائتين وعمر على قبر معاوية بابا الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء واستقر ابن طولون مدة يجور ويعسف في الرعية الى ان اجتمعوا عند السيدة نفيسة وشكوا من ظلمه فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم ورددت الكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة لاسيما من قلوب أوجعتموها واجساد أعريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته توفي في عشر ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا وكانت مدة ولايته ست وعشرين سنة وتولى بعده ابنه (أبو الجيش) خمارويه واقام مدة طويلة وكان كثير السهر فاصطنع لنفسه بستانا بقرب جامع ابيه وابتنى فيه قصورا وساق اليه ماءها جارية وعمل في وسطه بركة عظيمة مملوءة بالزئبق ووضع عليها تختا كان ينام عليه لاجل سهره وقتل في شهر ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبحه بعض خدمه على فراشه بدمشق وحمل الى

وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ثم انهزموا ونادى رجل من الازد كرّوا فضربه محمد بن علىّ فقطع يده فقال يا معشر الازد فرّوا واستحرّ القتل فى الازد فنادوا نحن على دين علىّ فقال رجل من بنى ليث

سائل بنا حين لقينا الازدا * والخيل تعدو أشقرا و وردا
لما قطعوا كبدهم والزندا * سحقا لهم فى رأيهم وبعدا

وحمل عمار بن ياسر على الزبير فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد ان تقتلنى يا أبا اليقظان فقال لا يا ابا عبد الله انصرف فانصرف وجرح عبد الله بن الزبير فالقى نفسه فى الجرحى ثم برأ وعقر الجمل واحتمل محمد بن ابى بكر عائشة فانزلها وضرب عليها قبة فوقف علىّ عليها وقال لها استنفرت الناس وقد فروا وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا فى كلام كثير فقالت عائشة ملكت فاسجح نعم ما نلبت قومك اليوم فسرحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها بما تحتاج لم أذكر فى وقعة الجمل الا ما ذكره ابو جعفر اذ كان اوثق من نقل التمارخ فان الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم ومن قتل يوم الجمل عبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة له صحبة وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس بن عامر بن لؤى له صحبة وفيها قتل المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس له صحبة واستعمله عمر على مكة ثم عزله وفيها قتل معرض بن علاط السلمى اخو الحجاج بن علاط قتل مع علىّ وفيها قتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميان مع عائشة لهما صحبة فاما مجاشع فلا شك انه قتل فى الجمل وقتل عبد الله بن حكيم بن حزام الاسدى القرشى مع عائشة وكان اسلامه يوم الفتح وفيها قتل هند بن أبى هالة الاسيدى امه خديجة بنت خويلد زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم مع على وقيل مات بالبصرة والاول أصح (الاسيدى بضم الهمزة منسوب الى أسيد بتشديد الياء وهم بطن من تميم) وقتل هلال بن وكيع بن بشر التميمى مع عائشة له صحبة وفيها قتل معاذ بن عفراء اخو معوذ وهما ابنا الحرث بن رفاعة الانصاريان وشهدا بدرا وقتل مع على وقيل عاش وقتل فى وقعة الحرة (التيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخره نون وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة وسيحان بفتح السين المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الحاء المهملة وآخره نون ونجبة بفتح النون والجيم والباء الموحدة وعميرة بفتح العين وكسر الميم وأبير بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة والخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان وفى آخره تاء فوقها نقطتان)

﴿ ذكر قصد الخوارج سجستان ﴾

فى هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطى وعمران بن الفضيل البرجمى فى صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان وقد نكث أهلها فأصابوا منها مالا ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها فقال الراجز

بشر سجستان بجوع وحرب * بابن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة تغنيهم ولا ذهب

فبعث علىّ عبد الرحمن بن جرو الطائى فقتله حسكة فكتب علىّ الى عبد الله بن العباس يأمره

بالاخشيد وتولى مصر والديار الشامية من قبل الراضى بالله العباسى ولما ضعفت أمر الخلافة وتغلب عمال الاطراف عليها استقر ملك مصر والشام فى يد الاخشيد الى ان مات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وكان شيخا من شيوخ المعتزلة وكان شديد التيقظ فى حروبه وله ثمانية آلاف مملوك يحرسونه بالنوبة كل يوم ألف مملوك وهو لا يثق حتى يمضى الى خيم الفراشين فينام بها خوفا على نفسه وكان جيشه يحتوى على أربعمائة ألف رجل ولم يزل الى ان توفى فى الوقت المعلوم وحمل تابوته الى بيت المقدس ودفن هنالك وكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وفى السنة التى توفى فيها وجد بداوه رقعة مكتوب فيها هذه الكلمات اشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات أوما علمتم ان الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل اليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقى فكفى بصحبة ملك يكون فى زوال ملكه فرح للعالم ثقوا بقدرتكم وسلطانكم فانا بالله واثقون وهو حسبنا ونعم الوكيل

الشمس من أسرهم جاء حول المدينة ومعه شيء معلق فسقط منه فاذا كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل اليهم النسور من الايدي والاقدام وأراد علي المقام بالبصرة لاصلاح حالها فاعجلته السبئية عن المقام فانهم ارتحلوا بغير اذنه فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا ان أرادوه وقد قيل في سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدم مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة والوقعة الاولى مع عثمان بن حنيف وحكيم (واما سير علي وعزل ابي موسى) فقال فيه ان عليا لما أرسل محمد بن ابي بكر الى ابي موسى وجرى له ما تقدم سار هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الى علي بالربذة فاعلمه الحال فاعاده علي الى ابي موسى يقول له ارسل الناس فاني لم اولك الا لتكون من اعواني على الحق فامتنع ابو موسى فكتب هاشم الى علي اني قدمت على رجل غال مشاق ظاهر الشنآن وأرسل الكتاب مع المحل ابن خليفة الطائي فبعث علي الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة بن كعب الانصاري أميرا وكتب معه الى أبي موسى اني قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فاني قد أمرته ان ينابذك فان نابذته فظفر بك يقطعك اربا اربا فلما قدم الكتاب على ابي موسى اعتزل واستنفر الحسن الناس فنفروا نحو ما تقدم وسار علي نحو البصرة فقال جون بن قتادة كنت مع الزبير فجاء فارس يسير فقال السلام عليك أيها الامير فرد عليه فقال ان هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا فلم أر أرث سلاحا ولا اقل عددا ولا ارعب قلوبا منهم ثم انصرف عنه وجاء فارس آخر فقال له ان القوم قد بلغوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدة فقاموا فولوا مدبرين فقال الزبير ايها اعنك فوالله لو لم يجد علي بن ابي طالب الا العرفج لدب الينا فيه فانصرف وجاء فارس وقد كادت الخيل تخرج من الرهج فقال هؤلاء القوم قد اتوك فلقيت عمارا فقلت له وقال لي فقال الزبير انه ليس فيهم فقال الرجل بلى والله انه فيهم فقال الزبير والله ما جعله الله فيهم فقال الرجل بلى والله فلما كرر عليه أرسل الزبير رجلين ينظران فانطلقا ثم رجعا فقالا صدق الرجل فقال الزبير يا جدع انفاه يا قطع ظهراه ثم أخذته رعدة فجعل السلاح ينتفض قال جون فقلت ثكلتني امي هذا الذي كنت أريد ان اموت معه او اعيش ما أخذه هذا الامر الا لشيء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف جون فاعتزل وجاء علي فلما تواقف الناس دعا الزبير وطلحة فتواقفوا وذكر من أمر الزبير وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدم ولما أبوا الا القتال قال علي أيكم يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه فان قطعت يده اخذه بيده الاخرى فان قطعت اخذه باسنانه وهو مقتول فقال شاب انا فطاف به على أصحابه فلم يجبه الا ذلك الشاب ثلاث مرات فسلمه اليه فدعاهم فقطعت يده اليمنى فأخذه باليسرى فقطعت فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل فقال علي الآن حل قتالهم فقالت ام الفتى

لاهم ان مسلما دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم

وامهم قائمة تراهم * تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

* قد خضبت من علق لحاهم *

وحملت ميمنة علي على ميسرتهم فاقتتلوا فلاذ الناس بعائشة وكان أكثرهم من ضبة والازد

المصرية والشامية ذوي المفاخر الحسنة والشمائل المرضية ونبذة من أخبار آل جدان لانهم كانوا ابتداء في وجه الزمان)*

ذكر الصوري في تاريخه ان هذه الطائفة منسوبون الى عبد الله بن طغج بن جف ابن يلتكين بن فور بن خاقان صاحب سرير الذهب والقصر الجوهر في فرغانة وكان المعتصم جلب من فرغانة رجالا اصطنعهم فكان جف من جملتهم ومات جف ليلة قتل المتوكل وكان طغج اصغر اولاده فولد له محمد وهو اول من استولى على مصر والشام وعبده كافور والاصل في اخشيد آق شيد ومعناه الشمس البيضاء وكل من ملك بفرغانة يسمى الاخشيد كما يدعو الروم ملكها بقيصر والفرس بكسرى والمسلمون بالخليفة والترك بخاقان وملك جرجان صول وملك اذربيجان اصبهبد وملك طبرستان سالار وملك الديلم كاسان وملك الانباط نمرود وملك القبط فرعون وملك اليمن تبع وملك الحبشة النجاشي كذا في البيان الجامع لتاريخ الزمان ولقب محمد بن طغج

بسلطان بلاده شهرا او نحوه لذلك أهلا وخرج عبد الله هاربا حتى قدم على معاوية وهذا القول يدل على ان قيسا ولي مصر ومحمد بن أبي حذيفة حي وهو الصحيح وقيل ان عمرا سار الى مصر بعد صفين فلقيه محمد بن أبي حذيفة في جيش فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل اليه فالتقيا واجتمعا فقال له عمرو انه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل يعني معاوية وما انا براض بكثير من أمره وانى لاعلم ان صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقديما وأولى بهذا الامر فواعدني موعدا التقي معك فيه في غير جيش تأتي في مائة وآتي في مثلها وليس معنا الا السيوف في القرب فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ورجع عمرو الى معاوية فاخبره الخبر فلما جاء الاجل سار كل واحد منهما الى صاحبه في مائة وجعل عمرو له جيشا خلفه لينطوي خبره فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على اثره فعلم محمد انه قد غدر به فدخل قصرا بالعريش فتحصن به فحصره عمرو ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيرا وبعث به عمرو الى معاوية فحبسه وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة فكانت تصنع له طعاما ترسله اليه فأرسلت اليه يوما في الطعام مبارد فبرد بها قيوده وهرب فاختفى في غار فأخذ وقتل والله أعلم وقيل انه بقي محبوسا الى ان قتل حجر بن عدي ثم انه هرب فطلبه مالك بن هبيرة السكوني فظفر به فقتله غضبا لحجر وكان مالك قد شفع الى معاوية في حجر فلم يشفعه وقيل ان محمد بن أبي حذيفة لما قتل محمد بن أبي بكر خرج في جمع كثير الى عمرو فآمنه عمرو ثم غدر به وحمله الى معاوية بفلسطين فحبسه ثم انه هرب فأظهر معاوية للناس انه كره هربه وأمر بطلبه فسار في أثره عبيد الله بن عمرو بن ظلام الخثعمي فأدركه بحوران في غار وجاءت حمر تدخل الغار فلما رأت محمدا نفرت منه وكان هناك ناس يحصدون فقالوا والله ان لنفرة هذه الحمر لشأنا فذهبوا الى الغار فرأوه فخرجوا من عنده فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم فقالوا هو في الغار فأخرجه وكره ان يأتي به معاوية فيخلي سبيله فضرب عنقه وكان ابن خال معاوية

(ذكر ولاية قيس بن سعد مصر)

وفي هذه السنة في صفر بعث علي قيس بن سعد اميرا على مصر وكان صاحب راية الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوي الرأي والبأس فقال له سر الى مصر فقد وليتكها واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك ارعب لعدوك وأعز لوليك واحسن الى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق يمن فقال له قيس اما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم أدخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبدا فأنا أدع ذلك الجند لك فان كنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا وان أردت ان تبعثهم الى وجه من وجوهك كانوا عدة لك فخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه على الوجه الذي تقدم ذكره فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على اهل مصر بامرته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته واعانته على الحق ثم قام قيس خطيبا وقال الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا قرية منها يقال لها خربتا فيها

القابا سلطانية بفضل اهلي سيف الدولة وللحسن ناصر الدولة واعطى سيف الدولة حلبا وما يتبعها الى آخر بلاد حمص والى حدود الموصل والى جوانب جيحان واعطى ناصر الدولة الحسن الموصل وما يتبعها وكان ناصر الدولة أكبر سنا ولكن كان سيف الدولة أعظم شانا واثقب ذهنا وكان قد صدر بين الاخوين المذكورين نوع منافسة ادت الى مناقشة فكتب سيف الدولة الى أخيه ناصر الدولة هذه الابيات يخاطبه واجاد

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها
وقلت لها بيني وبين أخي فرق
وما كان بي عنها النكول وانما
تجاوزت عن حقي فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان أكون مصليا
اذا كنت أرضى ان يكون لك السبق

(ومن غريب ما اتفق) ان ناصر الدولة تضايق مرة من معز الدولة بن بويه حين قصده ببغداد فهرب منه الى أخيه سيف الدولة المذكور ووصل الى حلب في أيام قليلة فتلقاه سيف الدولة وذكر ابن الاثير انه

ان يولي سجستان رجلا ويسيره اليها فى أربعة آلاف فوجه ربعي بن كاس العنبري ومعه الحصين بن أبي الحر العنبري فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة وقتلوه وضبط ربعي البلاد وكان فيروز حصين ينسب الى الحصين بن أبي الحر هذا وهو من سجستان

(ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة)

فى هذه السنة قتل محمد بن أبي حذيفة وكان أبوه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا هذا فكفله عثمان بن عفان وأحسن تربيته وكان فيما قيل أصاب شرابا فحده عثمان ثم تنسك محمد وأقبل على العبادة وطلب من عثمان ان يوليه عملا فقال لو كنت أهلا لذلك لوليتك فقال له انى قد رغبت فى غزو البحر فائذن لى فى اتيان مصر فاذن له وجهزه فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصواري وكان محمد يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول استعمل رجلا اباح رسول الله دمه فكتب عبد الله الى عثمان ان محمدا قد أفسد على البلاد هو ومحمد بن أبي بكر فكتب اليه أما ابن ابي بكر فانه يوهب لابيه ولعائشة واما ابن أبي حذيفة فانه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش فكتب اليه ان هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق الا ان يطير فبعث عثمان الى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فوضعها محمد فى المسجد ثم قال يا معشر المسلمين ألا ترون الى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم فكتب اليه عثمان يذكره بره وتربيته اياه وقيامه لشأنه ويقول انك كفرت احساني أحوج ما كنت الى شكرك فلم يرده ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه وحثهم على المسير الى حصره ومساعدة من يريد ذلك فلما سار المصريون الى عثمان أقام هو بمصر وخرج عنها عبد الله بن سعد بن ابي سرح فاستولى عليها وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان وبويع علي واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف علي فسارا الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد اليها أميرا فأرادا دخولها فلم يقدرا على ذلك فخدعا محمدا حتى خرج منها الى العريش فى ألف رجل فتحصن بها فنصب عليه المنجنيق حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه فقتل وهذا القول ليس بشيء لان عليا استعمل قيسا على مصر أول ما بويع له ولو أن ابن ابي حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس الى مصر لاستوليا عليها الا انه لم يكن بها أمير يمنعهما منها ولا خلاف ان استيلاء معاوية وعمرو عليها كان بعد صفين والله أعلم وقيل غير ذلك وهو ان محمد بن ابي حذيفة سير المصريين الى عثمان فلما حصروه واخرج محمد عبد الله بن سعد عن مصر وهو عامل عثمان واستولى عليها فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان فطلع عليه راكب فسأله فأخبره بقتل عثمان فاسترجع وسأله عما صنع الناس بعده فأخبره ببيعة علي فاسترجع فقال له كأن امرة علي تعدل عندك قتل عثمان قال نعم قال أظنك عبد الله بن سعد فقال نعم فقال له ان كانت لك فى نفسك حاجة فالنجاء النجاء فان رأى امير المؤمنين علي فيك وفى أصحابك ان ظفر بكم أن يقتلكم أو ينفيكم وهذا بعدى أمير يقدم عليك فقال من هو قال قيس بن سعد بن عبادة قال عبد الله ابن سعد أبعد الله محمد بن ابي حذيفة فانه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كفله ورباه وأحسن اليه فأساء جواره وجهز اليه الرجال حتى قتل ثم ولي عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ولم يمتعه

بسلطان

فبقي الاخشيد بعد سماع هذه الرقعة فى فكر الى ان مات وولي الامر بعده ابنه (ابو القاسم انوجور) وكان صغيرا فأقيم كافور الاخشيدي الخادم الاسود اتابكا فكان يدبر المملكة وفى زمانه سار سيف الدولة بن حمدان الى دمشق وملكها وأقام بها واتفق أنه ركب يوما والشريف العقيقي معه فرأى الغوطة فقال ما تصلح هذه الا لرجل واحد فقال له العقيقي هي لاقوام كثيرة وغاب اوقف فقال سيف الدولة لو أخذتها القوانين لتبرأ منها أهلها فاعلم العقيقي أهل دمشق بذلك فكاتبوا كافورا يستدعونه فجاءهم فاخرجه وولى على دمشق بدرا الاخشيدي (والنذكر نبذة من اخبار آل حمدان لانهم كانوا ابتهاجا فى وجه الزمان) فنقول هم من بني ربيعة وسيف الدولة علي هو كبيرهم وأميرهم وواسطة عقدهم ونصيرهم وأخوه ناصر الدولة الحسن ووالدهما عبد الله أبو الهيجاء ابن حمدان كان تولى امارة الحاج من جانب الخلفاء العباسيين وقتل بعد ذلك ثم ان الراضي بالله العباسي جعل للاخوين المذكورين

فان كان هذا حقا الا يعتزل لك فبيناهم كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر امير المؤمنين بحال المعتزلين
وكفه عن قتالهم فقال ابن جعفر ما اخوفني ان يكون ذلك ممالأة منه فمره بقتالهم فكتب اليه
يأمره بقتالهم فلما قرأ الكتاب كتب جوابه اما بعد فقد عجبت لامرك تأمرني بقتال قوم كافين
عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا أمير المؤمنين واكفف
عنهم فان الرأي تركهم والسلام فلما قرأ علي الكتاب قال ابن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن
أبي بكر على مصر واعزل قيسا فقد بلغني ان قيسا يقول ان سلطانا لا يستقيم الا بقتل مسلمة بن
مخلد لسلطان سوء وكان ابن جعفر اخا محمد بن أبي بكر لامه فبعث علي محمد بن أبي بكر الى مصر
وقيل بعث الاشتر النخعي فمات بالطريق فبعث محمدا فقدم محمد على قيس بمصر فقال له قيس
ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني وبينه قال لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله
لا أقيم وخرج منها مقبلا الى المدينة وهو غضبان لعزله فجاءه حسان بن ثابت وكان عثمانيا يشمت
به فقال له قتلت عثمان ونزعك علي فبقي عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فقال له قيس يا اعمى
القلب والبصر والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عني ثم اخاف
مروان بن الحكم قيسا بالمدينة فخرج منها هو وسهل بن حنيف الى علي فشهدا معه صفين
فكتب معاوية الى مروان يتغيظ عليه ويقول له لو امددت عليا بمائة ألف مقاتل لكان أيسر
عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه فلما قدم قيس على علي وأخبره الخبر علم انه كان يقاسي
امورا عظاما من المكايدة وجاءهم خبر قتل محمد بن أبي بكر فعظم محل قيس عنده واطاعه في
الامر كله ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب علي على أهل مصر ثم قام فخطب فقال الحمد لله الذي
هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا واياكم كثيرا مما كان عمي عنه الجاهلون الا ان
أمير المؤمنين ولاني أمركم وعهد الي ما سمعتم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن
ما ترون من امارتي واعمالي طاعة لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادي له وان
رأيتم عاملا لي عمل بغير الحق فارفعوه الي وعاتبوني فيه فاني بذلك اسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله
واياكم لصالح الاعمال برحمته ثم نزل ولبث شهرا كاملا حتى بعث الى أولئك القوم المعتزلين
الذين كانوا قد وادعهم قيس فقال لهم اما ان تدخلوا في طاعتنا وأما ان تخرجوا عن بلادنا
فأجابوه انا لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير اليه أمرنا فلا تعجل بحربنا فأبى عليهم فامتنعوا
وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم هائبون لمحمد فلما رجع علي عن معاوية وصار
الامر الى التحكيم طمعوا في محمد وأظهروا له المبارزة فبعث محمد الحرث بن جمهان الجعفي الى
أهل خربتا وفيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة ومن معه فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه فبعث محمد اليهم ايضا
ابن مضاهم الكلبي فقتلوه وقد قيل انه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهت ذكرها فانها مما
لا يحتمل سماعها العامة * وفيها قدم ابراز بن مرزبان مرو الى علي بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له
كتابا الى دهاقين مرو والاساورة ومن بمرو ثم انهم كفروا واغلقوا نيسابور فبعث علي خليد بن
قرة وقيل ابن طريف اليربوعي الى خراسان

(ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له)

قيل كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة قبل أن يقتل عثمان نحو فلسطين وسبب ذلك انه

وأي دفتر ماهو مطيب
بمحاسن سماته وغالب شعر
المتنبي في مدائحه العالية
وفي ذكر محاسنه الغالية
وهو القائل فيه
لا تطلبن كريما بعد رؤيته
ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره
قد أفسد القول حتى أحمد الصمم
واستمر سيف الدولة يجاهد
في الله حق جهاده ويسعى
في دين الاسلام بما يقربه
في معاده ولقد اسر ابن عمه
الامير الكبير صاحب القدر
الرفيع الخطير الفاضل *
الشجاع الواصل الى مرتبة
الاختراع والابداع الامير
أبو فراس وكان حبسه في
حصن خرشنة وهو من
الحصون المنيعة والقلاع
الرفيعة فضايقه من حبسه
اشد المضايقة فارسل الى
امه وكانت مقيمة بمدينة
منبج أن تذهب الى الملك
سيف الدولة الى حلب
وتطلب منه ان يرسل الى
ملك النصارى ليفديه فذهبت
اليه فردها وقال لها ولدك
ابن عمي ومثل أولادي
ولكن انا عجزت وأنا أفهمه
انه لا ينزل بنفسه الى الميدان
عند وقوع الحرب لانه أمير
سردار وليس للسردار
شجاعة الابطال انه قتلت عليه

ناس قد اعظموا قتل عثمان عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مدلج اسمه يزيد بن الحرث فبعث
الى قيس يدعو الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب أيضا بدم عثمان فأرسل
اليه قيس ويحك اعلى تثب فوالله ما أحب ان لي ملك الشام الى مصر واني قتلتك فبعث اليه
مسلمة اني كاف عنك مادمت وأنت والى مصر وبعث قيس وكان حازما الى اهل خربتا اني
لا أكرهكم على البيعة واني كاف عنكم فهادنهم وجبى الخراج ليس أحد ينازعه وخرج امير
المؤمنين الى الجمل ورجع وهو بمكانه فكان اثقل خلق الله على معاوية مخافة ان
يقبل علي في أهل العراق وقيس في أهل مصر فيقع بينهما معاوية فكتب معاوية الى قيس
سلام عليك اما بعد فانكم نقمتم على عثمان ضربة بسوط أو شتيمة رجل أو تسييرا آخر واستعمال
فتى وقد علمتم ان دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيما وجئتم أمرا ادا فتب الى الله يا قيس فانك من
المجلبين على عثمان فاما صاحبك فانا استيقنا انه الذي أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه وانه لم
يسلم من دمه عظم قومك فان استطعت يا قيس ان تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل وتابعنا
على أمرنا ولك سلطان العراقين اذا ظهرت ما بقيت وان أحببت من أهلك سلطان الحجاز ما دام
لي سلطان وسلني ما شئت فاني أعطيك واكتب الي برأيك فلما جاءه الكتاب احب ان يدافعه ولا
يبدي له امره ولا يتعجل الى حربه فكتب اليه اما بعد فقد فهمت ما ذكرته من قتل عثمان فذلك
شيء لم أقارب به وذكرت ان صاحبي هو الذي اغرى به حتى قتلوه وهذا مما لم اطلع عليه وذكرت أن
عظم عشيرتي لم تسلم فأول الناس كان فيه قياما عشيرتي وأما ما عرضته من متابعتك فهذا امر لي
فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع اليه وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى
ترى ونرى ان شاء الله تعالى فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقاربا مباعدا فكتب اليه اما بعد فقد قرأت
كتابك فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولا متباعدا فاعدك حربا وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع
للمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل والسلام فلما قرأ قيس كتابه ورأى انه لا يفيد معه
المدافعة والمماطلة اظهر له ما في نفسه فكتب اليه اما بعد فالعجب من اغترارك بي وطمعك في
واستسقاطك اياي أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق واهداهم
سبيلا واقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة ابعد
الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور واضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت ابليس واما قولك اني مالئ عليك مصر خيلا
ورجالا فوالله ان لم أشغلك بنفسك حتى تكون اهم اليك انك لذو جد والسلام فلما رأى معاوية
كتابه ايس منه وثقل عليه مكانه ولم تنجح حيله فيه فكاده من قبل علي فقال لاهل الشام
لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرا الا ترون
ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل خربتا يجري عليهم اعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم
وافتعل كتابا عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأه على أهل الشام فبلغ
ذلك عليا ابلغه ذلك محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب واعلمه عيونه بالشام فاعظمه
واكبره فدعا بنيه وعبد الله بن جعفر فاعلمهم ذلك فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك
الى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر فقال علي اني والله ما اصدق بهذا عنه فقال عبد الله اعزله

فان

نزع منه أشيء عند قدومه
يده واقدا اتسع ملك سيف
الدولة حتى انه ملك دمشق
في زمن كافور الاخشيدي
حين كان متوليا أمور
المملكة بمصر وكان سبب
خروجه ما ذكرناه من
محادثته مع الشريف العقيقي
في أمر غوطة دمشق وكان
كثيرا ما يغزو بلاد الكفر
وله مع الدمستق الطاغي أمير
النصارى وقائع وحروب
وكانت حضرته محط الرحال
ومنهل أرباب الكمال بحيث
ان الافاضل كانوا يقصدونه
من جميع الاطراف اليجدون
عنده من المكارم والالطاف
وكان شاعره المتنبي الشاعر
الذي لم تسمح بمثله الادوار ما
دارا الفلك الدوار وكان كاتبه
الامير كشاجم الفاضل
المشهور وكان خطيبه خطيب
الخطباء ابن نباتة صاحب
الديوان المشهور وكان مؤدبه
ابن خالويه وكان سر داره ابن
عمه ابو فراس الحرث صاحب
النظم العجيب والشعر
الغريب والمكارم الشائعة
والصفات الساطعة التي
تزينت بها الدفاتر ورواها
البادي والحاضر وسار
صيته في الآفاق وتناقلت
أحاديث فضله الرفاق واى
كتاب ما هو مزين بصفاته

الى معاوية قال جرير أرسلني اليه فانه لي ود فقال الاشتر لاتفعل فان هواه مع معاوية فقال علي دعه حتى ننظر ما الذي يرجع الينا به فبعثه وكتب معه كتابا الى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمرا فاشار عليه ان يجمع أهل الشام ويلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم ففعل معاوية ذلك وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوبا بالدم باصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشئ من الكف واصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الابهام وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الاجناد اليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والاصابع معلقة فيه واقسم رجال من اهل الشام ان لايمسهم الماء الا للغسل من الجنابة وان لاينامو على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتلوه فلما عاد جرير الى امير المؤمنين علي واخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته وانهم لاينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه قال الاشتر لعلي قد كنت نهيتك ان ترسل جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه ولو كنت أرسلتني لكان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع بابا يرجو فتحه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا اغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك انهم ذكروا انك من قتلة عثمان فقال الاشتر والله لو أتيتهم لم يعيني جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعني أمير المؤمنين لحبسك واشباهك حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير الى قرقيسيا وكتب الى معاوية فكتب اليه معاوية يأمره بالقدوم عليه وقيل كان الذي حمل معاوية على رد جرير البجلي غير مقضي الحاجة شرحبيل بن السمط الكندي وكان سبب ذلك ان شرحبيل كان قد سيره عمر بن الخطاب الى العراق الى سعد ابن أبي وقاص وكان معه فقدمه سعد وقربه فحسده الاشعث بن قيس الكندي لمنافسة بينهما فوفد جرير البجلي على عمر فقال له الاشعث ان قدرت ان تنال من شرحبيل عند عمر فافعل فلما قدم على عمر سأله عمر عن الناس فاحسن الثناء على سعد قال وقد قال شعرا

الا ليتني والمرء سعد بن مالك * وزبرا وابن السمط في لجة البحر
فيغرق أصحابي وأخرج سالما * على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر الى سعد يأمره بارسال زبر او شرحبيل اليه فأرسلهما فأمسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا الى الشام فشرف وتقدم وكان أبوه السمط من غزاة الشام فلما قدم جرير بكتاب علي الى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل فلما قدم عليه اخبره معاوية بما قدم فيه جرير فقال كان امير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه والا فاعتزلنا فانصرف جرير فقال النجاشي

شرحبيل ما للدين فارقت امرنا * ولكن لبغض المالكي جرير
وقولك ما قد قلت عن أمر اشعث * فاصبحت كالحادي بغير بعير

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك فنسب الى جده مالك وخرج علي فعسكر بالنخيلة وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة منهم مرة الهمداني ومسروق أخذا اعطياتهما وقصدا قزوين فاما

لولا العجوز بمنبج
ما خفت اسباب المنيه
ولكان لي عما اقصد
ت من الفدا نفس أبيه
لكن أردت مرادها
ولو انجذبت الى الدنيه
يا أمتا لا تحزني
لله ألطاف خفيه

ثم بعد ذلك أرسل اليه وفداه واستقبله وتلقاه ولد سيف الدولة في سنة ثلاث وثلثمائة ومات في سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن عند امه بميافارقين وتولى الملك بعده ولده (سعد الدولة ابو المعالي) وسعد الدولة هذا هو ابن اخت أبي فراس المذكور واتفق ان ابا فراس المذكور كان عند سيف الدولة واليا على حمص فرام بعد موته الملك ان يستقل بملك حمص فأرسل اليه ابن اخته سعد الدولة يقول له ياخال أعطنا حمص انا ابناؤك ربيبك فامتنع من تسليمها فقاتله عسكر سعد وصرب فانكسر عسكر أبي فراس وقتل في ذلك المكان واستمرت جثته ثلاثة أيام ملقاة في البرية حتى جاء بعض الاعراب وراها واستمر سعد الدولة واليا مكان أبيه نحو عشرة اعوام ولما مات ناصر الدولة الحسن اخو سيف الدولة

لما احيط بعثمان قال يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتل هذا الرجل الا ضربه الله بذل من لم يستطع نصره فليهرب فسار وقيل غير ذلك وقد تقدم وسار معه ابناه عبد الله ومحمد فسكن فلسطين فمر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل فما الخبر قال تركت عثمان محصورا ثم مر به راكب آخر بعد ايام فقال له عمرو ما اسمك قال قتال قال قتل الرجل فما الخبر قال قتل عثمان ولم يكن شئ الى ان سرت ثم مر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حرب قال عمرو ليكون حرب وقال له ما الخبر قال بايع الناس عليا فقال سلامة بن زنباع يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فاتخذوا بابا غيره فقال عمرو ذلك الذي نريده ثم ارتحل عمرو راجلا معه ابناه يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول واعثماناه انعى الحياء والدين حتى قدم دمشق وكان قد علم الذي يكون فعمل عليه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد بعثه الى عمان فسمع من حبر هناك شيأ عرف صدقه فسأله عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومن يكون بعده فاخبره بأبي بكر وان مدته قصيرة ثم يلي بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ثم يلي بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملا قال ذلك أشر ثم يلي بعده رجل من قومه ينتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة ثم يقتل قبل ان يجتمع الناس عليه ثم يلي بعده امير الارض المقدسة فيطول ملكه ويجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت وقيل ان عمرا لما بلغه قتل عثمان قال أنا ابو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادي السباع ان يل هذا الامر طلحة فهو فتى العرب سيبا وان يله ابن أبي طالب فهو أكره من يليه الى فبلغه بيعة علي فاشتد عليه واقام ينتظر ما يصنع الناس فأتاه مسير عائشة وطلحة والزبير فاقام ينتظر ما يصنعون فأتاه الخبر بوقعة الجمل فارتج عليه أمره فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليا وانه يعظم شأن عثمان وكان معاوية أحب اليه من علي فدعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما وقال ما تريان اما علي فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشركي في شئ من أمره فقال له ابنه عبد الله توفي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس وقال له ابنه محمد أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى ان يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صوت فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما انت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد اهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان فقال عمرو أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ومعاوية لا يلتفت اليه فقال لعمرو ابناه الا ترى معاوية لا يلتفت اليك فانصرف الى غيره فدخل عمرو على معاوية فقال له والله لعجب لك اني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني ان قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة ان في النفس ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا انما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه

﴿ذكر ابتداء وقعة صفين﴾

لما عاد علي من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل الى جرير بن عبد الله البجلي وكان عاملا على همذان استعمله عثمان والى الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان استعمله عثمان أيضا يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده أراد علي ان يرسل رسولا

وقد فديته قبل هذه مرتين فلما رجعت الى منبج أرسلت الى ولدها مكتوبا تذكر له فيه ان الملك ردها فكتبت اليه ما قال لها من النصيحة فكتب الامير ابو فراس من حصن خرشنة وهو في الاسر قصيدة لا نظير لها يخاطب سيف الدولة ويعاتبه على رده بغير اجابة الى الفداء ويذكر القاءه نفسه في رضاه الى الردى فقال

يا حسرة ما أكاد أحملها
آخرها مزعج وأولها
حزينة بالشآم مفردة
بات بأيدي العدا معللها
تسأل عنه الركبان جاهدة
بأدمع ما تكاد تمهلها
يا من رأى لي بحصن خرشنة
أسد شرى في القيود أرجلها
يا من رأى للدروب شاهقة
دون لقاء الحبيب أطولها
بأي عذر رددت والهة
عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدها
ينتظر الناس كيف تقفلها
سمحت مني بمهجة كرمت
أنت على يأسها مؤملها
ان كنت لا تبذل الفداء لها
فلم أزل في هواك أبذلها

وهي قصيدة طويلة محاسنها جمة شاملة جليلة وأرسل الى امه مكتوبا يقول فيه

فعوا سفنهم اليهم فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الاشتر فناداهم الاشتر وقال اقسم بالله لئن لم تعملوا جسرا اعبر عليه أمير المؤمنين لاجردن فيكم السيف ولاقتلن الرجال ولآخذن الاموال فلقي بعضهم بعضا وقالوا انه الاشتر وانه قمن ان يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه فنصبوا الجسر وعبر عليه علي وأصحابه وازدحموا عليه فسقطت قلنسوة عبد الله بن ابي الحصين الازدي فنزل فأخذها ثم ركب وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الازدي فنزل فأخذها ثم قال لصاحبه

فان يك ظن الزاجري الطير صادقا * كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل

فقال ابن ابي الحصين ما شيء أحب الي مما ذكرت فقتلا جميعا بصفين ولما بلغ علي الفرات دعا زياد ابن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فسرحهما امامه في اثني عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة وكان سبب عودهما اليه انهما حين سيرهما علي من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات مما يلي البر فلما بلغا عانات بلغهما ان معاوية قد أقبل في جنود الشام فقالا لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في ان نلقى جنود الشام بقلة من معنا فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها فرجعوا فعبروا من هيت فلحقوا عليا دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا قال مقدمتي تأتيني من ورائي فاخبره شريح وزياد بما كان فقال سددتما فلما عبر الفرات سيرهما امامه فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما ابو الاعور السلمي في جند من اهل الشام فأرسلا الى علي فاعلماه فارسل علي الى الاشتر وأمره بالسرعة وقال له اذا قدمت فأنت عليهم واياك أن تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فاني حثيث المسير في اثرك ان شاء الله تعالى وكتب علي الى شريح وزياد بذلك وامرهما بطاعة الاشتر فسار الاشتر حتى قدم عليهم واتبع ما امره وكف عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتى كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام وخرج اليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال وخرج اليه ابو الاعور فاقتتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتر وقال اروني ابا الاعور وتراجعوا ووقف ابو الاعور وراء المكان الذي كان فيه اول مرة وجاء الاشتر فصف اصحابه بمكان ابي الاعور بالامس فقال الاشتر لسنان بن مالك النخعي انطلق الى ابي الاعور فادعه الى البراز فقال الى مبارزتي أو مبارزتك فقال الاشتر لو امرتك بمبارزته افعلت قال نعم والله لو أمرتني ان اعترض صفهم بسيفي لفعلت فدعا له وقال انما تدعوه لمبارزتي فخرج اليهم فقال أمنوني فاني رسول فأمنوه فانتهى الى أبي الاعور وقال له ان الاشتر يدعوك الى أن تبارزه فسكت طويلا ثم قال ان خفة الاشتر وسوء رأيه حملاه على اجلاء عمال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه وعلى ان سار اليه في داره حتى قتله وأصبح متبعا بدمه لا حاجة لي في مبارزته قال له الرسول قد قلت فاسمع مني اجبك قال لا حاجة لي في جوابك اذهب عني فصاح به اصحابه فانصرف عنه ورجع الى الاشتر فأخبره فقال لنفسه نظر فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد الشاميون من الليل

وطلب من الامير ابي فراس ان يجيزه فقال ارتجالا
أنت للرق مالك
فلك الامر كله
فاعطاه لذلك منبج اقطاعا
وله في تشبيه قوس قزح
وأجاد الى الغاية
كأذيال خود أقبلت في غلائل
مصبغة والبعض اقصر من
بعض
وكان بنو حمدان شيعة لكن
كان تشيعهم خفيفا ولم
يكونوا كبني بويه فان بني
بويه كانوا في غاية القباحة
سبابين ومن أراد استقصاء
اخبار ملوك بني حمدان
فلينظر الى يتيمة الدهر للثعالبي
والله تعالى اعلم * وفي سنة
تسع وأربعين وثلثمائة مات
انوجور فأقام كافور أخاه
(عليا) مكانه فتوفي وهو
صغير واستقل (كافور
الاخشيدي) بالمملكة يدعى
له على المنابر بالبلاد المصرية
والشامية والحجازية فأقام
سنتين وأربعة اشهر ومات
بمصر في سنة سبع وخمسين
وثلثمائة قال الذهبي كان
كافور عبدا حبشيا خصيا
اشتراه الاخشيد بثمانية
عشر دينارا ثم تقدم عنده
لعقله ورأيه ولم يبلغ احد من
الخصيان ما بلغ كافور قال
ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن
طاهر العلوي كنت اساير
كافورا يوما وهو في موكبه

مسروق فانه كان يستغفر الله من تخلفه عن علي بصفين وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرا فقال اما اذ سار علي فسر اليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك فتجهز معاوية وتجهز الناس وحضهم عمرو وضعف عليا وأصحابه وقال ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وفلوا حدهم وأهل البصرة مخالفون لعلي بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وانما سار علي في شرذمة قليلة وقد قتل خليفتكم والله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم ان تطلوه وكتب معاوية الى أهل الشام وعقد لواء لعمرو ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان وعقد علي لواء لغلامه قنبر فقال عمرو

هل يغنين وردان عني قنبرا * أو تغني السكون عني حميرا
* اذا الكماة لبسوا السنورا *

فبلغ ذلك عليا فقال

لاصبحن العاصي بن العاصي * سبعين ألفا عاقدي النواصي
مجنبين الخيل بالقلاص * مستحقبين حلق الدلاص

ولما سمع معاوية ذلك قال ما أرى عليا الا وقد وفى لك وسار معاوية وتأنى في مسيره فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث اليه يقول

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فانك من أخي ثقة مليم
قطعت الدهر كالسدم المعنى * تهدر في دمشق فما تريم
وانك والكتاب الى علي * كدابغة وقد حلم الاديم
يمنيك الامارة كل ركب * لانقاض العراق بها رسيم
وليس أخو التراب بمن تولى * ولكن طالب الترة الغشوم
ولو كنت القتيل وكان حيا * لجرد لا ألف ولا غشوم
ولا نكل عن الاوتار حتى * يفيء بها ولا برم جثوم
وقومك بالمدينة قد أبيروا * فهم صرعى كأنهم الهشيم

فكتب اليه معاوية

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وبعث علي زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف وبعث مع شريح بن هانئ أربعة آلاف وسار علي من النخيلة وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة وولى على المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي ولما سار علي كان معه نابغة بن جعدة فحدا به يوما فقال

قد علم المصران والعراق * ان عليا فحلها العتاق
أبيض جحجاح له رواق * ان الاولى جاروك لا أفاقوا
لكم سباق ولهم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ووجه علي من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره ان يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة قال لاهلها اعملوا له جسرا يعبر عليه الى الشام فأبوا وكانوا قد

بديار الموصل تولى بعده ولده (أبو تغلب) فقتل وتولى مكانه أخوه (الغضنفر) ابن ناصر الدولة وحصل لابي تغلب المذكور مع الملك عضد الدولة بن بويه قصة عجيبة ومضافات غريبة اوجبت انكسار عسكر أبي تغلب وانتصار عضد الدولة فأرسل أبو تغلب الى عضد الدولة مكتوبا يلتمس منه العفو والصفح عنه فقال في ذلك عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه * يبغي الامان وكان يبغي صارما
فلاركبن عزيمة عضدية * تدع الانوف مدى الزمان رواغما

وذكر ابن خلكان أن سيف الدولة جمع لنفسه من غبار الجهاد مع الكفار كثيرا وصيره لبنة وأوصى ان توضع في قبره تحت خده ففعلوا به ذلك واستمر ملك بني حمدان في بلاد حلب والجزيرة وبلاد الموصل ما يقرب من سبعين سنة ولسيف الدولة شعر لطيف حسن فمن ذلك انه قال يوما هذا البيت مفردا

لك قلبي تحله * فدمي لم تحله

يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه
وانى انشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دماءها بينها فقطع عليه معاوية
الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرو ان صاحبي ليس مثلك ان صاحبي أحق
البرية كلها بهذا الامر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة بالرسول صلى الله
عليه وسلم قال فاذا يقول قال يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك الى مايدعوك اليه من الحق
فانه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان لا والله لا أفعل
ذلك ابدا قال فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
يامعاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن انه والله لا يخفى علينا ما تطلب انك لم تجد شيئا
تستغوى به الناس وتستميل به اهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما
فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل
لهذه المنزلة التى اصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى امنيته
وفوق امنيته ووالله مالك فى واحدة منهما خير والله ان أخطأك ماترجو انك لشر العرب حالا
ولئن اصبت ما تمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ما أنت
عليه ولا تنازع الامر أهله قال فحمد الله معاوية ثم قال أما بعد فان أول ما عرفت به سفهك
وخفة حلمك ان قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم
لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابي الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من
عندى فليس بينى وبينكم الا السيف وغضب وخرج القوم فقال له شبث بن ربعي أتهول
بالسيف اقسم بالله لنعجلنها اليك فأتوا عليا فأخبروه بذلك فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف
فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج اليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة فيقتتلان
فى خيلهما ثم ينصرفان وكرهوا ان يلقوا بجمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا ان يكون
فيه من الاستئصال والهلاك فكان على يخرج مرة الاشتر ومرة حجر بن عدى الكندى
ومرة شبث بن ربعي ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثى ومرة زياد بن خصفة
التيمى ومرة سعيد بن قيس الهمدانى ومرة معقل بن قيس الرياحى ومرة قيس بن سعد
الانصارى وكان الاشتر أكثرهم خروجا وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد وابا الاعور السلمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وابن ذى الكلاع الحميرى وعبيد الله بن
عمر بن الخطاب وشرحبيل بن السمط الكندى وحمزة بن مالك الهمدانى فاقتتلوا ايام ذى الحجة
كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل وقتل ابناه صفوان
وسعيد مع على بصفين بوصية أبيهما وقيل مات سنة خمس وثلاثين والاول أصح وفيها مات سلمان
الفارسى فى قول بعضهم وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا أقل ما قيل فيه وقيل ثلثمائة وخمسون
سنة وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه السلام وعبد الله بن سعد بن ابى سرح مات
بعسقلان حيث خرج مع معاوية الى صفين وكره الخروج معه ومات فيها عبد الرحمن بن عديس

وكانت تغلبنى وتمنعنى من
ذلك واليوم غلبت انا نفسى
واديت الشكر لله تعالى
ولما مات كافور وقع الخلاف
فيمن ينصب بعده واتفقوا
على نصب (أبى الفوارس
أحمد بن على بن الاخشيد)
وخطب له وهو ابن اثنتين
وعشرين سنة فأقام شهورا
حتى اتى جوهر القائد من
الغرب فانتزعها منه فكان
جملة الدولة الاخشيدية
نحو خمس وثلاثين سنة

*(الباب الحادى والثلاثون
فى ذكر بنى مرداويج الديلمى
ملوك جرجان المارستين
معركة الابطال والشجعان)*

ذكر صاحب السلوك فى
دول الملوك فى أصل الديلم
ان باسل بن ضبة بن اد بن
طابخة بن الياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان
خرج مغاضبا لابيه فوقع
فى أرض الديلم فتزوج امرأة
من العجم فولدت له ديلم بن
باسل فهو ابو الديلم كلهم
وهم افخاذ وعشائر وكانوا
مجوسا لم ينقادوا الى ملة
فأسلم بعضهم وأول من ظهر
منهم (ابو الحجاج مرداويج
ابن زياد الديلمى) فقوى
امره وعظمت جيوشه
واستولى على بلاد الجبل
والرى وأتته الديلم من كل
ناحية واتخذ له سريرا من
الذهب وتاجا مرصعا

وأصبح علي غدوة عند الاشتر وتقدم الاشتر ومن معه فانتهى الى معاوية فواقفه ولحق بهم علي فتواقفوا طويلا ثم ان عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح وأخذ شريعة الفرات وليس في ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيزه وبعث عليها أبا الاعور السلمي يحميها ويمنعها فطلب اصحاب علي شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس فدعا صعصعة بن صوحان فارسله الى معاوية يقول له انا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم فقدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل ان نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه اخرى قد فعلتموها منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين فابعث الى اصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ويكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له فان اردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معاوية لاصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان اقتلهم عطشا قتلهم الله فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء فانهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فأعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالا امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة امنعهم الماء منعهم الله اياه يوم القيامة قال صعصعة انما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر لعنك الله ولعن هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة فشتموه وتهددوه وقد قيل ان الوليد وابن ابي سرح لم يشهدا صفين فرجع صعصعة فأخبر بما كان وان معاوية قال سيأتيكم رأيي فسرب الخيل الى أبي الاعور ليمنعهم الماء فلما سمع علي ذلك قال قاتلوهم على الماء فقال الاشعث ابن قيس الكندي انا اسير اليهم فسار اليهم فلما دنوا منهم ثاروا في وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا الى السيوف فاقتتلوا ساعة وأرسل معاوية يزيد بن اسد البجلي القسري جد خالد بن عبد الله القسري في الخيل الى أبي الاعور فاقبلوا فأرسل علي شبث ابن ربعي الرياحي فازداد القتال فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير فأخذ يمد أبا الاعور ويزيد بن اسد وأرسل علي الاشتر في جمع عظيم وجعل يمد الاشعث وبهذا فاشتد القتال فقال عبد الله بن عوف الازدي الاحمري

خلوا لنا ماء الفرات الجاري * أو اثبتوا لجحفل جرار
لكل قرم مستميت شاري * مطاعن برمحه كرار
ضراب هامات العدى مغوار * لم يخش غير الواحد القهار

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار في ايدي أصحاب علي فقالوا والله لا نسقيه أهل الشأم فأرسل علي الى أصحابه ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم ببغيهم وظلمهم ومكث علي يومين لا يرسل اليهم أحدا ولا يأتيه احد ثم ان عليا دعا أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي فقال لهم ائتوا هذا الرجل وادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة فقال له شبث يا أمير المؤمنين ألا تطمعه في سلطان توليه اياه او منزلة تكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك قال انطلقوا اليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا في أول ذي الحجة فأتوه فدخلوا عليه فابتدأ بشير بن عمرو الانصاري فحمد الله وأثنى عليه وقال

فسقطت مقرعته من يده فبادرت بالنزول وأخذتها من الارض وناولته اياها فقال ايها الشريف اعوذ بالله ومن بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني حتى يفعل بي هذا فكاد يبكي فلما بلغ باب داره ودعته وسرت فاذا بالبغال والنجائب براكبها وقال أصحابه أمر كافور بحمل هذا اليك وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر ألف دينار (وذكر ابن الاثير) في تاريخه ان كافورا كان يوما سائرا بمصر في موكب عظيم ومعه الشريف بن طباطبا العلوي فنزل كافور عن فرسه ووقف الموكب من خلفه وقد امهو بحمد الله تعالى على الارض في السوق ثم ركب على فرسه وسار فسأله الشريف عن ذلك فقال قد علمت انه لا يسألني عن هذه المسألة غيرك كنت في مبدأ أمري أمر من هذا السوق وارى في هذا المكان دكان هريسة وكنت اشتهيها ولا اقدر على ذلك فكنت اقنع بالشم واكتفي به ولما من الله علي بهذه السلطنة العظيمة عزمت على شكر الله تعالى وكلما كثرت النعم وجب الشكر بمقدارها اردت ان اشبع عن الشكر بمقدار شبعها ونازعتني نفسي في ذلك عدة مواكب

رجلا منهم فيجيب الى خير ما قلوبهم الا كقلب واحد وبعث معاوية الى علي حبيب بن مسلمة
الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فحمد الله حبيب واثنى
عليه ثم قال اما بعد فان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب الى امره فاستثقلتم
حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله ثم
اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمعوا عليه فقال له علي ما أنت لا أم
لك والعزل وهذا الامر اسكت لست هناك ولا باهل له فقال والله لترينى بحيث تكره فقال له
علي وما أنت لا ابقى الله عليك ان ابقيت علينا اذهب فصوب وصعد ما بدا لك وقال شرحبيل
ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير هذا فقال علي ليس عندي جواب غيره
ثم حمد الله وأثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فانقذ به من
الضلالة والهلكة وجمع به من الفرقة ثم قبضه الله اليه فاستخلف الناس أبا بكر واستخلف ابو
بكر عمر فاحسنا السيرة وعدلا وقد وجدنا عليهما ان توليا الامور ونحن آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فغفرنا ذلك لهما وولي الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا اليه
فقتلوه ثم اتاني الناس فقالوا لي بايع فأبيت فقالوا بايع فان الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم
تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي
لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الاسلام طليق بن طليق حزب من الاحزاب لم يزل حربا
لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الاسلام كارهين ولا عجب الا من اختلافكم معه وانقيادكم
له وتتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم الا انى أدعوكم الى كتاب الله
وسنة نبيه واماتة الباطل واحياء الحق ومعالم الدين أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم
وللمؤمنين فقالا اتشهد ان عثمان قتل مظلوما فقال لهما لا أقول انه قتل مظلوما ولا ظالما قالا فمن
لم يزعم انه قتل مظلوما فنحن منه برآء وانصرفا فقال عليه السلام انك لا تسمع الموتى الى قوله فهم
مسلمون ثم قال لاصحابه لا يكن هؤلاء في الجد في ضلالهم اجد منكم في الجد في حقكم وطاعة
ربكم فتنازع عامر بن قيس الحضرمي ثم الطائي وعدي بن حاتم الطائي في الراية بصفين وكانت
حضرموت أكثر من بني عدي رهط حاتم فقال عبد الله بن خليفة البولاني عند علي يا بني حضرموت أعلى
عدي تتوثبون وهل فيكم وفي آبائكم مثل عدي وابيه أليس حامي القرية ومانع الماء يوم روية
أليس ابن ذي المرباع وابن جواد العرب وابن المنهب ماله ومانع جاره ومن لم يغدر ولم يفجر ولم
يبخل ولم يمنن ولم يجبن هاتوا في آبائكم مثل أبيه أو فيكم مثله أليس أفضلكم في الاسلام ووافدكم
الى النبي صلى الله عليه وسلم أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء
ويوم نهاوند ويوم تستر فقال علي حسبك يا ابن خليفة وقال علي تحضر جماعة طيء فأتوه فقال
من كان رأسكم في هذه المواطن قالوا عدي فقال ابن خليفة سلهم يا امير المؤمنين أليسوا راضين
برياسة عدي ففعل فقالوا بلى فقال علي فعدي احقكم بالراية وأخذها فلما كان ايام حجر بن
عدي طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر فسار الى الجبلين ووعده عدي ان يرده وان
يسأل فيه فطال عليه ذلك فقال شعرا منه

اتنسى بلائي سادرا يا ابن حاتم * عشية ما أغنت عديك حضرما

ان الصاحب بن عباد كان
يقول عند رؤيته هذا خط
قابوس ام جناح الطاوس
وينشد قول المتنبي
من خطه في كل قلب شهوة
حتى كأن مداده الاهواء
فاستمر الى ان غضب عليه
عضد الدولة واخرجه من
الملك فتوجه الى خراسان
وبقي معزولا عند بني سامان
ثماني عشرة سنة ثم تولى
بعده جرجان وطبرستان
ومازندران وكيلان خمس
عشرة سنة ومن نظمه
قل للذي بصروف الدهر عيرنا
هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف
ويستقر باقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم ما لها عدد
وليس يكسف الا الشمس
والقمر
ومما انشدنيه بلفظه لنفسه
في أواخر رجب الفرد سنة
تسع بعد الالف الاستاذ
البارع الكامل المولى العالم
الفاضل فريد دهره ووحيد
عصره العلامة البدري
مولانا الشيخ حسن البوريني
لا زالت شموس علومه ساطعة
وبدور فهومه طالعة بدوره
حيث قال
صبرا على نوب الزمان فانها
مخلوقة لنكاية الاحرار
لا يكسف النجم الحقير وانما
يسري الكسوف لرفعة الاقمار
وكان قابوس صاحب نفس

البلوى امير القادمين من مصر الى قتل عثمان وكان ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقيل بل قتل بالشام وفيها مات قدامة بن مظعون الجمحي وهو من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا وفيها توفي عمرو بن أبي عمرو بن ضبة الفهري ابو شداد شهد بدرا وفيها استعمل علي على الري يزيد بن حجية التيمي تيم اللات فكسر من خراجها ثلاثين الفا فكتب اليه علي يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال أين ما غللته من المال قال ما اخذت شيأ فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ووكل به سعدا مولاه فهرب منه يزيد الى الشام فسوغه معاوية المال فكان ينال من علي وبقي بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه الري فقيل انه شهد مع علي الجمل وصفين والنهروان ثم ولاه الري وهو الصحيح فكان ما تقدم ذكره

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

(ذكر تتمة امر صفين)

في هذه السنة في المحرم منها جرت موادعة بين علي ومعاوية توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرم طمعا في الصلح واختلفت بينهما الرسل فبعث علي عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة فتكلم عدي بن حاتم فحمد الله وقال اما بعد فانا أتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ويحقن به الدماء ونصلح ذات البين ان ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الاسلام أثرا وقد استجمع له الناس ولم يبق احد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل فقال له معاوية كانك انما جئت متهددا لم تأت مصلحا هيهات يا عدي كلا والله اني لابن حرب لا يقعقع له بالشنان وانك والله من المجلبين على عثمان وانك من قتلته واني لارجو أن تكون ممن يقتله الله به فقال له شبث وزياد بن خصفة جوابا واحدا أتيناك فيما يصلحنا واياك فاقبلت تضرب لنا الامثال دع ما لا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه وقال يزيد بن قيس انا لم نأت الا لنبلغك ما أرسلنا به اليك ونؤدي عنك ما سمعنا منك وان ندع ان ننصح لك وأن نذكر ما يكون به الحجة عليك ويرجع الى الالفة والجماعة ان صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه فانا والله ما رأينا في الناس رجلا قط اعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه فحمد الله معاوية ثم قال اما بعد فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة فاما الجماعة التي دعوتم اليها فمعنا هي وأما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها لان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثارنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلك فليدفع الينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة وقال شبث بن ربعي أيسرك يا معاوية أن تقتل عمارا فقال وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذي لا اله غيره لا تصل الى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الارض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق وتفرق القوم عن معاوية وبعث معاوية الى زياد بن خصفة فخلا به وقال له يا اخا ربيعة ان عليا قطع أرحامنا وقتل امامنا وآوى قتلة صاحبنا واني اسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه اني اوليك اذا ظهرت أي المصرين احببت فقال زياد اما بعد فاني على بينة من ربي وما أنعم الله علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص ليس نكلم

بالدرهم واصطنع كراسي فضة للقواد ولم يزل تزداد شوكته وفي سنة خمس عشرة وثلثمائة استولى على جرجان وكتب ابو مسلم الكاتب الاصفهاني بذلك يوم الخليفة اري نارا تأجج من بعيد لها في كل ناحية شعاع واستولى على قزوين وهمدان ودينور وقم وكاشان واصفهان وطبرستان واستولى على بقية بلاد الجبل ونهب البلاد الى ان وصل الى حلوان * وفي سنة تسع عشرة وثلثمائة ارسل المقتدر بالله العباسي العساكر فقاتلهم مرداويج وكان جبارا متكبرا * وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة دخل الحمام فهجم عليه جماعته فقتلوه وتولى مكانه أخوه (وشمكير بن زياد) مدة فوقع بينه وبين ملوك الاطراف حروب كثيرة توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وسببه انه كان خرج للصيد فصادفه خنزير مجروح فهجم عليه فقام فرسه ورماه فقتله وتولى مكانه ولده (بيتون بن وشمكير) مدة وتوفي في سنة ست وستين وثلثمائة وتولى مكانه اخوه (قابوس) بن وشمكير وكان عالما فاضلا شاعرا وكان قابوس هذا حسن الخط الى الغاية حتى

عن موضعه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لامه واسمه عمرو بن معاوية من بني المنتفق فلما التقيا تعارفا فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس وخرج من الغد محمد بن على وهو ابن الحنفية وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا أشد القتال وأرسل عبيد الله الى ابن الحنفية يدعوه الى المبارزة فخرج اليه فحركه على دابته وردّابنه وبرز على الى عبيد الله فرجع عبيد الله وقال محمد لابيه لو تركتني لرجوت قتله وقال يا أمير المؤمنين وكيف تبرز الى هذا الفاسق والله انى لارغب بك عن أبيه فقال على يا بنى لا تقل في أبيه الا خيرا وتراجع الناس وخرج عبد الله بن عباس اليوم الخامس وخرج اليه الوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا فسب الوليد بنى عبد المطلب فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى وقاتل ابن عباس قتالا شديدا وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الانصارى وخرج اليه ابن ذى الكلاع الحميرى فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الاشتر وخرج اليه حبيب فاقتتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند الظهر ثم ان عليا قال حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الاربعاء خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الامة في شئ ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الاقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق اين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال وجعل الآخرة دار القرار ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الا وانكم لاقوا القوم غدا فأطيلوا الليلة القيام واكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين فقام القوم يصلحون سلاحهم فمر بهم كعب بن جعيل فقال

أصبحت الامة في أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

فقلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك اعلام العرب

وعبى على الناس ليلته حتى الصباح وزحف بالناس وخرج اليه معاوية في اهل الشام فسأل على عن القبائل من اهل الشام فعرف مواقفهم فقال للازد اكفونا الازد وقال لخثعم اكفونا خثعم وأمر كل قبيلة ان تكفيه اختها من الشام الا ان تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى من الشام ليس بالعراق منهم احد مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم الا القليل صرفهم الى لخم فتناهض الناس يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب فلما كان يوم الخميس صلى على بغلس وخرج بالناس الى أهل الشام فزحف اليهم وزحفوا معه وكان على ميمنة على عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعلى ميسرته عبد الله بن عباس والقراء مع ثلاثة نفر عمار وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلى في القلب في أهل المدينة بين اهل الكوفة والبصرة وأكثر من معه من اهل المدينة الانصار ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من اهل المدينة وزحف اليهم ورفع معاوية قبة عظيمة فالقى عليها الثياب وبايعه أكثر اهل الشام على الموت وأحاط بقبته خيل دمشق وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو في ميسرة معاوية فلم يزل

وركن الدولة ابو على الحسن ومعز الدولة ابو الحسين أحمد وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فملكوا العراقين والاهواز وفارس وساسوا امور الرعية احسن السياسة وهم خمسة عشر نفرا ومدة ملكهم مائة وست وعشرون سنة وكان مبدأ ظهورهم في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله العباسى وذلك ان عماد الدولة سار الى مرداويج فأقبل عليه وقلده امارة الكرخ فأحسن السيرة فافتتح قلاعا ظفر منها بذخائر كثيرة فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس وعظم في أعينهم لانه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف وبعث أخاه ركن الدولة فأخذ كازرون ثم ملك شيراز وفارس فعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف فقام مرداويج وقعد فقدر الله قتله على يد غلمانه فسار أكثر جنده اليه واستولى على بغداد نهار السبت حادى عشر جمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ونهبوا دار الخلافة حتى لم يبق فيها شئ واقام الخليفة المطيع لله ولم يجعل له أمرا ولا نهيا

فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت انا الخصم الالد العذورا
فولوا وما قاموا مقامى كانما * رأونى ليثا بالاباآت مخدرا
نصرتك اذ خان القريب وابعد البعيد وقد أفردت نصرا موزرا
فكان جزائى ان أجر بينكم * سحيبا وان اولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لى منك أنك راجعى * فلم تغن بالميعاد عنى حبترا

وسترد قصته بتمامها ان شاء الله تعالى فلما انسلخ المحرم امر على مناديا فنادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا الى الحق وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فاجتمع أهل الشام الى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو يكتبان الكتائب ويعبيان الناس وكذلك فعل أمير المؤمنين وقال للناس لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم بحمد الله على حجة وتركككم قتالهم حجة أخرى فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيأ من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس وكان يقول بهذا المعنى لاصحابه فى كل موطن وحرض أصحابه فقال عباد الله اتقوا الله وغضوا الابصار واخفضوا الاصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة والمناضلة والمعانقة والمكادمة والملازمة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر واعظم لهم الاجر واصبح على فجعل على خيل الكوفة الاشتر وعلى جند البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة المرقال معه الراية وجعل مسعر بن فدكى على قراء الكوفة وأهل البصرة وبعث معاوية على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميرى وعلى ميسرته حبيب ابن مسلمة الفهرى وعلى مقدمته ابا الاعور السلمى وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة المرى وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف وخرجوا اول يوم من صفر فاقتتلوا وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الاشتر وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا يومهم قتالا شديدا معظم النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج اليوم الثانى هاشم بن عتبة فى خيل ورجال وخرج اليه من أهل الشام ابو الاعور السلمى فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج اليه عمرو بن العاص فاقتتلوا أشد قتال وقال عمار يا أهل العراق اتريدون ان تنظروا الى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله يعز دينه ويظهر رسوله اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب ثم قبض النبى صلى الله عليه وسلم فوالله ان زال بعده معروفا بعداوة المسلم واتباع المجرم فاثبتوا له وقاتلوه وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل احمل على أهل الشام فحمل وقاتله الناس وصبروا له وحمل عمار فأزال عمرو بن العاص

وتحيرت فامه عسا كره وولوا مكانه ولده (فلك المعالى منوجهر) وانقطع هو فى عبادة ربه فلما توفى فى سنة عشرين وأربعمائة تولى مكانه ولده (أنوشروان شاه) ولم يتم حاله حتى استولى على الملك السلطان محمود ابن سبكتكين وكان آخر العهد بهم وقد انقرضت دولتهم والله أعلم

(الباب الثانى والثلاثون فى ذكر دولة آل بويه ملوك العراق الموصوفين بالنباهة ومكارم الاخلاق)

ذكر أصحاب التاريخ أن بويه كان رجلا صعلوكا من الديلم وكنيته أبو شجاع ابن فناخسرو بن تمام وكان ترب الدفقير ايصيد السمك وكان ينتسب الى الفرس ويزعم ان جده بهرام جور أحد ملوك الاكاسرة ثم ان بويه رأى فى منامه كانه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم افترقت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فقصه على منجم فقال له يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض مضت السنون وولد له خمسة أولاد مات الاثنان وبقى ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه وهو أكبرهم

فادناها حتى قال حسبك مكانك ولما انتهى على الى ربيعة تنادوا بينهم يا ربيعة ان أصيب فيكم أمير المؤمنين وفيكم رجل حى افتضحتم فى العرب فقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله فلذلك قال على

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما
ويقدمها فى الموت حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا * بأسيافنا حتى تولى وأحجما
جزى الله قوما صابروا فى لقائهم * لدى الموت قوما ما أعف وأكرما
وأطيب اخبارا وأكرم شيمة * اذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعنى انهم أهل نجدة * وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

ومر به الاشتر وهو يقصد الميسرة والاشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة فقال له على يا مالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه الى الحياة التى لا تبقى لكم فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم ما قال على ثم قال أيها الناس أنا الاشتر الى فأقبل اليه بعضهم وذهب البعض فنادى أيها الناس ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم اخلصوا الى مذحجا فأقبلت مذحج اليه فقال لهم ما ارضيتم ربكم ولا نصحتم له فى عدوكم وكيف ذلك وانتم ابناء الحرب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دماؤهم وما تفعلون هذا اليوم فانه ما تور بعده فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصادقين والذى نفسى بيده ما من هؤلاء واشار الى اهل الشأم رجل على مثل جناح بعوضة من دين اجلوا سواد وجهى يرجع فى دمه عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله قد فضه تبعه من بجانبيه قالوا تجدنا حيث احببت فقصد نحو عظمهم مما يلى الميمنة يزحف اليهم ويردهم واستقبله شباب من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ وكانوا اصبروا فى الميمنة حتى اصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم احد عشر رئيسا كان اولهم ذؤيب بن شريح ثم شرحبيل ثم مرثد ثم هبيرة ثم يريم ثم سمير اولاد شريح فقتل ثم اخذ الراية عميرة ثم الحرث ابنا بشير فقتلا جميعا ثم اخذ الراية سفيان وعبد الله وبكر بنو زيد فقتلوا جميعا ثم اخذ الراية وهب بن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نرجع فلا ننصرف او نقتل او نظفر فسمعهم الاشتر يقولون هذا فقال لهم انا احالفكم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر او نهلك فوقفوا معه وفى هذا قال كعب بن جعيل

وهمدان زرق تبتغى من تحالف ۞

وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه الناس وتراجعوا من اهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة الا كشفها ولا جمعا الا حازه ورده فانه كذلك اذ مر به زياد بن النضر الحارثى يحمل الى العسكر وقد صرع وسببه انه قد كان استلحم عبد الله بن بديل واصحابه فى الميمنة فتقدم زياد اليهم ورفع رايته لاهل الميمنة فصبروا وقاتل حتى صرع ثم مر وابيزيد بن قيس الارحبى محمولا نحو العسكر وكان قد رفع رايته لاهل الميمنة لما صرع زياد وقاتل حتى صرع فقال الاشتر حين رآه هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم ألا يستحى الرجل أن ينصرف ولا يقتل أو يشفى به على القتل

وكان عنده وديعة لصاحب البلد قبله فظن فى نفسه انه سعى به اليه وانه يطلب بهذا السبب فلما خاطبه حلف انه لم يكن عنده سوى اثنى عشر صندوقا لم يدر ما فيها فعجب عماد الدولة من جوابه فأحضرها فوجد فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة وركب يوما فساخت قوائم فرسه فحفروا فوجدوا فيه كنزا عظيما وكانت هذه الاسباب من أقوى دلائل سعادته توفى فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وتولى الملك بعده ابنه (مؤيد الدولة أبو منصور حسن بن بويه) وسار سيرة حسنة وتولى الملك مدة فلما توفى تولى مكانه أخوه (ركن الدولة حسن بن بويه) ثمانيا وعشرين سنة فلما توفى جلس على سرير الملك (معز الدولة احمد بن بويه) مدة وسار سيرة آبائه وتوفى فتولى مكانه (عضد الدولة خسروشاه) ابن حسن أربعا وثلاثين سنة فلما توفى تولى مكانه ولده (أبو الفوارس شرف الدولة شرزيل) بن خسرو بن بويه وقد استولى على جميع بلاد أبيه وكان ذلك فى خلافة الطائع بالله العباسى فلما ملك مكانه (فخر الدولة على بن حسن)

يحوزه و يكشف خيله حتى اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر وحرض عبد الله بن بديل أصحابه فقال ألا ان معاوية ادّعى ما ليس له ونازع الحق أهله وعاند من ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب الذين قد زين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وزادهم رجسا الى رجسهم فقاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وحرض علي أصحابه فقال في كلام له فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدّموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في الاطراف فانه أصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش وأسكن للقلب وأميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل عليكم النصر وقام يزيد بن قيس الارحبي يحرض الناس فقال ان المسلم من سلم في دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله لا يقاتلوننا على اقامة دين ضيعناه واحياء حق امتناه ان يقاتلوننا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبارين فيها ولو ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهورا ولا سرورا لزموكم بمثل سعيد والوليد وابن عامر السفيه الضال يجيز أحدهم بمثل ديته ودية أبيه وجده في جلسة ثم يقول هذا لي ولا اثم علي كأنما اعطى تراثه عن أبيه وامه وانما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم والله ما ازدادوا الى يومهم الا شرا وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالا شديدا حتى انتهى الى قبة معاوية وأقبل الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لابن بديل في الميمنة وبعث الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين او ثلثمائة من القراء قد اسند بعضهم الى بعض وانجفل الناس وأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى اوقفتهم في الميمنة وكان فيما بين الميمنة الى موقف علي في القلب اهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة الى علي فانصرف علي يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وكان الحسن والحسين ومحمد بنو علي معه حين قصد الميسرة والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه وما من بنيه احد الا يقيه بنفسه فيرده فصرت به أحمر مولى ابي سفيان او عثمان فاقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى علي فاختلفا بينهما ضربتان فقتله أحمر فأخذ علي بجيب درع احمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الارض فكسر منكبيه وعضديه ودنا منه أهل الشام فما زاده قربهم الا اسراعا فقال له ابنه الحسن ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء القوم من أصحابك فقال يا بني ان لابيك يوما لا يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه فلما وصل الى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكترث لما فيه الناس لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة قال بل رايات عصم الله أهلها فصبرهم وثبت أقدامهم وقال للحضين بن المنذر يا فتى الا تدني رايتك هذه ذراعا قال بلى والله وعشرة أذرع

فادناها

ولم يبق بيده الا ما لا يقوم ببعض حاجته فملك البصرة والموصل وتمام البلاد فولى امرة بغداد لاخيه معز الدولة وصير لركن الدولة امارة اصفهان وهو اقام بمدينة شيراز (ومن أغرب ما اتفق) انه لما ملك شيراز اجتمع عساكره وطالبوه بالجوامك والرواتب ولم يكن عنده ما يعطيهم واشرف أمره الى الانحلال فاغتم لذلك فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس انس قد خلا فيه للتفكر والتدبير اذ رأى حية خرجت من موضع من سقف ذلك البيت ودخلت في موضع آخر منه فخاف ان تسقط عليه فدعا بالفراشين وأمرهم باحضار سلم وان يخرجوا الحية فلما حضروا و بحثوا فيها وجدوا ذلك السقف يفضي الى غرفة بين سقفين فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فاذا فيها صناديق وجد فيها خمسمائة ألف دينار فحمل ذلك بين يديه وقسمه على رجاله وثبت أمره بعد ان اشرف على الانخرام ثم انه طلب خياطا فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله فأمر باحضاره وكان اطروشا

فلما آن ثم أخذ الرمح ثم حمل على ادهم فصرعه وقال هذه بتلك وكانت راية بجيلة مع ابى شداد قيس بن هبيرة الاحمسى وهو قيس بن مكشوح ومكشوح لقب فقال لقومه والله لانتهين بكم الى صاحب الترس المذهب وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد فقاتل الناس قتالا شديدا وشد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له مولى رومى لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتله وأشرعت اليه الرماح فقتل وأخذ الراية عبد الله بن قلع الاحمسى فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن اياس فلم تزل فى يده حتى تحاجز الناس وقتل حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم يومئذ وقتل أبوه أيضا له صحبة ونعيم بن صهيب بن العلية البجليون مع على فلما رأى على ميمنة اصحابه قد عادت الى مراضعها ومواقفها وكشفت من بازائها من عدوها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى اليهم فقال انى قد رأيت جولتكم عن صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغام واعراب الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الاعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق فلولا اقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولى يوم الزحف وكنتم من الهالكين ولكن هون وجدى وشفى أحاح نفسى انى رأيتكم بآخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تركب أولاهم أخراهم كالابل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا فقد نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين ليعلم المنهزم انه مسخط ربه وموبق نفسه فى كلام طويل وكان بشر بن عصمة المرى قد لحق بمعاوية فلما اقتتل الناس بصفين نظر بشر الى مالك بن العقدية الجشمى وهو يفتك باهل الشأم فاغتاظ لذلك فحمل على مالك وتجاولا ساعة ثم طعنه بشر بن عصمة فصرعه ولم يقتله وانصرف عنه وقد ندم على طعنته اياه وكان جبارا فقال

وانى لارجو من مليكى تجاوزا * ومن صاحب الموسوم فى الصدر هاجس

دلفت له تحت الغبار بطعنة * على ساعة فيها الطعان تخالس

فبلغت مقالته ابن العقدية فقال

الا أبلغا بشر بن عصمة اننى * شغلت وألهانى الذين أمارس

وصادفت منى غرة وأصبتها * كذلك والابطال ماض وحابس

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على أهل الشأم فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن مرة ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفى عبد الله واعترضه ابن عم لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية فوضع الرمح بين كتفى التميمى فقال له والله ان طعنته لاطعننك فقال له عليك عهد الله وميثاقه ان رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى قال نعم فرفع التميمى سنانه ورفع يزيد سنانه فلما رجع الناس الى الكوفة عتب على يزيد ابن الطفيل فقال

ألم ترنى حاميت عنك مناصحا * بصفين اذ خلاك كل حميم

ونهنهت عنك الحنظلى وقد أتى * على سابح ذى ميعة وهزيم

وخرج رجل من آل ذى الكلاع من اهل الشأم يسأل المبارزة فبرز اليه قيس بن فهدان الكندى فحمل عليه وتجاولا ساعة ثم طعنه عبد الرحمن فقتله وقال

لقد علمت عك بصفين اننا * اذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

فى ذكر دولة بنى سلجوق بما وراء النهر وابع من حسن سيرهم فى هذا العصر) * ذكر الامام عماد الدين فى تاريخه الموسوم بزبدة النصرة ونخبة العصرة ان السلجوقية كانوا ذوى عدد وعدد لا يدينون لاحد ولا يدنون من بلد ينتسبون الى ابراهيم الخليل عليه السلام وهو سلجوق بن دقاق ومعنى دقاق القوس الجديد ابن لقمان بن لقمان ابن أيوب بن داود وكان سؤساو انتهت اليه رياسة الترك ومبدأ حاله ان ملك الترك بيغو خان الشاه فيه النجابة فجعله قائد الجيش ثم اغرته امرأته بقتله فهاجر سلجوق من دار الحرب الى دار الاسلام وأسلم هو وقومه ثم حصل لسلجوق اتصال بملوك السامانية وكان يظاهرهم بمهماتهم فلما توفى سلجوق بجند ودفن هنالك وكان عمره نحو مائة سنة وخلف من البنين ارسلان وميكائيل وموسى وكان مسكنهم موضعا يقال له نور بخارا وذلك من أعمال بخارا وهم عدة نفر ومدة ملكهم مائة وأربعون سنة وأول من ملك منهم (ميكائيل بن سلجوق) وكان زعيمهم المجمل وعظيمهم المفضل وكان السلاطين يدعونهم

وقاتلهم الاشتر قتالا شديدا ولزمه الحرث بن جهمان الجعفي يقاتل معه فما زال هو ومن رجع اليه يقاتلون حتى كشف اهل الشأم وألحقهم بمعاوية والصف الذي معه بين صلاة العصر والمغرب وانتهى الى عبد الله بن بديل وهو في عصابة من القراء نحو المائتين او الثلثمائة قد لصقوا بالارض كأنهم جثاء فكشف عنهم أهل الشأم فابصروا اخوانهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قال حي صالح في الميسرة يقاتل الناس امامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا انه قد هلك وهلكتم وقال عبد الله ابن بديل استقدموا بنا فقال الاشتر لا تفعل واثبت مع الناس فانه خير لهم وأبقى لك ولاصحابك فأبى ومضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وبيده سيفان وخرج عبد الله امام أصحابه يقتل كل من دنا منه حتى قتل جماعة ودنا من معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة منهم مجرحين فبعث الاشتر الحرث بن جمهان الجعفي فحمل على أهل الشأم الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله حتى نفسوا عنهم وانتهوا الى الاشتر وكان معاوية قد رأى ابن بديل وهو يضرب قدما فقال أترونه كبش القوم فلما قتل أرسل اليه لينظروا من هو فلم يعرفه أهل الشام فجاء اليه فلما رآه عرفه فقال هذا عبد الله بن بديل والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها وتمثل بقول حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وزحف الاشتر بعك والاشعريين وقال لمذحج اكفونا عكا ووقف في همدان وقال لكندة اكفونا الاشعريين فاقتتلوا قتالا شديدا الى المساء وقاتلهم الاشتر في همدان وطوائف من الناس فأزال اهل الشأم عن مواضعهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم حمل عليهم حملة أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول اردت ان انهزم فذكرت قول ابن الاطنابة الانصاري وكان جاهليا

أبت لي عفتي وأبى بلائي * واقدامي على البطل المشيح

واعطائي على المكروه مالي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال فمنعني هذا القول من الفرار ونظر الى عمرو وقال اليوم صبر وغدا فخر فقال صدقت وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس ازد الشأم فقتله الشامي وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله وقتل أبو زينب بن عوف وخرج عبد الله بن أبي الحصين الازدي في القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه وتقدم عقبة بن حديد النميري وهو يقول ألا ان مرعى الدنيا أصبح هشيما وشجرها خضيدا وجديدها سملا وحلوها مر المذاق اني قد سئمت الدنيا وعزفت نفسي عنها واني أتمنى الشهادة وأتعرض لها في كل جيش وغارة فأبى الله الا ان يبلغني هذا اليوم واني متعرض لها من ساعتي هذه وقد طمعت ان لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله في كلام طويل وقال يا اخوتي قد بعت هذه الدار بالتي امامها وهذا وجهي اليها فتبعه اخوته عبيد الله وعوف ومالك وقالوا لا نطلب رزق الدنيا بعدك فقاتلوا حتى قتلوا وتقدم شمر بن ذي الجوشن فبارز فضرب أدهم بن محرز الباهلي بالسيف وجهه وضربه شمر فلم يضره فعاد شمر فضرب ما وكان

ثلاث عشرة سنة واحد عشر شهرا ثم تولى بعده ولده (عبد الدولة رستم بن فخر الدولة) فغلب عليه السلطان محمود بن سبكتكين واستولى على غالب بلاده ثم تولى الملك (بهاء الدولة خسرو بن شرف الدولة) اثنتين وعشرين سنة وشهرين فمات وخلف ولدين احدهما سلطان الدولة والآخر شرف الدولة تولى الملك بعد أبيه (سلطان الدولة) اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر فلما توفي تولى الملك أخوه (شرف الدولة) خمس سنين وشهرين ولما هلك ملك مكانه (عماد التقى مرزبان الدولة) مدة فلما مات تولى مكانه ولده (الملك الرحيم بن عماد الدولة) فجلس على سرير الملك ببغداد فظفر به السلطان طغرلبك السلجوقي فقتله وملك مكانه أخوه (كيخسرو بن عماد الدولة) مدة وهلك فتولى مكانه أخوه (أبو منصور فولادستون بن عماد الدولة) فوقع بينه وبين أبي سعد خسروشاه ابن عماد الدولة محاربات آلت الى قتل أبي منصور واستقل بالملك خسروشاه المذكور وبه انقرضت دولتهم وهو آخرهم واستولى الملك السلجوقية

*(الباب الثالث والثلاثون

ثعلبة من اهل البصرة واخذ سيفه ذا الوشاح وكان لعمر فلما ملك معاوية العراق اخذه منه وقيل بل قتله هانئ بن خطاب الارحبي وقيل قتله مالك بن عمرو التنعي الحضرمي وخرج عمار بن ياسر على الناس فقال اللهم انك تعلم اني لو اعلم ان رضاك في ان اقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته اللهم انك تعلم اني لو اعلم ان رضاك في ان اضع ظبة سيفي في بطني ثم انحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته واني لا اعلم اليوم عملا هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو اعلم عملا هو ارضى لك منه لفعلته والله اني لارى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قال من يبتغي رضوان الله ربه ولا يرجع الى مال ولا ولد فاتاه عصابة فقال اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان والله ما ارادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا اتباعهم وقالوا امامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا فبلغوا ما ترون فلولا هذا ما تبعهم من الناس رجلان اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت وان تجعل لهم الامر فادخر لهم بما احدثوا في عبادك العذاب الاليم ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بواد من اودية صفين الا تبعه من كان هناك من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وهو المرقال وكان صاحب راية علي وكان اعور فقال يا هاشم اعورا وجبنا لا خير في اعور لا يغشى الباس اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو يقول

اعور يبغي اهله محلا ❊ قد عالج الحياة حتى ملا

لابد ان يفل او يفلا ❊ يتلهم بذي الكعوب تلا

وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الاسل وقد فتحت ابواب السماء وتزينت الحور العين اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك فقال له لا ولكن اطلب بدم عثمان قال انا اشهد على علي فيك انك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله وانك ان لم تقتل اليوم تمت غدا فانظر اذا اعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الرابعة ما هي بابر واتقى ثم قاتل عمار فلم يرجع وقتل وقال حبة بن جوين العرني قلت لحذيفة بن اليمان حدثنا فانا نخاف الفتن فقال عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وان آخر رزقه ضياح من لبن وهو الممزوج بالماء من اللبن قال حبة فشهدته يوم قتل وهو يقول ائتوني بآخر رزق لي في الدنيا فاتي بضياح من لبن في قدح اروح له حلقة حمراء فما اخطأ حذيفة مقياس شعرة فقال اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قتل قتله ابو الغادية واحتز راسه ابن جوى السكسكي وقيل قتله غيره وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو انه سيرجع الينا فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية واصيب عمار بعده مع علي فقال

عميد الملك ان طغرلبك قال رأيت في منامي في مبدا امري كأني رفعت الى السماء وقيل لي سل حاجتك تقض فقلت ما شيء احب الي من طول العمر فقيل عمرك سبعون سنة فكان كذلك فلما هلك ملك بعده ابن اخيه (سليمان بن داود) وكان توفي ابوه داود فقام مقامه ولما خطب باسم سليمان بالري بعد وفاة طغرلبك مضى اخوه آقسنر واردم الى قزوين وخطب باسم الب ارسلان واقبل عضد الدولة الب ارسلان من نيسابور لما بلغه موت ابيه يطوي السهول والوعور وكان ابن عم ابيه قتلمش بن اسرائيل في كرده وقد طمع في الملك ولم يعلم ان ذلك يورطه الى الهلاك فعارضه في جموعه فتقابلا وتقاتلا وانجلت المعركة عن قتل قتلمش وقتل الب ارسلان من التركمان عدة وافرة وحاز من اموالهم غنيمة ظاهرة فلما وصل الى الري تلقاه الوزير عميد الملك في حشمه وخدمه وكوسه وعلمه وعربه وعجمه واجلسه على سرير الملك وكان ملكا كريما حليما كثير الصدقات حريصا على بناء المساجد وكان يقول استحي من الله ان ابني دارا ولا ابني بجنبها مسجدا ثم بعد

ونحمل رايات الطعان بحقها * فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر الى معاوية فخرج اليه أبو العمرطة بن يزيد فتعارفا فتواقفا ثم انصرفا وأخبر كل واحد منهما انه لقى اخاه وقاتلت طئ يومئذ قتالا شديدا فعبيت لهم جموع فأتاهم حمزة بن مالك الهمدانى فقال من القوم فقال له عبد الله بن خليفة وكان شيعيا شاعرا خطيبا نحن طئ السهل وطئ الرمل وطئ الجبل الممنوع ذى النخل نحن طئ الرماح وطئ البطاح فرسان الصباح فقال حمزة بن مالك انك لحسن الثناء على قومك واقتتل الناس قتالا شديدا فناداهم يا معشر طئ فدا لكم طارفى وتالدى قاتلوا على الدين والاحساب وحمل بشر بن العسوس فقاتل ففقئت عينه يومئذ فقال فى ذلك

الاليت عينى هذه مثل هذه * ولم أمش فى الاحياء الا بقائد

ويا ليت رجلى ثم طنت بنصفها * ويا ليت كفى ثم طاحت بساعدى

ويا ليتنى لم أبق بعد مطرف * وسعد وبعد المستنير بن خالد

فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم * اذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

وقاتلت النخع يومئذ قتالا شديدا فأصيب منهم حيان وبكر ابنا هوذة وشعيب بن نعيم وربيعة بن مالك بن وهبيل وأبى أخو علقمة بن قيس الفقيه وقطعت رجل علقمة يومئذ فكان يقول ما أحب ان رجلى أصح مما كانت وانها لمما أرجو بها الثواب وحسن الجزاء من ربى قال ورأيت أخى فى المنام فقلت له ماذا قدمتم عليه فقال لى انا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى فاحتججنا فحججناهم فما سررت بشئ سرورى بتلك الرؤيا وكان يقال لابى أبى الصلاة لكثرة صلاته وخرجت حمير فى جمعها ومن انضم اليها من أهل الشأم ومقدمهم ذو الكلاع ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشأم فقصدوا ربيعة من أهل العراق وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق وفيهم ابن عباس على الميسرة فحملوا على ربيعة حملة شديدة فتضعضعت راية ربيعة وكانت الراية مع أبى ساسان حضين بن المنذر فانصرف أهل الشأم عنهم ثم كر عبيد الله بن عمر وقال يا أهل الشام ان هذا الحى من اهل العراق قتلة عثمان وانصار على فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت ربيعة وصبر واصبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء والفشلة وثبت اهل الرايات واهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم وكان على ربيعة فلما راى اصحاب الرايات قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم وامرهم بالرجوع فرجعوا وكان خالد قد سعى به الى على انه كاتب معاوية فاحضره على ومعه ربيعة فسأله على عما قيل وقال له ان كنت فعلت ذلك فالحق باى بلد شئت لا يكون لمعاوية عليه حكم فأنكر ذلك وقالت ربيعة يا امير المؤمنين لو نعلم انه فعل ذلك لقتلناه فاستوثق منه على بالعهود فلما فر اتهمه بعض الناس واعتذر هو بانى لما رايت رجالا منا قد انهزموا استقبلتهم لاردهم اليكم فاقبلت بمن اطاعنى اليكم ولما رجع الى مقامه حرض ربيعة فاشتد قتالهم مع حمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى فقتل سمير بن الريان العجلى وكان شديد البأس واتى زياد بن عمرو بن خصفة عبد القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حمير وقال يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم فأتت عبد القيس فى بكر فقاتلوا معهم فقتل ذو الكلاع الحميرى وعبيد الله بن عمر قتله محرز بن الصحصح من تيم الله بن

للمهمات ويراعونهم للملمات فلما دخل السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا المساعدة قدرخان امتنع ميكائيل عليه ولم يمل اليه فاغتاظ السلطان فقبضه وعبر به وبأصحابه الى خراسان فلما توفى السلطان محمود أنفذ ولده مسعود لقتالهم عسكرا فقتل منهم عدة واسر منهم جماعة ثم بعد ذلك ركب السلجوقية اليه ودخلوا طوس فملكوها وامتدوا الى نيسابور فدخلوها وذلك فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ولم يلبثوا ان عظمت شوكتهم واتسعت رقعتهم ولا يتهم وتوفى ميكائيل وتولى مكانه ولده (طغرل بك محمد ابن ميكائيل) فأمر ونهى وأخذ وأعطى وسير أخاه داود مع جيوش الى سرخس فملكها ونهج له طريقة فى العدل فسلكها وكان شديد الاحتمال سديد الافعال ولم يزل تشتد منعته وتقوى شوكته حتى استولى على بلاد خراسان وطرأ على ملك الديلم فوجد فى دورهم دفائن وخزائن فلما توجه الى بلد الاملاكه وكانت وفاته بالرى نهار الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وعمره سبعون سنة

وكان قد أسر علي أسارى كثيرة فخلى سبيلهم فجاؤا معاوية وان عمرا ليقول له وقد أسر أيضا أسارى كثيرة أقتلهم فلما وصل أصحابهم قال معاوية يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الاسارى لوقعنا في قبيح من الامر وخلى سبيل من عنده وأما هاشم بن عتبة فانه دعا الناس عند المساء وقال الا من كان يريد الله والدار الآخرة فالي فأقبل اليه ناس كثير فحمل على أهل الشام مرارا ويصبرون له وقاتل قتالا شديدا وقال لاصحابه لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما هو الا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق ثم حرض أصحابه وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا حتى رأوا بعض ما يسرون به فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم شاب وهو يقول

أنا ابن أرباب الملوك غسان * والدائن اليوم بدين عثمان
نبأنا قراؤنا بما كان * ان عليا قتل ابن عفان

ثم حمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن فقال له هاشم يا هذا ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به قال فاني أقاتلكم لان صاحبكم لا يصلي وأنتم لا تصلون وان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله فقال له هاشم ما أنت وعثمان أقتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء أصحابه وقراء الناس وهم أهل الدين والعلم وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين وأما قولك ان صاحبنا لا يصلي فانه أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول صلى الله عليه وسلم وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا فلا يغوينك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى فهل لي من توبة قال نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فرجع الفتى فقال له أهل الشام خدعك العراقي فقال كلا ولكن نصح لي وقاتل هاشم وأصحابه قتالا شديدا حتى رأوا الظفر فاقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ فقاتلهم هاشم وهو يقول

أعور يبغي أهله محلا * لابد أن يفل أو يفلا
قد عالج الحياة حتى ملا * يتلهم بذي الكعوب تلا

فقتل يومئذ تسعة او عشرة وحمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط فأرسل اليه علي ان قدم لواءك فقال لرسوله انظر الى بطني فاذا هو انشق فقال الحجاج بن غزية الانصاري

فان تفخروا بابني بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا
ونحن تركنا عند معترك القنا * اخاك عبيد الله لحما ملحبا
ونحن احطنا بالبعير واهله * ونحن سقيناكم سماما مقشبا

ومر علي بكتيبة من اهل الشام فرآهم لا يزولون وهم غسان فقال ان هؤلاء لا يزولون الا بطعن وضرب يفلق الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والاكف وحتى يقرع جباههم بعمد الحديد اين اهل النصر والصبر طلاب الاجر فاتاه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمدا فقال له تقدم نحو هذه الراية مشيا رويدا على هينتك حتى اذا اشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمري ففعل وأعد لهم علي مثلهم ثم سيرهم الى ابنه محمد وامره بقتالهم فحملوا عليهم فأزالوهم

نزل على مسافة اليوم وملك الروم نازل بين اخلاط ومنازكرد وبين العسكرين فرسخ ١٣٥ فقال له امامه ابو نصر محمد البخاري انك تقاتل عن دين الله الذي وعدنا باظهاره فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر فلما اصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج وارتجت السماء بالصياح الى ان دنا وقت الزوال وصدحت على اعواد المنابر الخطباء والمجاهدون في اخلاص الدعاء فتقدم السلطان وثبت فؤاده وقوى قلبه وحمل ملك الروم بجمعه واخذ ينتصر الدهر وسعده فثبتت لهم خيل الاسلام ثم وثبت وجالت وما وجلت فوقع الحرب والضرب فما انجلت من اولئك الالوف آحاد وما سلمت من اعداء الاسلام اعداد واسر ملكهم وانكسرت الروم كسرة لا تقبل جبرا (ومن عجيب ما حكي) انه كان اهدى مملوك للوزير فرده على صاحبه ولم يقبله منه صاحبه فقال له الوزير عسى ان يأتينا بملك الروم وذكر ذلك استهزاء به فاتفق وقوع الملك يوم المصاف في اسر ذلك الغلام فخلع عليه السلطان وانعم عليه وغنم المسلمون غنيمة عظيمة فاحضر ملك الروم بين يديه فرق له قلب السلطان وارسله وفك قيده ووصله الى اهله وجعل عليه في كل يوم الف دينار ويدفعها لبيت مال المسلمين ولما انصرف الى بلاده محوا من الملك اسمه وقالوا اسمه من اعداد الملوك ساقط

عمرو لمعاوية ما ادري بقتل ايهما انا اشد فرحا بقتل عمار او بقتل ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة اهل الشام الى علي فاتى جماعة الى معاوية كلهم يقول انا قتلت عمارا فيقول عمرو فما سمعته يقول فيخلطون فاتاه ابن حوي فقال انا قتلته فسمعته يقول اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه فقال له عمرو انت صاحبه ثم قال رويدا والله ما ظفرت يداك ولقد اسخطت ربك قيل ان ابا الغادية قتل عمارا وعاش الى زمن الحجاج ودخل عليه فاكرمه الحجاج وقال له انت قتلت ابن سمية يعني عمارا قال نعم فقال من سره ان ينظر الى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر الى هذا الذي قتل ابن سمية ثم ساله ابو الغادية حاجته فلم يجبه اليها فقال نوطئ لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم اني عظيم الباع يوم القيامة فقال الحجاج أجل والله من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة انه لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمارا قتله أهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار وقال عبد الرحمن السلمي لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لانظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا تركنا القتال تحدثوا الينا وتحدثنا اليهم فاذا معاوية وعمرو وأبو الاعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون فادخلت فرسي بينهم لئلا يفوتني ما يقولون فقال عبد الله لابيه يا أبه قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال وما قال قال ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فغشي عليه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الاجر وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية فقال عمرو لمعاوية اما تسمع ما يقول عبد الله قال وما يقول فاخبره فقال معاوية أنحن قتلناه انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون انما قتل عمارا من جاء به فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم فلما قتل عمار قال علي لربيعة وهمدان أنتم درعي ورمحي فانتدب له نحو من اثني عشر ألفا وتقدمهم علي على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وقتلوا كل من انتهوا اليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقول

اقتلهم ولا أرى معاويه * الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى معاوية فقال علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو أنصفك فقال له معاوية ما أنصفت انك لتعلم انه لم يبرز اليه أحد الا قتله فقال له عمرو وما يحسن بك ترك مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدي وكان أصحاب علي قد وكلوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل وكان يحمل اذا غفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه وانه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه اليهم وقال لولا انه انثنى ما رجعت اليكم فقال الاعمش لابي عبد الرحمن هذا والله ضرب غير مرتاب فقال أبو عبد الرحمن سمع القوم شيئا فأدوه وما كانوا بكاذبين وأسر معاوية جماعة من أصحاب علي فقال له عمرو اقتلهم فقال عمرو بن اوس الاودي لا تقتلني فانك خالي قال من اين انا خالك ولم يكن بيننا وبين اود مصاهرة قال ان اخبرتك فهو اماني عندك قال نعم قال أليست اختك ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال بلى قال فاني ابنها وانت اخوها فأنت خالي فقال معاوية ماله لله ابوه اما كان في هؤلاء من يفطن لها غيره وخلى سبيله

وكان

ذلك سير الى الوزير المذكور غلامين فقتلاه وكان خصيا وسبب ذلك ان طغرل بك كان انفذه في ابتداء حاله ليخطب له امرأة فتزوجها لنفسه وعصاه ولما ظفر به توفي خدمة الوزارة بعد ان خصاه ثم ان السلطان المذكور توجه الى حلب والشام فنزل بحلب وشرع في حصارها واحاط باسوارها وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس من بني كلاب وكان قائما بدعوة العلوية فلما ضاق به الامر وخاف ان يتسع الخرق عن رقعه خرج ليلا الى السلطان ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري يتضرعان ويتضرعان له فعفا السلطان وصفح وأعاد محمودا الى مكانه محمود المكانة وأمنت الشهباء وسكنت الدهماء وبلغ السلطان خروج ارمانوس ملك الروم وقد وصل الى قرب اخلاط وكان السلطان في خواصه ومعه خمسة عشر ألف فارس من نخب رجاله فاستعد للمقاتلة والروم في ثلثمائة ألف أو يزيدون ومعهم ثلاثة آلاف عجلة تحمل اثقالهم ومن المجانيقات التي ترمي قنطار حجر مقدار مائة عجلة فتوكل السلطان على الملك الديان وسار حتى

فتأبى أن تقبله فقال لهم علي فإني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم
ونسوا عهده ونبذوا كتابه فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من
القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه وإلا
دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان قال فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا
مقالتكم لي فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم قالوا ابعث إلى الأشتر ليأتك
فبعث علي يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه فقال الأشتر ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي
لك أن تزيلني عن موقفي إني قد رجوت أن يفتح الله لي فرجع يزيد فأخبره وارتفعت الأصوات
وارتفع الرهج من ناحية الأشتر فقالوا والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل فقال علي هل رأيتموني
ساررته إني كلمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون قالوا فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك فقال
له ويلك يا يزيد قل له أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت فأبلغه ذلك فقال الأشتر ألرفع المصاحف قال
نعم قال والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافا وفرقة إنها مشورة ابن العاهر ألا ترى إلى الفتح ألا
ترى ما يلقون ألا ترى ما صنع الله لنا أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم فقال له يزيد أتحب أن
تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل قال لا والله سبحان الله فأعلمه بقولهم فأقبل إليهم
الأشتر وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون
رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت
عليه فأمهلوني فواقا فإني قد أحسست بالفتح قالوا لا قال أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت
في النصر قالوا إذن ندخل معك في خطيئتك قال خبروني عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون
وخياركم يقتلون فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون فقتلاكم
الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم في النار قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم
لله قال خدعتم وانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن
صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله فلا أرى مرادكم إلا الدنيا ألا قبحا يا أشباه النيب
الجلالة ما أنتم براءين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا
وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه فصاح بهم علي فكفوا وقال الناس
قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال أرى الناس قد
رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه
فقال لمعاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه تبعثون
رجلا ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه
ثم نتبع ما اتفقا عليه قال له الأشعث هذا الحق فعاد إلى علي فأخبره فقال الناس قد رضينا
وقبلنا فقال أهل الشام قد رضينا عمرا وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج إنا
قد رضينا بأبي موسى الأشعري فقال علي قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى
أن أولي أبا موسى فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا
ما وقعنا فيه قال علي فإنه ليس بثقة قد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى أمنته بعد
أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس لا نريد إلا

يقولون كتبه إسلاما ولفظا
له وكان ناقدا بصيرا يعرف
الناس ومقاديرهم ويضعهم
في محالهم وكان يعرف
بالسلطان العادل فمن جملة
عدله أنه ركب يوما للصيد
فرأى رجلا باكيا شاكيا
فسأله عن سبب بكائه فقال
اشتريت بطيخات
بدريهمات لا أملك غيرها وأعود
بربحها على عيالي وأعيش
منها رأس مالي فأخذها
رجل من جماعتك من يدي
ولم يعطني ثمنها فقال له
السلطان طب نفسا فهل
تعرفه فقال لا وكان البطيخ
في أول باكورته ولا يوجد
في البلد شيء منه فقال
السلطان لبعض خواصه
قد اشتهيت بطيخا فاجتهد لي
في تحصيله ولو واحدة فما زال
يطلبه حتى وجده عند بعض
الأمراء فسأله فقال قد
أحضره عبد من عبيدي
فأمر السلطان بإحضار ذلك
العبد فتوقف فأحضر المتظلم
وقال خذ هذا الأمير فإنه
أخذ بطيخاتك وإنه مملوكي
وقد وهبته لك فاصنع به ما شئت
فاشترى الأمير نفسه بثلاثمائة
دينار وأتى صاحب البطيخ
بعد اقتداره وكان الناس
يأخذون التراب الذي
وطئته دابته فيتبركون به
وكان مغرما بالصيد قيل إنه
أحصي ما اصطاده بيده

عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالا ومن الاسود بن قيس المرادى بعبد الله بن كعب المرادى وهو صريع فقال عبد الله يا اسود فقال لبيك وعرفه وقال له عز على لمصرعك ثم نزل اليه وقال له ان كان جارك ليأمن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصنى رحمك الله فقال أوصيك بتقوى الله وان تناصح أمير المؤمنين وان تقاتل معه المحلين حتى تظهر أو تلحق بالله وأبلغه عنى السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من اصبح غدا والمعركة خلف ظهره كان العالى ثم لم يلبث ان مات فأقبل الاسود الى على فأخبره فقال رحمه الله جاهد عدونا فى الحياة ونصح لنا فى الوفاة وقيل ان الذى اشار على امير المؤمنين على بهذا عبد الرحمن بن الحنبل الجمحى قال فاقتتل الناس تلك الليلة كلها الى الصباح وهى ليلة الهرير فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح وتراموا حتى نفد النبل واخذوا السيوف وعلى يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويامر كل كتيبة ان تقدم على التى تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره والاشتر فى الميمنة وابن عباس فى الميسرة وعلى فى القلب والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة وأخذ الاشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة الى ارتفاع الضحى ويقول لاصحابه ازحفوا قيد هذا الرمح ويزحف بهم نحو اهل الشام فاذا فعل ذلك بهم قال ازحفوا قيد هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل اكثر الناس الاقدام فلما راى الاشتر ذلك قال اعيذكم بالله ان ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعى وخرج يسير فى الكتائب ويقول من يشترى نفسه ويقاتل مع الاشتر حتى يظهر او يلحق بالله فاجتمع اليه ناس كثير فيهم حيان بن هوذة النخعى وغيره فرجع الى المكان الذى كان فيه وقال لهم شدوا شدة فدى لكم خالى وعمى ترضون بها الرب وتعزون بها الدين ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته اقدم بها وحمل على القوم وحملوا معه فضرب اهل الشام حتى انتهى بهم الى عسكرهم ثم قاتلوه عند العسكر قتالا شديدا وقتل صاحب رايته ولما راى على الظفر من ناحيته امده بالرجال فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه اتدرى ما مثلى ومثلك ومثل الاشتر قال لا قال كالاشقر ان تقدم عقر وان تأخر عقر لئن تأخرت لاضربن عنقك قال اما والله يا ابا عبد الله لاوردنك حياض الموت ضع يدك على عاتقى ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول لاوردنك حياض الموت واشتد القتال فلما راى عمرو ان امر اهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية هل لك فى امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغى لنا ان نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد اهله من لثغور العراق بعد اهله فلما رآها الناس قالوا نجيب الى كتاب الله فقال لهم على عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمرا وابن أبى معيط وحبيبا وابن أبى سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا ثم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة فقالوا والله لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله

وزعموا ان المسيح عليه السلام ... ثم بعث الى السلطان بمائتى الف دينار وجواهر قيمتها خمسون الف دينار واعتذر وحلف انه لا يملك غيرها فقبلها السلطان وفى سادس ربيع الاول سنة خمس وستين واربعمائة قتل السلطان وكانت مدة ملكه تسع سنين وشهورا وقد بلغ من العمر اربعين سنة ودفن بمرو عند قبر ابيه وخلف عدة بنين وهم ملكشاه وتكش واياز وتتش وارسلان وارغون وبورى برس وتولى الملك ولده جلال الدولة ابو الفتح ملكشاه ابن الب ارسلان فلما جلس على سرير الملك نازعه عمه قاروت بك الملك ووقع بينهما حروب آلت الى انهزام قاروت وأسره فلما ظفر به امر بخنقه فخنقه غلام ارمنى اعور وكان ملكشاه ملكا شجاعا مقداما سيرته العدل وكان كثير الغزو حتى بلغ فى غزوه الى حدود قسطنطينية وقرر الف الف دينار تحمل الى خزانته كل سنة من تلك الممالك ووضع فى البلاد التى افتتحها من الروم خمسين منبرا اسلاميا وقصد فتح سمرقند وحاصرها وظفر بخانها فأسره فحمل غاشيته وسار فى ركابه فأخذه اسيرا الى العراق ثم من عليه بالاطلاق ومشى فى ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه وكانت ملوك الروم وغزنة وماوراء النهر فى طل حمايته وكمعه رعايته وكان ملوك الاطراف ... ومنابر

ليكتب فيها فقال له محبتي يمينى ولا تنفعنى بعدها شماله ان خط لى فى هذه الصحيفة ولست على بينة من ربى من ضلال عدوى أولستم قد رأيتم الظفر فقال له الاشعث والله ما رأيت ظفرا هلم الينا لا رغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك فى الدنيا للدنيا وفى الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفى دماء رجال ما انت خير عندى منهم ولا أحرم دما قال فكأنما قصع الله على انف الاشعث الحمم وخرج الاشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مر على طائفة من بنى تميم فيهم عروة بن اديه اخو أبى بلال فقرأه عليهم فقال عروة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم الا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به اصحاب الاشعث فرجع وغضب للاشعث قومه وناس كثير من اهل اليمن فمشى اليه الاحنف بن قيس ومسعر بن فدكى وناس من تميم فاعتذروا فقبل وشكر وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يوافى امير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو باذرح فى شهر رمضان وقيل لعلى ان الاشتر لا يقر بما فى الصحيفة ولا يرى الا قتال القوم فقال على وانا والله ما رضيت ولا أحببت ان ترضوا فاذا أبيتم الا ان ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا ان يعصى الله ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله واما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما انا عليه فليس من أولئك فلست اخاف على ذلك باليت فيكم مثله اثنين باليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى اذا لخفت على مؤنتكم ورجوت ان يستقيم لى بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتمونى فكنت أنا وأنتم كما قال اخو هوازن

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة واسقطت منة واورثت وهنا وذلة ولما كنتم الاعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفثؤكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فاعطيتموهم ما سألوا وأبيتم الا ان تدهنوا وتجيزوا وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم ثم رجع الناس عن صفين فلما رجع على خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت وانكرت تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذى اقبلوا فيه أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم فى امر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا وساروا حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة فاذا بشيخ فى ظل بيت عليه أثر المرض فسلم عليه أمير المؤمنين فرد ردا حسنا فقال له على أرى وجهك متغيرا من مرض قال نعم قال لعلك كرهته قال ما احب انه يعترينى فقال أليس احتسابا للخير فيما اصابك قال بلى قال فابشر برحمة ربك وغفران ذنبك من أنت يا عبد الله قال صالح بن سليم قال ممن أنت قال اما الاصل فمن سلامان طيء وأما الدعوة والجوار ففى سليم بن منصور فقال سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيت اليه واسم ادعائك هل شهدت معنا غزاتنا هذه قال لا والله ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر الحمى منعتنى عنها فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى

ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببروجرد وهى بلدة بقرب همدان وبلغ من العمر خمسا وعشرين سنة واقام فى السلطنة اثنى عشرة سنة واشهرا وتولى الملك بعده (ابو شجاع محمد بن ملكشاه) وكان وقورا مهابا أديبا لبيبا فلما جلس على سرير الملك وجد قواعد الدولة بالية اشبه مختلة وعقودها منحلة فاحكم القواعد وابرم المعاقد وكان رجل السلجوقية الكامل وفحلهم البازل وله الآثار الحميدة والآراء السديدة كان يغنى الفقير ويجبر الكسير ويفك الاسير وينصر الاسلام ويكشف الظلام وصفت له الدنيا ولم يبق له منازع ثم مرض زمانا طويلا فقيل له مرضك سحرى وانما سحرتك زوجتك فاعضل داؤك وبطل دواؤك وحملوا السلطان الى ان كلمها وحبسها فى بيت ضيق واعتقلها واخرجوا خاتم السلطان وقالوا انه أمر بخنقها فخنقوها ومن عجيب القدر ان الزوجين توفيا فى ساعة واحدة فانهما كانا فى بيتها اختنقت والسلطان على فراشه نفسه زهقت وذلك فى أواخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وخلف سبعة بنين

رجلا هو منك ومن معاوية سواء قال علي فاني أجعل الاشتر قالوا وهل سعر الارض غير الاشتر فقال
قد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أردتم فبعثوا اليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض
فأتاه مولى له فقال ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله قال قد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه
راجعون وجاء ابو موسى حتى دخل العسكر وجاء الاشتر عليا فقال ألزني بعمرو بن العاص
فوالله الذي لا اله غيره لئن ملأت عيني منه لاقتلنه وجاء الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين انك قد رميت
بحجر الارض واني قد عجمت أبا موسى وحلبت اشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر
وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يصير في اكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم
منهم فان أبيت ان تجعلني حكما فاجعلني ثانيا او ثالثا فانه لم يعقد عقدة الا حللتها ولا يحل
عقدة اعقدها الا عقدت اخرى احكم منها فأبى الناس الا أبا موسى والرضا بالكتاب فقال
الاحنف ان أبيتم الا ابا موسى فادفئوا ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتب
القضية بحضوره فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه امير المؤمنين فقال عمرو
هو أميركم واما أميرنا فلا فقال الاحنف لا تمح اسم امير المؤمنين فاني اخاف ان محوتها ان
لا ترجع اليك ابدا لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا فأبى ذلك علي مليا من النهار ثم ان
الاشعث بن قيس قال امح هذا الاسم فمحاه قال علي الله أكبر سنة بسنة والله اني لكاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله وقالوا لست برسول الله ولكن
اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت لا استطيع فقال
ارنيه فأريته فمحاه بيده وقال انك ستدعى الى مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله اتشبه
بالكفار ونحن مؤمنون فقال علي يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا
فقال عمرو والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبدا فقال علي اني لارجو ان يطهر
الله مجلسي منك ومن اشباهك وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاويه
ابن ابي سفيان قاضى علي على اهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن
معهم اننا ننزل عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته
نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما ابو موسى عبد الله بن قيس
وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ
الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما
وأهليهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص
عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا واجل القضاء
الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة
واهل الشام وشهد الاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني وورقاء بن سمي البجلي وعبد الله
ابن محل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعبد الله بن الطفيل العامري وعقبة بن زياد
الحضرمي ويزيد بن حجية التميمي ومالك بن كعب الهمداني ومن أصحاب معاوية ابو الاعور
السلمي وحبيب بن مسلمة وزمل ابن عمرو العذري وحمزة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد
المخزومي وسبيع بن يزيد الانصاري وعتبة بن ابي سفيان ويزيد بن الحر العبسي وقيل للاشتر

فبلغت عدته عشرة آلاف
فتصدق بعشرة آلاف دينار
وبنى منارة من قرون الظباء
وحوافر الحمر الوحشية في
طريق الحج من الكوفة
تسمى مأذنة القرون توفي
رحمه الله في سادس عشر شوال
سنة خمس وثمانين وأربعمائة
وعمره ثمان وثلاثون سنة
وأشهر وكانت مدة ملكه
عشرين سنة وحمل تابوته
الى اصفهان ودفن في
مدرسته التي بناها وخلف
أربعة بنين وهم بركيارق
ومحمد وسنجر ومحمود وكان
(محمود) طفلا عند أبيه
فبايعوه على السلطنة لان
امه تركان خاتون الجلالية
من الملوك الايلخانية فيما
وراء النهر وكانت مستولية
في أيام ملكشاه وان الامراء
كانوا من صنائعها فاختاروا
ولدها فبايعوه وساروا
به الى اصفهان فاجلسوه
على سرير الملك فاتم سنة
حتى مات محمود وماتت امه
وبقي الملك لاخيه (بركيارق)
فجلس على سرير الملك وكان
عالي الهمة لم يكن فيه عيب
سوى ملازمته للخمر
والادمان عليه ودخل بلاد
سمرقند وزنجان وغزا بلاد
ماوراء النهر ووقعت في زمانه
فتن وشرور بين الامراء
والاجناد بحيث يطول
شرحها توفي في ثالث شهر

وليس أخوك بالذى ان تشعبت ❊ عليك الامور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلما دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا حروراء فنزلوا بها وقتل أويس القرنى بصفين وقيل بل مات بدمشق وقيل بارمينية وقيل بسجستان وفيها قتل جندب بن زهير الازدى وهو من الصحابة مع على وقتل بصفين أيضا حابس ابن سعد الطائى مع معاوية وهو خال يزيد بن عدى بن حاتم فقتل يزيد قاتله غدرا فأراد عدى اسلامه الى أولياء المقتول فهرب الى معاوية وممن شهد صفين مع على خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ولم يقاتل فلما قتل عمار بن ياسر جرد سيفه وقاتل حتى قتل وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية وقتل مع على سهيل بن عمرو بن أبى عمر الانصارى وهو بدرى وممن شهد وقتل فيها مع على من المهاجر بن خالد بن الوليد وله صحبة (شريح بن هانئ بضم الشين وآخره حاء مهملة الهمدانى بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن حمرة بن مالك بضم الحاء المهملة وسكون الميم وآخره راء حضين بن المنذر بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة يريم بفتح الياء تحتها نقطتان وكسر الراء وسكون الياء الثانية وآخره ميم بديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة حازم بن ابى حازم بالحاء المهملة حبة بن جوين بفتح الحاء المهملة والباء المشددة الموحدة والعرنى بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره نون)

❊(ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان)❊

وفى هذه السنة بعث على جعدة بن هبيرة المخزومى الى خراسان بعد عوده من صفين فانتهى الى نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع الى على فبعث خليد بن قرة اليربوعى فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه اهل مرو

❊(ذكر اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه)❊

ولما رجع على من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديهم ان امير القتال شبث بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلما سمع على ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له فى اعناقنا بيعة ثانية نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسى رهان بايع أهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وبايعتم أنتم عليا على انكم اولياء من والى واعداء من عادى فقال لهم زياد بن النضر والله ما بسط على يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل وبعث على عبد الله بن عباس الى الخوارج وقال لا تعجل الى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فخرج اليهم فاقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم فقال ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بامة محمد صلى الله عليه وسلم فقالت الخوارج أما ما جعل الله حكمه الى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم فى الزانى مائة جلدة وفى السارق القطع فليس للعباد

بين الامرين فلما الاشت اموره محمود لكونه غير محمود واختل نظام الملك مرض ومات فى أواخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأخذوا امونه نحو خمسة أشهر حتى وصل السلطان الاعظم أبو الحرث سنجر بن ملكشاه من خراسان لتمهيد البلاد واصلاح احوال العباد لانه كان عماد آل سلجوق وهو شيخ البيت وعظيمه وحافظ عزه وبيته فوصل الى الرى وأصلح ما فسد الى ان وصل (السلطان ابو طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان) واجتمع مع عمه فاجلسه على سرير الملك بهمدان ودخل السلطان سنجر بعد ثلاثة أيام الى مقر مملكته خراسان ثم بعد ذلك وقع حروب بين طغرل وبين أخويه مسعود وداود آلت الى انتصار السلطان عليهما فلما استقر له الملك وامن من معارضه انتقل بالوفاة الى جوار باريه وذلك فى أوائل عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وكان رحمه الله جامعا للخلال التى تفتقر اليها السلطنة من الحزم والضبط والعزم الا انه كان مستبدا برأيه معجبا بأهوائه لا يستشير

الا تخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين اهل الشام قال فيهم المسرور وهم اغشاء الناس وفيهم المكبوت الآسف بما كان بينك وبينهم وأولئك نصحاء الناس لك قال صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيآتك فان المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد ذنبا الا حطه وانما الاجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وان الله عز وجل ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالما من عباده الجنة ثم مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الانصاري فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له ما سمعت الناس يقولون في أمرنا قال منهم المعجب به ومنهم الكاره له قال فما قول ذوي الرأي قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فحتى يبني ما هدم ويجمع ما فرق ولو كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال علي انا هدمت ام هم هدموا انا فرقت ام هم فرقوا اما قولهم لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك فوالله ما خفي هذا عني وان كنت لسخيا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ونظرت الى هذين قد استقدماني يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الامة وكرهت ذلك واشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لالقينهم وليسوا معي في عسكر ولا دار ثم مضى واذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية فقال علي ما هذه فقيل يا امير المؤمنين ان خباب بن الارت توفي بعد مخرجك وأوصى بأن يدفن في الظهر وكان الناس انما يدفنون في دورهم وافنيتهم وكان أول من دفن بظاهر الكوفة ودفن الناس الى جنبه فقال علي رحم الله خبابا فلقد أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه احوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ووقف عليها وقال السلام عليكم يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عز وجل ثم اقبل حتى حاذى سكة الثوريين فسمع البكاء فقال ما هذه الاصوات فقيل البكاء على قتلى صفين فقال اما اني اشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة ثم مر بالفائشيين فسمع مثل ذلك ثم مر بالشباميين فسمع رجة شديدة فوقف فخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي فقال له علي ايغلبكم نساؤكم الا تنهونهن عن هذا الرنين قال يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين او ثلاثا قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس دار الا وفيها البكاء فأما نحن معشر الرجال فانا لا نبكي ولكنا نفرح بالشهادة قال علي رحم الله قتلاكم وموتاكم فاقبل يمشي معه وعلي راكب فقال له علي ارجع ووقف ثم قال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن ثم مضى حتى مر بالناعطيين وكان جلهم عثمانية فسمع بعضهم يقول والله ما صنع علي شيئا ذهب ثم انصرف في غير شيء فلما رأوه أبلسوا فقال علي لاصحابه وجوه قوم ما رأوا الشام ثم قال لاصحابه من فارقناهم آنفا خير من هؤلاء ثم قال

أخوك الذي ان اجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وهم محمود ومسعود وداود وطغرل وسليمان وسلجق وكلهم تولوا السلطنة سوى سلجق وداود ولما ايس السلطان من نفسه احضر ولده محمودا وبكى كل منهما وأمره ان يخرج ويجلس على سرير الملك وينظر في أمور الناس فقال له ولده ان هذا اليوم غير مبارك فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك فامتثل أمره وجلس على سرير الملك (ابو القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه) مكان والده واحكم قواعد الملك وكان هو يومئذ في سن الحلم وكان قوي المعرفة بالعربية وكان محمود الخليقة محمود الطريقة لكنه بلي بانواع البلاء من اعوانه ونغصوا عليه عيشه وفرقوا خزائنه واستضعفوا جانبه وطمعوا فيه وكان خلف والده من العين والاثاث ما لم يخلفه أحد غيره من الملوك السلجوقية فآل الامر الى انهم احتاجوا الى بيع صناديق خزائنه التي فرغت وطلب السلطان محمود المذكور من الخازن غالية استطيب بها فلم يجد سوى ثلاثين مثقالا فسأل الخازن عما كان في خزانة أبيه من الغالية فقال كان ما يقارب مائة وثمانين رطلا فقال السلطان للحاضرين اعتبروا بالتفاوت

بما جاء فيه ولا يسأله اهل الشام عن شئ وكان اهل العراق يسألون ابن عباس عن كتاب يصله من
علي فان كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا أتراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس اما تعقلون
أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم احد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندي كل يوم
تظنون في الظنون وحضر معهم ابن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وابن الزبير وعبد
الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وابو جهم بن حذيفة العدوي
والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن ابي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له ان أبا
موسى وعمرا قد شهدهما نفر من قريش فاحضر معهم فانك صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأحد الشورى ولم تدخل في شئ كرهته هذه الامة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل
وقيل بل حضرهم سعد وندم على حضوره فاحرم بعمرة من بيت المقدس وقال المغيرة بن شعبة
لرجال من قريش أترون أحدا يستطيع ان يأتي برأي يعلم به ايجتمع الحكمان ام لا فقالوا لا فقال
اني اعلمه منهما فدخل على عمرو بن العاص فقال كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب فانا قد
شككنا في الامر الذي استبان لكم فيها فقال له عمرو أراكم خلف الابرار أمام الفجار فانصرف
المغيرة الى أبي موسى فقال له مثل قوله لعمرو فقال له أبو موسى أراكم أثبت الناس رأيا فيكم
بقية الناس فعاد المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على أمر واحد فلما اجتمع الحكمان
قال عمرو يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال اشهد قال ألست تعلم ان معاوية
وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت فان خفت ان يقول
الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة
والتدبير وهو اخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وقد صحبه وعرّض له
بسلطان فقال ابو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على
الشرف تولاه اهله ولو كان على الشرف لكان لآل ابرهة بن الصباح انما هو لاهل الدين
والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته علي بن ابي طالب واما قولك ان
معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الامر فلم أكن لاوليه وأدع المهاجرين الاولين واما تعريضك
لي بالسلطان فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما وليته وما كنت لارتشي في حكم الله
ولكنك ان شئت أن تحيي اسم عمر بن الخطاب رحمه الله قال له عمرو فما يمنعك من ابني وانت تعلم
فضله وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة فقال عمرو ان هذا
الامر لا يصلح الا لرجل يأكل ويطعم وكانت في ابن عمر غفلة فقال له ابن الزبير افطن فانتبه
فقال والله لا ارشو عليها شيئا ابدا وقال يا ابن العاص ان العرب قد اسندت اليك أمرها بعد
ما تقارعوا بالسيوف فلا تردنهم في فتنة وكان عمرو قد عوّد ابا موسى ان يقدمه في الكلام يقول
له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسن مني فتكلم وتعوّد ذلك ابو موسى وأراد عمرو
بذلك كله ان يقدمه في خلع علي فلما اراده عمرو على ابنه أو على معاوية فأبى وأراد ابو موسى ابن
عمر فأبى عمرو وقال له عمرو خبرني ما رأيك قال أرى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى
فيختار المسلمون لانفسهم من احبوا فقال عمرو الرأي ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون
فقال عمرو يا أبا موسى اعلمهم ان رأينا قد اتفق فتكلم أبو موسى فقال ان رأينا قد اتفق على امر

ذلك الامراء واجتمعوا بأن اخرجوا السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وساروا الى همدان فلما سمع بذلك
السلطان محمد انتقل الى
اصفهان بشرذمة يسيرة
واستقر (سليمان) على
سرير الملك وكان وزيره
شرّيبا للخمر اذا شرب وقع
صريعا ونام اسبوعا وارادوا
ان يسعدوه وهو شقي فلما
وصل السلطان محمد الى
أصفهان منحازا عن عمه
سليمان جمع العساكر ورجع
الى همدان فوقع بينه وبين
الخليفة المتقي بالله حتى آل
الامر انه حاصر بغداد فما
شعر الا وقد استولى عدوه
على همدان فرجع طريده
وكانت وفاته في ثالث عشر
ربيع الاول سنة ست
وخمسين وخمسمائة وجلس
مكانه ابن أخيه (السلطان
ركن الدين أبو المظفر ارسلان
ابن طغرل بن محمد بن ملك
شاه) فتصاغر له الكبراء
وأثر له الامراء فادنى وابعد
واشقى واسعد الى ان توفي
سنة احدى وسبعين وخمسمائة
وجلس على سرير الملك ولده
الصغير (السلطان طغرل
ابن ارسلان بن طغرل) فشغل
به السرير وتنفذت أوامره
في الممالك وما زال امره
مستقيما وكان سيء التدبير
يعاقب على التهم بالقتل
والتدمير وكان قد وقع بينه
و بين أخيه قزل ارسلان
حروب آلت الى قتل قزل ارسلان على فراشه ولم يعلم قاتله وفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة تغلب على المملكة السلطان خوارزم شاه

ان ينظروا فى هذا قال ابن عباس فان الله تعالى يقول يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا اوتجعل الحكم فى الصيد والحرث و بين المرأة و زوجها كالحكم فى دماء المسلمين وقالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالامس يقاتلنا فان كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد امضى الله حكمه فى معاوية وأصحابه ان يقتلوا او يرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة الامن أقر بالجزية وبعث على زياد بن النضر فقال انظر بأى رؤسهم اشد اطاعة فأخبره بأنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس فخرج على فى الناس حتى دخل اليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فصلى فيه ركعتين وأمره على أصبهان والرى ثم خرج حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال الم أنهك عن كلامهم ثم تكلم فقال اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ثم قال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما أخرجكم علينا قالوا حكومتك يوم صفين قال أنشدكم الله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم انى أعلم بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب دين وذكر ما كان قاله لهم ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وان أبيا فنحن عن حكمهما برآء قالوا فخبرنا اتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل و يثبت العالم ولعل الله يصلح فى هذه الهدنة هذه الامة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم وقيل والخوارج يزعمون انهم قالوا له صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفرا منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون فبايعنا على وقال ادخلوا فلنمكث ستة اشهر حتى نجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا

(ذكر اجتماع الحكمين)

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل على أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثى وأوصاه أن يقول لعمرو بن العاص ان عليا يقول لك ان أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب اليه وان نقصه من الباطل وان زاده يا عمرو والله انك لتعلم اين موضع الحق فلم تتجاهل ان أوتيت طمعا يسيرا كنت لله به ولاوليائه عدوا وكان والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيما ولا للظالمين ظهيرا أما انى اعلم بيومك الذى أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك تتمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة فلما بلغه تغير وجهه ثم قال متى كنت أقبل مشورة على أو انتهى الى أمره او اعتد برأيه فقال له وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته فقد كان من هو خير منك ابو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال له ان مثلى لا يكلم مثلك قال شريح بأى أبويك ترغب عنى يا ابن النابغة أبأبيك الوسط ام بأمك النابغة فقام عنه وأرسل على أيضا معهم عبد الله بن عباس ليصلى بهم ويلى امورهم ومعهم ابو موسى الاشعرى وأرسل معاوية عمرو بن العاص فى اربعمائة من اهل الشام حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح وكان عمرو اذا أتاه كتاب من معاوية لا يدرى

أحد الى اموره ولا يسترشد فى تدبيره فلما هلك ملك مكانه (أبو الفتح مسعود بن محمد ابن ملكشاه) جلس على سرير الملك بعده وكان يصطنع الاراذل ويرفع الاسافل لا يضمر لعدو خديعة ولا يقبل فى ولى نميمة توفى فى أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة كلها سنة وجلس مكانه ابن اخيه (السلطان ملكشاه بن محمود) على سرير الملك واشتغل بالانهماك فى القصف والعزف وفوض الامور كلها الى وزيره وما علم انه يخسر من ربحه و يظلم يومه بطلوع صبحه فبطر الوزير وقال للامراء والاجناد هذا السلطان لا يصلح للملك فانه قد شغله الخمر عن الامر وأغناه الشنف عن القمر وأنا ارى من الصواب ان نخلعه ونستدعى اخاه محمدا ونوليه الملك فوافقوه على الرأى الراتب لانهم كرهوا استيلاءه وسئموا استعلاءه فقالوا له عجل هذا الامر فقبض بالعسكر الوزير على السلطان واعتقله ببرج همدان وانفذ الى أخيه الملك محمد فقدم (السلطان أبو شجاع محمد ابن محمود) وجلس على سرير الملك بهمدان وأول ما أمر بقتل الوزير المذكور فساه

لتوب عنه فقال علي ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأي وقد نهيتكم فقال زرعة يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله تعالى فقال علي بؤسا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك فخرجا من عنده يحكمان وخطب علي ذات يوم فحكمت المحكمة في جوانب المسجد فقال علي الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ان سكتوا غممناهم وان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغن عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية في ديننا فان اعطاء الدنية في الدين ادهان في أمر الله وذل راجع بأهله الى سخط الله يا علي أبالقتل تخوفنا أما والله اني لارجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم أينا أولى بها صليا ثم خرج هو واخوة له ثلاثة فاصيبوا مع الخوارج بالنهر وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة ثم خطب علي يوما آخر فقام رجل فقال لا حكم الا لله ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال علي الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وانا فيكم أمر الله ثم رجع الى مكانه من الخطبة ثم ان الخوارج لقي بعضهم بعضا واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة فقال له حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فقال حمزة بن سنان الاسدي يا قوم ان الرأي ما رأيتم فولوا أمركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح ابن أوفى العبسي فأبيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يقال له ذو الثفنات ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي فقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها لانفاذ حكم الله فانكم أهل الحق قال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذها بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين انكم ان خرجتم مجتمعين اتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فأما المدائن فان بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى ننزل بجسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة قالوا هذا الرأي وكتب عبد الله بن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم وسير الكتاب اليهم فأجابوه انهم على اللحاق به فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساروا يوم السبت فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى فخرج منها خائفا يترقب الى سواء السبيل وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارسا فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك النبهاني وبشر بن زيد البولاني وأرسل عدي الى

وبعل أخاه قرض زمانا ومات في سنة ثمان وستين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وملك بعده ابنه الاصغر (سلطان شاه محمود) لكونه كان عنده واستقر الملك في تدبير أمه وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش غائبا فلما بلغه موت أبيه وتولية أخيه استنكف وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه في أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم فملكها واستولى على نيسابور وخزائنها ولحق سلطان شاه محمود مع أمه بالمؤيد صاحب نيسابور فجمع عساكره وسار معه فلما كان على عشرين فرسخا من خوارزم خرج اليه تكش وهزمه وجيء بالمؤيد أسيرا فقتله ولحق أخاه وظفر بأمه فقتلها وهرب السلطان محمود وعاد تكش الى خوارزم وتوفي محمود في سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستولى (علاء الدين تكش) على بقية بلاد أخيه وكان عادلا عارفا بالاصول والفقه على مذهب الامام الاعظم رحمه الله توفي في رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في مدرسته التي بناها وملك بعده ابنه (ملك شاه محمد بن تكش) ولقبوه علاء الدين لقب أبيه فلما بلغ أخوه الهندوخان تولية أخيه جمع عساكره وتحارب مع أخيه فلم يقدر عليه ورجع خائبا خاسرا واستولى ملك شاه على جميع بلاد ماوراء النهر وقسم

نرجوا ان يصلح الله به امر هذه الامة فقال عمرو صدق وبر تقدم يا أباموسى فتكلم فتقدم ابو موسى فقال له ابن عباس ويحك والله انى لاظنه قد خدعك ان كنتما اتفقتما على امر فقدمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فانه رجل غادر ولا آمن ان يكون قد اعطاك الرضا بينكما فاذا قمت في الناس خالفك وكان ابو موسى مغفلا فقال انا قد اتفقنا وقال ايها الناس انا قد نظرنا في امر هذه الامة فلم نر اصلح لامرها ولا المّ لشعثها من امر قد اجمع رأيي ورأى عمرو عليه وهو ان نخلع عليا ومعاوية ويولى الناس امرهم من أحبوا وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه اهلا ثم تنحى واقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي ابن عفان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه فقال سعد ما أضعفك يا اباموسى عن عمرو ومكائده فقال ابو موسى فما أصنع وافقني على أمر ثم نزع عنه فقال ابن عباس لا ذنب لك يا اباموسى الذنب لمن قدمك في هذا المقام قال غدر فما اصنع فقال ابن عمر انظروا الى ما صار امر هذه الامة صار الى رجل ما يبالي ما صنع والى آخر ضعيف وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو مات الاشعري قبل هذا اليوم لكان خيرا له وقال أبو موسى الاشعري لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال عمرو وانك مثلك مثل الحمار يحمل اسفارا فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن لعمرو على شريح فضربه بالسوط أيضا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم اضربه بالسيف والتمس اهل الشام أباموسى فهرب الى مكة ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى علي وكان علي اذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الاعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والاشتر وقد قيل ان معاوية حضر الحكمين وانه قام عشية في الناس فقال اما بعد من كان متكلما في هذا الامر فليطلع لنا قرنه قال ابن عمر فاطلقت حبوتي فاردت ان اقول يتكلم فيه رجال قاتلوك واباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك فيها دم وكان ما وعد الله فيه الجنان احب الي من ذلك فلما انصرفت الى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال ما منعك ان تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم قلت اردت ذلك ثم خشيت فقال حبيب وفقت وعصمت وهذا اصح لانه ورد في الصحيح

﴿ ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر ﴾

لما أراد علي ان يبعث اباموسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فقالا لا حكم الا لله فقال علي لا حكم الا لله وقال حرقوص بن زهير تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال علي قد اردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا عليها عهودا ومواثيق وقد قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغي ان

وقتل طغرل في المعركة وخطبت الدولة لسنجر ثقة بطغرل وكان اقتتالهما بطغرل وسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول

(الباب الرابع والثلاثون في ذكر دولة الخوارزمشاهية وحسن ما آثرهم السنية وخصالهم المرضية في الرعية) ذكر في جمهرة الانساب أن عدد ملوكهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وثمان وثلاثون سنة واول من ملك منهم (محمد بن انوشتكين) وكان مملوكا تركيا لبعض امراء السلجوقية وكان مقدما عنده لشجاعته ونجابته ولما سار الى خراسان وازال منها الخوارج ومهدها نظر فيمن يوليه فوقع على محمد ابن أنوشتكين المذكور فولاه ولقبه خوارزمشاه وذلك في سنة تسعين وأربعمائة لكونه نشأ مثل ابيه في النجابة والشجاعة وحسن التدبير وكان محبا لاهل العلم والدين عادلا في الرعية فلما هلك ملك مكانه ولده (اتسز) فسار سيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش في حياة أبيه وباشر الحروب وكان السلطان سنجر يصاحبه في اسفاره وحروبه ثم كثرت السعاية عليه عند السلطان سنجر حتى بغضه وسار لينزع الملك من يده فانهزم اتسز وقتل ابنه وخلقا كثيرا من جماعته ثم بعد ذلك صالح سنجر واستقل بالملك من غير منازع الى ان توفي في منتصف سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكانت مدة ملكه خمسين سنة وملك بعده ابنه (ارسلان شاه بن اتسز) فعمل جماعة من اعمامه

تتوب

كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون فاذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الاول الذي كنا عليه فكتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والا فقد نبذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه من ترك الجهاد في الله وادهن في أمره كان على شفا هلكة الا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله ورسوله وحاول أن يطفئ نور الله فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الامر بأهل في سابقة الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا للمسير الى عدوكم من اهل المغرب وقد بعثنا الى اخوانكم من اهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا اجتمعتم شخصنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكتب الى ابن عباس اما بعد فانا خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة وقد اجمعنا على المسير الى عدونا من اهل المغرب فاشخص الى الناس حتى يأتيك رسولي وأقم حتى يأتيك أمري والسلام عليك فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الاحنف بن قيس فشخص ألف وخمسمائة فخطبهم وقال يا أهل البصرة أتاني كتاب أمير المؤمنين فأمرتكم بالنفير اليه فلم يشخص منكم اليه الا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم الا انفروا اليه مع جارية بن قدامة السعدي ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا فاني موقع بكل من وجدته متخلفا عن دعوته عاصيا لامامه فلا يلومن رجل الا نفسه فخرج جارية فاجتمع اليه ألف وسبعمائة فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان فجمع اليه رؤس أهل الكوفة ورؤس الاسباع ووجوه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة أنتم اخواني وانصاري وأعواني على الحق وأصحابي الى جهاد المحلين بكم اضرب المدبر وارجو تمام طاعة المقبل وقد استنفرت أهل البصرة فأتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان فليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ويرفع ذلك الينا فقام اليه سعيد بن قيس الهمداني فقال يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة أنا أول الناس أجاب ما طلبت وقام معقل بن قيس وعدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك وكتبوا اليه ما طلب وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم ولا يتخلف منهم متخلف فرفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين الفا سوى اهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل وكتب الى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بارسال من عنده من المقاتلة وبلغ عليا ان الناس يقولون لو سار بنا الى قتال هذه الحرورية فاذا فرغنا منهم توجهنا الى قتال المحلين فقال لهم بلغني أنكم قلتم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخارجين اهم الينا فدعوا ذكرهم وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا عباد الله خولا فناداه الناس ان سر بنا يا أمير المؤمنين حيث احببت وقام اليه صيفي بن فسيل

ثم مضوا منهزمين أتاموا فيها الايام ولم يزل السلطان يفر منهم مع شرذمة قليلة وهم يتبعون أثره الى أن وصل الى حافة نهر جيحون والتتار من خلفه وقد أدركوه فلما رأى ذلك خاف على حرمه وأهله فقتلهم عن آخرهم وألقاهم في نهر جيحون وعدى النهر وذهب الى باشورة آمد وصعد الى جبل الاكراد فتبعه رجل منهم وبيده حربة فقتله وفي تواريخ الفرس انه كان مختفيا في بعض الاطراف ولا يعلم به أحد ولم يكن معه سوى رجل واحد من خواصه فسمع انسانا يقول العجب من وقائع الدنيا ان عسكر جنكزخان وصل الى القلعة التي بها نساء السلطان فلما سمع ذلك لم يزل يميل الى جانب الارض حتى وقع ميتا فاخبر الرجل الذي كان معه انه هو السلطان فتعجب الناس من ذلك ولم يجدوا له كفنا فكفن بثيابه فسبحان الذي يبقى وما سواه فان وكانت الوقعة في منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة وبها انقرضت دولتهم

(الباب الخامس والثلاثون في ذكر دولة بني سلجوق بحلب والشام ولمع من وقائعهم فيما مضى من الايام)

ذكر في الدول الاسلامية ان أول من تولى الملك بحلب والشام من السلجوقية (أتسز بن أبق) السلجوقي لانه سار الى الشام وافتتح تلك البلاد وحاصر دمشق

سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذره أمرهم فأخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار ابن أبي عبيد وسار في طلبهم فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرابا طريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء فانصرف اليهم عبد الله في ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم وقال أصحاب سعد لسعد ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر خلهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعتهم وان كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك فأبى عليهم فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبر دجلة الى أرض جوخى وسار الى النهروان فوصل الى أصحابه وقد أيسوا منه وقالوا ان كان هلك وليناا الامر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي وبلغ عليا ان سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه فانتهى ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة على سنة أبي بكر وعمر قال له علي ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق فبايعه فنظر اليه علي وقال أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الاسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الاكبر فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل وادلج مسعر بأصحابه واقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الاشرس بن عوف الشيباني وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الى مكة ورد علي ابن عباس الى البصرة قام في الكوفة فخطبهم فقال الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم الا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ❊ فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما واحييا ما امات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام واصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين ثم نزل وكتب الى الخوارج بالنهر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا

الملك بين أولاده فجعل ولي عهده (قطب الدين أولغ شاه) دون ابنه الاكبر جلال الدين وكرمان وكيش ومكران لابنه (غياث الدين) وبقية البلاد لابنه (ركن الدين) وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له وهي دبادب أي طبول صغار تقرع عقب الصلوات الخمس وسماها نوبة ذي القرنين سبعة وعشرين دبدبة وكانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر وكان وقع بين السلطان وبين جنكزخان وقائع أدت الى التجاء اليه فلما بلغه هجوم جنكزخان الى البلاد الاسلامية لم يزل يضمحل حاله ويذوب وتحل به نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن في أطراف طبرستان في سنة سبع عشرة وستمائة وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وكان خلع ولده قطب الدين وعهد لولده الاكبر (جلال الدين) فلما جلس على سرير الملك تيقن بحلول البوار ونزول الدمار وخراب الديار بمجيء طائفة التتار فشرع في تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك من الضياع وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة طاهرة ودولة باهرة لكنه من مقاتلة التتار عاجز ومن مقابلتهم ناجز ثم ان تلك الدواهي المصيبة وصلوا الى بلاد الاسلام في أوائل سنة خمس عشرة وستمائة وصاروا على بسيطة العالم كسير الغمام فارادوا اطفاء نور الايمان

بالشرك وتسفكون دماء المسلمين فقال له عبد الله بن شجرة السلمي ان الحق قد اضاء لنا فلسنا متابعيكم او تأتونا بمثل عمر فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا الا قال انشدتكم الله في انفسكم أن تهلكوها فاني لأرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم وخطبهم ابو ايوب الانصاري فقال عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التي كانت عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلونا فقالوا انا لو تابعناكم اليوم حكمتم غدا قال فاني انشدكم الله ان تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل وأتاهم علي فقال ايتها العصابة التي اخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق واصبحت في الخطب العظيم اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى باثناء هذا الوادي وباهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين ألم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم انها مكيدة وان القوم ليسوا باصحاب دين فعصيتموني فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين ان يحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا امرهما ونحن على الامر الاول فمن اين أتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت فنحن معك ومنك وان ابيت فانا منابذوك على سواء فقال علي أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر أبعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل انه كان من كلامه لهم يا هؤلاء ان انفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي انتم بدأتموها وسألتموها وانا لها كاره وانبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة وهنا فابيتم علي اباء المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين حتى صرفت رأيي الى رأيكم رأي معاشر والله أخفاء الهام سفهاء الاسلام فلم آت لا ابا لكم هجرا والله ما ختلتكم عن اموركم ولا اخفيت شيأ من هذا الامر عنكم ولا اوطأتكم عشوة ولا أدنيت لكم الضراء وان كان امرنا لامر المسلمين ظاهرا فاجمع رأي ملئكم ان اختار وا رجلين فاخذنا عليهما ان يحكما بما في القرآن ولا يعدواه فتاها فتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والثقة في ايدينا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما لا يعرف فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ان هذا هو الخسران المبين والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد علي عنهم ثم ان الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه فقال لعلي اصحابه انهم قد عبروا النهر فقال لن يعبروا فارسلوا طليعة فعاد واخبرهم انهم عبروا النهر وكان بينهم وبينه عطفة من النهر فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد فقال انهم قد عبروا النهر فقال علي والله ما عبروه وان مصارعهم لدون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة وتقدم علي اليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه وكان الناس قد شكوا في قوله وارتاب به بعضهم فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا واخبروا عليا بحالهم فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه عبى أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدي وعلى ميسرته شبث بن ربعي او معقل بن قيس الرياحي وعلى الخيل ابا ايوب الانصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الانصاري وعلى اهل المدينة وهم

بجوفه ومات في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ودفن بخانقاه الطواويس بدمشق وتولى مكانه اخوه (اوتاش بن تتش ابن الب ارسلان) فلم يقم غير ثلاثة أشهر ثم انه توهم وتوجه الى الشرق فهلك هنالك ولم يتم لرضوان الامر وكان مقره بحلب حتى توفي في سنة سبع وخمسمائة وتولى مكانه ابن أخيه (ألب ارسلان بن دقاق) وكان صبيا صغيرا وكان يدبر أمره اتابكه لؤلؤ الخادم ثم تنكر له فقتله ونصب مكانه أخاه (سلطان شاه) مدة وهو مضمحل الحال وضعيف الاحوال فخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا بالغازي بن ارتق وحكموه على انفسهم فلم يجد ما لا فصادر جماعة ثم سار الى مدينة ماردين بنية العود اليها واستخلف عليها ابنه (حسام الدين تمرتاش) فانقرض ملك تتش من حلب والشام والله أعلم

(الباب السادس والثلاثون في ذكر دولة بني ارتق ملوك ماردين وديار بكر واخبار ما وقع لهم من الفتح والنصر)

ذكر ابن الاثير في تاريخه ان ارتق بن اكسب كان من مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي وله مقام محمود في دولتهم وكان واليا على حلوان وما يليها من أعمال العراق ولحق تتش أخا السلطان ملكشاه وهو يومئذ صاحب الشام فاكرمه وولاه على القدس ثم سار مع تتش الى حلب وملكها

الشيباني فقال يا امير المؤمنين نحن حزبك وانصارك نعادي من عاداك ونشايع من اناب الى طاعتك من كانوا واينما كانوا فانك ان شاء الله لن تؤتى من قلة عدد وضعف نية اتباع

*(ذكر قتال الخوارج)

قيل لما اقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له من انت قال انا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن ابيك حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به فقال حدثني ابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا قالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول في ابي بكر وعمر فاثنى عليهما خيرا قالوا ما تقول في عثمان في اول خلافته وفي آخرها قال انه كان محقا في اولها وفي آخرها فقالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده قال انه اعلم بالله منكم واشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة فقالوا انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على اسمائها لا على افعالها والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها احدا فاخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فاخذها أحدهم فتركها في فيه فقال آخر أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فالقاها ثم مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض فلقي صاحب الخنزير فارضاه فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علي منكم من بأس اني مسلم ما أحدثت في الاسلام حدثا ولقد أمنتموني قلتم لا روع عليك فاضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء واقبلوا الى المرأة فقالت أنا امرأة الا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية فلما بلغ عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس بعث اليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به اليه ولا يكتمه فلما دنا منهم يسائلهم قتلوه واتى عليا الخبر والناس معه فقالوا يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا الى القوم فاذا فرغنا منهم سرنا الى عدونا من أهل الشام وقام اليه الاشعث بن قيس وكلمه بمثل ذلك وكان الناس يرون ان الاشعث يرى رأيهم لانه كان يقول يوم صفين أنصفنا قوم يدعون الى كتاب الله فلما قال هذه المقالة علم الناس انه لم يكن يرى رأيهم فاجمع علي على ذلك وخرج فعبر الجسر وسار اليهم فلقيه منجم في مسيره فاشار عليه أن يسير وقتا من النهار فقال له ان أنت سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضرا شديدا فخالفه علي وسار في الوقت الذي نهاه عنه فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيأ سار في الساعة التي امره بها المنجم فظفر وكان المنجم مسافر بن عفيف الازدي فارسل علي الى اهل النهر أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم اقتلهم بهم ثم انا تارككم وكاف عنكم حتى القى اهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه من امركم فقالوا كلنا قتلهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم وخرج اليهم قيس ابن سعد بن عبادة فقال لهم عباد الله اخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الامر الذي خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا

فملكها صلحا ودخلها سنة ثمان وستين وأربعمائة وسكن بدار الامارة داخل باب الفراديس فكانت مدة اقامته بدمشق ثلاث سنين وواحدا وعشرين يوما وسار السلطان ملكشاه السلجوقي الى حلب فملكها وولى عليها (قسيم الدولة آقسنقر) جد نور الدين الشهيد كما سيأتي ذكره وولى دمشق أخاه (تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي) وما فتحه من تلك النواحي ولم يزل تتش يجاهد في سبيل الله تعالى حتى فتح حمص ففي اثناء ذلك توفي السلطان ملكشاه فعزم تتش على طلب السلطنة لنفسه فسار الى حلب فاطاعه قسيم الدولة آقسنقر واصغر أولاد السلطان وحصل على انطاكية ثم سار الى ديار بكر وأعمالها الى آن وصل اذربيجان وهمدان فأطاعوه وخطبوا باسمه وبادر الى اصفهان فاستقبله صاحبها بركيارق فانهزم تتش منه فلحقه وقتله فاستقام الامر لبركيارق فولى مكان تتش ولده (رضوان) لكنه لم يتمكن على غالب البلاد التي كانت بيد والده لان دمشق غلب عليها أخوه شمس الملوك دقاق بن تتش فقدم أخوه رضوان فحاصرها فلم ينل مقصودا وعاد الى حلب ثم عرض لدقاق مرض طول به فتوفي وقيل ان أمه زينب أرسلت له جارية مسمومة في عنقود عنب معلق في شجرته ثقبته بابرة فيها خيط مسموم فأكله فتوفي بالشرطة

على شاطئ النهر في خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فاذا مدّت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبيه فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه وقال حين مرّ بهم وهم صرعى بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان والنفس امارة بالسوء غرتهم بالاماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم انهم ظاهرون قيل وأخذ ما في عسكرهم من شيء فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والاماء والعبيد فانه رده على أهله حين قدم وطاف عدي بن حاتم في القتلى على ابنه طرفة فدفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فقال علي حين بلغه أتقتلونهم ثم تدفنونهم ارتحلوا فارتحل الناس فلم يقتل من أصحاب علي الا سبعة وقيل كانت الوقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل من أصحابه يزيد بن نويرة الانصاري وله صحبة وسابقة وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان أول من قتل

(ذكر رجوع علي الى الكوفة)

ولما فرغ علي من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال ان الله قد أحسن بكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع الى مصرنا فلنستعد ولعل امير المؤمنين يزيد في عدتنا فانه اقوى لنا على عدونا وكان الذي تولى كلامه الاشعث بن قيس فاقبل حتى نزل النخيلة فأمر الناس ان يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم وان يقلوا زيارة ابنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا فيه اياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا من وجوه الناس وترك المعسكر خاليا فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير وقال لهم ايضا ايها الناس استعدوا للمسير الى عدوكم ومن في جهاده القربة الى الله عز وجل ودرك الوسيلة عنده حيارى عن الحق جفاة عن الكتاب يعمهون في طغيانهم فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا فلم ينفروا ولا تيسروا فتركهم اياما حتى اذا ايس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطئ بهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط فقام فيهم فقال عباد الله ما بالكم اذا امرتكم ان تنفروا اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز خلفا وكلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأن قلوبكم مألوسة وانتم لا تعقلون فكأن ابصاركم كمه وانتم لا تبصرون لله انتم ما انتم الا اسد الشرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما انتم لي بثقة سجيس الليالي ما انتم بركب يصال به لعمر الله لبئس حشاش الحرب انتم انكم تكادون ولا تكيدون وينتقص اطرافكم وأنتم لا تتحاشون ولا تنام عينكم وانتم في غفلة ساهون ثم قال اما بعد فان لي عليكم حقا وان لكم علي حقا فاما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتأديبكم كي تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في

المقام بدار الحرب لان أكثر الغزاة الذين كانوا معه التركمان يأتونه بجراب دقيق وقديد شاة فيجعل العود قبل ان تفنى أزوادهم ثم توفي ايلغازي بن ارتق في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة ثم تولى بعده ولده الذي بحلب (حسام الدين تمرتاش) وملك ابنه سليمان ميافارقين الى أن جاء الافرنج وحاصروا حلب وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الاقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من حمايتها ولم يكن في الوقت أقوى من البرسقي صاحب الموصل ولا أكثر جمعا فاستدعوه ليدافع عنهم الافرنج ويملكوه البلد فلما أشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى بلادهم فخرج أهل البلد فتلقوا البرسقي فدخل حلب ولم تزل بيده الى أن هلك وملكها ابنه (عز الدين) ثم هلك فولى السلطان عليها (محمود نور الدين) ورجع تمرتاش الى ماردين واستقر بها وكان ملك ميافارقين قد صار لحسام الدين تمرتاش ولم يزل تمرتاش ملكا بماردين الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة وملك مكانه بماردين ابنه (السعي بن تمرتاش) وبقي ملكا عليها الى ان مات وولي بعده ابنه (ايلغازي بن السعي) الى أن مات أيضا ولما توفي قام بالامر بعده (يولق) وكان بينه وبين بني أيوب ماولك مصر حروب كثيرة الى أن هلك فملك

سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة وعبت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة بن سنان الاسدى وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدى واعطى على" أبا أيوب الانصارى راية الامان فناداهم أبو أيوب فقال من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الاشجعى والله ما ادرى على أى شئ نقاتل عليا أرى ان انصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى قتاله أو اتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة وخرج الى على" نحو مائة وكانوا أربعة آلاف فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى على وكان على" قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل على فرقتين فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا ان أناموهم فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه ان انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا ان حمل عليهم الاسود بن قيس المرادى وجاءتهم الخيل من نحو على" فاهلكوا فى ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا وجاء أبو أيوب الانصارى الى على" فقال يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين الطائى طعنته فى صدره فخرج السنان من ظهره وقلت له ابشر يا عدو الله بالنار فقال ستعلم غدا اينا اولى بها صليا فقال له على" هو أولى بها صليا وجاءه هانئ بن خطاب الازدى وزياد بن خصفة يحتجان فى قتل عبد الله بن وهب فقال كيف صنعتما فقالا لما رأيناه عرفناه فابتدرناه وطعناه برمحينا فقال كلا كما قاتل وحمل جيش بن ربيعة الكنانى على حرقوص بن زهير فقتله وحمل عبد الله بن زحر الخولانى على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ووقع شريح بن أوفى الى جانب جدار فقاتل عليه وكان جل من يقاتله همدان فقال

قد علمت جارية عبسيه * ناعمة فى اهلها مكفيه * انى سأحمى ثلتى العشيه

فحمل عليه قيس بن معاوية فقطع رجله فجعل يقاتلهم وهو يقول القرم يحمى شوله معقولا فحمل عليه قيس أيضا فقتله فقال الناس

اقتتلت همدان يوما ورجل * اقتتلوا من غدوة حتى الاصل

ففتح الله لهمدان الرجل

(ذكر مقتل ذى الثدية)

قد روى جماعة ان عليا كان يحدث اصحابه قبل ظهور الخوارج ان قوما يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منه مرارا فلما خرج اهل النهروان سار بهم اليهم على" وكان منه معهم ما كان فلما فرغ امر أصحابه ان يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وهو يقول والله انه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه جاءه رجل فبشره فقال يا امير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج على" فى طلبه قبل ان يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفى والريان بن صبرة فوجدوه فى حفرة

ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بالقدس الشريفة وملكه من بعده ابناه (ايلغازى وسقمان) وملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمع الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان فى ذلك المقام المحمود وطمع صاحب مصر فى ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان فخرج سقمان وأخوه ايلغازى ابنا أرتق وابن اخيهما ياقوتى وابن عمهما سويج فلحق ايلغازى بالعراق فولى شحنة بغداد وسار سقمان الى الرها فاقام بها واستفحل امره فملك حصن كيفا وسار سقمان الى ماردين من ديار بكر فملكها وجمع الجيوش واستولى على نصيبين ثم بعث فخر الملك بن عماد الدين صاحب طرابلس يستنجد سقمان على الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام وخاف على طرابلس وسار سقمان حتى وصل الى القريتين فتوفى هنالك فحمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا ودفنه بها وقد سار ايلغازى من بغداد الى ماردين فاستولى عليها ولما شكى أهل حلب على مدينتهم من الافرنج وكانوا استدعوا ايلغازى بن أرتق من ماردين سلموا اليه البلد وعزلوا رضوان بن تتش لضعف حاله كما تقدم وقد وقع بينه وبين الافرنج وقائع كثيرة وكان لا يطيل على

آخذ منك خراجها ما بقيت وبقيت فخرج الحاجب حتى اتى القلزم واقام به وخرج الاشتر من
العراق الى مصر فلما انتهى الى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل عنده فأتاه
بطعام فلما أكل اتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاه اياه فلما شربها مات واقبل معاوية
يقول لاهل الشام ان عليا قد وجه الاشتر الى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون الله عليه
كل يوم واقبل الذى سقاه الى معاوية فأخبره بهلاك الاشتر فقام معاوية خطيبا ثم قال اما بعد
فانه كانت لعلي يمينان فقطعت احداهما بصفين يعنى عمار بن ياسر وقطعت الاخرى اليوم
يعنى الاشتر فلما بلغ عليا موته قال لليدين وللفم وكان قد ثقل عليه لاشياء نقلت عنه وقيل
انه لما بلغه قتله قال انا لله وانا اليه راجعون مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان من
حديد لكان قيدا أو من حجر لكان صلدا على مثله فلتبك البواكي وهذا اصح لانه لو كان كارها
له لم يوله مصر وكان الاشتر قد روى الحديث عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وأبي ذر وروى عنه
جماعة وقال أحمد بن صالح كان ثقة قيل ولما بلغ محمد بن أبي بكر انفاذ الاشتر شق عليه فكتب
اليه علي أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريحي الاشتر الى عملك واني لم أفعل ذلك الا
استبطاء لك في الجهاد ولا ازديادا مني لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك ما هو أيسر عليك
مؤنة منه وأعجب اليك ولاية ان الرجل الذى كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحا وعلى
عدونا شديدا وقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضي الله عنه
وضاعف له الثواب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك
وكتب اليه محمد أما بعد فقد انتهى الي كتابك وفهمته وليس احد من الناس أرضى برأي أمير
المؤمنين ولا اجهد على عدوه ولا أرأف بوليه مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من
نصب لنا حربا واظهر لنا خلافا وانا متبع امر أمير المؤمنين وحافظه والسلام وقيل انما ولي
الاشتر مصر بعد قتل محمد بن أبي بكر وكان اهل الشام ينتظرون بعد صفين امر الحكمين فلما
تفرقا بايع اهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد الا قوة واختلف الناس بالعراق على علي فما
كان لمعاوية هم الا مصر وكان يهاب اهلها لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان
وكان يرجو أنه اذا ظهر عليها ظهر على حرب علي لعظم خراجها فدعا معاوية عمرو بن العاص
وحبيب بن مسلمة وبسر بن ابى ارطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وابا الاعور السلمي
وشرحبيل بن السمط الكندى فقال لهم اتدرون لم جمعتكم فاني جمعتكم لامر لي مهم فقالوا
لم يطلع الله على الغيب أحدا وما نعلم ما تريد فقال عمرو بن العاص دعوتنا لتسألنا عن رأينا في
مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر نعم الرأى رأيت في افتتاحها فان فيه عزك وعز
أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك فقال معاوية أهمك يا ابن العاص ما أهمك
وذلك ان عمرا كان صالح معاوية على قتال علي على ان له مصر طعمة ما بقي وأقبل معاوية على
اصحابه وقال اصاب ابو عبد الله فما ترون فقالوا ما نرى الا ما رأى عمرو وقال فكيف أصنع فان عمرا
لم يفسر كيف أصنع فقال عمرو أرى ان تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه
وتثق به فيأتي مصر فانه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فان اجتمع جندك

بالرحابة داخل شعاب وكان حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة وللامات نشأ ولده الاكبر (عماد الدين زنكي)
في ظل الدولة السلجوقية
فشب مرموقا بعين النجدة
وكان شديد الهيبة عظيم
السياسة وكان اشجع خلق
الله تعالى ثم كان له في خدمة
السلطان محمود عند حربه مع
أخيه مسعود مقامات جليلة
فاختصه السلطان وأضاف
اليه شحنكية بغداد وولاية
واسط مضافا الى الموصل
وذلك في سنة احدى
وعشرين وخمسمائة وسلم
اليه ولده فروخ شاه المعروف
بالخفاجي ليربيه ولهذا قيل له
أتابك وهو الذى يربي اولاد
الملوك ثم سار في سنة اثنتين
وعشرين وخمسمائة الى
مدينة حلب وملك في طريقه
منبجا من يد حسان وتلقاه
أهل حلب واستولى عليها
وأقطع اعمالها للامراء
والاجناد ثم قبض على صاحب
حلب الامير قتلم فخنقه فمات
ثم استولى على مدينة حماه
وحمص وبعلبك وحاصر
دمشق فلم يملكها ثم توجه
لفتح قلعة جعبر فحاصرها
فأصبح مقتولا على فراشه
قتله بعض خواصه فدفن
بالرقة وعمره ستون سنة
فاستولى بعده ابنه (سيف
الدين) على الموصل وابنه
الآخر (نور الدين الشهيد
محمود) على حلب ثم توفي
سيف الدين وتولى مكانه أخوه قطب الدين مودود على الموصل وكان نور الدين الملك كور معتدل القامة أسمر اللون

المغيب والمشهد والاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون

(ذكر عدة حوادث)

قيل وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن عباس وكان عامل علي على اليمن وكان على مكة والطائف قثم بن العباس وكان على المدينة سهل بن حنيف وقيل تمام بن العباس وكان على البصرة عبد الله بن عباس وعلى مصر محمد بن أبي بكر ولما سار علي الى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود الانصاري وكان على خراسان خليد بن قرة اليربوعي وكان بالشام معاوية ابن ابي سفيان وفيها قتل حازم بن أبي حازم أخو قيس الاحمسي البجلي بصفين مع علي وفيها مات خباب بن الارت شهد بدرا وما بعدها وشهد صفين مع علي والنهروان وقيل لم يشهدها كان مريضا ومات قبل قدوم علي الى الكوفة وقد تقدم ذكره وقيل مات سنة تسع وثلاثين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وفيها قتل أبو الهيثم بن التيهان بصفين مع علي وقيل عاش بعدها يسيرا وقتل بها أخوه عبيد بن التيهان وكان أبو الهيثم أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في قول وهو بدري وفيها قتل يعلى بن منية وهي أمه واسم أبيه أمية التميمي وهو ابن أخت عتبة بن غزوان وقيل ابن عمته وكان قد شهد الجمل مع عائشة ثم شهد صفين مع علي فقتل بها وكان اسلامه يوم الفتح وشهد حنينا وقتل بصفين مع علي أبو عمرة الانصاري النجاري والد عبد الرحمن وهو أيضا بدري وفيها قتل أبو فضالة الانصاري في قول وهو بدري وفيها توفي سهل ابن حنيف الانصاري في قول وهو بدري وشهد مع علي حروبه وتوفي بها صهيب بن سنان وصفوان بن بيضاء وهو بدري وفي هذه السنة توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعسقلان فجأة وهو في الصلاة وكره الخروج مع معاوية الى صفين وقيل شهدها ولا يصح

*(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين)

(ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق)

في هذه السنة قتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر وهو عامل علي عليها وقد ذكرنا سبب توليته على اياه مصر وعزل قيس بن سعد ودخوله مصر وانفاذه ابن مضاهم الكلبي الى أهل خربتا فلما مضى ابن مضاهم اليهم قتلوه وخرج معاوية بن حديج السكوني وطلب بدم عثمان ودعا اليه فاجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ ذلك عليا فقال ما لمصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلنا يعني قيسا او الاشتر وكان الاشتر قد عاد بعد صفين الى عمله بالجزيرة وقال علي لقيس اقم عندي على شرطتي حتى تنقضي الحكومة ثم تسير الى أذربيجان فلما بلغ عليا أمر مصر كتب الى الاشتر وهو بنصيبين يستدعيه فحضر عنده فاخبره خبر أهل مصر وقال ليس لها غيرك فاخرج اليها فاني لو لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق ابلغ وتشدد حين لا يغني الا الشدة فخرج الاشتر يتجهز الى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك فعظم عليه وكان قد طمع في مصر فعلم ان الاشتر ان قدمها كان اشد عليه من محمد بن ابي بكر فبعث معاوية الى المقدم على اهل الخراج بالقلزم وقال له ان الاشتر قد ولي مصر فان كفيتنيه لم

بعده اخوه (ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازي) مدة ثم هلك وتولى بعده ابنه (السعيد نجم الدين غازي) وتوفي في سنة ثمان وخمسين وستمائة وملك بعده أخوه (قره ارسلان بن ارتق) فلما هلك ملك بعده (شمس الدين داود) فاقام سنة ثم هلك وملك بعده اخوه (المنصور نجم الدين غازي بن قره ارسلان) الى ان توفي في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وملك بعده ابنه (الصالح شمس الدين ابن صالح) الى ان توفي لاربع وخمسين من ملكه وملك بعده ابنه (المنصور احمد) الى ان توفي في سنة تسع وستين وسبعمائة لثلاث سنين من ملكه وملك بعده ابنه (الصالح محمود) اربعة اشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين وملك بعده ابنه (مجد الدين عيسى) وهو آخر من تولى ماردين من هذه الطائفة واستولى عليها الملك هلاكو

(الباب السابع والثلاثون في ذكر دولة الاتابكية واوصافهم الحسنة الزكية)

ذكر في الدول الاسلامية ان اول هذه الطائفة (قسيم الدولة آقسنقر) كان مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقي ولما ملك اخوه تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي مدينة حلب في سنة ثمان وسبعين واربعمائة استنابه فيها فعصى عليه بعد ذلك وجرى بينهما حروب آلت الى اسر آقسنقر وقتله فدفن بمدرسته المعروفة

آخذ

اليهودية النساجة ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله يسقى اولياءه ويظمئ اعداءه انت وامثالك
اما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا ثم قال له اتدري ما اصنع بك ادخلك جوف حمار
ثم احرقه عليك بالنار فقال محمد ان فعلت بي ذلك فطالما فعلتم ذلك باولياء الله وانى لارجو ان
يجعلها عليك وعلى اوليائك ومعاوية وعمرو نارا تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا فغضب منه
وقتله ثم القاه في جيفة حمار ثم احرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت
في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو واخذت عيال محمد اليها فكان القاسم بن محمد بن ابي بكر
في عيالهم ولم تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت وقد قيل ان محمدا قاتل عمرا ومن معه قتالا
شديدا فقتل كنانة وانهزم محمد واختبأ عند جبلة بن مسروق فدل عليه معاوية بن حديج
فاحاط به فخرج محمد فقاتل حتى قتل واما علي فلما جاءه كتاب محمد بن أبي بكر فاجابه عنه ووعده
المدد وقام في الناس خطيبا واخبرهم خبر مصر وقصد عمرو اياها وندبهم الى انجادهم وحثهم على
ذلك وقال اخرجوا بنا الى الجرعة وهي بين الكوفة والحيرة فلما كان الغد خرج الى الجرعة
فنزلها بكرة واقام بها حتى انتصف النهار فلم يأته احد فرجع فلما كان العشي استدعى اشراف
الناس وهو كئيب فقال الحمد لله على ما قضى من امره وقدر من فعله وابتلاني بكم أيتها الفرقة
التي لا تطيع اذا أمرت ولا تجيب اذا دعوت لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على
حقكم فوالله لئن جاء الموت وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير الله
انتم أما دين يجمعكم ولا حمية تحميكم اذا انتم سمعتم بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة
عليكم أوليس عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة في السنة
المرة والمرتين والثلاث الى أي وجه شاء وانا ادعوكم وانتم أولوا النهى وبقية الناس على العطاء
والمعونة فتفترقون عني تعصونني وتختلفون علي فقام كعب بن مالك الارحبي وقال يا أمير
المؤمنين اندب الناس لهذا اليوم كنت أذخر نفسي ثم قال أيها الناس اتقوا الله واجيبوا
امامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه وانا اسير اليه فخرج معه الفان فقال له سر فوالله ما أظنك
تدركهم حتى ينقضي امرهم فسار بهم خمسا ثم ان الحجاج بن غزية الانصاري قدم من مصر
فاخبره بقتل محمد بن ابي بكر وكان معه وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام
وكان عينه هنالك فاخبره ان البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور اهل الشام
بقتله فقال علي اما ان حزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد اضعافا فارسل علي فاعاد الجيش
الذي نفذهم وقام في الناس خطيبا وقال الا ان مصر قد افتتحها الفجرة اولوا الجور والظلمة الذين
صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا الا وان محمد بن ابي بكر استشهد فعند الله نحتسبه
أما والله ان كان كما علمت لمن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى
المؤمن انى والله ما ألوم نفسي على تقصير وانى لمقاساة الحروب لجدير خبير وانى لاتقدم على
الامر واعرف وجه الحزم واقوم فيكم بالرأي المصيب واستصرخكم معلنا واناديكم نداء
المستغيث فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تصير بي الامور الى عواقب المساءة
فانتم القوم لا يدرك بكم الثار ولا تنقض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع
وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليست له نية في

الى دمشق فثار الامراء الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقي فدخل منه وملكها واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله
بالنزول عنها فنزل وعوضه
عن دمشق مدينة حمص
فسار اليها ثم عوضه عن حمص
نابلس فلم يرضها وسار الى
بغداد وسكن فيها الى أن
توفي ولنور الدين الشهيد
وقائع وحروب مع الافرنج
وكان قد اتسع ملكه حتى
خطب له بالحرمين وباليمن
وكان قد شرع لاخذ مصر
من السلطان صلاح الدين
ابن أيوب وكفاه منقبة
ما ذكره صاحب خلاصة
الوفا في اخبار دار المصطفى
ان السلطان المذكور رأى
النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاث مرات في ليلة واحدة
وهو يقول في كل مرة يا محمود
أنقذني من هذين الشخصين
وهما أشقران تجاهه
فاستحضر وزيره قبل
الصبح فذكر ذلك له فقال هذا
أمر حدث بالمدينة النبوية
ليس له غيرك فتجهز بمقدار
ألف راحلة وما يتبعها حتى
دخل المدينة على حين غفلة
من اهلها ثم ذكر قصة
الصدقة وانه لم يبق الا رجلان
مجاوران من اهل الاندلس
نازلان في الرباط التي قبلة
حجرة النبي صلى الله عليه وسلم
فجدوا في طلبهما فلما رآهما
قال للوزير هما هذان
فسألهما عن حالهما فقالا
جئنا للمجاورة فقال اصدقاني وعاقبهما فاقرا انهما من النصارى وأنهما وصلا لكي ينقلان من بالحجرة الشريفة باتفاق من

ومن بها على رأينا رجوت ان ينصرك الله قال معاوية ارى أن نكاتب من بها من شيعتنا فنمنيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان كان ما اردنا بغير قتال فذاك الذى اردنا والا كان حربهم من بعد ذلك انك يا ابن العاص بورك لك فى الشدة والعجلة وانا بورك لى فى التؤدة قال عمرو افعل ماترى فما أرى أمرنا يصير الا الى الحرب فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكونى وكانا قد خالفا عليا يشكرهما على ذلك ويحثهما على الطلب بدم عثمان ويعدهما المواساة فى سلطانه وبعثه مع مولاه سبيع فلما وقفا عليه اجاب مسلمة بن مخلد الانصارى عن نفسه وعن ابن حديج أما بعد فان الامر الذى بذلنا له انفسنا واتبعنا به امر الله امر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على من سعى على امامنا وأما ماذكرت من المواساة فى سلطانك فتالله ان ذلك أمر ماله نهضنا ولا اياه اردنا فعجل الينا بخيلك ورجلك فان عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فان يأتنا مدد يفتح الله عليك والسلام فجاءه الكتاب وهو بفلسطين فدعا أولئك النفر وقال لهم ماترون قالوا نرى ان تبعث جندا فأمر عمرو بن العاص ليتجهز اليها وبعث معه ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة وسار عمرو فنزل ادانى أرض مصر فاجتمعت اليه العثمانية فاقام بهم وكتب الى محمد بن ابى بكر أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن ابى بكر فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها انى لك من الناصحين وبعث معه كتاب معاوية فى المعنى أيضا ويهدده بقصده حصار عثمان فارسل محمد الكتابين الى على ويخبره بنزول عمرو بارض مصر وانه رأى التثاقل ممن عنده ويستمده فكتب اليه على يأمره ان يضم شيعته اليه ويعده انفاذ الجيوش اليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله وقام محمد بن أبى بكر فى الناس وندبهم الى الخروج الى عدوهم مع كنانة بن بشر فانتدب معه الفان وخرج محمد بن ابى بكر بعده فى الفين وكنانة على مقدمته واقبل عمرو نحو كنانة فلما دنا منه سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة الا حمل عليها فالحقها بعمرو ابن العاص فلما رأى ذلك بعث الى معاوية بن حديج فاتاه فى مثل الدهم فاحاطوا بكنانة واصحابه واجتمع اهل الشام عليهم من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل معه اصحابه فضاربهم بسيفه حتى استشهد وبلغ قتله محمد بن ابى بكر فتفرق عنه اصحابه واقبل نحوه عمرو ومابقى معه احد فخرج محمد يمشى فى الطريق فانتهى الى خربة فى ناحية الطريق فأوى اليها وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد بن أبى بكر فانتهى الى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلا جالسا فقال ابن حديج هو هو فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا وأقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبد الرحمن بن ابى بكر الى عمرو بن العاص وكان فى جنده وقال اتقتل اخى صبرا ابعث الى ابن حديج فانهه عنه فبعث اليه يأمره ان يأتيه بمحمد فقال قتلتم كنانة بن بشر واخلى انا محمدا أكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة فى الزبر هيهات هيهات فقال لهم محمد بن ابى بكر اسقونى ماء فقال له معاوية بن حديج لا سقانى الله ان سقيتك قطرة ابدا انكم منعتم عثمان شرب الماء والله لاقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق فقال له محمد يا ابن

اليهودية

واسع الجبهة حسن الصورة لطيفة شعرات فى حنكه وكان مولده يوم الاحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة بمدينة حلب ونشأ على الخير والصلاح والعبادة وكان ملكا زاهدا حنفى المذهب عابدا عادلا مستمسكا بالشريعة وكان مغرما بالجهاد فى سبيل الله فتح نيفا وخمسين حصنا وملك دمشق وضبط امورها وعمر بها البيمارستان المشهور ودار الحديث وأبطل المكوس وكانت الفرنج تملكت سواحل الشام الى عسقلان ثم طمعوا فى ملك دمشق وكان اهلها يؤدون الضريبة للافرنج فلما بلغ ذلك نور الدين الشهيد تجرد لطلب دمشق وللجهاد الافرنج فعمل الحيلة وارسل الى صاحبها مجير الدين آبق بن طغتكين واستماله وواصله بالهدايا والتحف حتى اعتمد عليه ووثق به فكان يغريه بالرجال الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحدا بعد واحد ويرسل يقول له ان فلانا كاتبنى فى تسليم دمشق فيصدق كلامه ويقتله مجير الدين حتى قتل جميع من هو شديد من أمرائه فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب الامراء الاحداث الذين استمالهم فوعدوه فلما علم ذلك مجير الدين وراسل الافرنج فى نصرته على نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه الى ذلك وشرعوا فى الحشد فسبقهم نور الدين

يكشف واراه سيقاتلكم ولا ادرى ما عند اصحابه فانظر ما عندهم فلما صلى زياد جلس فى المسجد واجتمع الناس اليه فقال جابر يا معشر الازد تميم تزعم أنهم هم الناس وانهم اصبر منكم عند البأس وقد بلغنى انهم يريدون أن يسيروا اليكم ويأخذوا جاركم ويخرجوه قسرا فكيف انتم اذا فعلوا ذلك وقد اجرتموه وبيت مال المسلمين فقال صبرة بن شيمان وكان مفخما ان جاء الاحنف جئت وان جاء حاتم جئت وان جاء شبابهم ففينا شباب وكتب زياد الى علي بالخبر فارسل علي اليه اعين بن ضبيعة المجاشعي ثم التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصاه وكتب الى زياد يعلمه ذلك فقدم اعين فاتى زيادا فنزل عنده وجمع رجالا واتى قومه ونهض الى ابن الحضرمي ومن معه ودعاهم فشتموه وواقفوه نهاره ثم انصرف عنهم فدخل عليه قوم قيل انهم من الخوارج وقيل وضعهم ابن الحضرمي على قتله وكان معهم فقتلوه غيلة فلما قتل اعين اراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الازد انا لم نعرض لجاركم فما تريدون الى جارنا فكرهت الازد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناه وكتب زياد الى علي يخبره خبر أعين وقتله فارسل علي جارية بن قدامة السعدي وهو من بني سعد من تميم وبعث معه خمسين رجلا وقيل خمسمائة من تميم وكتب الى زياد يامره بمعونة جارية والاشارة عليه فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما اصاب اعين فقام جارية في الازد فجزاهم خيرا وقال عرفتم الحق اذ جهله غيركم وقرأ كتاب علي الى اهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير اليهم والايقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال صبرة بن شيمان سمعا لامير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه وقال ابو صفرة والد المهلب لزياد لو ادركت يوم الجمل ما قاتل قومي أمير المؤمنين وقيل ان ابا صفرة كان توفى فى مسيره الى صفين والله اعلم وسار جارية الى قومه وقرأ عليهم كتاب علي ووعدهم فاجابه اكثرهم فسار الى ابن الحضرمي ومعه الازد ومن تبعه من قومه وعلى خيل ابن الحضرمي عبد الله بن خازم السلمي فاقتتلوا ساعة واقبل شريك بن الاعور الحارثي فصار مع جارية فانهزم ابن الحضرمي فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن خازم فأتته امه عجلى وكانت حبشية فامرته بالنزول فأبى فقالت والله لتنزلن او لانزعن ثيابي فنزل وجاء واحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلا معه وعاد زياد الى القصر وكان قصر سنبيل الفارس قديما وصار لسنبيل السعدي وحوله خندق وكان فيمن احترق دارع بن بدر اخو حارثة بن بدر فقال عمرو بن العرندس

ردد نا زيادا الى داره * وجار تميم دخانا ذهب

لحى الله قوما شووا جارهم * ولم يدفعوا عنه حر اللهب

فى أبيات غيرهذه وقال جرير

غدرتم بالزبير فما وفيتم * وفاء الازد اذ منعوا زيادا

فأصبح جارهم بنجاة عز * وجار مجاشع امسى رمادا

فلو عاقدت حبل أبي سعيد * لذاد القوم ما حمل النجادا

وادنى الخيل من رهج المنايا * واغشاها الاسنة والصعادا

جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان وحارثة بن بدر بالحاء المهملة وبعدها ثاء مثلثة وعبد

دمشق وتربية الملك الصالح اصغر سنه واتفق وقوع الفتنة من اهل السنة والشيعة فى حلب فتوجه الملك الصالح اليها واقام بها ودخل السلطان صلاح الدين الى دمشق وتسلمها بغير قتال ومنازع وملك حمص وحماة ثم توفى الملك الصالح اسمعيل فى منتصف عام سبعة وسبعين وخمسمائة ولم يعقب فكانت مدة ملكه ثماني سنين وعهد بالملك لابن عمه (عز الدين مسعود) صاحب الموصل ثم استولى السلطان صلاح الدين على حلب وعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج ولم يزل فيهم بقية متصرفون على الاماكن المذكورة الى ان وقع القتال بجلال الدين خوارزمشاه فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وقتلوه وانقرضت دولة الاتابكية من الشام والجزيرة اجمع كان لم تكن

(الباب الثامن والثلاثون فى ذكر دولة بني طغتكين بالشام وحسن سيرتهم فى الانام)

ذكر فى تحفة ذوى الالباب ان ابا منصور (طغتكين) كان من رجال تاج الدولة تتش زوجه بام ابنه دقاق وكان معه لما ذهب الى الرى لقتال ابن أخيه بركيارق ورجع الى دمشق بعد قتل تاج الدولة وكان اتابك دقاق مدة ولايته وكان شهما مهابا شديدا على المفسدين وامتدت أيامه الى ان توفى فى سابع صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ودفن بدمشق عند المسجد الجديد قبلي المصلى

بجهاد العدو ولا اكتساب الاجر ثم خرج الى منكم جنيد متذائب كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاف لكم ثم نزل (معاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين جارية بن قدامة بالجيم وفي آخره ياء تحتها نقطتان بسر بن ابي ارطاة بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

﴿ ذكر ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة ﴾

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن ابي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سير معاوية عبد الله ابن الحضرمي الى البصرة وقال له ان جل اهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثارهم ودم امامهم فانزل في مضر وتودد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك احد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى علي بالكوفة واستخلف زياد بن ابيه على البصرة فلما وصل ابن الحضرمي الى البصرة نزل في بني تميم فاتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وقال ان عثمان امامكم امام الهدى قتل مظلوما قتله علي فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيرا فقام الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا اليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير اتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت امورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء أفتأمرنا ان ننتضي اسيافنا ويضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية اميرا والله ليوم من ايام علي خير من معاوية وآل معاوية فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك اسكت فلست باهل ان تتكلم ثم اقبل على ابن الحضرمي فقال نحن انصارك ويدك والقول قولك فاقرأ كتابك فاخرج كتاب معاوية اليهم يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم الى الطلب بدمه ويضمن انه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاءين في السنة فلما فرغ من قراءته قام الاحنف فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي واعتزل القوم وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة وكان عباس بن صحار العبدي مخالفا لقومه في حب علي فقام وقال لننصرنك بايدينا والسنتنا فقال له المثنى بن مخربة العبدي والله لئن لم ترجع الى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدنك باسيافنا ورماحنا ولا يغرنك هذا الذي يتكلم يعني ابن صحار فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان أنت ناب من انياب العرب فانصرني فقال لو نزلت في داري لنصرتك فلما رأى زياد ذلك خاف فاستدعى حضين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال انتم يا معشر بكر بن وائل انصار أمير المؤمنين وثقاته وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون واتاه من اتاه فامنعوني حتى يأتيني أمر امير المؤمنين فقال حضين بن المنذر نعم وقال مالك وكان رأيه مائلا الى بني أمية هذا امر لي فيه شركاء استشير فيه وانظر فلما رأى زياد تثاقل مالك خاف ان تختلف عليه ربيعة فارسل الى صبرة بن شيمان الحداني الازدي يطلب ان يجيره وبيت مال المسلمين فقال ان حملته الى داري أجرتكما فنقله الى داره بالحدان ونقل المنبر أيضا فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان ويطعم الطعام فقال زياد لجابر بن وهب الراسبي يا ابا محمد اني لا ارى ابن الحضرمي

ملوكهما او وجدهما احد فراحت الارض من تحت حائط المسجد القبلي بجهة الحجرة الشريفة وجعلا ان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتيهما ويخرجان به ايام في التدريج فضرب اعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ثم احرقا بالنار وركب راجعا الى الشام بعد ان حفر خندقا حول الحجرة الشريفة وسكب فيه الرصاص والنحاس واستحفظه غاية الاستحفاظ ومحاسن هذا السلطان اجل أن تحصى وتحصر فمن اراد الوقوف على مناقبه فعليه بالكواكب الدرية في السيرة النورية توفي رحمه الله نهار الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق من علة الخوانيق ثم نقل الى تربته التي انشأها بقرب سوق الخواصين وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة ولما توفي اجتمع الامراء واهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه (الملك الصالح اسمعيل) وهو ابن احدى عشرة سنة وأطاعه الناس وكانوا يرجعون في جميع امورهم الى الملك صلاح الدين بن ايوب صاحب مصر ثم بعد ذلك اختلفت الآراء وظهرت الشرور وكثرت الجور وعزم الافرنج على قصد دمشق وانتزاعها من ايدي المسلمين فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين سار من مصر حفظا

فسمعهم يقولون جاءنا القوم وهم كالون تعبون فتركناهم حتى استراحوا هذا والله سوء الرأى فدعاه زياد وقال له ما الذى نقمت على امير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم اماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل واكون مع من يدعو الى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يدانى صاحبك الذى فارقته علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الاسلام فقال له ذلك لا أقول لا فقال له زياد ففيم اقتلت ذلك الرجل المسلم فقال له ما انا قتلته وانما قتله طائفة من أصحابى قال فادفعهم الينا قال مالى الى ذلك سبيل فدعا زياد اصحابه ودعا الخريت اصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق رمح وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت وعقرت عامة خيولهم وكثرت الجراحة فيهم وقتل من اصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة وجاء الليل فحجز بينهما وقد كره بعضهم بعضا وجرح زياد فسار الخريت من الليل وسار زياد الى البصرة واتاهم خبر الخريت انه أتى الاهواز فنزل بجانب منها وتلاحق به ناس من اصحابهم فصاروا نحو مائتين فكتب زياد الى على يخبرهم وانه مقيم يداوى الجرحى وينتظر امره فلما قرأ على كتابه قام اليه معقل بن قيس فقال يا أمير المؤمنين كان ينبغى ان يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة فاذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم فأما ان يلقاهم عددهم فلعمرى ليصبرن لهم فان العدة تصبر للعدة فقال تجهز يا معقل اليهم وندب معه ألفين من اهل الكوفة منهم يزيد بن المعقل الاسدى وكتب على الى ابن عباس يأمره ان يبعث من اهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح فى ألفى رجل الى معقل وهو امير اصحابه حتى يأتى معقلا فاذا لقيه كان معقل الامير وكتب الى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود واجتمع على الخريت الناجى علوج من اهل الاهواز كثير أرادوا كسر الخراج واللصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه وطمع اهل الخراج فى كسره فكسروه واخرجوا سهل بن حنيف من فارس وكان عاملا لعلى عليها فى قول من يزعم انه لم يمت سنة سبع وثلاثين فقال ابن عباس لعلى انا اكفيك فارس بزياد يعنى ابن ابيه فأمره بارساله اليها وتعجيل تسييره فأرسل زيادا اليها فى جمع كثير فوطئ بلاد فارس فأدوا الخراج واستقاموا وسار معقل بن قيس ووصاه على فقال له اتق الله ما استطعت ولا تبغ على اهل القبلة ولا تظلم اهل الذمة ولا تتكبر فان الله لا يحب المتكبرين فقدم معقل الاهواز ينتظر مدد البصرة فابطأ عليه فسار عن الاهواز يطلب الخريت فلم يسر الا يوما حتى ادركه المدد مع خالد بن معدان الطائى فساروا جميعا فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز فصف معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المعقل وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبى من اهل البصرة وصف الخريت أصحابه فجعل من معه من العرب ميمنة ومن معه من اهل البلد والعلوج ميسرة ومعهم الاكراد وحرض كل واحد منهما أصحابه وحمل معقل بأصحابه مرتين ثم حمل فى الثالثة فصبروا ساعة ثم انهزموا فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلا من بنى ناجية ومن معهم من العرب وقتلوا نحوا من ثلاثمائة من العلوج والاكراد وانهزم الخريت بن راشد فلحق باسياف البحر وبها جماعة كثيرة من قومه فما زال يسير فيهم ويدعوهم الى خلاف على ويخبرهم ان الهدى فى حربه حتى اتبعه منهم ناس كثيرو اقام معقل بارض الاهواز وكتب الى على بالفتح فقرأ على الكتاب على أصحابه

(محمد بن بورى بن طغتكين) وكان ضعيف السيرة ولم تطل مدته فمات فى ثامن شعبان سنة اربع وثلاثين وخمسمائة واجلس ابنه (ابق) وكان صغيرا دون البلوغ فقام بتدبيره وتربيته اتابكه معين الدين وكان الاتابك ابن زنكى اغازوج ابنه بأم شهاب الدين المقدم ذكره طمعا فى الاستيلاء على دمشق ولم يظفر بما امل فتسلم حمص وقلعتها ثم انه حاصر دمشق ولم ينل منها شيأ فلما أيس عن فتح دمشق احرق المرج والغوطة ونهب ما فيها ورحل عائدا الى بلاده فتوفى واستولى على الملك الاتابكية وانقرضت دولة السلجوقية من الشام والبلاد الفراتية اجمع والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء من عباده

(الباب التاسع والثلاثون فى ذكر دولة بنى مرداس اهل الشدة والباس)

ذكر الجنانى فى تاريخه ان اول من تولى الملك بمدينة حلب وتوابعها من هذه الطائفة (صالح بن مرداس) الكلابى فى سنة اربع عشر واربعمائة استخلصها من يد امراء الحاكم بامر الله الفاطمى واستقر فى الملك مدة الى أن وصل العسكر من الديار المصرية فوقع الحرب بينهم وانجلى بقتل صالح وتولى مكانه ولده (محمود بن صالح) الى سنة تسع وعشرين واربعمائة فقتل على يد انوشتكين من أمراء مصر وتولى مكانه ولى سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة توفى أنوشتكين وتولى

الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي والمثنى بن مخرّبة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة

ذكر خبر الخريت بن راشد وبني ناجية

قيل وفي هذه السنة اظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي فجاء الى امير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرج جوامع علي من البصرة فشهدوا معه الجمل وصفين وأقاموا معه بالكوفة الى هذا الوقت فحضر عند علي في ثلاثين راكبا فقال له يا علي والله لا اطيع أمرك ولا اصلي خلفك واني غدا مفارق لك وذلك بعد تحكيم الحكمين فقال له ثكلتك امك اذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولا تضر الا نفسك خبرني لم تفعل ذلك فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق وركنت الى القوم الذين ظلموا فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين فقال له علي هلم ادارسك الكتاب واناظرك في السنن وافاتحك أمورا أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما انت له الآن منكر قال فاني عائد اليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتني وقبلت مني لاهدينك سبيل الرشاد فخرج من عنده منصرفا الى اهله وسار من ليلته هو واصحابه فلما سمع بمسيرهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ان الشيطان اليوم استهواهم واضلهم وهو غدا متبرئ منهم فقال له زياد بن خصفة البكري يا امير المؤمنين انه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم انهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ولكنا نخاف ان يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك من اهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى اردهم عليك فقال اتدري اين توجهوا قال لا ولكني اسأل واتبع الاثر فقال له اخرج رحمك الله وانزل دير ابي موسى وأقم حتى يأتيك امري فان كانوا ظاهرين فان عمالي سيكتبون بخبرهم فخرج زياد فأتى داره وجمع اصحابه من بكر بن وائل واعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا فقال حسبي ثم سار حتى اتى دير ابي موسى فنزله يوما ينتظر امر علي وأتى عليا كتاب من قرظة بن كعب الانصاري يخبره أنهم توجهوا نحو نفّر وأنهم قتلوا رجلا من الدهاقين كان اسلم فارسل علي الى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم وانهم قتلوا رجلا مسلما ويأمره بردهم اليه فان ابوا يناجزهم وسير الكتاب مع عبد الله بن وال فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد فأذن له وقال له اني لارجو ان تكون من اعواني على الحق وانصاري على القوم الظالمين قال ابن وال فوالله ما أحب أن لي بمقالته تلك حمر النعم وسار بكتاب علي الى زياد وساروا حتى اتوا نفّر فقيل انهم ساروا نحو جرجرايا فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذار وهم نزول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا فأتاهم زياد وقد تقطع اصحابه وتعبوا فلما رأوهم ركبوا خيولهم وقال لهم الخريت اخبروني ما تريدون فقال له زياد وكان مجربا رفيقا قد ترى ما بنا من التعب والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية ولكن تنزل ثم نخلو جميعا فنتذاكر أمرنا فان رأيت ما جئناك به حظا لنفسك قبلته وان رأينا فيما نسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك قال فانزل فنزل زياد واصحابه على ماء هناك وأكلوا شيئا وعلقوا على دوابهم ووقف زياد في خمسة فوارس بين اصحابه وبين القوم وكانوا قد نزلوا أيضا وقال زياد لاصحابه ان عدتنا كعدتهم وأرى امرنا يصير الى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين وخرج زياد الى الخريت

ذكر ابن القلانسي ان المصحف العثماني كان حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة المنورة ووضعه في مسجد طبرية فحمله طغتكين المذكور لما خرج من طبرية ووضعه في الجامع الاموي بدمشق ولما توفي تولى مكانه ولده (تاج الملوك) أبو سعيد بوري بن طغتكين وكانت سيرته حسنة وكان فيه حلم وسماحة ولم يزل بدمشق حتى وثب عليه أعجميان من الباطنية فجرحاه فمات منها في حادي عشري رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتولى مكانه ولده (شمس الملوك ابو الفتح اسمعيل بن بوري بن طغتكين) وكان مقداما ومما استرد قلعة بانياس من ايدي الكفار في يومين ثم انه مد يده الى اخذ الاموال وعزم على المصادرات للكتاب والعمال فادخلت عليه امه زمرد مماليكها ليلا فقتلوه بين يديها وهو يستغيث اليها ولما قضي نحبه جعلته في بساط ملفوف ثم امرت الامراء فدخلوا عليه فرأوه مقتولا فقالت انظروا الى سلطانكم وما حل به اظهاره للناس ثم احضرت اخاه (شهاب الدين محمود بن بوري) فعقدت له السلطنة وقامت امه بتدبير المملكة الى ان خطبها وتزوجها الاتابك ابن زنكي وكانت الامور على السداد الى ان وثب عليه جماعة من خدمه فقتلوه في رابع عشري شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتولى الملك بعده ابو المظفر

فسمعهم

فقال انا أبعث الآن بعضه ثم كذلك حتى لا يبقى منه شيء وأقبل معقل الى علي فأخبره بما كان منه فاستحسنه وبلغ عليا ان مصقلة اعتق الاسرى ولم يسألهم ان يعينوه بشيء فقال ما اظن مصقلة الا قد تحمل حمالة ستروته عن قريب منها مبلدا وكتب اليه يطلب منه المال او يحضر عنده فحضر عنده وحمل من المال مائتي ألف قال ذهل بن الحرث فاستدعاني ليلة فطعمنا ثم قال ان امير المؤمنين يسألني هذا المال ولا أقدر عليه فقلت والله لو شئت ما مضت جمعة حتى تحمله فقال والله ما كنت لاحملها قومي اما والله لو كان ابن هند ما طالبني بها ولو كان ابن عفان لوهبها الى ألم تره أطعم الاشعث بن قيس كل سنة من خراج أذربيجان مائة ألف قال فقلت ان هذا لا يرى ذلك الرأي ولا يترك منها شيئا فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية وبلغ عليا ذلك فقال ماله ترحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أما انه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه فان وجدنا له شيئا أخذناه والا تركناه ثم سار علي الى داره فهدمها واجاز عتق السبي وقال اعتقهم مبتاعهم وصارت اثمانهم دينا على معتقهم وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعلي فكتب اليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له ان معاوية قد وعدك الامارة والكرامة فاقبل ساعة يلقاك رسولي والسلام فأخذه مالك بن كعب الارحبي فسرحه الى علي فقطع يده فمات وكتب نعيم الى مصقلة يقول

لا ترمين هداك الله معترضا * بالظن منك فما بالي وحلوانا

ذاك الحريص على ما نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك ان خانا

ماذا اردت الى ارساله سفها * ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا

قد كنت في منظر عن ذا ومستمع * تحمي العراق وتدعى خير شيبانا

حتى تقحمت امرا كنت تكرهه * للراكبين له سرا واعلانا

عرضته لعلي انه أسد * يمشي العرضنة من آساد خفانا

لو كنت أديت مال القوم مصطبرا * للحق أحييت أحيانا وموتانا

لكن لحقت باهل الشام ملتمسا * فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا

فاليوم تقرع سن العجز من ندم * ماذا تقول وقد كان الذي كانا

أصبحت تبغضك الاحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

فلما وقع الكتاب اليه علم أنه قد هلك وأتاه التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداهم وقال بعض الشعراء في بني ناجية

سما لكم بالخيل قودا عوابسا * اخو ثقة ما يبرح الدهر غازيا

فصبحكم في رجله وخيله * بضرب ترى منه المدجج هاويا

وأصبحتم من بعد كبر ونخوة * عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وقال مصقلة بن هبيرة

لعمري لئن عاب أهل العراق * علي انتعاش بني ناجيه

لاعظم من عتقهم رقهم * وكفى بعتقهم عاليه

وزايدت فيهم لاطلاقهم * وغاليت ان العلا غاليه

وتولى مكانه ولده (السلطان ركن الدين مبارك) مدة ثم عزله واستولى على الملك ابن عمه (السلطان قطب الدين) وهو اول من تسلطن من هذه الطائفة وكانوا أمراء من قبل كوخان وكان قطب الدين يميل الى فعل الخيرات والمبرات وكانت مدة ملكه ست سنين وتوفي في سنة ست وخمسين وستمائة وتولى مكانه ولده (السلطان الحجاج بن قطب الدين) ثلاث عشرة سنة وسار سيرة حسنة وفي سنة تسع وستين وستمائة خاف على نفسه من الخازن وهرب الى السلطان حلي فالتجأ اليه واستمر عنده مقدار عشر سنين فأرسل معه عسكرا الى كرمان ففي اثناء الطريق توفي الحجاج وتولى مكانه اخوه (السلطان سيورغتمش بن قطب الدين) واستمر في الملك الى سنة احدى وسبعين وستمائة فعزل وولي مكانه (زوجة قطب الدين) مدة ثم قتلها وولي مكانها (السلطان مظفر الدين محمد) فلم يزل في الملك الى أن توفي في سنة ثلاث وسبعمائة فتولى مكانه ابن عمه (السلطان قطب الدين شاهجهان) وكان ظالما غاشما جبارا سفاكا عديم الرأي والتدبير وهو آخر من ملك من هذه الطائفة

واستشارهم فقالوا كلهم نرى أن تأمر معقلا أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه فانا لانأمن ان يفسد عليك الناس فكتب الى معقل يثنى عليه وعلى من معه و يأمره باتباعه وقتله اونفيه فسأل معقل عنه فأخبر بمكانه بالاسياف وانه قد رد قومه عن طاعة على" وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وذلك العام فسار اليهم معقل فاخذ على فارس وانتهى الى اسياف البحر فلما سمع الخريت بمسيره قال لمن معه من الخوارج أنا على رأيكم وان عليا لم ينبغ له أن يحكم وقال للآخرين من أصحابه ان عليا حكم ورضى بحكمه الذى ارتضاه وهذا كان الرأى الذى خرج عليه من الكوفة واليه كان يذهب وقال سرا للعثمانية أنا والله على رايكم قد والله قتل عثمان مظلوما فأرضى كل صنف منهم وقال لمن منع الصدقة شدوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا فلما اختلف الناس قالوا والله لديننا الذى خرجنا منه خير من دين هؤلاء لاينهاهم دينهم عن سفك الدماء فقال لهم الخريت ويحكم لاينجيكم من القتل الاقتال هؤلاء القوم والصبر فان حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل ولا يقبلون منه توبة ولا عذرا فخدعهم جميعهم واتاه من كان من بنى ناجية وغيرهم خلق كثير فلما انتهى معقل اليه نصب راية أمان وقال من أتاها من الناس فهو آمن الا الخريت واصحابه الذين حاربونا أول مرة فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه وعبى معقل أصحابه وزحف نحو الخريت ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم فقال الخريت لمن معه قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبنكم فقال له رجل من قومه هذا والله ماجرته علينا يدك ولسانك فقال سبق السيف العذل وسار معقل فى الناس يحرضهم ويقول أيها الناس ماتريدون أفضل مما سبق لكم من الاجر العظيم ان الله ساقكم الى قوم منعوا الصدقة وارتدوا عن الاسلام ونكثوا البيعة ظلما فأنا شهيد لمن قتل منكم بالجنة ومن بقى منكم فان الله مقر عينه بالفتح ثم حمل معقل وجميع من معه فقاتلوا قتالا شديدا وصبروا له ثم ان النعمان بن صهبان الراسبى بصر بالخريت فحمل عليه فطعنه فصرع عن دابته ثم اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقتل معه فى المعركة سبعون ومائة رجل وذهب الباقون يمينا وشمالا وسبى معقل من ادرك من حريمهم وذرياتهم وأخذ رجالا كثيرا فأما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله وأما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم الاشيخا كبيرا نصرانيا منهم يقال له الرماحس لم يسلم فقتله وجمع من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين وأما النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلا بهم واقبل المسلمون معهم يشيعونهم فلما ودعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض حتى رحمهم الناس وكتب معقل الى على" بالفتح ثم أقبل بهم حتى مر على مصقلة ابن هبيرة الشيبانى وهو عامل على" على اردشيرخره وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال ياأبا الفضل ياحامى الرجال ومأوى المعصب وفكاك العناة امنن علينا واشترنا وأعتقنا فقال مصقلة اقسم بالله لاتصدقن عليكم ان الله يجزى المتصدقين فبلغ قوله معقلا فقال والله لو اعلم انه قالها توجعا عليهم وازراء علينا لضربت عنقه ولو كان فى ذلك تفانى تميم وبكر ثم ان مصقلة اشتراهم من معقل بخمسمائة الف فقال له معقل عجل المال الى امير المؤمنين

فقال

مكانه بحلب (ثمال بن صالح بن مرداس) مدة ثم قتل ابن ملهم من أمراء مصر وحارب ثمالا واستولى على حلب وتولى مكانه (الظاهر نصر بن صالح) بعد حروب وقعت بينهما وعاد ثمال لحلب بالعساكر المصرية وكان شجاعا قويا فتولى مدة فلما توفى تولى مكانه أخوه (عطية بن صالح) فلم تطل مدته فهرب الى قيصر فمات هنالك وتولى مكانه (نصر ابن محمود) فلما توفى تولى مكانه (أحمد بن نصر بن صالح بن مرداس) الى حدود سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ثم استولى على البلاد الحلبية صاحب الموصل (شرف الدولة مسلم ابن قريش) وبه انقرضت دولة بنى مرداس فكانت مدتهم ثمانيا وخمسين سنة

(الباب الاربعون فى ذكر دولة آل براق ملوك كرمان اولى الافكار الثاقبة والاذهان)

ذكر اصحاب السير ان آل براق ملكوا كرمان من سنة احدى وعشرين وستمائة الى سنة ست وسبعمائة وكانوا تسعة انفار واول من تولى الملك منهم (براق) وزن صاحب كوخان سلطان الخطا وكان من أمره ان كوخان ارسله الى خوارزمشاه للصلح فاعجبه حسن تدبيره ورأيه وأبقاه عنده فولاه امارة كرمان فاستمر اميرا على بلاد كرمان اثنتى عشرة سنة وتوفى فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

اشدّ قتال فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن فى خمسين رجلا فانتهوا الى مالك وقد كسر وا جفون سيوفهم واستقتلوا فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا ان لهم مددا وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر ولما تثاقل اهل الكوفة عن الخروج الى مالك صعد على المنبر فخطبهم ثم قال يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلكم انجحر كل امرئ منكم فى بيته واغلق عليه بابه انجحار الضب فى جحره والضبع فى وجارها المغرور من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب لا احرار عند النداء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به منكم عمى لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه راجعون ووجه معاوية فى هذه السنة ايضا سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجل وأمره ان يأتى هيت فيقطعها ثم يأتى الانبار والمدائن فيوقع بأهلها فأتى هيت فلم يجد بها احدا ثم اتى الانبار وفيها مسلحة لعلى تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائتا رجل وكان سبب تفرقهم انه كان عليهم كميل بن زياد فبلغه ان قوما بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار اليهم بغير أمر على فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها فاغضب ذلك عليا على كميل فكتب اليه ينكر ذلك عليه وطمع سفيان فى اصحاب على لقلتهم فقاتلهم فصبر أصحاب على ثم قتل صاحبهم وهو أشرس بن حسان البكرى وثلاثون رجلا واحتملوا ما فى الانبار من اموال أهلها ورجعوا الى معاوية وبلغ الخبر عليا فأرسل فى طلبهم فلم يدركوا وفيها ايضا وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر الفزارى فى ألف وسبعمائة رجل الى تيماء وأمره ان يصدق من مرّ به من أهل البوادى ويقتل من امتنع ففعل ذلك وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك واجتمع اليه بشر كثير من قومه وبلغ ذلك عليا فأرسل المسيب بن نجبة الفزارى فى ألفى رجل فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا حتى زالت الشمس قتالا شديدا وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ويقول له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام وانتهب الاعراب ابل الصدقة التى كانت مع ابن مسعدة وحصره ومن معه ثلاثة ايام ثم القى الحطب فى الباب وحرقه فلما رأوا الهلاك اشرفوا عليه وقالوا يا مسيب قومك فرق لهم وأمر بالنار فأطفئت وقال لاصحابه قد جاءتنى عيونى فاخبرونى ان جندا قد أتاكم من الشام فقال له عبد الرحمن بن شبيب سرحنى فى طلبهم فأبى ذلك عليه فقال غششت أمير المؤمنين وداهنت فى أمرهم وفيها ايضا وجه معاوية الضحاك بن قيس وامره ان يمر بأسفل واقصة ويغير على كل من مر به ممن هو فى طاعة على من الاعراب وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه فسار الناس وأخذ الاموال ومضى الى الثعلبية وقتل وأغار على مسلحة على وانتهى الى القطقطانة فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه حجر بن عدى فى أربعة آلاف واعطاهم خمسين درهما خمسين درهما فلحق الضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا وقتل من أصحابه رجلان وحجز بينهما الليل فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه وفى هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نكص راجعا واختلف فيمن حج هذه السنة فقيل حج بالناس عبيد الله بن عباس من قبل على وقيل بل حج عبد الله أخوه وذلك باطل فان عبد الله بن عباس لم يحج فى خلافة على وانما كان هذه السنة على الحج عبيد الله بن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى فاختلف عبيد الله ويزيد بن

وتلقب بالسلطان الاعظم وحمل على رأسه القبة والطا(ر) على قاعدة بنى سلجوق وكا(ن) شافعى المذهب وكان حسن الخط يكتب المصاحف بخطه ويوقفها على المساجد فلما توفى تولى مكانه أخوه (شهاب الدين أبو المظفر) واستولى على الهند والسند وخراسان والغور وكان دينا شجاعا وفى سنة احدى وستمائة توجه الى السند ففى اثناء الطريق دخل عليه جماعة فى خيمته وقتلوه وهو فى الصلاة وولوا مكانه ابن اخيه (بهاء الدين شاه) وكان حاكما فى بلاد باميان فتوفى قبل ان يصل الى مقر سلطنته واوصى بالملك لولديه (جلال الدين وعلاء الدين) فوقع بينهما حروب وآلت الى استيلاء محمود بن غياث الدين على الملك وهو آخر من تولى من هذه الطائفة وانقرضت دولتهم فغلب على الملك خوارزمشاه وقتله

(الباب الثانى والاربعون فى ذكر جنكيزخان كيف فعل وخان)

اتفق اهل التاريخ ان الترك أكثر اجناس العالم وهم امم لا يحصيهم الا خالقهم ولم يزالوا ببلاد الشرق من أول الخليقة لا يعلم احد مبتدأها وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللبود واشدة البرد

(ذكر امر الخوارج بعد النهروان)

لما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيبانى على على بالدسكرة فى مائتين ثم سار الى الانبار فوجه اليه على الابرش بن حسان فى ثلثمائة فواقعه فقتل أشرس فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان فوجه اليه على معقل بن قيس الرياحى فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وكان قتلهم فى جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين ثم خرج الاشهب بن بشر وقيل الاشعث وهو من بجيلة فى مائة وثمانين رجلا فأتى المعركة التى أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجه اليهم على جارية بن قدامة السعدى وقيل حجر بن عدى فاقبل اليهم الاشهب فاقتتلا بجرجرايا من أرض جوخى فقتل الاشهب واصحابه فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ثم خرج سعيد ابن قفل التيمى من تيم الله بن ثعلبة فى رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان وهى من المدائن على فرسخين فخرج اليهم سعد بن مسعود فقتلهم فى رجب سنة ثمان وثلاثين ثم خرج ابو مريم السعدى التميمى فأتى شهر زور وأكثر من معه من الموالى وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل اليه على يدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه على شريح بن هانئ فى سبعمائة فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقى شريح فى مائتين فانحاز الى قرية فتراجع اليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة فخرج على بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدى فدعاهم جارية الى طاعة على وحذرهم القتل فلم يجيبوا ولحقهم على ايضا فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فآمنهم وكان فى الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر على بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤا وكان قتلهم فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجراءتهم قاربوا الكوفة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس فى هذه السنة قثم بن العباس من قبل على وكان عامله على مكة وكان على اليمن عبيد الله بن عباس وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى خراسان خليد بن قرة اليربوعى وقيل كان ابن أبزى واما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعماله وفى هذه السنة مات صهيب بن سنان فى قول بعضهم وكان عمره سبعين سنة ودفن بالبقيع

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين)

(ذكر سرايا اهل الشام الى بلاد امير المؤمنين عليه السلام)

وفى هذه السنة فرق معاوية جيوشه فى العراق فى أطراف على فوجه النعمان بن بشير فى ألف رجل الى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلى فى ألف رجل وكان مالك قد أذن لاصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه الا مائة رجل فلما سمع بالنعمان كتب الى أمير المؤمنين يخبره ويستمده فخطب على الناس وأمرهم بالخروج اليه فتثاقلوا وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية فى ظهور أصحابه وكتب مالك الى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه واقتتل مالك والنعمان

وانقرضت دولتهم واستولى على الملك أمراء المغل

(الباب الحادى والاربعون فى ذكر دولة غزنة من الغورية سوى الخصائل والهمم العلية)

ذكر اليمانى ان أصلهم ممن ترك الخطا سكنوا فى جبال الغور فيما وراء النهر وكان ابتداء أمرهم فى سنة خمس وأربعين وخمسمائة وانتهاء حالهم فى سنة تسع وستمائة وأول من ملك منهم (سيف الدين محمد بن الحسين) تزوج بنت بهرام شاه الغزنوى فلما تحقق قصده له تحيل عليه الى ان أمسكه وقتله وتولى مكانه أخوه (سورى بن الحسين) فسار الى غزنة لطلب ثار اخيه فغلب عليه بهرام شاه وقتله وتولى مكانه أخوه (علاء الدين حسين بن الحسين جهانسوز) وكان ملكا قويا شجاعا فسار الى بهرام شاه لطلب ثار أخويه فلم يقدر على المقاومة وانهزم الى بلاد الهند واستولى مكانه على غزنة (السلطان علاء الدين) واستناب أخاه سيف الدين مكانه وتوجه هو للغور فلما بلغ بهرام شاه ذلك عاد الى غزنة وتولى الملك فلما توفى تولى الملك بعده ولده (خسروشاه) وبعده عاد (السلطان علاء الدين) وانتزع الملك من يد خسروشاه

ولما قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجه الحرث بن نمر التنوخي الى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بني تغلب وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا عليا الى معاوية فسألوه في اطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضا وكتب معاوية الى علي ليفاديه بمن أسر معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة فسيرهم علي الى معاوية واطلق معاوية هؤلاء وبعث علي رجلا من خثعم يقال له عبد الرحمن الى ناحية الموصل ليسكن الناس فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحرث التغلبي فتشاتموا ثم اقتتلوا فقتلوه فأراد علي ان يوجه اليهم جيشا فكلمته ربيعة وقالوا هم معتزلون لعدوك داخلون في طاعتك وانما قتلوه خطأ فأمسك عنهم

﴿ ذكر أمر ابن العشبة ﴾

بعث معاوية زهير بن مكحول العامري من عامر الاجدار الى السماوة وأمره ان يأخذ صدقات الناس وبلغ ذلك عليا فبعث ثلاثة نفر جعفر بن عبد الله الاشجعي وعروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين ليصدقوا من في طاعته من كلب وبكر بن وائل فوافوا زهيرا فاقتتلوا فانهزم أصحاب علي وقتل جعفر بن عبد الله ولحق ابن العشبة بعلي فعنفه وعلاه بالدرة فغضب ولحق بمعاوية وكان زهير قد حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه واما الجلاس فانه مر براع فأخذ جبته واعطاه جبة خز فأدركته الخيل فقالوا اين أخذ هؤلاء الترابيون فأشار اليهم أخذوا ههنا ثم اقبل الى الكوفة

﴿ ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل ﴾

وبعث معاوية مسلم بن عقبة المري الى دومة الجندل وكان اهلها قد امتنعوا من بيعة علي ومعاوية جميعا فدعاهم الى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا وبلغ ذلك عليا فسير مالك بن كعب الهمداني في جمع الى دومة الجندل فلم يشعر مسلم الا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما واقام مالك أياما يدعو أهل دومة الجندل الى البيعة لعلي فلم يفعلوا فقالوا لا نبايع حتى يجتمع الناس على امام فانصرف وتركهم وفيها توجه الحرث بن مرة العبدي الى بلاد السند غازيا متطوعا بأمر أمير المؤمنين علي فغنم وأصاب غنائم وسبيا كثيرا وقسم في يوم واحد ألف رأس وبقي غازيا الى ان قتل بأرض القيقان هو ومن معه الا قليلا سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية

﴿ ذكر ولاية زياد بن امية بلاد فارس ﴾

وفي هذه السنة ولى علي زيادا كرمان وفارس وسبب ذلك انه لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج فطمع اهل كل ناحية واخرجوا عمالهم واخرج اهل فارس سهل بن حنيف فاستشار علي الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا امير المؤمنين على رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي قال من هو قال زياد فأمر علي ابن عباس ان يولي زيادا فسيره اليها في جمع كثير فوطئ بهم اهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث الى رؤسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة

جنكيزخان وساعده قضاء الديان لأمر يريده الرحمن وكان أصله من قبيلة من تلك التاتار وتسمى قتات ظلمة وعتاة (وفي مسالك الابصار) ان جدة جنكيزخان امرأة اسمها الان قوا وانها ولدت نودجر من غير اب قالوا وكانت متزوجة ثم مات زوجها وجاءت وهي ايم فتنكر عليها اقاربها فذكرت انها بعض الايام رأت نورا دخل في فرجها ثلاث مرات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان حملي ثلاثة ذكور فان صدق ذلك عند الوضع والا فاعملوا ما بدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل وظهرت براءتها بزعمهم اسم احدهم يوقن والآخر قوناعي والثالث نودجر وهو جد جنكيزخان وكان من ابتداء حاله وأمره خادم عند ملك الخطا المسمى باونك خان فقربه الملك وادناه فحسده الوزراء وعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد حتى أثر كلامهم عند الملك فقصده ولا زال يتبعه حتى كبسه وكان معه الخبر فأعانه الله ونصره وكسر الخان وعسكره وقبض عليه فقتله واستولى على امواله وذخائره وكان ذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم بعد ذلك تقوى

شجرة واتفقا على ان يحج بالناس شيبة بن عثمان وقيل ان الذى حج من جانب على قثم بن العباس وكان عمال على على البلاد من تقدم ذكرهم

(ذكر مسير يزيد بن شجرة الى مكة)

وفى هذه السنة دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى وهو من أصحابه فقال له انى أريد ان أوجهك الى مكة لتقيم للناس الحج وتأخذ لى البيعة بمكة وتنفى عنها عامل على فأجابه الى ذلك وسار الى مكة فى ثلاثة آلاف فارس وبها قثم بن العباس عامل على فلما سمع به قثم خطب اهل مكة واعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم الى حربهم فلم يجيبوه بشئ وأجابه شيبة بن عثمان العبدرى بالسمع والطاعة فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر فان امده بالجيوش قاتل الشاميين فنهاه ابو سعيد الخدرى عن مفارقة مكة وقال له اقم فان رأيت منهم القتال وبك قوة فاعمل برأيك والا فالمسير عنها امامك فأقام وقدم الشاميون ولم يعرضوا القتال أحدا وأرسل قثم الى امير المؤمنين يخبره فسير جيشا فيهم الريان بن ضمرة بن هوذة بن على الحنفى وابو الطفيل أول ذى الحجة وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيومين فنادى فى الناس أنتم آمنون الامن قاتلنا ونازعنا واستدعى أبا سعيد الخدرى وقال له انى اريد الالحاد فى الحرم ولوشئت لفعلت لما فيه اميركم من الضعف فقل له يعتزل الصلاة بالناس واعتزلها أنا ويختار الناس رجلا يصلى بهم فقال أبو سعيد لقثم ذلك فاعتزل الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلى بهم وحج بهم فلما قضى الناس حجهم رجع يزيد الى الشام واقبل خيل على فأخبروا بعود اهل الشام فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فادركوهم وقد رحلوا عن وادى القرى فظفروا بنفر منهم فأخذوهم اسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم الى امير المؤمنين ففادى بهم اسارى كانت له عند معاوية (الرهاوى منسوب الى الرها قبيلة من العرب وقد ضبطه عبد الغنى بن سعيد بفتح الراء قبيلة مشهورة واما المدينة فبضم الراء)

(ذكر غارة أهل الشام على اهل الجزيرة)

وفيها اسير معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر جد الكرمانى الذى كان بخراسان وكان شبيب بنصيبين فكتب الى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم فسار كميل اليه نجدة له فى ستمائة فارس فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمى فقاتلهما كميل وهزمهما فغلب على عسكرهما وأكثر القتل فى أهل الشام وأمر ان لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح وقتل من أصحاب كميل رجلان وكتب الى على بالفتح فجزاه خيرا وأجابه جوابا حسنا ورضى عنه وكان ساخطا عليه لما تقدم ذكره وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك فوجه معاوية اليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ورجع شبيب فأغار على نواحى الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية الا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا الا أخذه وعاد الى نصيبين وكتب الى على فكتب اليه على ينهاه عن أخذ أموال الناس الا الخيل والسلاح الذى يقاتلون به وقال رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار

(ذكر غارة الحرث بن نمر التنوخى)

ولما

فى بلادهم وأكثروا بهم سم الخيل وأقواتهم الارز والبان الخيل ولحومها وتعرف ملوكهم بالخان وهى سمة ملوكهم وهم من بقايا يأجوج ومأجوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد وكانوا مبددين فى دشت قبجاق فى حدود ملك الخطا والصين مسيرة أما كنهم شرقا بغرب ثمانية أشهر وشمالا بجنوب مثله يتوالدون فى ذلك البر ويتهارجون فى ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائمة لا حاكم يردعهم ولا دين ولا اعتقاد يجمعهم وهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وكل طائفة تفسير غارتها وتقصد جارتها وتامن اختها وتنهب تحتها وأكل بعضها لا يعرفون الحلال والحرام ويعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها وتخاطبهم الجن ويرصدونها وأفخر ملبوسهم جلود الكلاب والتيوس ويأكلون الكلاب والفار وما وجدوا من صيد القفار فهم متمكنون فى ذلك المكان حتى بلغ ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين حتى نبع منهم هذا اللعين الطاغية قوجين الذى يسمى

في المواسم فنقول

يامن أحس بابنيّ اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحس بابنيّ اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
يامن أحس بابنيّ اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة * على صبيين ذلا اذ غدا السلف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من افكهم ومن القول الذي اقترفوا
أحنى على ودجي ابنيّ مرهفة * من الشفار كذاك الاثم يقترف

وهي أبيات مشهورة فلما سمع امير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ودعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه ولم يزل كذلك حتى مات ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر فقال لبسر وددت ان الارض أنبتتني عندك حين قتلت ولدي فقال هاك سيفي فأهوى عبيد الله ليتناوله فأخذه معاوية وقال لبسر اخزاك الله شيخا قد خرفت والله لو تمكن منه لبدأ بي قال عبيد الله أجل ثم ثنيت به (سلمة بكسر اللام بطن من الانصار) وقيل ان مسير بسر الى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين فأقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس لا يقال له عن احد انه شرك في دم عثمان الا قتله وفيها جرت مهادنة بين علي ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام لا يدخل احدهما بلد الآخر بغارة (بسر بضم الباء الموحدة والسين المهملة زريق بالزاي والراء قبيلة من الانصار ايضا وجارية بالجيم والراء)

﴿ذكر فراق ابن عباس البصرة﴾

في هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول اكثر اهل السير وقد انكر ذلك بعضهم وقال لم يزل عاملا لعلي حتى قتل علي وشهد صلح الحسن مع معاوية ثم خرج الى مكة والاول أصح وانما كان الذي شهد صلح الحسن عبيد الله ابن عباس وكان سبب خروجه انه مر بأبي الاسود فقال لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى فكتب ابو الاسود الى علي اما بعد فان الله عز وجل جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مستوليا وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم ولا تأكل اموالهم ولا ترتشي في أحكامهم وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعني كتمانك رحمك الله فانظر فيما هناك واكتب الي برأيك فيما أحببت والسلام فكتب اليه علي اما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الي ولم أعلمه بكتابك فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه صلاح للامة فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام وكتب الى ابن عباس في ذلك فكتب اليه ابن عباس اما بعد فان الذي بلغك باطل واني لما تحت يدي لضابط وله حافظ فلا تصدق الظنين والسلام فكتب اليه علي اما بعد فاعلمني ما أخذت من الجزية ومن اين أخذت وفيما وضعت فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك اني رزأته من أهل هذه البلاد فابعث الى عملك من أحببت

شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثان ومنها حقيقة من سبق سواء كذبا او صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم فرجها بعد فوج ومنها عدم العدة وحصر الزوجات في عدة ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان ومنها مطالبة الجاني بالجار ومعاقبة البريء بجرم مكتسب الاوزار ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم ونحو هذه الخرافات الباطلة والهذيانات العاطلة من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة وكان كرسي مملكته مدينة قراقروم وسبب حركه الى ممالك الاسلام وتوجه عنان عزمه الى طلب الانتقام هو انه لما استقر أمره واشتهر بالظلم والجور ذكره ووقع بينه وبين السلطان خوارزمشاه من قبل أصحابه وفتح بدا الشر وبابه الى ان قتل السلطان وكان من أمره ما كان ثم نهض نهضة انام فيها الانام وقام قومة اقام بها ساعات القيام فتوجه من مشرق التاتار وعساكر الكفار بالجيوش الطامسة وجبال النيران الطامة في سنة خمس عشرة وستمائة ومشوا على

واقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع الى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل اصطخر وحصن قلعة تسمى قلعة زياد قريب اصطخر ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكري فهي تسمى قلعة منصور وقيل ابن عباس اشار بولايته وقد تقدم ذكره وفيها مات أبو مسعود الانصاري البدري وقيل في أول خلافة معاوية وقيل غير ذلك ولم يشهد بدرا وانما قيل له بدري لانه نزل ماء بدر وانقرض عقبه

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ﴾

﴿ ذكر سرية بسر بن أبي ارطاة الى الحجاز واليمن ﴾

في هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبي ارطاة وهو من عامر بن لؤي في ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة وبها ابو ايوب الانصاري عامل علي عليها فهرب أبو ايوب فأتى عليا بالكوفة ودخل بسر المدينة ولم يقاتله احد فصعد منبرها فنادى عليه يا دينار يا نجار يا زريق وهذه بطون من الانصار شيخي عهدته ههنا بالامس فأين هو يعني عثمان ثم قال والله لولا ما عهد الى معاوية ما تركت بها محتلما الا قتلته ثم ارسل الى بني سلمة فقال والله ما لكم عندي امان حتى تأتوني بجابر ابن عبد الله فانطلق جابر الى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين ان هذه بيعة ضلالة وقد خشيت ان اقتل قالت أرى ان تبايع فاني قد امرت ابني عمر وختني ابن زمعة ان يبايعا وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعة فأتاه جابر فبايعه وهدم بالمدينة دورا ثم سار الى مكة فخاف ابو موسى الاشعري ان يقتله فهرب منه واكره الناس على البيعة ثم سار الى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلي فهرب منه الى علي بالكوفة واستخلف علي على اليمن عبد الله ابن عبد المدان الحارثي فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما عبد الرحمن وقثم فقتلهما وكانا عند رجل من كنانة بالبادية فلما أراد قتلهما قال له الكناني لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلهما فاقتلني معهما فقتله وقتلهما بعده وقيل ان الكناني أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول

الليث من يمنع حافات الدار * ولا يزال مصلتا دون الجار

وقاتل حتى قتل وأخذ الغلامين فذبحهما فخرج نسوة من بني كنانة فقالت امرأة منهن يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والاسلام والله يا ابن أبي ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن وبلغ عليا الخبر فأرسل جارية ابن قدامة السعدي في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتى اتى نجران فقتل بها ناسا من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه واتبعه جارية حتى اتى مكة فقال بايعوا امير المؤمنين فقالوا قد هلك فلمن نبايع قال لمن بايع له أصحاب علي فبايعوا خوفا منه ثم سار حتى اتى المدينة وأبو هريرة يصلي بالناس فهرب منه فقال جارية لو وجدت ابا سنور لقتلته ثم قال لاهل المدينة بايعوا الحسن بن علي فبايعوه واقام يومه ثم عاد الى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلي بهم وكانت ام ابني عبيد الله ام الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ وقيل عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان فلما قتل ولداها ولهت عليهما فكانت لا تعقل ولا تصغي ولا تزال تنشدهما

وقصد سلطان الخطا والصين والتون خان بعدد كالرمال ومدد كالجبال فقبض عليه وأباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسرة والنصرة في سنة احدى وستمائة من الهجرة وكان اميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا عريا لا يحسب ولا ينسب لا اطلع على الاخبار ولا قفى الآثار بل أسس بفكره قواعد لو أدركه الاسكندر ودارا لما وسعهما الا اقتفاء أثره كسر بسطوته الاكاسرة وقهر بسطوته القياصرة واما عسكره فكانوا ما بين مسلمين ومشركين ويهود ومن لا يدين بمعبود فلم يتعرض لاحد في دينه واعتقاده ويقينه واما هو فلم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة واخترع هو لنفسه في الملك قواعد سلك فيها المقاربة والمباعدة ثم لم يكن لهم كتاب ولا خط ولا لهم قلم يعرفون به قط فأمر عقلاء مملكته واذكياء قبيلته ان يضعوا الخطا وقلما يكون لهم علما وعلما فوضعوا القلم المغل ورسموا له كتابا سماه الياسق الكبير ذكر فيه ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس لكل حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة فمن أحكامها المظالة صلب السارق وخنق الزاني وان

لا أتزوجك حتى تشتفي لي فقال وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل علي فقال اما قتل علي فما اراك ذكرتيه وانت تريديني قالت بلى التمس غرته فان اصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بي الا قتل علي فلك ما سألت قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فأجابها وأتى ابن ملجم رجلا من اشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وماذا قال قتل علي قال شبيب ثكلتك امك لقد جئت شيأ اذا كيف تقدر على قتله قال اكمن له في المسجد فاذا خرج الى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان نجونا فقد شفينا أنفسنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال ويحك لو كان غير علي كان اهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الاسلام وما أجدني انشرح لقتله قال اما تعلمه قتل اهل النهر العباد الصالحين قال بلى قال فنقتله بمن قتل من اصحابنا فأجابه فلما كان ليلة الجمعة وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي وقتل معاوية وعمرو فأخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة فلما خرج علي نادى أيها الناس الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا علي ولا لاصحابك وهرب وردان فدخل منزله فأتاه رجل من أهله فأخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله وهرب شبيب في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فاخذه وجلس عليه فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب في غمار الناس ولما ضرب ابن ملجم عليا قال لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن اخته أم هانئ يصلي بالناس الغداة وقال علي احضروا الرجل عندي فأدخل عليه فقال أي عدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله ان يقتل به شر خلقه فقال علي لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن الا قاتلي انظر يا حسن ان أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور وهذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم كلثوم ابنة علي أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك قال فعلى من تبكين والله ان سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد ودخل جندب ابن عبد الله على علي فقال ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء زوي عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فاني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير

والعباد والكبراء فدخل جنكيزخان الى المدينة وطاف بها على هيبة وسكينة حتى انتهى الى باب الجامع فرأى محلا شريفا ومعبدا واسعا لطيفا فقال هذا بيت السلطان فقالوا بل بيت الرحمن فقال ان أولى ما ألقنا افراسنا في بيت من خلق أرواحنا ورزق اشباحنا فنزل عن دابته ودخل الجامع مع جماعته ثم استدعى بالخمور والطبول والزمور فتصدر في مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة الكفرة والفجار من المغل والتاتار ثم أحضر العلماء والاشراف والكبراء وانزلوا بهم الخمور والويل واستحفظوهم الخيل ومن جملة الاعيان شخص ولي يدعى السيد الشريف جلال الدين علي وهو اعلى سادات ما وراء النهر قبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم استحفظوه مراكبهم وانشبوا فيه مخالبهم وهو واقف بباب الجامع في هيئة الدليل الخاضع فرأى الامام الهمام علم العلماء الاعلام الشيخ ركن الدين ابن الامام وهو في مثل حاله فقال أيها الامام المفضال ما هذه الاحوال فأنشد معنى هذا المقال

أرى حالة تبدي لساني فليس لي

فانى ظاعن عنه والسلام واستدعى اخواله من بنى هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا وقال هذه ارزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال فقالت قيس والله لا يوصل اليه وفينا عين تطرف فقال صبرة بن شيمان الحدانى يا معشر الازد ان قيسا اخواننا وجيراننا واعواننا على العدو وان الذى يصيبكم من هذا المال القليل وهو لكم خير من المال فأطاعوه فانصرفوا وانصرفت معهم بكر وعبد القيس وقاتلهم بنو تميم فنهاهم الاحنف فلم يسمعوا منه فاعتزلهم وحجز الناس بينهم ومضى ابن عباس الى مكة

(ذكر مقتل امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام)

وفى هذه السنة قتل على فى شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وقيل لاحدى عشرة وقيل لثلاث عشرة بقيت منه وقيل فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين والاول أصح قال أنس بن مالك مرض على فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فنظر فى وجهه فقال له أبو بكر وعمر يا نبى الله ما نراه الا ميتا فقال لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى يملأ غيظا ولن يموت الا مقتولا وقيل من غير وجه ان عليا كان يقول ما يمنع اشقاها ان يخضب هذه من هذه يعنى لحيته من دم راسه وقال عثمان بن المغيرة كان على لما دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابى جعفر لا يزيد على ثلاث لقم يقول احب ان يأتينى أمر الله وانا خميص وانما هى ليلة أو ليلتان فلم تمض ليلة حتى قتل وقال الحسن بن كثير عن ابيه قال خرج على من الفجر فاقبل الاوز يصحن فى وجهه فطردوهن عنه فقال ذروهن فانهن نوائح فضربه ابن ملجم فى ليلته وقال الحسن بن على يوم قتل على خرجت البارحة وأبى يصلى فى مسجد داره فقال لى يا بنى انى بت اوقظ أهلى لانها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتنى عيناى فنمت فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد قال والاود العوج واللدد الخصومات فقال لى ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم من هو خير منهم وابدلهم بى من هو شر منى فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله وكان عليه السلام اذا رأى ابن ملجم قال

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

وكان سبب قتله ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى والبرك بن عبد الله التميمى الصريمى وقيل اسم البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمى السعدى وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا امر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا اهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا انفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وارحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وكان من اهل مصر وقال البرك بن عبد الله انا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا ان لا ينكص احدهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله او يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التى يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقى اصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب وكان على قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقى معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل ابوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها اخذت قلبه فخطبها فقالت

عمالك الاسلام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهى جنة المرتاد فاحتووا على جنديسابور وقراها ولا يتراوماوا الاها واخاها وافيها علامات الحشر فادهشوا وعلها وسبوا اهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام ثم تنقلوا عن جنديسابور الى ولايات اندكان وقبا كش وخجند ومرغيان وكانت دار ملك ايلك خان ثم الى اطراف تركستان ثم الى نسف وانزار وبسغناق وهما من امهات البلاد فى تلك الآفاق فأخذوا وقتلوا ونهبوا أهلها ودكوا جبالها وسهلها وساووا الجبال والسهول قتلى واحاطوا بها فعفاهم البلا

فمشوا الى سهل الجبال ووعرها مشى الجراد على الحقيل الاخضر

فكأنهم موسى على شعر مشى أو منجل فوق الحصيد الاصفر

أو شعلة نار الهوى فتعلقت فوق الحصيد على الهشيم الاغبر

ثم ان الدواهى المصيبة فى رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وصلوا الى بخارا بلدة قضاها لا يجارى قبة الايمان وكرسى مملكة بنى سامان مجمع العلماء والصلحاء

فان يك نائبا فالقدناه * فهي ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة اتقوا ابن هذا العلي فقالت اني أنسى فاذا نسيت فذكروني وقال ابن أبي مياس المرادي

فنحن ضربنا يالك الخير حيدرا * أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف اذ علا وتجبرا
ونحن كرام في الصباح أعزة * اذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال أيضا

ولم ار مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بين عرب ومعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقال أبو الاسود الدؤلي في قتل علي

الا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثاني والمبينا
اذا استقبلت وجه أبي حسين * رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بأنك خيرها حسبا ودينا

وقال بكر بن حسان الباهري

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت للدين والاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم * وأعظم الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
قد كان يخبرهم هو بقتله * قبل المنية أزمانا فأزمانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
اني لاحسبه ما كان من انس * كلا ولكنه قد كان شيطانا
فلا عفا الله عنه سوء فعلته * ولا سقى قبر عمران بن حطانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أوردته لظى * وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

(ذكر مدة خلافته ومقدار عمره)

وقد قال بعضهم كانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل كان عمره تسعا وخمسين وقيل خمسا وستين وقيل ثمانيا وخمسين والاول أصح ولما قتل دفن عند مسجد

باهلها فاقعلوا بخارا ودوروا أسوارها مقدارا اثني عشر فرسخا فقس ما في ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما يبري الباري القلم ثم غاروا على جميع عراق العجم ولم يبقوا على ذي روح وقد انمحت من الوجود أمهات الامصار وشاهها البوار وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان يحصر ويضبط بحساب ودفتر فابيد كله وابير فالحكم لله العلي الكبير كل ذلك في أدنى مده واوهى رقده وماذكرذرة من طود وقطرة من بحور ثم ان جنكيزخان لما وصل الى بلاد خراسان مرض ورجع الى سمرقند ملكه المشؤم ايميل وقوقاق وقراقروم ولم يزل على ذلك حتى تسلم روحه الخبيثة مالك في رابع رمضان عام اربعة وعشرين وستمائة فكانت مدة ملكه تزيد على ثلاث وعشرين سنة وفي مسالك الابصار ان جنكيزخان لما أيس من الحياة وقنط من رحمة الله جمع جميع اولاده المشاركين له في فساده وهم (جغتاي واوكتاي وبوجان وكاكان واورخان وتولي خان) واوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الرعايا وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك

أخو يك العظيم حقهما عليك وتزين امرهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أي بني بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى مات رضي الله عنه وأرضاه وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات فلما قبض بعث الحسن الى ابن ملجم فاحضره فقال للحسن هل لك في خصلة اني والله قد أعطيت الله عهدا أن لا أعاهد عهدا الا وفيت به واني عاهدت الله عند الحطيم ان أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما فان شئت خليت بيني وبينه فلك الله علي ان لم أقتله ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك فقال له الحسن لا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله واخذه الناس فادرجوه في بوارى وأحرقوه بالنار قال عمرو بن الاصم قلت للحسن بن علي ان هذه الشيعة تزعم ان عليا مبعوث قبل القيامة فقال كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا انه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله اما قوله هذه الشيعة فلا شك انه يعني طائفة منها فان كل شيعة لا تقول هذا انما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهوري هذه الطائفة جابر بن يزيد الجعفي الكوفي وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه (بجرة بفتح الباء والجيم والبرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء وآخره كاف) واما البرك بن عبد الله فانه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضرب فيها علي فلما خرج معاوية ليصلي الغداة شد عليه بالسيف فوقع السيف في أليته فأخذ فقال ان عندي خبرا أسرك به فان أخبرتك فنافعي ذلك قال نعم قال ان أخا لي قد قتل عليا هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال بلى ان عليا ليس معه أحد يحرسه فامر به معاوية فقتل وبعث معاوية الى الساعدي وكان طبيبا فلما نظر اليه قال اختر اما أن احمي حديدة فاضعها موضع السيف واما أن اسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فان ضربتك مسمومة فقال معاوية أما النار فلا صبر لي عليها واما الولد فان في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد وهو اول من عملها في الاسلام وقيل ان معاوية لم يقتل البرك وانما أمر فقطعت يده ورجله وبقي الى ان ولي زياد البصرة وكان البرك قد صار اليها وولد له فقال له زياد يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له فقتله وصلبه وأما عمرو بن بكر فانه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة بن أبي حبيبة وكان صاحب شرطته وهو من بني عامر بن لؤي فخرج ليصلي بالناس فشد عليه وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذه الناس الى عمرو فسلموا عليه بالامرة فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتلت قالوا خارجة قال اما والله يا فاسق ما ظننته غيرك فقال عمرو أردتني واراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله قال ولما بلغ عائشة قتل علي قالت

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت من قتله فقيل رجل من مراد فقالت

طريق الى الى اقوه بالنطة اعض بها كفي وامعك مقلتي اقي النوم هذا ام تراه بيقظتي فأجاب الامام ما هذا محل الكلام كن عبد الارادة واتبع ما اراده واستقروا يشربون الخمور على صوت الزمور ثم ادخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا الهامر ابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب واوعية الربعات وصبوا فيها الشعير واطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فبددت الربعات المعظمة والمصاحف المكرمة تحت السنابك والحوافر ومواطئ اقدام كل كافر فلما استخلص ما عندهم من الاموال أمر بقتل الرجال واسر النساء والاطفال ثم امر بالنهب رهم لبلاد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فهما قال فعلوه فلم يبق منهم ديار ولا نافخ نار وقيل انه نجا من هذه الواقعة رجل واحد فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشأن كيف كان فقال لهم بذلك اللسان وصورته هذه امدند وكندند وسوختند وكشتند وبردند ورفتند أي جاءوا وهدموا وأحرقوا وارهقوا ونهبوا وذهبوا ثم توجهوا الى سمرقند وفعلوا

ما كان وذكر

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلى على بيت المال فدخل على يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال من أين لها هذه لاقطعن يدها فلما رأى ابو رافع جده فى ذلك قال انا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال على لقد تزوجت بفاطمة ومالى فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالى خادم غيرها قال ابن عباس قسم على الناس خمسة أجزاء فكان لعلى منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم على فيه فكان أعلاهم به وقال احمد بن حنبل ما جاء لاحد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء لعلى وقال عمرو بن ميمون لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة فى الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال ان يولوها الاجلح يسلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته قال اكره ان أتحملها حيا وميتا وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على على مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا امراء الاسباع واقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا وقال هرون بن عنترة عن أبيه دخلت على على بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك فى هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما ارزأكم شيأ وما هى الا قطيفتى التى اخرجتها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل على عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت ام كلثوم بنت على الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج على واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فأخبره فأرسل الى ام كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليها فأخذها منها ثم قسم الجميع قيل وخرج من همذان فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا يا غوثاه بالله فخرج يحضر نحوه وهو يقول اتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال يا امير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطينى مغموزا ولا مقطوعا وكان شرطهم يومئذ فأتانى بهذه الدراهم فأبيت ولزمته فلطمنى فقال للاطم ما تقول فقال صدق يا أمير المؤمنين فقال اعطه شرطه فأعطاه وقال للملطوم اقتص قال او اعفو يا امير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يا معشر المسلمين خذوه فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما انتهكت من حرمته ولما قتل على عليه السلام قام ابنه الحسن خطيبا فقال لقد قتلتم الليلة رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى وفيها قتل يوشع بن نون والله ما سبقه احد كان قبله ولا يدركه احد يكون بعده والله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة فى جراب وقيل انه اخرج سيفا له الى السوق فباعه وقال لو كان عندى أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وكان لا يشترى

ودخلوا النار وشربوا السموم والقاصر المذاب فلما عاين هلاكو رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم ملة الاسلامية وأهلها وكان سبب هلاكه علة الصرع فكان يعتريه فى اليوم الواحد مرارا فرض ولم يزل ضعيفا نحو شهرين وكانت وفاته فى سابع ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة فى بلد مراغة ونقل الى قلعة تلمش من اعمال سلماس فدفن بها وبنى عليه قبة وكان عمره نحو ستين سنة وخلف من الاولاد سبعة عشر ذكرا وولى الملك بعده ولده (ابغا) وقيل أخوه (قبلاى) فاستقرت أيامه الى أن توفى ببلاد همذان سنة خمس وتسعين وستمائة وكان كرسى مملكته مدينة مالبق أم بلاد الخطا وكان مدة ملك قبلاى اثنتين وثلاثين سنة وملك بعده أخوه (أحمد بن هلاكو) وكان اسمه تكدار فأظهر دين الاسلام وتسمى بأحمد فقتل فى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وستمائة وملك بعده (أرغون ابن ابغا) وكانت مدة ملكه نحو سبع سنين ولما هلك ملك بعده اخوه (كيختو ابن ابغا) وكان ينسب الى الفواحش من اللواط والفسق واستمر حتى قتل فى ربيع الآخر سنة اربع وتسعين وستمائة وملك بعده (بيدو بن طوغاى بن هلاكو) فلما بلغ غازان وهو بخراسان جلوس بيدو على سرير الملك جمع من اطاعه وسار الى قتال بيدو وكان

الجماعة وقيل في القصر وقيل غير ذلك والاصح ان قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرك به

﴿ ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده ﴾

كان آدم شديد الادمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر وهو الى القصر أقرب وقيل كان فوق الربعة وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه كثير التبسم * واما نسبه فهو علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف وهو اول خليفة أبواه هاشميان ولم يل الخلافة الى وقتنا هذا من أبواه هاشميان غيره وغير الحسن ولده ومحمد الامين فان أباه هرون الرشيد وامه زبيدة بنت جعفر بن المنصور وأما أزواجه فاول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده وكان له منها الحسن والحسين وقد ذكر انه كان له منها ابن آخر يقال له محسن وانه توفي صغيرا وزينب الكبرى وام كلثوم الكبرى ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حرام الكلابية فولدت له العباس وجعفرا وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف ولا بقية لهم غير العباس وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية فولدت له عبيد الله وأبا بكر قتلا مع الحسين وقيل ان عبيد الله قتله المختار بالمذار وقيل لا بقية لهما وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له محمدا الاصغر ويحيى ولا عقب لهما وقيل ان محمدا لام ولد وقتل مع الحسين وقيل انها ولدت له عونا وله من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهي من السبي الذين أغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر وولدت له عمر بن علي ورقية بنت علي فعمر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي ومات بينبع وتزوج علي امامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمدا الاوسط وله محمد بن علي الاكبر الذي يقال له ابن الحنفية أمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة وتزوج علي أيضا أم سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم وكان له بنات من أمهات شتى لم يذكر لنا منهن أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة كلهن من أمهات أولاد وتزوج أيضا محياة بنت امرئ القيس بن عدي الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة كانت تخرج الى المسجد فيقال لها من اخوالك فتقول وه وه تعني كلبا فجميع ولده أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة امرأة وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية

﴿ ذكر عماله ﴾

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عباس وقد ذكرنا الاختلاف في أمره وكان اليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها وكان على قضائها من قبل علي أبو الاسود الدئلي وكان على فارس زياد وقد ذكرنا مسيره اليها وكان على اليمن عبيد الله بن عباس حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبي ارطاة ما ذكر وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قثم بن عباس وكان على المدينة أبو أيوب الانصاري وقيل سهل بن حنيف وكان عند قدوم بسر عليه من أمره

واوصى بالتخت لولده الصغير تولى خان واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن واغار تولى خان على بقية ممالك الاسلام وغيرهم ثم أتبع خير الانام فلما هلك ملك مكانه ولده (هلاكو بن تولى خان) والعامة يقولون هلاوون على وزن قلاوون وهو من أعاظم ملوك التتار وكان حازما شجاعا ذا سطوة عظيمة وهو على قاعدة أسلافه في عدم التقيد بدين وانما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت واستولى هلاكو المذكور على عراق العرب والعجم والموصل والجزيرة وديار بكر والروم والشام وغيرها واباد ملوكها ذكر الذهبي في تاريخه ان هلاكو سفك دم ألف ألف أو يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان يجمعوا ويحصوا سوء أفعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام لان الكفار المغولية مالوا الى دين المجوسية فانقادوا اليهم وقصدوا الممالك الاسلامية بالسوء ذكر البيضاوي في تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض أوليائه بفيض فضله ان يظهروا من كرامات العهد بعده هلاكو منهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندي قدس الله سرهما فضروا عنده هلاكو

بدري شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي خلافته مات أبو لبابة بن عبد المنذر الانصاري وكان نقيبا شهد بدرا وقيل بل استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وردّه من طريق بدر وضرب له بسهمه * وفيها توفي معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي له صحبة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم وكان مجذوما واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وكان معه الخاتم أيام عثمان فمن يده وقع الخاتم وقيل انه توفي آخر خلافة عثمان

* ثم دخلت سنة احدى واربعين *

* (ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة الى معاوية) *

كان أمير المؤمنين علي قد بايعه اربعون ألفا من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن اهل الشام فبينما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام واذا أراد الله أمرا فلا مرد له فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية في أهل الشام اليه فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليا وسار عن الكوفة الى لقاء معاوية وكان قد نزل مسكن فوصل الحسن الى المدائن وجعل قيس بن سعد بن عبادة الانصاري على مقدمته في اثني عشر الفا وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس فجعل عبد الله على مقدمته في الطلائع قيس بن سعد بن عبادة فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد في العسكر الا ان قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطا كان تحته فازداد لهم بغضا ومنهم ذعرا ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان الامير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن ابي عبيد فقال له المختار وهو شاب هل لك في الغنى والشرف قال وماذاك قال تستوثق من الحسن وتستأمن به الى معاوية فقال له عمه عليك لعنة الله اثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثقه بئس الرجل أنت فلما رأى الحسن تفرق الامر عنه كتب الى معاوية وذكر شروطا وقال له ان انت اعطيتني هذا فانا سامع مطيع وعليك ان تفي لي به وقال لاخيه الحسين وعبد الله بن جعفر اني قد راسلت معاوية في الصلح فقال له الحسين انشدك الله أن لا تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة ابيك فقال له الحسن اسكت أنا اعلم بالامر منك فلما انتهى كتاب الحسن الى معاوية امسكه وكان قد ارسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس الى الحسن قبل وصول الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فهو لك فلما اتت الصحيفة الى الحسن اشترط اضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وامسكها عنده فلما سلم الحسن الامر الى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التي في الصحيفة التي ختم عليها معاوية فأبى ذلك معاوية وقال له قد اعطيتك ما كنت تطلب فلما اصطلحا قام الحسن في اهل العراق فقال يا أهل العراق انه سخى بنفسي عنكم ثلاث قتلكم ابي وطعنكم اياي وانتهابكم متاعي وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف الف وخراج دارابجرد من فارس وان لا يشتم عليا فلم يجبه الى الكف عن شتم علي فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضا وأما خراج دارابجرد فان أهل البصرة منعوه منه وقالوا هو فيئنا لا نعطيه أحدا وكان

واستمروا يقتلون ويأسرون منهم ما شاؤا واستمروا يطاردونهم الى قريب الفرات كما مر ولم تطل مدة غازان بعد ذلك حتى هلك في سنة ثلاث وسبعمائة بنواحي الري فكانت مدة ملكه ثماني سنين وعشرة أشهر وملك بعده اخوه (خدابنده) ابن ارغون بن ابغا بن هلاكو الى ان هلك في سابع عشري رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة وتولى بعده (أبو سعيد) وعمره اذ ذاك فوق عشر سنين وبقي الملك لاتابكه واستمر ذلك الى سنة سبع وعشرين وسبعمائة ولم يصل الينا خبر من تولى بعده اتفق المؤرخون على انه لم يبق من بني هلاكو من تحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن تخاطب الاختفاء بنفسه تخفى نسبه واستمرت بعض الفتن منهم تثور وتغور الى ان نبغ الاعرج تيمور فأهلك الحرث والنسل واختلط الملح بالعسل وحصل بالعالم البأس وفسدت احوال الناس

(الباب الثالث والاربعون في ذكر تيمور وما فعله من مفاسد الامور) *

وهو أحد الدجالين الموعودين في الاخبار النبوية ان يخرج على جميع البلاد الاسلامية ذكر صاحب المنتخب له نسبا يتصل به الى جنكزخان من جهة النساء وكان رجلا ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الهيبة والرأي من شديد القوة والبأس

من يعرفه واذا اشترى قميصا قدر كمه على طول يده وقطع الباقي وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني الا ما اعلم وقال الشعبي وجد علي درعاله عند نصراني فأقبل به الى شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمي مسلما لساويته وقال هذه درعي فقال النصراني ماهي الا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلي ألك بينة قال لا وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام الانبياء أمير المؤمنين قدمني الى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت من علي عند مسيره الى صفين ففرح علي باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج وقيل ان عليا رؤي وهو يحمل في ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له يا امير المؤمنين الا نحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر ازهد الناس في الدنيا علي بن ابي طالب وقال المدائني نظر علي الى قوم ببابه فقال لقنبر مولاه من هؤلاء قال شيعتك يا أمير المؤمنين قال ومالي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وماسيماهم قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكاء ومناقبه لاتحصى قد جمعت قضاياه في كتاب مفرد

❁(ذكر بيعة الحسن بن علي)❁

وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع الحسن بن علي بعد قتل أبيه وأول من بايعه قيس بن سعد الانصاري وقال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس وكان الحسن يشترط عليهم انكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا بذلك وقالوا ماهذا لكم بصاحب ومايريد هذا الا القتال

❁(ذكر عدة حوادث)❁

حج بالناس هذه السنة المغيرة بن شعبة وافتعل كتابا على لسان معاوية فقال انه عرف يوم التروية ونحر يوم عرفة خوفا ان يفطن لفعله وقيل فعل ذلك لانه بلغه ان عتبة بن أبي سفيان مصبحه واليا على الموسم وفيها بويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس وكان قبل ذلك يدعى بالامير في بلاد الشام فلما قتل علي دعي بأمير المؤمنين هكذا قال بعضهم وقد تقدم انه بويع بالخلافة بعد اجتماع الحكمين والله أعلم وكانت خلافة الحسن ستة أشهر وفيها مات الاشعث بن قيس الكندي بعد قتل علي بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي وفيها مات حسان بن ثابت وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من الصحابة وفيها مات شرحبيل بن السمط الكندي وهو من أصحاب معاوية قيل له صحبة وقيل لاصحبة له وفي أول خلافة علي مات جهجاه الغفاري له صحبة ❁ وفيها مات الحرث بن خزيمة الانصاري شهد بدرا وأحدا وغيرهما ❁ وفيها مات خوات بن جبير الانصاري بالمدينة وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر فرجع لعذر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وهو صاحب ذات النحيين وفي خلافة علي مات قرظة بن كعب الانصاري بالكوفة وقيل بل مات في امارة المغيرة على الكوفة لمعاوية شهد أحدا وغيرها وشهد سائر المشاهد مع علي ومات معاذ بن عفراء الانصاري في أول خلافة علي وهو

مع غازان اتابكه نيروز وهو الذي يجمع الناس على طاعة غازان فلما تقارب الجمعان علم غازان انه لاطاقة له ببيدو فتراسلا واصطلحا ورجع غازان الى خراسان وأقام نيروز عند بيدو وأخذ في استمالات قلوب المغل الى غازان فلما استوثق نيروز من المغل كتب الى غازان وأمره بالحركة فتحرك غازان ثانيا وبلغ بيدو حركته فقال لنيروز في ذلك فقال نيروز ارسلني لاربط غازان وأرسله اليك فحلفه بيدو على ذلك فخالف نيروز وسار الى غازان وعمد نيروز الى قدر والقدر باسمها بالتركي غازان فوضع قدرا في جوالق وربطه وأرسله الى بيدو ووفاء بيمينه والتقى الجمعان بنواحي همذان فقتل بيدو هنالك وكان مقتله في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة فكانت مدة ملك بيدو نحو ثمانية أشهر وتولى مكانه (غازان بن ارغون بن ابغا ابن هلاكو) وقتل اتابكه نيروز وأقام موضعه قطلوشاه وفي سنة تسع وتسعين وستمائة سار غازان المذكور الى الشام وملكها ولم يملك قلعتها وكر راجعا الى بلاده وأقام نوابه بالشام ثم خرجت العساكر المصرية لقتال التاتار فلما بلغهم ذلك تركوا المدينة وساروا الى بلادهم فلما بلغ غازان ذلك ارسل اتابكه قطلوشاه مع عساكر التاتار الى الشام وكانت الوقعة بين الصفين والكسوة فنصر الله تعالى المسلمين وولت التاتار منهزمين

عبد الله بن عباس لما علم بما يريده الحسن من تسليم الامر الى معاوية كتب الى معاوية يسأله الامان لنفسه على ما أصاب من مال وغيره فأجابه الى ذلك وأرسل عبد الله بن عامر في جيش كثيف فخرج اليهم عبيد الله ليلا وترك جنده الذين هو عليهم بغير امير وفيهم قيس بن سعد فامر ذلك الجند عليهم قيس بن سعد وتعاقدوا وهم على قتال معاوية حتى يشترط الشيعة على وان كان معه على دمائهم وأموالهم وقيل ان قيسا كان هو الامير على ذلك الجيش في المقدمة على ما ذكرنا وكان شديد الكراهة لامارة معاوية بن أبي سفيان فلما بلغه ان الحسن بن علي صالح معاوية اجتمع معه جمع كثير وبايعوه على قتال معاوية حتى يشترط الشيعة على على دمائهم وأموالهم وما كانوا اصابوا في الفتنة فراسله معاوية يدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على اسفله وقال له اكتب في هذا ما شئت فهو لك فقال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا وقاتله فقال معاوية على رسلك فانا لا نخلص الى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك فاني والله لا أقاتله ابدا حتى لا اجد من قتاله بدا فلما بعث اليه معاوية ذلك السجل اشترط قيس له وللشيعة على الامان على ما اصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل في سجله ذلك مالا واعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال انهم ذوو رأي العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل الخزاعي وكان قيس وابن بديل مع علي وكان المغيرة معتزلا بالطائف ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه سعد بن ابي وقاص فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا امير المؤمنين فقال اتقولها جذلان ضاحكا والله ما أحب اني وليتها بما وليتها به

❁(ذكر خروج الخوارج على معاوية)❁

قد ذكرنا فيما تقدم اعتزال فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة من الخوارج ومسيرهم الى شهرزور وتركوا قتال علي والحسن فلما سلم الحسن الامر الى معاوية قالوا قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى حلوا بالنخيلة عند الكوفة وكان الحسن بن علي قد سار يريد المدينة فكتب اليه معاوية يدعوه الى قتال فروة فلحقه رسوله بالقادسية او قريبا منها فلم يرجع وكتب الى معاوية لو آثرت ان اقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فاني تركتك لصلاح الامة وحقن دمائها فأرسل اليهم معاوية جمعا من أهل الشام فقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لاهل الكوفة والله لا امان لكم عندي حتى تكفوهم فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم فقالت لهم الخوارج اليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فان أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا فقالوا لا بد لنا من قتالكم فأخذت أشجع صاحبهم فروة فحادثوه ووعظوه فلم يرجع فأخذوه قهرا وأدخلوه الكوفة فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء رجلا من طيء فقاتلهم أهل الكوفة فقتلوهم في ربيع الاول وقيل في ربيع الآخر وقتل ابن أبي الحوساء وكان ابن أبي الحوساء حين ولي امر الخوارج قد خوف من السلطان ان يصلبه فقال

ما ان أبالي اذا أرواحنا قبضت ❊ ماذا فعلتم بأوصال وأشبار

وقد ربط بطرف حبل عنق الماعز وربط عنقه بالطرف الآخر وجعل يتشحط على عصا من جريد حتى دخل كما يدخل على الشيخ المريد فصادفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر فلا زال قائما في صف النعال حتى أفاقوا من حالهم وسكتوا عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع الى تقبيل يديه وانكب على رجليه فتفكر الشيخ ساعة ثم رفع رأسه الى الجماعة وقال كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه واستفدنا في طلب ما لا يساوي عند الله جناح بعوضة فترى ان نعده ولا نحرمه ولا نرده فأمدوه بالدعاء اسعافا لما طلبه فاشبهت قصته قصة ثعلبة ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعد ما عرج الى ما عرج ولما قدم خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي وانكب على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه فقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لخلته ارتض ولقد تصورت ان السماء قد وقعت على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جالس بين يديه وقال يا مولانا

منهم بأمر معاوية أيضا وتسلم معاوية الامر لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى وقيل انما سلم الحسن الامر الى معاوية لانه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة اليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال انا والله ما يثنينا عن أهل الشأم شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشأم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم الا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره واما الباقي فخاذل واما الباكي فثائر الا وان معاوية دعانا الامر ليس فيه عز ولا نصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلناه واخذنا لكم الرضا فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وأمض الصلح ولما عزم على تسليم الامر الى معاوية خطب الناس فقال أيها الناس انما نحن امراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس الا من بكى حتى سمع نشيجه فلما ساروا الى معاوية في الصلح فاصطلحا على ما ذكرناه وسلم اليه الحسن الامر وكانت خلافة الحسن على قول من يقول انه سلم الامر في ربيع الاول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى قول من يقول في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيأ وعلى قول من يقول في جمادى الاولى يكون سبعة أشهر وشيأ والله تعالى أعلم ولما اصطلحا وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس وكتب الحسن الى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفا يأمره بالدخول في طاعة معاوية فقام قيس في الناس فقال أيها الناس اختاروا الدخول في طاعة امام ضلالة أو القتال مع غير امام فقال بعضهم بل نختار الدخول في طاعة امام ضلالة فبايعوا معاوية أيضا فانصرف قيس فيمن تبعه على ما نذكره ولما دخل معاوية الكوفة قال له عمرو بن العاص ليأمر الحسن ان يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيه فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم فقام فحمد الله بديهة ثم قال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فلما قاله قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة قيل للحسن ما حملك على ما فعلت فقال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غلب ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر لقد لقي أبي منهم أمورا عظاما فليت شعري لمن يصلحون بعدي وهي أسرع البلاد خرابا ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له يا مسود وجوه المسلمين فقال لا تعذلني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك فأنزل الله عز وجل انا أعطيناك الكوثر وهو نهر في الجنة وانا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية

﴿ ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد ﴾

وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد وكان قيس امتنع من ذلك وسبب امتناعه ان

أبيض اللون مشربا بحمرة عظيم الاطراف عريض الاكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج اليمنى وعيناه كشمعتين جهير الصوت لا يهاب الموت وكان من أبهته وعظمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم بالخطبة والسكة كانوا اذا قدموا عليه وقدموا اليه الهدايا والتقاديم يجلسون على اعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر ممن يراد فانه واذا أراد منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادي ذلك الواحد باسمه فينهض في الحال ويعدو نحوه وكان بدو أمره وخروجه في حدود الستين وسبعمائة وهو من قرية تسمى خواجه ايلغار من اعمال الكش وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر وعن سمرقند نحو من ثلاثة عشر ميلا ذكر انه لما ولد وسقط على الارض ذلك السقيط كانت كفاه مملوأتين من الدم العبيط فقال بعضهم يكون شريرا وقال بعض ينشأ لصا وقال قوم يكون قصابا سفاكا وقال آخرون بل يصير جلادا فتاكا وكان ابوه رجلا فقيرا اسكافا وهو نشأ شابا جلدا لكنه من القلة كان يتحرم ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها فشعر به الراعي فضربه بسهمين اصاب باحدهما فخذه فاخطلها وبالاخرى كتفه فأبطلها فازداد كسرا على فقره ولوما على شره ولم يملك سوى ثوب قطن فباعه واشترى بثمنه راس ماعز وقصد الشيخ شمس الدين عميد

قال يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة

﴿ ذكر خروج أبي مريم ﴾

ثم خرج أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة وكان أول من أخرج معه النساء فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية فقال قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام وسأردهما فردهما فوجه اليه المغيرة جابرا البجلي فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه ببادوريا

﴿ ذكر خروج أبي ليلى ﴾

وكان أبو ليلى رجلا اسود طويلا فأخذ بعضادتي باب المسجد بالكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالي فبعث فيه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين

﴿ ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة فأتاه المغيرة بن شعبة فقال له استعملت عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون امرا بين نابي الاسد فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة وبلغ عمرا ما قال المغيرة فدخل على معاوية فقال استعملت المغيرة على الخراج فيغتال المال ولا تستطيع ان تأخذه منه استعمل على الخراج رجلا يخافك ويتقيك فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وكان يكثر سب علي على منبر الري وبقي عليها الى ان ولي زياد الكوفة فأقره عليها وغزا الديلم ومعه عبد الله بن الحجاج التغلبي وقتل ديلميا وأخذ سلبه فأخذه منه كثير فناشده الله في رده عليه فلم يفعل فاختفى له وضربه على وجهه بالسيف أو بعصا هشم وجهه فقال

من مبلغ ابناء خندف انني * ادركت ظلامتي من ابن شهاب
أدركته ليلا بعقوة داره * فضربته قدما على الانياب
هلا خشيت وأنت عاد ظالم * بقصور ابهر اسرتي وعقابي

﴿ ذكر ولاية بسر على البصرة ﴾

في هذه السنة ولي بسر بن ابي ارطاة البصرة وكان السبب في ذلك ان الحسن لما صالح معاوية أول سنة احدى وأربعين وثب حمران بن ابان على البصرة فأخذها وغلب عليها فبعث اليه معاوية بسر بن ابي ارطاة وأمره بقتل بني زياد بن ابيه وكان زياد على فارس قد أرسله اليها علي ابن ابي طالب فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشتم عليا ثم قال نشدت الله رجلا يعلم اني صادق الا صدقني أو كاذب الا كذبني فقال ابو بكرة اللهم انا لا نعلمك الا كاذبا قال فأمر به فخنق فقام ابو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه واقطعه ابو بكرة مائة جريب وقيل لابي بكرة ما حملك على ذلك فقال يناشدنا بالله ثم لا نصدقه وأرسل معاوية الى زياد ان في يدك مالا من مال الله فأد ما عندك منه فكتب اليه زياد انه لم يبق عندي شيء ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه واستودعت بعضه لنازلة ان نزلت وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمة الله عليه فكتب اليه معاوية أن اقبل ننظر فيما وليت فان استقام بيننا امر والا رجعت الى مأمنك فامتنع فأخذ

حتى استصفى ممالك ما وراء النهر وذلت لاوامره جوامع الدهر وشرع في استخلاص البلاد واسترقاق العباد فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بني آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد ومن رأيه انه صاهر المغل وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج بنت ملكهم قمر الدين خان فامن شرهم وكفي ضرهم ثم أرسل الى محمد ومعه سلطان هراة الملك غياث الدين الذي كان مغيثه عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها وطلب منه الدخول في طاعته فأرسل غياث الدين يقول صحبة الرسول اما كنت خادما لي وأحسنت اليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الى الوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحسب ان يكون له بذلك منعة فأمنه وقبض عليه واحتاط على ملك يديه وكان حلف ان لا يريق له دما ولكن قتله في البلبس جوعا وظما ثم عاد

تجرى المجرة والنسران عن قدر * والشمس والقمر السارى بمقدار
وقد علمت وخير القول انفعه * ان السعيد الذى ينجو من النار

﴿ ذكر خروج حوثرة بن وداع ﴾

ولما قتل ابن ابى الحوساء اجتمع الخوارج فولوا امرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الاسدى فقام فيهم وعاب فروة بن نوفل اشكه فى قتال على ودعا الخوارج وسار من براز الروز وكان بها حتى قدم النخيلة فى مائة وخمسين وانضم اليه فل ابن أبى الحوساء وهم قليل فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له اخرج الى ابنك فلعله يرق اذا رآك فخرج اليه وكلمه وناشده وقال الا أجيئك بابنك فلعلك اذا رأيته كرهت فراقه فقال انا الى طعنة من يد كافر برمح اتقلب فيه ساعة اشوق منى الى ابنى فرجع أبوه فأخبر معاوية بقوله فسير معاوية اليهم عبد الله بن عوف الاحمر فى ألفين وخرج أبو حوثرة فيمن خرج فدعا ابنه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى سعة وقاتلهم ابن عوف وصبروا وبارز حوثرة عبد الله بن عوف فطعنه ابن عوف فقتله وقتل أصحابه الا خمسين رجلا دخلوا الكوفة وذلك فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود وكان صاحب عبادة فندم على قتله وقال

قتلت أخا بنى أسد سفاها * لعمر أبى فما لقيت رشدى
قتلت مصليا محيا الليل * طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت أخا تقى لانال دنيا * وذاك لشقوتى وعثار جدى
فهب لى توبة يارب واغفر * لما قارفت من خطا وعمد

﴿ ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله ﴾

ثم ان فروة بن نوفل الاشجعى خرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية فوجه اليه المغيرة خيلا عليها شبث بن ربعى ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله وقيل قتل ببعض السواد

﴿ ذكر شبيب بن بجرة ﴾

كان شبيب مع ابن ملجم حين قتل عليا فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمتقرب اليه فقال انا وابن ملجم قتلنا عليا فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله وبعث الى أشجع وقال لئن رأيت شبيبا أو بلغنى انه ببابى لاهلكنكم أخرجوه عن بلدكم وكان شبيب اذا جن عليه الليل خرج فلم يلق أحدا الا قتله فلما ولى المغيرة الكوفة خرج عليه بالطف قريب الكوفة فبعث اليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفطة وقيل معقل بن قيس فاقتتلوا فقتل شبيب وأصحابه

﴿ ذكر معين الخارجى ﴾

وبلغ المغيرة ان معين بن عبد الله يريد الخروج وهو رجل من محارب وكان اسمه معنا فصغر فأرسل اليه وعنده جماعة فأخذ وحبس وبعث المغيرة الى معاوية يخبره امره فكتب اليه ان شهد انى خليفة فخل سبيله فأحضره المغيرة وقال له اتشهد ان معاوية خليفة وانه امير المؤمنين فقال أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فأمر به فقتل قتله قبيصة الهلالى فلما كان أيام بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة حتى خرج فقتله ولم يعرف قاتله حتى خرج قاتله مع شبيب بن يزيد فلما قدم الكوفة

الشيخ لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وان لا يميلوا الى الجور والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم بذلك فلم يأتمروا فسلطناك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبة وهو قائل ملكت الدنيا ورب الكعبة فانه كان يقول بجميع ما نلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخورى وهمة الشيخ زين الدين الخوافى والسيد محمد بركة وكان من أمره انه هو ورفقاؤه كانوا يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر حتى شهر بهم السلطان حسين حاكم هراة فظفر به فبعد ضربه امر بصلبه وكان للسلطان ولد رأيا غير متين يدعى الملك غياث الدين فشفع فيه واستوهبه من أبيه فقال له أبوه هذا يجتاى حرامى مادة الفساد ائن أبقيته ليهلكن البلاد والعباد فقال له ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد أصيب بالدواهى ورمى فوهبه اياه فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرى قرحه فكان فى خدمته فقربه وزوجه بشقيقته ثم انه غاضبها فى بعض الايام فقتلها ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان والتمرد والطغيان الى ان كان من أمره ما كان

(ذكر خروج سهم بن غالب)

وفي هذه السنة خرج سهم بن غالب الهجيمي على ابن عامر في سبعين رجلا منهم الخطيم الباهلي وهو يزيد بن مالك وانما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه فنزلوا بين الجسرين والبصرة فمر بهم عبادة بن فرص الليثي من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه فقال لهم من أنتم قالوا قوم مسلمون قالوا كذبتم قال عبادة سبحان الله اقبلوا مني ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مني فاني كذبته وقاتلته ثم اتيته فأسلمت فقبل ذلك مني قالوا أنت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه فخرج اليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدة وانحاز بقيتهم الى اجمة وفيهم سهم والخطيم فعرض عليهم ابن عامر الامان فقبلوه فأمنهم فرجعوا فكتب اليه معاوية يأمره بقتلهم فكتب اليه ابن عامر اني قد جعلت لهم ذمتك فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سهم والخطيم فخرجا الى الاهواز فاجتمع الى سهم جماعة فأقبل بهم الى البصرة فأخذوا قوما فقالوا نحن يهود فخلاهم وقتل سعدا مولى قدامة بن مظعون فلما وصل الى البصرة تفرق عنه أصحابه فاختفى سهم وقيل انهم تفرقوا عند اختفائه فطلب الامان وظن انه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر فلم يؤمنه زياد وبحث عنه فدل عليه فأخذه وقتله وصلبه في داره وقيل لم يزل مستخفيا الى ان مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين وقيل قبل ذلك فقال رجل من الخوارج

فان تكن الاحزاب باؤا بصلبه ＊ فلا يبعدن الله سهم بن غالب

وأما الخطيم فانه سأله زياد عن قتل عبادة فأنكر فسيره الى البحرين ثم أعاده بعد ذلك

(ذكر عدة حوادث)

قيل وفي هذه السنة ولد علي بن عبد الله بن عباس وقيل ولد سنة أربعين قبل ان يقتل علي والاول أصح وباسم علي سماه وقال سميته باسم أحب الناس الي وحج بالناس هذه السنة عتبة ابن ابي سفيان وقيل عنبسة بن ابي سفيان وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع ابن عبد قيس وهو ابن خالة عمرو على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح في سنة اثنتين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح في سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهي من برقة وافتتح عامة بلاد بربر وهو الذي اختط القيروان سنة خمسين وسيذكر ان شاء الله تعالى وفيها مات لبيد بن ربيعة الشاعر وقيل مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة وقيل مات في خلافة عثمان وله صحبة وترك الشعر مذ أسلم

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين)

في هذه السنة غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا فهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفيها ولد الحجاج بن يوسف في قول وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى خالد بن العاص بن هشام مكة فاستقضى مروان عبد الله بن الحرث بن نوفل وكان على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى قضائها شريح وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر وقيل استعمله معاوية لما استقامت له الامور فلما ولي ابن عامر البصرة أقره عليها

فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهامية فقال انا فاتح هذه المدينة والقلعة في ثمانية عشر يوما وكانوا قد حصنوا المدينة والقلعة فأقام في محاصرتها وفتحها في اليوم الثامن عشر وذلك بعد ان حلف لاهل البلدان لا يريق دماءهم وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمتهم وحرمهم فلما دخل المدينة ربطهم في الرباق سربا وحفر لهم في الارض سربا والقاهم احياء في تلك الاخاديد وعدد من ألقي في تلك الحفر كان ثلاثة آلاف نفس ثم اطلق النهب للنهاب واتبع الاسر والخراب واغمدت مراسم نقوشها فهي خاوية على عروشها ولما استوفى سواس حصادها وعيها فوق سهام الانتقام الى نحو الممالك الشامية كالجراد المنتشر فوصل اليها وقتل وقتل وفعل فعلته التي فعل وقد ذكرته مفصلا في ذكر فرج ابن برقوق ولم يتعاط منهم أحد جسر يعقوب فرجع الى طريقته العوجاء حتى وصل الى الموصل وهو يمحو آثار الاسلام ثم توجه الى مدينة بغداد فلما سمع السلطان أحمد ذلك استناب مكانه نائبا ولحق بوالي سلطان الروم بايزيدخان فاخذها عنوة يوم عيد

بسر أولاد زياد الا كابرمنهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد وكتب الى زياد انقدمن على أمير المؤمنين أولا قتلن بنيك فكتب اليه زياد انت بارحامن مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك وان قتلت ولدى فالمصير الى الله ومن ورائنا الحساب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فأراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال قد أخذت ولد أخى بلا ذنب وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله اياما حتى يأتيه بكتاب معاوية فركب ابو بكرة الى معاوية وهو بالكوفة فلما اتاه قال له يا معاوية ان الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الاطفال قال وماذا ك يا ابا بكرة قال بسر يريد قتل بنى اخى زياد فكتب له بتخليتهم فأخذ كتابه الى بسر بالكف عن اولاد زياد وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد وقد اخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون ابا بكرة اذ رفع لهم على نجيب او برذون يكده فوقف عليه ونزل عنه والاح بثوبه وكبر وكبر الناس معه فاقبل يسعى على رجليه فأدرك بسرا قبل ان يقتلهم فدفع اليه كتاب معاوية فأطلقهم وقد كان معاوية كتب الى زياد حين قتل علي يتهدده فقام خطيبا فقال العجب من ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق ورئيس الاحزاب يتهددنى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس والحسن بن علي فى سبعين ألفا واضعى سيوفهم على عواتقهم اما والله ان خلص الى ليجدنى أحمز ضرابا بالسيف فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تحصن زياد فى القلعة التى يقال لها قلعة زياد * قول من قال فى هذا ان زيادا عنى ابن عباس وهم لان ابن عباس فارق عليا فى حياته وقيل ان معاوية أرسل هذا الى زياد فى حياة علي فقال زياد هذه المقالة وعنى بها عليا وكتب زياد الى علي يخبره بما كتب اليه معاوية فأجابه بما هو مشهور وقد ذكرناه فى استلحاق معاوية زيادا (كل ما فى هذا الخبر بسر فهو بضم الباء الموحدة والسين المهملة الساكنة)

﴿ ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية ﴾

ثم اراد معاوية ان يولى عتبة بن أبي سفيان البصرة فكلمه ابن عامر وقال له ان لى بالبصرة ودائع وأموالا فان لم توانى عليها ذهبت فولاه البصرة فقدمها فى آخر سنة احدى واربعين وجعل اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن يثربى اخا عمرو وقد تقدم فى وقعة الجمل ان عميرة قتل فيها وقيل عمرو وهو المقتول والله سبحانه اعلم بالصواب

﴿ ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان ﴾

وفى هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمى على خراسان وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج قد نكثوا فسار الى بلخ فأخرب نوبهارها وكان الذى تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بنى ليث وهو الخشك وانما سمى عطاء الخشك لانه اول من دخل مدينة هراة من المسلمين من باب خشك واتخذ قناطر على ثلاثة انهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء ثم ان اهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة فصالحهم قيس وقيل انما صالحهم الربيع بن زياد سنة احدى وخمسين وسيرد ذكره ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الامان والصلح فصالحهم وحمل الى ابن عامر مالا (عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة)

الى خراسان ونوى الانتقام من اهل سجستان فوضع السيف فيهم وافناهم عن بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ولا عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم أصيب ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرمانى ان الذين تخلصوا من القتل من اهل سجستان هزيمة لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا ان يجمعوا بها فضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه ولما خلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم بالاذعان فيروزشاه سلطان الهند انتقل الى رحمة الله ولم يكن له ولد خليفة فسعى ان يتولى تلك الوظيفة فوصل اليها وقتل اقيالها وتسلم اقبالها وقد وفد عليه المبشر بأن أحد حاكم سيواس والملك الظاهر برقوق حاكم مصر والشام انتقلا الى دار السلام فسر بذلك صدره وانشرح وكاد ان يطير نحوهما من الفرح فأقام فى الهند ناقبا وتوجه نحو مدينة سيواس وكان بعد وفاة واليها استولى عليها الامير سليمان بن السلطان بايزيد يلدرم خان ابن مراد خان بن عثمان خان

اليه معاوية بامانه بعد عود المغيرة عنه فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني وسرح عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم في جماعة الى فارس وقال لعلك تلقى زيادا في طريقك فتأخذه فسار ابن خازم فلقي زيادا بارجان فاخذ بعنانه وقال انزل يا زياد فقال له المنجاب تنح يا ابن السوداء والا علقت يدك بالعنان وكانت بينهم منازعة فقال له زياد قد أتاني كتاب معاوية وامانه فتركه ابن خازم وقدم زياد على معاوية وسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها الى علي وبما أنفق منها في الوجوه التي تحتاج الى النفقة وما بقي عنده وانه مودع للمسلمين فصدقه معاوية فيما انفق وفيما بقي عنده وقبضه منه وقيل ان زيادا لما قال لمعاوية قد بقيت بقية من المال وقد أودعتها امكث معاوية يردده فكتب زياد كتبا الى قوم اودعهم المال وقال لهم قد علمتم مالي عندكم من الامانة فتدبروا كتاب الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية فاحتفظوا بما قبلكم وسمى في الكتب المال الذي اقر به لمعاوية وأمر رسوله ان يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ففعل رسوله وانتشر ذلك فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب اخاف ان تكون مكرت بي فصالحني على ما شئت فصالحه على شئ وحمله اليه ومبلغه ألف ألف درهم واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له فكان المغيرة يكرمه ويعظمه فكتب معاوية الى المغيرة ليلزم زيادا وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وشبث بن ربعي وابن الكوا ابن الحمق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلاة وانما ألزمهم ذلك لانهم كانوا من شيعة علي)

(ذكر عدة حوادث)

وحج هذه السنة بالناس عنبسة بن أبي سفيان وفيها مات حبيب بن مسلمة الفهري بارمينية وكان أميرا لمعاوية عليها وكان قد شهد معه حروبه كلها وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري له صحبة وفيها مات ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وهو الذي صارع النبي صلى الله عليه وسلم وصفوان بن امية بن خلف الجمحي وله صحبة وفيها مات هاني بن نيار بن عمرو الانصاري وهو خال البراء بن عازب وقيل سنة خمس وأربعين وكان بدريا عقبيا (نيار بكسر النون وفتح الياء تحتها نقطتان وآخره راء)

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين)

في هذه السنة غزا بسر بن ابي ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدي وانكر ذلك قوم من أهل الاخبار وقالوا لم يشت بسر بأرض الروم قط وفيها مات عمرو ابن العاص بمصر يوم الفطر وكان عمل عليها لعمر أربع سنين ولعثمان أربع سنين الا شهرين ولمعاوية سنتين الا شهرا وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر فوليها نحوا من سنتين وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر وصلى عليه مروان بن الحكم وعمره سبع وسبعون سنة

(ذكر مقتل المستورد الخارجي)

وفيها قتل المستورد بن علفة التيمي تيم الرباب وقد ذكرنا سنة اثنتين وأربعين تحرك الخوارج وبيعتهم له ومخاطبته بأمير المؤمنين فلما كانت هذه السنة اخبر المغيرة بن شعبة بأنهم اجتمعوا في

نة أربع وثمانمائة وبالحصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة وانعكست اجسام عساكره اقوى قعكة ووقع السلطان في مطالبه وعلم انه غير ناج من معاطبه قال لتيمورلنك الملك ثلاث نصائح هن نظير الدنيا والآخرة لواسع أولاهن ان لا تقتل رجال الاروام فانهم ردء الاسلام وأنت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين ثانيتهن ان لا تترك التاتار بهذه الديار ولا تذرعلى أرض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم يملؤها من قبائلهم نارا وهم على المسلمين أضر من النصارى ثالثتهن ان لا تمد يدك بالتخريب في قلاع المسلمين وحصونهم ولا تجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة المجاهدين هذه امانة حملتكها وولاية قلدتكها فقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانة ذلك الجهول وبالصفا لتيمور شرب مالك الروم من السكر وقضى بحيشه من الغارة الوطر انفسح الى رحمة ربه السلطان بايزيد وكان معه مكبلا في قفص من حديد وبعد ما سبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الا الثلث أو الربع بعد ان جعل أهلها بين المحترقة والمختنقة والموقوذة والنطيحة وما أكل السبع قرر كل أمير من امراء الروم على ولايته وزاد في رعايته وأمرهم بأن يخطبوا له وان يضربوا السكة باسمه فامتثلوا اوامره واجتنبوا زواجره ثم ان تيمور رجع الى

ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا ممن قتل في النهر ومن كان ارتث من جراحته في النهر فبرؤا وعفا علي عنهم وكان سبب خروجهم ان حيان بن ظبيان السلمي كان خارجيا وكان قد ارتث يوم النهر فلما برأ لحق بالري في رجال معه فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل علي فدعا أصحابه وكانوا بضعة عشر أحدهم سالم بن ربيعة العبسي فاعلمهم بقتل علي فقال سالم لاشلت يمين علت قذاله بالسيف وحمدوا الله على قتله رضي الله عنه ولا رضي عنهم ثم ان سالما رجع عن رأي الخوارج بعد ذلك وصلح ودعاهم حيان الى الخروج ومقاتلة اهل القبلة فاقبلوا الى الكوفة فأقاموا بها حتى قدمها معاوية واستعمل على الكوفة المغيرة ابن شعبة فأحب العافية واحسن السيرة وكان يؤتى فيقال له ان فلانا يرى رأي الشيعة وفلانا يرى رأي الخوارج فيقول قضى الله ان لا تزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده فامنه الناس وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهر فاجتمعوا على ثلاثة نفر على المستورد بن علفة التيمي من تيم الرباب وعلى معاذ بن جوين الطائي وهو ابن عم زيد بن حصين الذي قتل يوم النهر وعلى حيان بن ظبيان السلمي واجتمعوا في أربعمائة فتشاوروا فيمن يولون عليهم فكلهم دفع الامارة عن نفسه ثم اتفقوا فولوا المستورد وبايعوه وذلك في جمادى الآخرة واعدوا للخروج واستعدوا وكان خروجهم غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين (علفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء)

ذكر قدوم زياد على معاوية

وفي هذه السنة قدم زياد على معاوية وكان سبب ذلك ان زيادا كان قد استودع ماله عبد الرحمن ابن أبي بكرة وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد فأخذ عبد الرحمن فقال له ان كان أبوك قد اساء الي لقد أحسن عمك يعني زيادا وكتب الى معاوية اني لم أجد في يد عبد الرحمن مالا يحل لي أخذه فكتب اليه معاويه أن عذب عبد الرحمن فأراد ان يعذره وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن احتفظ بما في يديك والق على وجهه حريرة ونضحها بالماء فغشي عليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم خلاه وكتب الى معاوية اني عذبته فلم أصب عنده شيأ وحفظ لزياد يده عنده ثم دخل المغيرة على معاوية فقال معاوية حين رآه

انما موضع سر المرء ان * باح بالسر اخوه المنتصح
فاذا بحت بسر فالى * ناصح يستره اولا تبح

فقال المغيرة يا امير المؤمنين ان تستودعني تستودع ناصحا مشفقا وما ذلك فقال له معاوية ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أنم ليلتي فقال المغيرة ما زياد هناك فقال معاوية داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ما يؤمنني ان يبايع لرجل من اهل هذا البيت فاذا هو قد اعاد الحرب جذعة فقال المغيرة أتأذن لي يا امير المؤمنين في اتيانه قال نعم وتلطف له فأتاه المغيرة وقال له ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك ولم يكن احد يمد يده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني معاوية عنك قال اشر علي وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن فقال له المغيرة أرى ان تصل حبلك بحبله وتشخص اليه ويقضي الله وكتب

الاقصى فتقرب على زعمه بأن جعل المساجد قرابين ثم امر عسكره بأن يأتيه كل واحد من أهل بغداد برأسين ثم اتوا بهم وقطعوا ابدانهم في تلك الميادين وجمع رؤسهم فبني بها مآذين وعجز بعض الجند عن رؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال ثم ان تيمور خرب المدينة بعد ان اخذ ما بها من الاموال والخزينة وابقاها تعشش البوم والغراب في أماكنهم فأصبحوا الاترى الامساكنهم ثم انوى بتلك الاتراك ناحية قراباغ ونوى السير نحو ممالك الروم فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازي وجعل السلطان أحمد حاكم بغداد وقره يوسف حاكم اذربيجان سببا وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا فتوجه نحوه فكان لا يدخل قرية الا أفسدها ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها فلما بلغ السلطان بايزيد مجيء ذلك العنيد توجه الى ملاقاته فاجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة واشتغل الحرب بين الفريقين من الضحى الى العصر فانت الى آمر ابن عثمان وكان من أمرهما كان وقتل غالب عسكره من العطش لانه كان ثامن عشر تموز وكان نهار الاربعاء سابع عشر ذي الحجة

فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا فانهم أسرع شئ اليكم والى مثلكم ثم جلس وكل قوم قال لعنهم الله وبرئ منهم لانؤويهم ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم غير سليم بن محدوج فانه لم يقل شيأ ورجع كئيبا يكره أن يخرج أصحابه من داره فيلوموه ويكره أن يؤخذوا فى داره فيهلكوا ويهلك معهم وجاء أصحاب المستورد اليه فأعلموه بما قام به المغيرة فى الناس وبما قام به رؤسهم فيهم فسأل ابن محدوج عما قام به صعصعة فى عبد القيس فأخبره وقال كرهت أن أعلمكم فتظنوا انه ثقل على مكانكم فقال له قد أكرمت المثوى وأحسنت ونحن مرتحلون عنك وبلغ الخبر الذين فى حبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ بن جوين ابن حصين فى ذلك

الا أيها الشارون قد حان لامرئ * شرى نفسه لله أن يترحلا

أقمتم بدار الخاطئين جهالة * وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا

فشدوا على القوم العداة فانما * اقامتكم للذبح رأيا مضللا

الا فاقصدوا يا قوم للغاية التى * اذا ذكرت كانت أبر واعدلا

فيا ليتنى فيكم على ظهر سابح * شديد القصيرى دارعا غير أعزلا

ويا ليتنى فيكم أعادى عدوكم * فيسقينى كأس المنية أولا

يعز على أن تخافوا وتطردوا * ولما أجرد فى المحلين منصلا

ولما يفرق جمعهم كل ماجد * اذا قلت قد ولى وأدبر أقبلا

مشيحا بنصل السيف فى حمس الوغى * يرى الصبر فى بعض المواطن أمثلا

وعز على أن تصابوا وتنقصوا * وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا

ولو اننى فيكم وقد قصدوا لكم * أثرت اذا بين الفريقين قسطلا

فيا رب جمع قد فللت وغارة * شهدت وقرن قد تركت مجدلا

وأرسل المستورد الى أصحابه فقال لهم اخرجوا من هذه القبيلة واتعدوا سورا فخرجوا اليها متقطعين فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا الى الصراة فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله اليهم فقال له عدى بن حاتم كلنا لهم عدو ولرأيهم مبغض وبطاعتك مستمسك فأينا شئت سار اليهم وقال له معقل بن قيس انك لا تبعث اليهم احدا ممن ترى حولك الا رأيته سامعا مطيعا ولهم مفارقا ولهلاكهم محبا ولا ارى أن تبعث اليهم احدا من الناس أعدى لهم منى فابعثنى اليهم فانا اكفيكهم باذن الله تعالى فقال اخرج على اسم الله فجهز معه ثلاثة آلاف وقال المغيرة لصاحب شرطته الصق بمعقل شيعة على فانه كان من رؤساء أصحابه فاذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشد استحلالا لدماء هذه المارقة وأجرأ عليهم من غيرهم فقد قاتلوهم قبل هذه المرة وقال له صعصعة بن صوحان نحوا من قول معقل فقال له المغيرة اجلس فانما انت خطيب فأحفظه ذلك وانما قال له ذلك لانه بلغه انه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر على ويفضله وكان المغيرة دعاه وقال له اياك أن يبلغنى عنك انك تعيب عثمان واياك أن يبلغنى انك تظهر شيأ من فضل على فانا أعلم بذلك منك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع شيأ كثيرا مما أمرنا به ونذكر الشئ

ملوك الروم القاتلين بسيفهم كل جبار ظلوم)* ذكر المولى الجيانى فى تاريخه عن بدو أمرهم ان الذى اشتهر عن البطال الغازى هو ابو محمد جعفر ابن السلطان حسين بن ربيع بن على بن عباس سكن بقرية المسيحية الموسومة بمدينة سيدغازى وبها قبره يزار ويتبرك به زوج ابنته لعمر بن زياد بن عمرو بن معد فولدت له بنت اسمها نظير الجمال زوجها لعلى بن مضراب أمير التركمان بالديار الرومية فولد منها ولد سماه احمد ولقبه (دانشمند الغازى) وهو اول من ملك من هذه الطائفة وكان عالما فاضلا كاملا وعاشر السلطان طورسان بن على بن جعفر البطال بمدينة ملطية وسار سيرة جده من الجهاد فى سبيل الله وطلبا من الخليفة الاذن فى الجهاد فاذن لهما وولاهما على البلاد التى تفتح لهما فجمعا من العساكر نحو أربعين الفا وتوجها بنية الجهاد فى شهر رجب سنة ستين واربعمائة من مدينة ملطية فعزم السلطان طورسان بنصف العساكر على ساحل البحر الاسود وهو يغزو الكفار الى أن وصل بقرب القسطنطينية فبنى بالجبل الموسوم علم

منزل حيان بن ظبيان السلمي واتعدوا للخروج غرة شعبان فأرسل المغيرة صاحب شرطته وهو قبيصة بن الدمون فأحاط بدار حيان هو ومن معه واذا عنده معاذ بن جوين ونحو عشرين رجلا وثارت امرأته وهي ام ولد كانت له كارهة فأخذت سيوفهم فالقتها تحت الفراش وقاموا ليأخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا فانطلق بهم الى المغيرة فحبسهم بعد ان قررهم فلم يعترفوا بشيء وذكروا انهم اجتمعوا للقراءة القرآن ولم يزالوا في السجن نحو سنة وسمع اخوانهم فحذروا وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة واختلفت الخوارج اليه فرآهم حجار بن أبجر فسألوه ان يكتم عليهم ليلتهم تلك فقال لهم سأكتم عليكم الدهر فخافوه ان يذكر حالهم للمغيرة فتحولوا الى دار سليم بن محدوج العبدي وكان صهرا للمستورد ولم يذكر حجار من أخبارهم شيئا وبلغ المغيرة خبرهم وانهم عازمون على الخروج تلك الايام فقام في الناس فحمد الله ثم قال لقد علمتم اني لم أزل احب لجماعتكم العافية واكف عنكم الاذى وخشيت ان يكون ذلك ادب سوء لسفهائكم وقد خشيت من ان لانجد بدا من ان لايؤخذ الحليم التقي بذنب الجاهل السفيه فكفوا عنا سفهاءكم قبل ان يشمل البلاء عوامكم وقد بلغنا ان رجالا يريدون ان يظهروا في المصر بالشقاق والنفاق والخلاف وايم الله لايخرجون في حي من احياء العرب الا أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال أيها الامير اعلمنا بهؤلاء القوم فان كانوا منا كفيناكهم وان كانوا غيرنا امرت اهل الطاعة فأتاك كل قبيلة بسفهائهم فقال ماسمي لي احد باسمه فقال معقل أنا أكفيك قومي فليكفك كل رئيس قومه فأحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم ليكفني كل رجل منكم قومه والا فوالله لاتحولن عما تعرفون الى ما تنكرون وعما تحبون الى ما تكرهون فرجعوا الى قومهم فناشدوهم الله والاسلام الا دلوهم على كل من يريد ان يهيج الفتنة وجاء صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان قد علم بمنزل حيان في دار سليم ولكنه كره ان يؤخذ من عشيرته على فراقه لاهل الشام وبغضه لرأيهم وكره مساءة أهل بيت من قومه فقام فيهم فقال أيها الناس ان الله وله الحمد المقسم الفضل خصكم بأحسن القسم فأجبتم الى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله ثم أقمتم حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة وارتدت طائفة وادهنت طائفة وتربصت طائفة فلزمتم دين الله ايمانا به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا حتى اختلفت الامة بينها فقالت طائفة نريد طلحة والزبير وعائشة وقالت طائفة نريد اهل المغرب وقالت طائفة نريد عبد الله بن وهب الراسبي وقلتم أنتم لانريد الا اهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله عز وجل من قبلهم بالكرامة تسديدا من الله عز وجل لكم وتوفيقا فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر وسكت عن ذكر أهل الشام لان السلطان لهم فلا قوم اعدى لله ولكم ولاهل بيت نبيكم من هذه المارقة الخاطئة الذين فارقوا امامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فاياكم ان تؤوهم في دوركم او تكتموا عليهم شيئا فانه لاينبغي لحي من احياء العرب ان يكون أعداء لهذه المارقة منكم وقد ذكر لي ان بعضهم في جانب من الحي وانا باحث عن ذلك فان يك حقا تقربت الى الله بدمائهم فان دماءهم حلال وقال يامعشر عبد القيس ان ولاة هؤلاء اعرف شيء بكم وبرأيكم

بلاده وقد بلغ من دنياه المرام وانتهى أمله الى الكمال والتمام ووصل الى مدينة نزار وضعف وانقطع ثلاث ليال وعلم الآجال الانتقال الى دار الخزي والنكال وأبى الله ان يخرج تلك الروح الخبيثة الا على صفات ما اخترعه من الظلم واسمه فجعل يتناول من عرق الحر حتى فتتت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ دما ويأكل يديه حسرة وندما فانتقل الى لعنة الله وعقابه واستقر في أليم رجزه وعذابه وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة بنواحي مدينة ترار وحملوا عظامه الى سمرقند وعمره قد جاوز الثمانين ومدة مملكته واستيلائه مستقلا ست وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه وتجريه رفع الله تعالى برحمته عن البلاد والعباد العذاب المهين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

فما كان ذلك العيش الا سكره لذاتها حسرات وحل خمارها

فلما قضى تيمور نحبه وكشف الله عن العالم كربه خلف ولديه أحدهما أميرشاه والآخر شاه رخ ولم يكن معه احد من اولاده واحفاده سوى ولد ولده (خليل بن اميرشاه) حفيده فجلس على سرير الملك وكان أبوه اميرشاه متولي ممالك تبريز قتله قره يوسف حاكم اذربيجان فلما توفي خليل تولى الملك (شاه رخ) واستولى على ممالك ما وراء النهر وخراسان وجميع عراق العجم وخلف تيمور بنتا تدعى سلطان بخت كانت مبتذلة لاتحجب الرجال وذلك لما افسدتها فلا

الخوارج رجع أبو الرواغ في آثارهم فلم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فنزل الطائفتان يصلون
ثم أقاموا الى العصر وكان اهل القرى والسيارة قد اخبروا معقلا بالتقاء الخوارج وأصحابه
وان الخوارج تطرد أصحابه بين ايديهم فاذا رجعوا عاد اصحابه خلفهم فقال معقل ان كان
ظني في أبي الرواغ صادقا لا يأتيكم منهزما أبدا ثم أسرع السير في سبعمائة من أهل القوة
واستخلف محرز بن شهاب التميمي على ضعفة الناس فلما اشرفوا على ابي الرواغ قال لأصحابه
هذه غبرة فتقدموا بنا الى عدونا حتى لا يرانا اصحابنا أنا تحينا عنهم وهبناهم فتقدم حتى وقف
مقابل الخوارج ولحقهم معقل فلما دنا منهم غربت الشمس فصلى باصحابه وصلى ابو الرواغ
باصحابه وصلى الخوارج ايضا وقال أبو الرواغ لمعقل ان لهم شدات منكرات فلا تلها بنفسك
ولكن قف وراء الناس تكون ردأ لهم فقال نعم ما رأيت فبينما هو يخاطبه حملت الخوارج
عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت هو فنزل الى الارض ومعه أبو الرواغ في نحو مائتي رجل
فلما غشيهم المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف فانهزمت خيل معقل ساعة ثم ناداهم مسكين
ابن عامر وكان شجاعا أين الفرار وقد نزل اميركم ألا تستحيون ثم رجع ورجعت معه خيل
عظيمة ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه فلم يزل يقاتلهم حتى ردهم الى البيوت ثم لم
يلبثوا الا قليلا حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن معه فجعلهم معقل ميمنة وميسرة وقال لهم لا
تبرحوا حتى تصبحوا وتثوروا اليهم ووقف الناس بعضهم مقابل بعض فبينما هم متواقفون أتى
الخوارج عين لهم فاخبرهم ان شريك بن الاعور قد أقبل اليهم من البصرة في ثلاثة آلاف فقال
المستورد لاصحابه لا أرى ان نقيم لهؤلاء جميعا ولكني أرى ان نرجع الى الوجه الذي جئنا
منه فان اهل البصرة لا يتبعونا الى أرض الكوفة فيهون علينا قتال اهل الكوفة ثم أمرهم
بالنزول ليريحوا دوابهم ساعة ففعلوا ثم دخلوا القرية وأخذوا منها من دلهم على الطريق الذي
اقبلوا منه وعادوا راجعين واما معقل فانه بعث من يأتيه بخبرهم حين لم ير سوادهم فعاد اليه
بانهم قد ساروا فخاف أن تكون مكيدة وخاف البيات فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا الى
الصباح فلما اصبحوا أتاهم من اخبرهم بسيرهم وجاء شريك بن الاعور فيمن معه فلقي معقلا
فتساءلا ساعة وأخبره معقل بخبرهم فدعا شريك أصحابه الى المسير مع معقل فلم يجيبوه فاعتذر
الى معقل بخلاف اصحابه وكان صديقا له يجمعهما رأي الشيعة ودعا معقل أبا الرواغ وأمره
باتباعهم فقال له زدني مثل الذين كانوا معي ليكون اقوى لي ان أرادوا مناجزتي فبعث معه
ستمائة فارس فساروا سراعا حتى ادركوا الخوارج بجرجرايا وقد نزلوا فنزل بهم أبو الرواغ مع
طلوع الشمس فلما رأوهم قالوا ان قتال هؤلاء أيسر من قتال من يأتي بعدهم فحملوا على أبي
الرواغ وأصحابه حملة صادقة فانهزم اصحابه وثبت في مائة فارس فقاتلهم طويلا وهو يقول

ان الفتى كل الفتى من لم يهل * اذا الجبان حاد عن وقع الاسل
قد علمت اني اذا البأس نزل * أروع يوم الهيج مقدام بطل

ثم عطف اصحابه من كل جانب فصدقوهم القتال حتى أعادوهم الى مكانهم فلما رأى المستورد
ذلك علم انهم ان أتاهم معقل ومن معه هلكوا فمضى هو واصحابه فعبروا دجلة ووقعوا في أرض
بهرسير وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم بساباط فلما نزل بهم قال المستورد لاصحابه ان هؤلاء

وتولى مكانه ابن أخيه (الملك ابراهيم) ولما توفي ابراهيم المذكور تولى مكانه ولده ابو الفداء (اسماعيل) توفي بمدينة
نيكسار ودفن بها وتولى
مكانه (ذوالنون بن محمد)
وهو آخر من ملك من هذه
الطائفة واستولى على
بلاده آل سلجوق وبه
انقرضت دولتهم

*(الباب الخامس والاربعون
في ذكر دولة آل قرمان
القائمين لاهل الشرك
والطغيان)*

كان يقال لجدهم نوره
صوفي أصله ارمني فاسلم
وسكن بمدينة اماسية وصار
من توابع بابا الياس ولما
قتل الشيخ الياس المذكور
انتقل لمدينة قونية وسكن
بها واعتقده اناس كثير حتى
السلطان علاء الدين كيقباد
السلجوقي وجعل ولده
(قرمان) مقربا عنده وزوجه
ابنته وولاه امرة بلاد
لارنده ففتح بلاد سلفكه ولما
توفي السلطان علاء الدين
استولى على جميع بلاده
وسمى تلك البلاد باسمه
واستقر في السلطنة مدة
فلما توفي تولى مكانه ولده
(علاء الدين) وهو الذي
حارب السلطان يلدرم
بايزيد وظفر به السلطان
يلدرم بايزيد وقتله وقبض
على ولديه علي ومحمد وحبسهما
بمدينة بروسه واستمرا في
السجن اثني عشر سنة
حتى اطلقهما تيمور ونصب (محمدا) مكان والده في بلاد قرمان بعد ما سلفه وكان أخوه علي هرب والتجأ لسلطان مصر فانجده

الذى لانجد منه بدا ندفع به هؤلاء القوم عن انفسنا فان كنت ذاكرا فضله فاذكره بينك وبين
أصحابك فى منازلكم سرا واما علانية فى المسجد فان هذا لا يحتمله الخليفة لنا فكان يقول له ثم
ثم يبلغه عنه انه فعل ذلك فقعد عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب فقال له صعصعة وما أنا
الا خطيب فقط قال أجل فقال والله انى للخطيب الصلب الرئيس أما والله لو شهدتنى يوم الجمل
حيث اختلفت القنا فشؤن تفرى وهامة تختلى لعلمت انى الليث النهد فقال حسبك لعمرى
لقد أوتيت لسانا فصيحا وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نقاوة الشيعة وسار الى سوراء
ولحقه أصحابه واما الخوارج فانهم ساروا الى بهرسير وأرادوا العبور الى المدينة العتيقة
التى فيها منازل كسرى فنعهم سماك بن عبيد الازدى العبسى وكان عاملا عليها فكتب اليه
المستورد يدعوه الى البراءة من عثمان وعلى وان يتولاه واصحابه فقال سماك بئس الشيخ انا اذا واعاد
الجواب على المستورد يدعوه الى الجماعة وان يأخذ له الامان فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة ايام
ثم بلغه مسير معقل اليهم فجمعهم المستورد وقال لهم ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو
من السبائية المفترين الكاذبين فاشيروا على برأيكم فقال بعضهم نخرج فنحن نريد الله والجهاد
وقد جاؤنا فأين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وقال بعضهم بل نتنحى ندعوا الناس ونحتج
عليهم بالدعاء فقال لهم لا أرى ان نقيم حتى يأتونا وهم مستريحون بل أرى ان نسير بين أيديهم
فيخرجوا فى طلبنا فينقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال فساروا فعبروا وجرجرايا
ومضوا الى أرض جوخى ثم بلغوا المذار فأقاموا بها وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف
صنع المغيرة فأخبر بفعله فاستدعى شريك بن الاعور الحارثى وكان من شيعة على فقال له اخرج
الى هذه المارقة ففعل وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة وكان اكثرهم من ربيعة
وسار بهم الى المذار وأما معقل بن قيس فسار الى المدائن حتى بلغها فبلغه رحيلهم فشق ذلك
على الناس فقال لهم معقل انهم ساروا اتبعوهم وتبددوا وتقطعوا فتلقوهم وقد تعبتم
وانه لا يصيبكم شئ من ذلك الا وقد أصابهم مثل ذلك وسار فى آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ
الشاكرى فى ثلاثمائة فارس فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار فاستشار أصحابه فى قتالهم
قبل قدوم معقل فقال بعضهم لا تفعل وقال بعضهم بل نقاتلهم فقال لهم ان معقلا أمرنى
أن لا اقاتلهم فقالوا له ينبغى أن تكون قريبا منه حتى يأتى معقل وكان ذلك عند المساء فباتوا
يتحارسون حتى اصبحوا فلما ارتفع النهار خرجت الخوارج اليهم وكانوا أيضا ثلاثمائة وحملوا
عليهم فانهزم أصحاب ابى الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ الكرة الكرة وحمل ومعه اصحابه
فلما دنوا من الخوارج عادوا منهزمين الا انهم لم يقتل منهم أحد فصاح بهم ابو الرواغ أيضا
ثكلتكم امهاتكم ارجعوا بنا نكن قريبا منهم لا نفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا وما اقبح بنا
أن نرجع الى الجيش منهزمين من عدونا فقال له بعض اصحابه ان الله لا يستحى من الحق قد والله
هزمونا فقال له لا اكثر الله فينا مثلك انا مالم نفارق المعركة لم نهزم ومتى عطفنا عليهم وكنا قريبا
منهم فنحن على حال حسنة فتقفوا قريبا منهم فان أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا قليلا فاذا اجلوا
عليكم وعجزتم عن قتالهم فانحازوا على حامية فاذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا
منهم فان الجيش يأتيكم عن ساعة فحملت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا عنهم فاذا عاد

طاغى قلعة غالبة ولم يزل يحارب الكفار ولم يجد أحد من المسلمين الى أن قتل هو ومن معه جميعا ولم يبق منهم أحد
يقال ان الدعاء هناك مستجاب
والملك دانشمند سار بمن
معه من العساكر حتى
وصل الى مدينة سيواس
فبناها وجعلها مقر سلطنته
وكان بعض الابطال استخلص
سيواس من يد الكفار
وجعلها دار الاسلام وكان
الامير عثمان جد السلاطين
العثمانية اول ماوصل من
بلاد الشرق لتلك الاماكن
مع والده ارطغرل قاصدا
للسلطان علاء الدين
كيقباد السلجوقى فأرسل
الملك دانشمند الغازى من
خدمه رجلا اسمه عثمان
ومعه خمسة آلاف رجل لفتح
مدينة قسطمونى ففتحها
واستولى على معدن الفضة
وضرب دراهم باسم السلطان
دانشمند وعزم دانشمند
المذكور بنفسه لفتح قلعة
نيكسار فأصابه سهم فقتل
وتولى مكانه ولده (الملك
الغازى محمد) وكان عالما
فاضلا دينا مجاهدا فى سبيل
الله وفى سنة ثمان وعشرين
وخمسمائة هجم الفرنج على
البلاد الشامية وأخربوا
غالبها فوصل اليهم السلطان
المذكور وأبادهم بالقتل
والسبى وفى سنة سبع
وثلاثين وخمسمائة توفى
الملك المذكور وتولى مكانه
ولده (نظام الدين أبو المظفر باغى بصان) مدة الى أن توفى فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ودفن بمدينة نيكسار

في هذه السنة استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد بن الحصين الحبطي ومعه من الاشراف عمرو بن عبيد الله بن معمر وغيره فكان يغزو البلد قد كفر أهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها أشهرا ونصب عليها مجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب أهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه أهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهي غزنة وأعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها

(ذكر غزوة السند)

استعمل عبد الله بن عامر على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدي ويقال ولاه معاوية من قبله فغزا القيقان فاصاب مغنما ووفد على معاوية واهدى له خيلا قيقانية ورجع فغزا القيقان فاستنجدوا بالترك فقتلوه وفيه يقول الشاعر

وابن سوار على عدّاته * موقد النار وقتال الشغب

وكان كريما لم يوقد احد في عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الخبيص فامر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

(ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان)

قيل وفي هذه السنة عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم القيسي ثم السلمي عن خراسان واستعمل عبد الله بن خازم وسبب ذلك ان قيسا ابطأ بالخراج والهدية فقال عبد الله بن خازم لعبد الله بن عامر ولني خراسان اكفكها فكتب له عهده فبلغ ذلك قيسا فخاف ابن خازم وشغبه فترك خراسان واقبل فازداد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر فضربه وحبسه وبعث رجلا من يشكر على خراسان وقيل بعث اسلم بن زرعة الكلابي ثم ابن خازم وقيل في عزله غير ذلك وهو ان ابن خازم قال لابن عامر انك استعملت على خراسان قيسا وهو ضعيف واني اخاف ان لقي حربا أن ينهزم بالناس فتهلك خراسان وتفتضح اخوالك يعني قيس عيلان قال ابن عامر فما الرأى قال تكتب لي عهدا ان هو انصرف عن عدو قمت مقامه فكتب له وجاش جماعة من طخارستان فشاوره قيس فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع اليه اطرافه فلما سار مرحلة أو اثنتين اخرج ابن خازم عهده وقام بامر الناس ولقي العدو فهزمهم وبلغ الخبر الكوفة والبصرة والشام فغضب القيسية وقالوا خدع قيسا وابن عامر وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر مما قيل فيه فقال معاوية قم غدا فاعتذر في الناس فرجع الى اصحابه وقال اني أمرت بالخطابة ولست بصاحب كلام فاجلسوا حول المنبر فاذا قلت فصدقوني فقام من الغد فحمد الله واثنى عليه ثم قال انما يتكلف الخطبة امام لا يجد منها بدا او احمق يهمر من راسه ولست بواحد منهما وقد علم من عرفني اني بصير بالفرص وثاب اليها وقاف عندالمهالك انفذ بالسرية واقسم بالسوية انشد الله من عرف ذلك مني فليصدقني فقال اصحابه صدقت فقال يا أمير المؤمنين انك ممن نشدت فقل بما تعلم فقال صدقت

ذكر صاحب الدول الاسلامية ان السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين الملك دخل منهم (قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق) الى بلاد الروم وملك مدينة قونية واقسراي ونواحيها ثم انه توجه لبلاد الري ليملكها فلم يقدر وهجم عليه العساكر فانهزم هو وعسكره فوجد مقتولا بين القتلى وذلك في سنة خمس وستين واربعمائة وقام بالامر بعده ابنه (سليمان ابن قتلمش) واستولى على ما كان بيد أبيه وافتتح مدينة انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين واربعمائة واستضافها الى بلاده وسار لحصار حلب فامتنعت عليه وسألوه الامهال حتى يكاتبوا السلطان ملكشاه ودسوا الى تتش صاحب الشام يستدعونه فوصل واعترضه سليمان على غير تعبية فانهزم وطعن نفسه بخنجر ومات فملك بعده ابنه (قلج أرسلان ابن سليمان) وأقام في سلطانه وسار حتى استولى على الموصل وديار بكر واعمالها ثم سار الى الموصل لقتال جاولي فوقع بينهما حروب آلت الى قتل قلج ارسلان وضربه جاولي بسيفه فقتله وانهزم عساكره وتولى مكانه ابنه (مسعود شاه بن قلج ارسلان) فوقع بينه وبين الدانشمندية من التركمان حروب كثيرة ثم توفي مسعود سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه (عز الدين قلج ارسلان) واستولى على ما كان بيد أبيه من البلاد ثم قسمها بين اولاده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين

هم جثاة اصحاب معقل وفرسانه ولو تلبثت انى أسبقهم اليه بساعة اسرعت اليه فواقعته ثم أمر من يسأل عن معقل فسألوا بعض من على الطريق فاخبروهم انه نزل ديلمايا وبينهم ثلاثة فراسخ فلما أخبر المستورد بذلك ركب وركب اصحابه وأقبل حتى انتهى الى جسر ساباط وهو جسر نهر ملك وهو من جانبه الذي يلي الكوفة وأبو الرواغ من جانب المدائن فقطع المستورد الجسر ولما رآهم أبو الرواغ قد ذكبوا عبى اصحابه واعتزل الى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بها ووقف ينتظرهم فلما قطع المستورد الجسر سار الى ديلمايا نحو معقل ليوقع به فانتهى اليه واصحابه متفرقون عنه وهو يريد الرحيل وقد تقدم بعض أصحابه فلما رآهم معقل نصب رايته ونادى يا عباد الله الارض الارض فنزل معه نحو مائتي رجل فحملت الخوارج عليهم فاستقبلوهم بالرماح جثاة على الركب فلم يقدروا عليهم فتركوهم وعدلوا الى خيولهم فحالوا بينهم وبينها وقطعوا أعنتها فذهبت في كل جانب ثم مالوا على المتفرقين من أصحاب معقل ففرقوا بينهم ثم رجعوا الى معقل واصحابه وهم على الركب فحملوا عليهم فلم يتحلحلوا فحملوا أخرى فلم يقدروا عليهم فقال المستورد لاصحابه لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل ففعلوا واشتد الحال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك فبينما هم كذلك اذ أقبل ابو الرواغ عليهم فيمن معه وكان سبب عوده اليهم انه أقام بمكانه ينتظرهم فلما أبطؤا عليه ارسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعا ففرحوا وظنوا منهم ان الخوارج فعلوا ذلك هيبة لهم فرجعوا الى أبي الرواغ فاخبروه انهم لم يروهم وان الجسر قد قطعوه هيبة لهم فقال لهم أبو الرواغ لعمري مافعلوا هذا الامكيدة وما اراهم الا وقد سبقوكم الى معقل حيث رأوا فرسان اصحابه معي وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم فالنجاء النجاء في الطلب ثم أمر اهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتبع الخوارج فلقيه أوائل الناس منهزمين فصاح بهم الي الي فرجعوا اليه واخبروه الخبر وانهم تركوا معقلا يقاتلهم وما يظنونه الا قتيلا فجد في السير ورد معه كل من لقيه من المنهزمين فانتهى الى العسكر فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون فحمل ابو الرواغ ومن معه على الخوارج فأزالوهم غير بعيد ووصل أبو الرواغ الى معقل فاذا هو متقدم يحرض أصحابه فشدوا على الخوارج شدة منكرة ونزل المستورد ومن معه من الخوارج ونزل اصحاب معقل ايضا ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف اشد قتال ثم ان المستورد نادى معقلا ليبرز اليه فبرز اليه فنعه اصحابه فلم يقبل منهم وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه فقال اصحاب معقل خذ رمحك فأبى واقبل على المستورد فطعنه المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فضربه بالسيف فخالط دماغه فوقع المستورد ميتا ومات معقل ايضا وكان معقل قد قال ان قتلت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب التميمي فلما قتل أخذ الراية عمرو ثم حمل في الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم غير خمسة أو ستة وقال ابن الكلبي كان المستورد من تيم ثم من بني رياح واحتج بقول جرير

ومنا فتى الفتيان والجود معقل * ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا

يعني هذه الوقعة

(ذكر عود عبد الرحمن الى ولاية سجستان)

بعساكر مع ابنه ابراهيم واستخلاص بلاد قرمان من يد محمد وفوضها الى علي وبعده تحارب ناصر الدين ذو الغادر مع محمد بك ابن قرمان وامسكه وارسله الى سلطان مصر فحبسه هناك فلما توفي الملك المؤيد شيخ سلطان مصر وتولى السلطنة أمير ططر ارسل محمد المحبوس الى الروم واجلسه على سرير الملك وتوفي محمد وتولى مكانه ولده (ابراهيم) وكان اعدل هذه الطائفة وأحسنهم وزوج السلطان مراد خان أخته لابراهيم المذكور وصار بينهما اتحاد عظيم وفيما بعد وقع بينهما عداوة عظيمة آلت الى الحرب بينهما ووقع الصلح بينهما توفي ابراهيم في سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وخلف ستة أولاد وتولى الملك بعده ولده (اسحق) وهرب بقية اخوته الى السلطان محمد خان بن عثمان فعين السلطان محمد خان بلاد قرمان لارشد تلك الاولاد الامير أحمد وارسل معه عساكر فلم يقدر اسحق على المقاومة وهرب الى بلاد الشرق الى أوزن حسن سلطان العراق وفيما بعد غضب السلطان محمد على الامير احمد المذكور وقرر امرة قرمان لولده (السلطان مصطفى) واستمر بلاد قرمان في يد بني عثمان وبه انقرضت دولتهم

(الباب السادس والاربعون في ذكر ملوك الروم من آل سلجوق الكافين لاهل الفجور والفسوق)

في هذه

فركب معه حتى ادخله فلما نظر اليه معاوية قام فدخل فقال يزيد لابن عامر اجلس فكم عسى أن يقعد في البيت عن غير مجلسه فلما طال الامر خرج معاوية وهو يتمثل

لنا سياق ولكم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ثم قعد فقال يا ابن عامر انت القائل في زياد ما قلت أما والله لقد علمت العرب انى كنت أعزها في الجاهلية وان الاسلام لم يزدني الاعزا وانى لم أتكثر بزياد من قلة ولم اتعزز به من ذلة ولكن عرفت حقا له فوضعته موضعه فقال يا أمير المؤمنين نرجع الى ما يحب زياد قال اذا نرجع الى ما تحب فخرج ابن عامر الى زياد فترضاه فلما قدم زياد الكوفة قال قد جئتكم في أمر ما طلبته الا لكم قالوا ما تشاء قال تلحقون نسبي بمعاوية قالوا اما بشهادة الزور فلا فأتى البصرة فشهد له رجال هذا جميع ما ذكره أبو جعفر في استلحاق معاوية نسب زياد ولم يذكر حقيقة الحال في ذلك انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه وأنا اذكر سبب ذلك وكيفيته فانه من الامور المشهورة الكبيرة في الاسلام لا ينبغي اهمالها وكان ابتداء حاله ان سمية أم زياد كانت لدهقان زندورد بكسكر فرض الدهقان فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفي فعالجه فبرأ فوهبه سمية فولدت عند الحرث أبا بكرة واسمه نفيع فلم يقر به ثم ولدت نافعا فلم يقر به ايضا فلما نزل ابو بكرة الى النبي صلى الله عليه وسلم حين حصر الطائف قال الحرث لنافع أنت ولدي وكان قد زوج سمية من غلام له اسمه عبيد وهو رومي فولدت له زيادا وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية الى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي واسلم ابو مريم بعد ذلك وصحب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان لابي مريم قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغيا فقال له هل لك في سمية فقال هاتها على طول ثدييها وذفر بطنها فأتاه بها فوقع عليها فعلقت بزياد ثم وضعته سنة احدى من الهجرة فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الاشعري لما ولي البصرة ثم ان عمر بن الخطاب استكفى زيادا أمرا فقام فيه مقاما مرضيا فلما عاد اليه حضر وعند عمر المهاجرون والانصار فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان وهو حاضر والله انى لاعرف اباه ومن وضعه في رحم أمه فقال علي يا أبا سفيان اسكت فانك لتعلم ان عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعا فلما ولي علي الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان اياه فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده اياي وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشا ضرابا بالسيف وبلغ ذلك عليا فكتب اليه اني وليتك ما وليتك وانا اراك له اهلا وقد كانت من أبي سفيان فلتة من اماني الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثا ولا تحل له نسبا وان معاوية يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام فلما قتل علي وكان من امر زياد ومصالحته معاوية ما ذكرناه وضع زياد مصقلة بن هبيرة الشيباني وضمن له عشرين الف درهم ليقول لمعاوية ان زيادا قد اكل فارس برا وبحرا وصالحك على الفي الف درهم والله ما أرى الذي يقال الا حقا فاذا قال لك وما يقال فقل يقال

قدمت عليه وفي خدمتها أمير ومعه خمسمائة فارس من الروم وحمل جهازها على ألف جمل وحمشم ابغطاء أطلس احمر مكلل بالذهب وكان يوم وصولها اليه يوما مشهودا وعمل لها عرسا لم يسمع بمثله واول ما فتح مدينة علائية بساحل البحر وبنى حصار قونية وسيواس وفتح بلاد ارزنجان وخشكزلك وكاخ مع نواحيها وله حروب كثيرة مع الكفار وطائفة التاتار بحيث يطول شرحها توفي في سنة اربع وثلاثين وستمائة وكانت مدة مملكته اربعا وعشرين سنة وملك بعده ابنه (غياث الدين) وكان ظالما غاشما جبارا عسوفا وقارن استيلاؤه انقراض دولة السلجوقية ولم يزل يضمحل حاله ويكثر حروبه الى أن قتله مماليكه في سنة اربع وخمسين وستمائة وترك ثلاثة أولادا كبرهم علاء الدين كيقباد وعز الدين كيكاوس وركن الدين وجعل علاء الدين ولي عهده وكان يخطب باسمهم جميعا وامرهم واحد وكان جنكيزخان قد هلك وولي مكانه ابنه طولو خان فملك اكثر بلاد الروم وكان ملوك الروم تحت حكم التاتار وآخر من تولى الملك من آل سلجوق بالديار الرومية (مسعود بن كيكاوس) الى سنة ثماني عشرة وسبعمائة وأصابه

(ذكر عدة حوادث)

وحج هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام وعلى الكوفة المغيرة وعلى البصرة عبد الله بن عامر وفيها مات عبد الله بن سلام وله صحبة مشهورة وهو من علماء أهل الكتاب وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة

(ثم دخلت سنة اربع وأربعين)

في هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن أبي ارطاة في البحر

(ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن عامر عن البصرة وسببه ان ابن عامر كان حليما كريما لينا لا يأخذ على ايدي السفهاء ففسدت البصرة في ايامه فشكى ذلك الى زياد فقال له جرد السيف فقال له اني اكره ان اصلحهم بفساد نفسي ثم ان ابن عامر أوفد وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم ابن الكواء واسمه عبد الله بن ابي أوفى اليشكري فسألهم معاوية عن اهل العراق وعن اهل البصرة خاصة فقال ابن الكواء يا أمير المؤمنين ان أهل البصرة قد اكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم وعجز ابن عامر وضعفه فقال له معاوية تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور فلما عاد اهل البصرة ابلغوا ابن عامر فغضب وقال أي اهل العراق اشد عداوة لابن الكواء فقيل عبد الله بن ابي شيخ اليشكري فولاه خراسان فبلغ ذلك ابن الكواء فقال ان ابن دجاجة يعني ابن عامر قليل العلم في ظن ان ولاية عبد الله خراسان تسوءني لوددت انه لم يبق يشكري الا عاداني وانه ولاه وقيل ان الذي ولاه ابن عامر خراسان طفيل بن عوف اليشكري فلما علم معاوية حال البصرة اراد عزل ابن عامر فارسل اليه يستزيره فجاء اليه فرده على عمله فلما ودعه قال اني سائلك ثلاثا فقل هن لك وانا ابن ام حكيم قال ترد علي عملي ولا تغضب قال قد فعلت قال وتهب لي مالك بعرفة قال قد فعلت قال وتهب لي دورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر يا أمير المؤمنين اني سائلك ثلاثا فقل هن لك وانا ابن هند قال ترد علي مالي بعرفة قال قد فعلت قال ولا تحاسب لي عاملا ولا تتبع لي أثرا قال قد فعلت قال وتنكحني ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية قال له اختر اما أن اتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك واردك واما ان أعزلك واسوغك ما اصبت فاختار العزل وان لا يسوغه ما أصاب فعزله وولى البصرة الحرث بن عبد الله الازدي

(ذكر استلحاق معاوية زيادا)

وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن سمية فزعموا ان رجلا من عبد القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية فقال لزياد ان لابن عامر عندي يدا فان أذنت لي أتيته قال على ان تحدثني بما يجري بينك وبينه قال نعم فاذن له فأتاه فقال له ابن عامر هيه هيه وابن سمية يقبح آثاري ويعترض عمالي لقد هممت ان آتي بقسامة من قريش يحلفون بالله ان أبا سفيان لم ير سمية فلما رجع سأله زياد فلم يخبره فالح عليه حتى اخبره فاخبر زياد بذلك معاوية فقال معاوية لحاجبه اذا جاء ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الابواب ففعل ذلك به فأتى ابن عامر يزيد فشكا ذلك اليه

كيخسرو ومدينة اقسراى وسيواس لقطب الدين ومدينة توقات لركن الدين سليمان ومدينة انكورية لمحي الدين ومدينة ملطية لعز الدين وبلاد البستان لمغيث الدين ومدينة قيسارية لنور الدين محمود ومدينة نيكسار واماسية لابني أخيه فوقع بينهم النزاع والمخاصمة وبقي السلطان قلج ارسلان يتنقل بين اولاده واولاد اخيه من واحد الى آخر وهم معرضون عنه ويتثقلون به حتى مرض وعاد الى قونية فتوفي بها وتولى مكانه ابنه (غياث الدين كيخسرو) في مدينة قونية وبقية بنيه على حالهم في ولاياتهم التي قسمها بينهم أبوهم لكن النزاع واقع بينهم واستفحل ملك غياث الدين وعظم شأنه الى أن قتله تكور لادقية سنة سبع وستمائة فلما توفي تولى بعده ابنه (كيكاوس) ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان صاحب ارزن الروم يطلب الامر لنفسه فسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره في سيواس ثم أفرج عنه حتى ظفر به فقتله في سنة عشر وستمائة وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقباد) وكان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو وقد اتسعت رقعة مملكته ببلاد الروم ومد يده الى ما يجاوره من البلاد وخدم عنده عسكر جلال الدين خوارزمشاه بعد مهلكه فاثبتهم في ديوانه واستخدمهم وزوج ابنته لصاحب مصر.

اربعة اشهر ثم عزله وولاها زيادا

﴿ذكر ولاية زياد ابن ابيه البصرة﴾

قدم زياد الكوفة فاقام ينتظر امارته عليها فقيل ذلك للمغيرة بن شعبة فسار الى معاوية فاستقاله الامارة وطلب منه ان يعطيه منازل بقرقيسيا بكون بين قيس نخافه معاوية وقال له لتربعن الى عملك فابى فازداد معاوية تهمة له فرده على عمله فعاد الى الكوفة ليلا وأرسل الى زياد فاخرجه منها وقيل ان المغيرة لم يسر الى الشام وانما معاوية ارسل الى زياد وهو بالكوفة فامره بالمسير الى البصرة فولاه البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان فقدم البصرة آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس واربعين والفسق ظاهر فاش فخطبهم خطبته البتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل حمد الله فقال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله مزيدا من نعمه اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا على نعمك علينا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقد لاهله النار الباقي عليهم سعيرها ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام فينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأن لم تسمعوا نبي الله ولم تقرؤا كتاب الله ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الذين يعتذرون بغير العذر وتغطون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف واني لاقسم بالله لآخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر مشهودة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فانا ضامن لما ذهب له اياي ودلج الليل فاني لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياي ودعوى الجاهلية فاني لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لساني ويدي واياي لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام احن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا

وأما مملكة صاروخان فتولى عليها صاحبها (صاروخان) استقلالا وبعده ولده (ألياس بك) ولما توفي تولى مكانه ولده (اسحق) فظفر به السلطان يلدرم بايزيد خان وأسره وأما ممالك كرميان فتولى عليها صاحبها (كرميان بك) مدة وبعده ولده (علم شاه) وبعده ولده (يعقوب بن علم شاه) وكان صاحبها متورعا زاهدا في الدنيا سلم مفاتيح بلاده للسلطان مراد خان الغازي فعين له امرة بلاد روم ايلي ولما توفي السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي كان الامير عثمان تغمده الله بالرحمة والرضوان جد السلاطين العثمانية اذ ذاك بمدينة قره حصار كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الباب السابع والاربعون في ذكر دولة بني عثمان أبقاهم الله الى آخر الدوران)

وهم من أعظم سلاطين الدنيا ابهة وجلالة وأشدهم قوة وآثارا وأول من ملك منهم في ممالك الروم الامير عثمان الغازي ابن الامير ارطغرل ابن سليمان شاه وله نسب يتصل الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الثالث عشر لحضرة سلطاننا الاعظم السلطان محمد خان لا زالت أعلام خلافته مرفوعة وألوية سلطنته منصوبة ولما كانت اسماؤهم باللغة التركية القديمة لم نذكرها لعسر ضبطها وهي مشهورة في التواريخ التركية مذكورة وكان سليمان شاه المذكور سلطانا في بلاد

انه ابن أبي سفيان ففعل مصقلة ذلك ورأى معاوية أن يستميل زيادا واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك واحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي فقال له معاوية بم تشهد يا أبا مريم فقال انا اشهد ان ابا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا فقلت له ليس عندي الا سمية فقال ائتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وان اسكتيها ليقطران منيا فقال له زياد مهلا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه اول ما ردت به احكام الشريعة علانية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر بالحجر وكتب زياد الى عائشة من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبي سفيان فيحتج بذلك فكتبت من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فاضربنا عنها ومن اعتذر لمعاوية قال انما استلحق معاوية زيادا لان انكحة الجاهلية كانت أنواعا لا حاجة الى ذكر جميعها وكان منها ان الجماعة يجامعون البغي فاذا حملت وولدت الحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا أنه أقر كل ولد كان ينسب الى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شئ منها فتوهم معاوية ان ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والاسلام وهذا مردود لاتفاق المسلمين على انكاره ولانه لم يستلحق أحد في الاسلام مثله ليكون به حجة قيل أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية فسمع أخوه ابو بكرة وكان مهاجرا له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة فلما سمع بحجه جاء الى بيته وأخذ ابنا له وقال له يا بني قل لابيك انني سمعت انك تريد الحج ولا بد من قدومك الى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بام حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم فان أذنت لك فاعظم به خزيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منعتك فاعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيبا لاعدائك فترك زياد الحج وقال جزاك الله خيرا فقد أبلغت في النصح

(ذكر غزو المهلب السند)

وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز وهما بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا فقال المهلب ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منا فحذف الخيل وكان أول من حذفها من المسلمين وفي يوم بنة يقول الازدي

ألم تر ان الازد ليلة بيتوا * ببنة كانوا خير جيش المهلب

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس في هذه السنة معاوية وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة وهو أول من عملها بها وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي وفيها توفيت ام حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفيها قتل رفاعة العدوي من عدي رباب وهو بصري له صحبة

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين)

فيها ولى معاوية الحرث بن عبد الله الازدي البصرة في أولها حين عزل ابن عامر وهو من اهل الشام فاستعمل الحرث على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفي فبقي الحرث اميرا على البصرة

الفقر فانحل أمره واضمحل فعله وبقي الملك للتاتار ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم فاستولى على غالب بلادهم بنو عثمان وتولى على البعض آل قرمان وكانت مدينة مينوب وقسطموني بعد السلطان علاء الدين بيد أولاد قزل محمد اولهم (عادل بك) تولى تلك الديار مدة فلما توفي تولى مكانه ولده (بايزيد الزمن) وكان دينا خيرا ثم من بعده تولى مكانه ولده (اسفنديار) مدة وبعد وفاته (ابراهيم) وبعده (قزل احمد) وصار أخوه اسمعيل اتابكا له وفي ايام السلطان محمد خان العثماني ضبط تلك الديار وعين لاحمد المذكور امارة باردروم ايلي وهذه الطائفة يزعمون انهم من نسل خالد ابن الوليد رضي الله عنه واما ممالك أيدين فتولى عليها صاحبها (أيدين بك) بعد موت السلطان علاء الدين كيقباد واستقل بتلك البلاد وتولى بعده ولده (محمد بك) ثم بعد وفاته تولى ولده (عيسى بك) وكان كريم النفس وفي زمانه صنف حاجي باشا كتاب الشفاء في الطب فانتزع الملك منهم المرحوم السلطان مراد خان العثماني

الى زياد قوائمه منه فأخذ نافع منها قائمة وعمل مكانها قائمة من ذهب وبعث الخوان مع غلام له اسمه زيد وكان يلى امور نافع كلها فسعى زيد بنافع الى زياد وقال انه خانك واخذ قائمة الخوان فعزله زياد وحبسه وكتب عليه كتابا بمائة الف وقيل بثمانمائة الف فشفع فيه رجال من وجوه الازد فأطلقه واستعمل الحكم بن عمرو الغفارى وكانت له صحبة وكان زياد قال لحاجبه ادع لى الحكم يريد الحكم بن ابى العاص الثقفى ليوليه خراسان فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفارى فاستدعاه فحين رآه زياد قال له ما اردتك ولكن الله أرادك فولاه خراسان وجعل معه رجالا على جباية الخراج منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغيره وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات واستخلف انس بن ابى اناس بن زنيم فعزله زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وفيها مات زيد بن ثابت الانصارى وقيل سنة خمس وخمسين وعاصم بن عدى الانصارى البلوى وكان بدريا وقيل لم يشهدها بل ردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب له بسهمه وكان عمره مائة وعشرين سنة وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى بالمدينة وشهد العقبة وبدرا وكان عمره سبعين سنة وفيها توفى ثابت بن الضحاك بن خليفة الكلابى وهو من أصحاب الشجرة وهو أخو أبى جبيرة بن الضحاك

(ثم دخلت سنة ست وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم وقيل بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم الى حمص ومات

(ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد)

وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه وغنائه فى بلاد الروم واشتدّة بأسه فخافه معاوية وخشى منه وأمر ابن اثال النصرانى أن يحتال فى قتله وضمن له ان يضع عنه خراجه ما عاش وان يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوما الى عروة بن الزبير فقال له عروة ما فعل ابن أثال فقام من عنده وسار الى حمص فقتل ابن اثال فحمل الى معاوية فحبسه أياما ثم غرّمه ديته ورجع خالد الى المدينة فأتى عروة فقال عروة ما فعل ابن أثال فقال قد كفيتك ابن اثال ولكن ما فعل ابن جرموز يعنى قاتل الزبير فسكت عروة

(ذكر خروج سهم والخطيم)

وفيها خرج الخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلى وسهم بن غالب الهجيمى فحكما فأما سهم فانه خرج الى الاهواز فحكم بها ثم رجع فاختفى وطلب الامان فلم يؤمنه زياد وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه مدة وأما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم أقدمه وقال لمسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة بن مسلم اضمنه فأبى وقال ان بات خارجا عن بيته أعلمتك ثم أتاه مسلم

جركاه من قومه فتوطنوا فى قره جه طاغ وفى سنة خمس وثمانين وستمائة نازل السلطان علاء الدين بعساكر كثيرة ومعه الامير ارطغرل قلعة كوتاهية وهى يومئذ بيد الكفار فوّض أمر القلعة الى الامير ارطغرل وسار الى قتال التاتار بسبب تعرضهم لبعض بلاده ولم يزل الامير ارطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم من الاموال أشياء كثيرة فازداد عند السلطان قربا ومنزلة ولم يزل الامير ارطغرل بعد هذا يقاتل ويجاهد فى سبيل الله عز وجل حتى توفى فى سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فلما سمع السلطان وفاته تأسف عليه وعين مكانه ولده

(السلطان عثمان خان الغازى ابن الامير ارطغرل)

وكان تفرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ وكان مولده سنة ست وخمسين وستمائة فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجهاد وعلم نجابته فى فتح تلك البلاد أكرمه وامدّه بأنواع الاعانة والامداد وارسل اليه الراية السلطانية وانواع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدى السلطان عثمان نهض قائما على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين فما زال كذلك حتى فرغوا فمن ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة فى الاسفار والاعياد وكان يحب العلماء والصلحاء وكان كثير التردد الى الشيخ

سيئتمس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم واعلموا انى مهما قصرت عنه فانى لا أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى تصلحوا يصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل فاذا رأيتموني أنفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقال الاحنف قد قلت فأحسنت ايها الامير والثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثني حتى نبتلي فقال زياد صدقت فقام اليه أبو بلال مرداس بن أدية وهو من الخوارج وقال أنبأ الله بغير ما قلت قال الله تعالى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا يا زياد فقال زياد انا لا نجد الى ما تريد انت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن وأجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد اليه وصول الخبر فكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلي فيأمر رجلا ان يقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن فاذا فرغ أمهل بقدر ما يرى ان انسانا يبلغ أقصى البصرة ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى انسانا الا قتله فأخذ ذات ليلة اعرابيا فأتى به زيادا فقال هل سمعت النداء فقال لا والله قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها الى موضع وأقمت لأصبح ولا علم لي بما كان من الامير فقال أظنك والله صادقا ولكن في قتلك صلاح الامة ثم امر به فضربت عنقه وكان زياد اول من شدد امر السلطان وأكد الملك لمعاوية وجرد سيفه واخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس خوفا شديدا حتى امن بعضهم بعضا وحتى كان الشيء يسقط من يد الرجل او المرأة فلا يعرض له احد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ولا يغلق احد بابه وادر العطاء وبنى مدينة الرزق وجعل الشرط اربعة آلاف وقيل له ان السبيل مخوفة فقال لا اعانى شيأ وراء المصر حتى اصلح المصر فان غلبني فغيره أشد غلبة منه فلما ضبط المصر واصلحه تكلف ما وراء ذلك فأحكمه

﴿ذكر عمال زياد﴾

استعمل زياد عدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عمران بن حصين الخزاعي ولاه قضاء البصرة وانس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب فأما عمران فاستعفى من القضاء فأعفاه واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي ثم اخاه عاصما ثم زرارة بن اوفى وكانت اخته عند زياد وقيل ان زيادا اول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس رابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد وجعل خراسان ارباعا واستعمل على مرو أمير بن احمر وعلى نيسابور خليد ابن عبد الله الحنفي وعلى مرو الروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي ثم غضب عليه فعزله وسبب تغيره عليه ان نافعا بعث بخوان باذزهر

ماهان قرب بلخ فلما ظهر جنكيزخان واخرب بلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزمشاه وتفرقت اهاليها سنة احدى عشرة وستمائة ترك البلاد مع من تركها من الملوك وغيرها وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بدولة السلاجقة بالروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار وتبعه في ذلك خلق كثير فلما وصلوا الى اذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيأ كثيرا ثم قصدوا ناحية حلب من ناحية البستان فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره اليوم هنالك يزار ويتبرك به وكان مع سليمان شاه المذكور أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدي وارطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له باسين اوسي رجع سنقور وكون طوغدي ابنا سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف ارطغرل جد الملوك العثمانية مع ابنائه الثلاثة وهم كوندز آلب وصاروبني وعثمان ومكث في ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم ارسل ابنه صاروبني الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي يستأذنه في الدخول الى بلاده ويطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال طومانيج وجبال ارمناك وما بينهما موضعا للسكنى فأقبل ارطغرل مع اربعمائة الى

على يده وأصاب فيها شيأ كثيرا وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلي وفيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر فشتى باهل الشام وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر فشتى باهل مصر

(ذكر غزوة القسطنطينية)

في هذه السنة وقيل سنة خمسين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد فانشأ يزيد يقول

ما ان ابالي بما لاقت جموعهم * بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا * بدير مران عندي أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته وهي ابنة عبد الله بن عامر فبلغ معاوية شعره فاقسم عليه ليلحقن بسفيان في ارض الروم ليصيبه ما اصاب الناس فسار ومعه جمع كثير اضافهم اليه أبوه وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وغيرهم وعبد العزيز بن زرارة الكلابي فاوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم في بعض الايام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل فانشأ يقول

قد عشت في الدهر اطوارا على طرق * شتى فصادفت منها اللين والبشعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني * ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعه * ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه رحمه الله فبلغ خبر قتله معاوية فقال لابيه والله هلك فتى العرب فقال ابني أو ابنك قال ابنك فآجرك الله فقال

فان يكن الموت اودى به * واصبح مخ الكلابي زيرا
فكل فتى شارب كأسه * فاما صغيرا واما كبيرا

ثم رجع يزيد والجيش الى الشام وقد توفي ابو أيوب الانصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها فاهلها يستسقون به وكان قد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع علي وغيرها من حروبه

(ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد)

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الاول وأمر سعيد بن العاص عليها في ربيع الآخر وقيل في ربيع الاول وكانت ولاية مروان كلها بالمدينة لمعاوية ثماني سنين وشهرين وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحرث بن نوفل فعزله سعيد حين ولي واستقضى ابا سلمة بن عبد الرحمن

(ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام)

في هذه السنة توفي الحسن بن علي سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي وأوصى ان يدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين فاستأذن الحسين عائشة فاذنت له فلما توفي ارادوا دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرض اليهم سعيد بن العاص وهو الامير فقام مروان بن الحكم وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك

مكانه ولده كاهر وكثر الهرج والمرج في بلاده فلحق غالب عساكره بالسلطان الغازى عثمان وفي سنة سبع وسبعمائة فتح الامير عثمان ناحية مرمرة وكان الامير عثمان الغازى قسم البلاد بين اولاده واقطعهم اياها واستقر هو في بلدة ينكي شهر وتمكن بها وجعلها دار الامارة واسكن فيها الجند وفي هذه السنة فتح السلطان الغازى عثمان خان حصن كته وحصن لفكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار وفي سنة اثنى عشرة وسبعمائة افتتح المسلمون حصن كبوه وحصن ينكيجه طراقلو وحصن تكور بيكاري وغيره وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة حاصر الغازى عثمان خان مدينة بروسه مدة ثم لما امتد امر الحصار امر ببناء قلعتين في طرفي المدينة واسكن فيهما الجند وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مكانه فلما امتد ذلك ارسل الملك عثمان ابنه أورخان وصحبته عساكر كثيرة لفتح بروسه وكان السلطان عثمان اذ ذاك مريضا من علة النقرس فتخلف عن الغزو وفي هذه الاثناء توفي الملك المذكور في سنة ست وعشرين وسبعمائة وقيل بل عاش بعد فتح بروسه بعض أيام ودفن في قرية سوكجت وله قبر بها الى الآن يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ملكا عادلا شجاعا ماهرا مجاهدا

فقال له لم يبت الحطيم الليلة في بيته فأمر به فقتل والقي في بالوعة وقد تقدم ذلك أتم من هذا وانما ذكرناه ههنا لانه قتل هذه السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبي سفيان وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها توفي صالح بن كيسان مولى بني غفار وقيل مولى بني عامر وقيل الخزاعي

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين)

في هذه السنة كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ومشتى عبد الرحمن القيني بانطاكية

﴿ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج﴾

وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ووليها معاوية بن حديج وكان عثمانيا فمر به عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية قد قتلت أخي محمد بن أبي بكر لتلي مصر فقد وليتها فقال ما قتلت محمدا الا بما صنع بعثمان فقال عبد الرحمن فلو كنت انما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع حيث عمل عمرو بالاشعري ما عمل فوثبت أول الناس فبايعته (حديج بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجيم)

﴿ذكر غزوة الغور﴾

في هذه السنة سار الحكم بن عمرو الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا ولما رجع الحكم من هذه الغزوة مات بمرو في قول بعضهم وكان الحكم قد قطع النهر في ولايته ولم يفتح وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين وكان أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع

﴿ذكر مكيدة للمهلب﴾

وكان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيي الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى أسر عظيما من عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا الضيق والا قتلتك فقال له أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من الغنائم وحج بالناس هذه السنة عتبة بن ابي سفيان وقيل عنبسة بن ابي سفيان وكان الولاة من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين)

فيها كان مشتى عبد الرحمن القيني بانطاكية وصائفة عبد الله بن قيس الفزاري وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر وبأهل المدينة وفيها استعمل زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان وكانت له صحبة وحج بالناس مروان وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له وكان ولاة الامصار من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين)

فيها كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة وشتى بها وفتحت

العارف اده بالى القرمانى ورعايت فى زاويته فرأى ليلة فى منامه ان قمرا خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل فى
حضنه وعند ذلك نبتت من
سرته شجرة عظيمة سدت
اغصانها الآفاق وتحتها
جبال راسيات ذات انهار
وعيون والناس ينتفعون
من تلك المياه فلما استيقظ
الامير عثمان وقص رؤياه للشيخ
فقال له الشيخ لك البشارة
بمنصب السلطنة ويسمو
أمرك وينتفع الناس بك
وبأولادك وانى زوجتك
ابنتى هذه فقبلها عثمان
وتزوجها فولد منها اولادا من
جملتهم السلطان اورخان
ثم ان السلطان علاء الدين
عظم بلاؤه من التاتار وقد
شاخ وكبر سنه وعجز عن
الحركة والنهوض فاشتغل
بنفسه عن غيره فتسلطن
عثمان الغازى فى البلاد التى
افتتحها وخطب له فيها
بالسلطنة وخطب خستن
الشيخ اده بالى مولانا
اورسون الفقيه فى مدينة
قره جه حصار يوم الجمعة
سنة تسع وتسعين وستمائة
هى أول خطبة خطبت فى
دولة العثمانية باسم الامير
عثمان الغازى وقيل بل
باذنه فى ذلك السلطان
علاء الدين المذكور وهو
زمن الخلفاء العباسيين
وشرع الغازى عثمان شاه فى
الغزو والجهاد واستخلاص
البلاد وفتح قلعة بيله جك واينه كول ويكى شهر وفى سنة سبعمائة توفى السلطان علاء الدين السلجوقى وتولى

على

زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سمرة بذلك فقتل منهم بشرا كثيرا وخطب زياد على المنبر فقال يا اهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء او لأبدأن بكم والله لئن افلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطاياتكم درهما فثار الناس بهم فقتلوهم

(ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة)

وفي هذه السنة امر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل من المدينة الى الشام وقال لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان وطلب العصا وهي عند سعد القرظ فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فاعظم الناس ذلك فتركه وقيل اتاه جابر وابو هريرة وقالا له يا أمير المؤمنين لا يصلح ان تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ولا تنقل عصاه الى الشام فانقل المسجد فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع فلما ولي عبد الملك بن مروان هم بالمنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب أذكرك الله ان تفعل ان معاوية حركه فكسفت الشمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري فليتبوأ مقعده من النار وهو مقطع الحقوق عندهم بالمدينة فتركه عبد الملك فلما كان الوليد ابنه وهم بذلك فارسل سعيد بن المسيب الى عمر بن عبد العزيز فقال كلم صاحبك لا يتعرض للمسجد ولا لله واسخط له فكلمه عمر فتركه ولما حج سليمان بن عبد الملك اخبره عمر بما كان من الوليد فقال سليمان ما كنت احب ان يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ولا عن الوليد ما لنا ولهذا أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ونريد ان نعمد الى علم من أعلام الاسلام يوفد اليه فنحمله هذا ما لا يصلح وفيها عزل معاوية بن حديج السكوني عن مصر ووليها مسلمة بن مخلد مع افريقية وكان معاوية بن أبي سفيان بعث قبل ان يولي مسلمة افريقية ومصر عقبة بن نافع الى افريقية وكان اختط قيروانها وكان موضعه غيضة لا ترام من السباع والحيات وغيرها فدعا الله عليها فلم يبق منها شئ الا خرج هاربا حتى ان كانت السباع تحمل اولادها وبنى الجامع فلما عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني عن مصر عزل عقبة عن افريقية وجمعها لمسلمة بن مخلد فهو اول من جمع له المغرب مع مصر فولى مسلمة افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فلم يزل عليها حتى هلك معاوية بن ابي سفيان

(ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية وبناء مدينة القيروان)

قد ذكر أبو جعفر الطبري ان في هذه السنة ولي مسلمة بن مخلد افريقية وان عقبة ولي قبله افريقية وبنى القيروان والذي ذكره اهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع افريقية كانت هذه السنة وبنى القيروان ثم بقي الى سنة خمس وخمسين ووليها مسلمة بن مخلد وهم اخبر ببلادهم * وانا اذكر ما اثبتوه في كتبهم قالوا ان معاوية بن ابي سفيان عزل معاوية بن حديج عن افريقية حسب واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري وكان مقيما ببرقة وزويلة مذ فتحها ايام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم أمير أطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا

وكانت من معظم مدائن الكفار وجمع عظمائهم فغنم المسلمون منها غنيمة لم يعهد مثلها وفتح حصونا كثيرة وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة امر السلطان اورخان لولده سليمان ان يعبر الى البحر الابيض الى طرف روم ايلي للجهاد ولم يكونوا يملكون السفن فعملوا الواحا شبه السفن فركبوا عليها بالليل من موضع يقال له كر فوصلوا الى ذلك البر فصادفوا حصنا يسمى جني فاستولوا عليه بعافية ثم هجموا على قلاع اخر فاستولوا عليها قهرا وكان الامير سليمان ابن اورخان على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده اطاعوه ورضوا به فصار امر المسلمين يقوى وصيتهم يسمو فخرج لقتالهم تكور صاحب مدينة كابولي في عسكر كثير وكان المسلمون في نفر قليل فتوكلوا على الله واستمدوا من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قتالا شديدا فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كابولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جوك وقلعة جنيره بولي وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دوكور ومنها تكور طاغي وغيره وأخرب الكنائس والبيع وبنى مكانها مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور للصيد فكبا به الفرس فمات من وقته وجزع عليه والده جزعا شديدا وفي هذه السنة عبر الامير مراد الغازي ابن

فاراد الحسين الامتناع فقيل له ان اخاك قال اذا خفتم الفتنة ففى مقابر المسلمين وهذه فتنة فسكت وصلى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين لولا انه سنة لما تركتك تصلى عليه

(ثم دخلت سنة خمسين)

فيها كانت غزوة بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدى ارض الروم وغزوة فضالة بن عبيد الانصارى فى البحر

(ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة)

فى هذه السنة فى شعبان كانت وفاة المغيرة بن شعبة فى قول بعضهم وهو الصحيح وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه فلما ارتفع الطاعون عاد الى الكوفة فطعن فمات وكان طوالا اعور ذهبت عينه يوم اليرموك وتوفى وهو ابن سبعين سنة وقيل كان موته سنة احدى وخمسين وقيل سنة تسع واربعين فلما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة وهو اول من جمعا له فلما وليها سار اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان زياد يقيم بالكوفة ستة اشهر وبالبصرة ستة اشهر فلما وصل الكوفة خطبهم فحصب وهو على المنبر فجلس حتى امسكوا ثم دعا قوما من خاصته فامرهم فاخذوا ابواب المسجد ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا ادرى من جليسى ثم امر بكرسى فوضع له على باب المسجد فدعاهم اربعة اربعة يحلفون ما منا من حصبك فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حبسه حتى صار الى ثلاثين وقيل الى ثمانين فقطع ايديهم على المكان وكان اول قتيل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن وكان بلغه عنه شئ فطلبه فهرب فعرض الناس فمر به فقال من هذا قال اوفى بن حصن فقال زياد اتتك بحائن رجلاه وقال له ما رأيك فى عثمان قال ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه قال فما تقول فى معاوية قال جواد حليم قال فما تقول فى قال بلغنى انك قلت بالبصرة والله لآخذن البرىء بالسقيم والمقبل بالمدبر قال قد قلت ذلك قال خبطتها خبط عشواء فقال زياد ليس النفاخ بشر الزمرة فقتله ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة بن عقبة بن أبى معيط ان عمرو بن الحمق يجمع اليه شيعة ابى تراب فارسل اليه زياد ما هذه الجماعات عندك من اردت كلامه ففى المسجد وقيل الذى سعى بعمرو يزيد بن رويم فقال له زياد قد اشطت به ولو علمت ان مخ ساقه قد سال من بغضى ما هجته حتى يخرج على فاتخذ زياد المقصورة حين حصب فلما استخلف زياد سمرة على البصرة اكثر القتل فيها فقال ابن سيرين قتل سمرة فى غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد اتخاف ان تكون قتلت بريأ فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت وقال ابو السوار العدوى قتل سمرة من قومى فى غداة واحدة سبعة واربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمرة يوما فلقى أوائل خيله رجلا فقتلوه فمر به سمرة وهو يتشحط فى دمه فقال ما هذا فقيل اصابه أوائل خيلك فقال اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا اسنتنا

(ذكر خروج قريب)

وفيها خرج قريب الازدى وزحاف الطائى بالبصرة وهما ابنا خالة وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة فاتيا بنى ضبيعة وهم سبعون رجلا وقتلوا منهم شيخا وخرج على قريب وزحاف شباب من بنى على وبنى راسب فرموهم بالنبل وقتل عبد الله بن أوس الطاحى قريبا وجاء برأسه واشتد

يراعى الابطال ويحسن للايتام والارامل ولم يترك من المال شيأ وانما ترك بعضا من الخيل وشيأ من الغنم فالغنم التى ترعى فى نواحى بروسه باسم السلاطين العثمانية من تلك الاغنام توفى رحمه الله وله من العمر تسع وستون سنة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وتولى مكانه ولده (السلطان المجاهد اورخان خان ابن السلطان عثمان خان) جلس على سرير الملك فى ابتداء سنة سبع وعشرين وسبعمائة وسنه ثمان واربعون سنة وكان مولده فى سنة ثمان وسبعين وستمائة ثم انه بالغ وبذل جهده فى فتح مدينة بروسه ففتحها بعد جهد جهيد واستولى على القلعة واسكنها من المسلمين وجعلها دار الاسلام بعد ان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام وانتقل الملك اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والغرباء وهذه المدينة من الاقليم الخامس وهى من أعظم المدن الاسلامية واعمرها وهى مدينة كثيرة الثمار والعيون وفى جانب منها مياه سخنة بقدرة الله تعالى جعلوها حمامات ينتفع بها خلق كثير وهى من عجائب الدنيا وفى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان اورخان ففتح حصون قيوت حصارى وفتح ازنكميد وفتح مدينة ازنيق

العبشمي والحتات بن يزيد ابو منازل المجاشعي الى معاوية بن ابي سفيان فاعطى كل رجل منهم جائزة مائة الف واعطى الحتات سبعين ألفا فلما كانوا في الطريق ذكر كل منهم جائزته فرجع الحتات الى معاوية فقال ماردك قال فضحتني في بني تميم اما حسبي صحيح اولست ذا سن الست مطاعا في عشيرتي قال بلى قال فما بالك خسست بي دون القوم واعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك وكان حضر الجمل مع عائشة وكان الاحنف وجارية يريدان عليا وان كان الاحنف والجون اعتزلا القتال مع علي لكنهما كانا يريدانه قال اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورايك في عثمان وكان عثمانيا فقال وانا فاشتر مني ديني فامر له باتمام جائزته ثم مات الحتات فحبسها معاوية فقال الفرزدق في ذلك

أبوك وعمي يا معاوي اورثا * تراثا فيحتاز التراث اقاربه
فما بال ميراث الحتات أخذته * وميراث صخر جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الامر في جاهلية * علمت من المرء القليل حلائبه
ولو كان في دين سوى ذا شنئتم * لنا حقنا او غص بالماء شاربه
الست اعز الناس قوما وأسرة * وامنعهم جارا اذا ضيم جانبه
وما ولدت بعد النبي وآله * كمثلي حصان في الرجال يقاربه
وبيتي الى جنب الثريا فناؤه * ومن دونه البدر المضيء كواكبه
أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى * وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
وكم من ابٍ لي يا معاوي لم يزل * اغر يباري الريح ازور جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن * أبوك الذي من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتز للندى * كريما يلاقي المجد ما طر شاربه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن * قصي وعبد شمس ممن يخاطبه

يريد بالمالكين مالك بن حنظلة ومالك بن زيد مناة بن تميم وهما جدا الفرزدق لان الفرزدق ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلما بلغ معاوية شعره ردّ على أهله ثلاثين ألفا فأغضبت ايضا زيادا عليه فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد عليه غضبا فطلبه فهرب وأتى عيسى بن خصيلة السلمي ليلا وقال له ان هذا الرجل قد طلبني وقد لفظني الناس وقد أتيتك لتغيبني عندك فقال مرحبا بك فكان عنده ثلاث ليال ثم قال له قد بدا لي ان آتي الشام فسيره وبلغ زيادا مسيره فأرسل في أثره فلم يدرك وأتى الروحاء فنزل في بكر بن وائل فامن ومدحهم بقصائد ثم كان زياد اذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة واذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة فبلغ ذلك زيادا فكتب الى عامله على الكوفة وهو عبد الرحمن بن عبيد يأمره بطلب الفرزدق ففارق الكوفة نحو الحجاز فاستجار بسعيد بن العاص فأجاره فمدحه الفرزدق ولم يزل بالمدينة مرة وبمكة مرة حتى هلك زياد وقد قيل ان الفرزدق انما قال هذا الشعر لان الحتات لما أسلم آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية فلما مات الحتات بالشام ورثه معاوية بتلك الاخوة فقال الفرزدق هذا الشعر وهذا القول الذي ليس بشيء لان معاوية لم يكن يجهل ان هذه الاخوة لا يرث بها أحد (الحتات بضم الحاء وبتائين

بعد وفاة والده
(السلطان مجاهد الدين مراد خان بن السلطان اورخان)
استقر على سرير الملك بمدينة بروسة وكان عمره اذ ذاك اربعا وثلاثين سنة ومولده سنة سبع وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت سنة احدى وستين وسبعمائة فلما جلس على سرير الملك سار وحاصر مدينة انكورية ففتحها عنوة وكانت من امنع الحصون وهي مدينة يجلب منها الاصواف الى العالم فلما سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشي على بلاده فجمع خمسة من القبائل والعشائر وهم التاتار وورسق وطورغود والتركمان وغيرهم جماعة لا تحصى فنهض كل من الملكين الى قتال الآخر فجرى بينهما قتال شديد وحرب اكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مرادخان بن عثمان وفي سنة احدى وستين وسبعمائة ارسل السلطان مرادخان الغازي شاهين لالا الاتابك الى فتح مدينة ادرنه في جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديدا وعجزوا عن اخذها وسألوا السلطان ان يتقدم اليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت

من ثورة تمكون من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان دحلة مشتبكة بها من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل فرآه قبيل كثير من البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وتم امرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس وكان فى اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

﴿ذكر ولاية مسلمة بن مخلد افريقية﴾

ثم ان معاوية بن ابى سفيان استعمل على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى فاستعمل مسلمة على افريقية مولى له يقال له ابو المهاجر فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به وسار عقبة الى الشام وعاتب معاوية على مافعله به ابو المهاجر فاعتذر اليه ووعده باعادته الى عمله وتمادى الامر فتوفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فاستعمل عقبة بن نافع على البلاد سنة اثنتين وستين فسار اليها وقد ذكر الواقدى ان عقبة بن نافع ولى افريقية سنة ست واربعين واختط القيروان ولم يزل عقبة على افريقية الى سنة اثنتين وستين فعزله يزيد بن معاوية واستعمل أبا المهاجر مولى الانصار فحبس عقبة وضيق عليه فلما بلغ يزيد بن معاوية مافعل بعقبة كتب اليه يأمره باطلاقه وارساله اليه ففعل ذلك ووصل عقبة الى يزيد فاعاده الى افريقية واليا عليها فقبض على ابى المهاجر واوثقه وساق من خبر كسيلة مثل ماذكره ان شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين

﴿ذكر هرب الفرزدق من زياد﴾

وفيها طلب زياد الفرزدق استعدت عليه بنو نهشل وفقيم وسبب ذلك قال الفرزدق هاجيت الاشهب بن رميلة والبعيث فسقطا فاستعدى على بنو نهشل وبنو فقيم زياد ابن ابيه واستعدى على أيضا يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك قال فلم يعرفنى زياد حتى قيل له الغلام الاعرابى الذى أنهب ماله وثيابه فعرفنى قال الفرزدق وكان ابى غالب قد ارسلنى فى جلب له ابيعه وأمتار له فبعت الجلب بالبصرة وجعلت ثمنه فى ثوبى فعرض لى رجل فقال اشد ماتستوثق منها لو كان مكانك رجل اعرفه ماصر عليها فقلت ومن هو قال غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق فدعوت اهل المربد ونثرتها فقال لى قائل ألق رداءك ففعلت فقال آخر ألق ثوبك ففعلت وقال آخر الق عمامتك ففعلت فقال آخر ألق ازارك فقلت لا القيه وامشى مجردا انى لست بمجنون وبلغ الخبر زيادا فقال هذا احمق يضرى الناس بالنهب فارسل خيلا الى المربد ليأتوه بى فاتانى رجل من بنى الهجيم على فرس له وقال النجاء النجاء وأردفنى خلفه ونجوت فاخذ زياد عمين لى ذهيلا والزحاف ابنى صعصعة وكانا فى الديوان فحبسهما اياما ثم كلم فيهما فاطلقهما وأتيت ابى فاخبرته خبرى فحقدها عليه زياد ثم وفد الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعديان والجون بن قتادة

السلطان أورخان الى طرف تروم ايلى من خليج كابولى ففتح مدينة جوزلى وهى من القسطنطينية مسيرة ثلاث مراحل ولم يزل مراد الغازى يحاصر البلاد ويقاتل الكفار العناد حتى فتح مدينة ديموتة وهى من كبار البلاد الاسلامية يومئذ وفى سنة احدى وستين وسبعمائة توفى السلطان اورخان الغازى وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسه وكانت مدة ملكه خمسا وثلاثين سنة وكان رحمه الله ملكا جليلا ذا صورة حسنة وسيرة مرضية وكرم وافر وعدل متكاثر بنى بازنيق جامعا ومدرسة وهى اول مدرسة بنيت فى الدولة العثمانية ومن العلماء فى زمانه داود القيصرى اشتغل فى بلاده ثم انتقل الى مصر وقرأ على علمائها وغيرهم ومن المشايخ فى زمانه كيكلو بابا كان يركب الغزلان وحضر فتح بروسه مع السلطان أورخان وهو راكب على غزال وله كرامات يعجز الانسان عن حصرها ومنهم الشيخ العارف بالله قره جه احمد اصله من بلاد العجم من أبناء الملوك ومنهم الشيخ المجذوب موسى بابا ومن كراماته انه أخذ جمرة فوضعها فى قطنة وارسلها الى الشيخ كايكلو بابا الذى كان يركب الغزلان فلما رآها الشيخ ارسل اليه قصعة فيها لبن فلما رآه تعجب فسئل عنه فقال انه لبن الغزال وتسخير الحيوان اصعب من تسخير الجمادات ومن المشايخ أيضا فى زمانه أخى اوران ودرغاو بابا وابدال مراد كلهم من اولياء الله تعالى ظهرت كراماتهم وبويع بالسلطنة

عليه لايجدي علينا نفعا وأكثر وامن هذا القول وأمثاله فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا على م تترك هذا الرجل يجترئ عليك في سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية فقال لهم المغيرة اني قد قتلته سيأتي من بعدي امير يحسبه مثلي فيصنع به ما ترونه يصنع بي فيأخذه ويقتله اني قد قرب أجلي ولا أحب ان أقتل خيار أهل هذا المصر فيسعدون واشقى ويعز في الدنيا معاوية ويشقى في الآخرة المغيرة ثم توفي المغيرة وولي زياد فقام في الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه فقام حجر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة ورجع زياد الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث فبلغه ان حجرا يجتمع اليه شيعة علي ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص زياد الى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحجر جالس ثم قال اما بعد فان غب البغي والغي وخيم ان هؤلاء جموا فأشروا وامنوني فاجترؤا على الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ولست بشيء ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالا لمن بعده ويل امك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان وأرسل الى حجر يدعوه وهو بالمسجد فلما أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه لا تأته ولا كرامة فرجع الرسول فأخبر زيادا فأمر صاحب شرطته وهو شداد بن الهيثم الهلالي ان يبعث اليه جماعة ففعل فسبهم أصحاب حجر فرجعوا وأخبروا زيادا فجمع اهل الكوفة وقال تشجون بيد وتأسون بأخرى أبدانكم معي وقلوبكم مع حجر الاحمق هذا والله من دحسكم والله ليظهرن لي براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم فقالوا معاذ الله ان يكون لنا رأي الا طاعتك وما فيه رضاك قال فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ففعلوا وأقاموا اكثر أصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حجر فان تبعك فأتني به والا فشدوا عليهم بالسيوف حتى تأتوني به فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من اجابته فحمل عليهم فقال ابو العمرطة الكندي لحجر انه ليس معك من معه سيف غيري وما يغني عنك سيفي قم فالحق بأهلك يمنعك قومك وزياد ينظر اليهم وهو على المنبر وغشيهم أصحاب زياد وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع وحمله أصحابه الى الازد فاختفى عندهم حتى خرج وانحاز أصحاب حجر الى أبواب كندة وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمي وكسر نابه وأخذ عمودا من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة وأتى حجر ببغلته فقال له أبو العمرطة اركب فقد قتلتنا ونفسك وحمله حتى اركبه وركب ابو العمرطة فرسه ولحقه يزيد بن طريف المسلي فضرب أبا العمرطة على فخذه بالعمود وأخذ ابو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط ثم برأ وله يقول عبد الله بن همام السلولي

الوم ابن لؤم ما عدا بك حاسرا * الى بطل ذي جرأة وشكيم
معاود ضرب الدارعين بسيفه * على الهام عند الروع غير لئيم
الى فارس الغارين يوم تلاقيا * بصفين قرم خير نجل قروم
حسبت ابن برصاء الحتار قتاله * قتالك زيدا يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في اختلاف بين الناس ومضى حجر وأبو

وأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة والظفر وسماهم ينكجري معناه العسكر الجديد وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد حميد خمس قلاع وهي ياواج ويكي شهر وآق شهر وقره اغاج وسيدي شهر وفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لازقاته فمر افاته بعسكر الكفار بموضع يقال له قوس أوايه بلاد روم ايلي فالتحم بين الفريقين القتال وضرب السيوف والمكاحل ورشق النبال الى ان هبت رياح النصر من طرف المسلمين وانقلب الكفار على أدبارهم صاغرين ثم انه لما انهزم الكفار اقبل من أمرائهم امير يقال له ويلوش مع خيله ورجله مظهرا للطاعة فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان في كمه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد وتقبيل يد السلطان ان يمسك واحد من طرف كمه وآخر من كمه الآخر احترازا من ذلك فلما قتل دفنوا امعاءه هنالك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسه وقبره اليوم يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان أفنى عمره في الجهاد وكان شجيعا مقداما

مشاقين من فوقهما بينهما ألف)

(ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفارى)

فى هذه السنة توفى الحكم بن عمرو الغفارى بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل الاشل فى قول وقد تقدم ذكر وفاته فى قول آخر وكان زياد قد كتب اليه ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى ان اصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه الحكم بلغنى ما أمر به أمير المؤمنين وانى وجدت كتاب الله قبل كتابه وانه والله لو أن السموات والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا ثم قال للناس اغدوا على اعطياتكم ومالكم فقسمه بينهم ثم قال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك فتوفى بمرو وله صحبة

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة معاوية وقيل بل حج ابنه يزيد وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم وفيها توفى سعد بن أبى وقاص بالعقيق فحمل على الرقاب الى المدينة فدفن بها وقيل توفى سنة أربع وخمسين وقيل سنة خمس وخمسين وعمره أربع وسبعون وقيل ثلاث وثمانون سنة وهو أحد العشرة وكان قصيرا دحداحا وفيها توفيت صفية بنت حيى زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل توفيت أيام عمر وفيها توفى عثمان بن ابى العاص الثقفى وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس توفى بالبصرة وأبو موسى الاشعرى وقيل توفى سنة اثنتين وخمسين وفيها توفى زيد بن خالد الجهنى وقيل توفى سنة ثمان وستين وقيل ثمان وسبعين وفيها توفى مدلاج بن عمرو والسلمى وكان قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم لهم صحبة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين)

وفيها كان مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن ابى أرطاة الصائفة

(ذكر قتل حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وأصحابهما)

فى هذه السنة قتل حجر بن عدى وأصحابه وسبب ذلك ان معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة احدى وأربعين فلما امره عليها دعاه وقال له أما بعد فان لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم وقد أردت ايصاءك بأشياء كثيرة انا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تاركا ايصاءك بخصلة لا تترك شتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب لاصحاب على والاقصاء لهم والاطراء بشيعة عثمان والادناء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذممنى وستبلو فتحمد أو تذم فقال بل نحمد ان شاء الله فأقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو أحسن شئ سيرة غير انه لا يدع شتم على والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فاذا سمع ذلك حجر بن عدى قال بل اياكم فذم الله ولعن ثم قام وقال أنا اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته فان غضب السلطان يهلك أمثالك ثم يكف عنه و يصفح فلما كان آخر امارته قال فى على وعثمان ما كان يقوله فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد وقال له مر لنا أيها الانسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعا بذم امير المؤمنين فقام أكثر من ثلثى الناس يقولون صدق حجر و بر مر لنا بأرزاقنا فان ما أنت

أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فأخذوها وأرسلوا اعلموا السلطان فحمد الله واثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهى من اعظم مدن الدنيا وهى مدينة كثيرة البساتين تجرى من تحتها الانهار الثلاثة وهى توقجه واربله وصاريج وهى من الاقليم الخامس بينها وبين قسطنطينية خمسة وتسعون ميلا ثم ان السلطان الجليل عامله الله بالجميل ارسل لالاشاهين الاتابك بعد ان نصبه امير الامراء بروم ايلى فسار وفتح مدينة فلبه وهى مدينة لطيفة ثم فتح زغره بنواحيها وعاد الى مدينة بروسه وفى سنة ثلاث وستين وسبعمائة اشار قره خليل باشا على السلطان بأن يأخذ خمس الاسارى من الغانمين على زقاق كاليبولى وكان الغزو والجهاد فى بلاد روم ايلى فكانت تسبى الاسارى كالسيل الهامى والبحر الطامى فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فأمر لهم السلطان بتعليم علم المكاحل فتعلموا ثم ميزهم بان أرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة و يسميهم باسم و يدعو لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا بالشيخ قطع كم قبائه وكان من ايصاله فالبسه

فبعث زياد فأتي به فقال يا عدو الله ما تقول في أبي تراب قال ما أعرف أبا تراب فقال ما أعرفك به أتعرف علي بن أبي طالب قال نعم قال فذاك أبو تراب قال كلا ذاك أبو الحسن والحسين فقال له صاحب الشرطة يقول الامير هو أبو تراب وتقول لا قال فان كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد فقال له زياد وهذا أيضا على عصا فأتي بها فقال ما تقول في علي قال احسن قول قال اضربوه فضربوه حتى لصق بالارض ثم قال أقلعوا عنه ما قولك في علي قال والله لو شرحتني بالمواسي ما قلت فيه الا ما سمعت مني قال لتلعننه او لاضربن عنقك قال لا أفعل فاوثقوه حديدا وحبسوه قيل وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الاشعث في مواطنه ثم دخل الكوفة فجلس في بيته فقال حوشب للحجاج ان هنا امرأ صاحب فتن لم تكن فتنة بالعراق الا وثب فيها وهو ترابي يلعن عثمان وقد خرج مع ابن الاشعث حتى هلك وقد جاء فجلس في بيته فبعث اليه الحجاج فقتله فقال بنو أبيه لآل حوشب دسستم بصاحبنا فقتلوا وأنتم أيضا دسستم بصاحبنا يعني صيفيا الشيباني وأرسل زياد الى عبد الله بن خليفة الطائي فتوارى فبعث اليه الشرط فأخذوه فخرجت اخته النوار فحرضت طيئا فثاروا بالشرط وخلصوه فرجعوا الى زياد فاخبروه فأخذ عدي بن حاتم وهو في المسجد فقال ائتني بعبد الله قال وما حاله فاخبره فقال لا علم لي بهذا قال لتأتيني به قال لا آتيك به ابدا آتيك بابن عمي تقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فأمر به الى السجن فلم يبق بالكوفة يمني ولا ربعي الا كلم زيادا وقالوا تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فاني أخرجه على شرط ان يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي سلطان فأجابوه الى ذلك وأرسل عدي الى عبد الله يعرفه ما كان وأمره ان يلحق بجبلي طيء فخرج اليهما وكان يكتب الى عدي ليشفع فيه ليعود الى الكوفة وعدي يمنيه فلما كتب اليه يعاتبه ويرثي حجرا وأصحابه قوله

تذكرت ليلى والشبيبة اعصرا * وذكر الصبا برح على من تذكرا

وولى الشباب فافتقدت غصونه * فيالك من وجد به حين ادبرا

فدع عنك تذكار الشباب وفقده * وأسبابه اذ بان عنك فاجمرا

وبك على الخلان لما تخرموا * ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا

دعتهم مناياهم ومن حان يومه * من الناس فاعلم انه لن يؤخرا

أولئك كانوا شيعة لي وموئلا * اذا اليوم ألقى ذا احتدام مذكرا

وما كنت أهوى بعدهم متعللا * بشيء من الدنيا ولا ان أعمرا

أقول ولا والله انسى ادكارهم * سجيس الليالي أو أموت فأقبرا

على أهل عذراء السلام مضاعفا * من الله وليسق الغمام الكنهورا

ولاقى بها حجر من الله رحمة * فقد كان أرضى الله حجر وأعذرا

ولا زال تهطال ملث وديمة * على قبر حجر أو ينادي فيحشرا

فياحجر من للخيل تدمى نحورها * وللملك المغرى اذا ما تغشمرا

ومن صادق بالحق بعدك ناطق * بتقوى ومن ان قيل بالجور غيرا

فنعم أخو الاسلام كنت وانني * لاطمع ان تؤتى الخلود وتحبرا

قرمان وبلغ السلطان انه اغار على بعض بلاد اناطولي هجم عليه السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آقجاي فاسره هو وابناه محمد وعلي فنازل السلطان مدينة قونية وهي كرسي مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك الغلال فرسم السلطان بأن لا يتعرض أحد لشيء من الغلال وان لا يظلموا احدا وأذن لاهل القلعة بأن يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ما شاؤا فخرج اهل القلعة واهتدوا شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه أرادوا فلما شاهدوا ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا ان ملكا بلغ منا هذا المبلغ لا ينبغي ان نعصيه ونخرج عن طاعته فحضروا رمتهم طائعين وسلموا الملك السعيد راضين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا أنت احق بها واهلها فلما رأى اهل سائر القلاع ما فعل اهل قونية وهي عمدة بلاد قرمان رغبوا في المتابعة فجاؤا بمفاتيح قلاعهم وهي بلدة آقسراي ونكده وقيصرية ودولي قره حصار وسلموها الى الملك السعيد بالروم بايزيد ثم رجع السلطان الى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة الى ان أطلقهما الخارجي تيمور حين قدم الروم وفي سنة

الشرطة الى دار حجر واجتمع اليه ناس كثير ولم يأته من كندة كثير أحد فأرسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان الى جبانة كندة وأمرهم ان يأتوه بحجر وأرسل سائر أهل اليمن الى جبانة الصائدين وأمرهم ان يمضوا الى صاحبهم حجر فيأتوه به ففعلوا فدخل مذحج وهمدان الى جبانة كندة فأخذوا كل من وجدوا فأثنى عليهم زياد فلما رأى حجر قلة من معه أمرهم بالانصراف وقال لهم لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب ان تهلكوا فخرجوا فأدركهم مذحج وهمدان فقاتلوهم واسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون فأخذ حجر طريقا الى بنى حوت فدخل دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد وادركه الطلب فأخذ سليم سيفه ليقاتل فبكى بناته فقال حجر بئسما أدخلت على بناتك اذا قال والله لا تؤخذن من دارى اسيرا ولا قتيلا وانا حى فخرج حجر من خوخة فى داره فأتى النخع فنزل دار عبد الله بن الحرث أخى الاشتر فأحسن لقاءه فبينما هو عنده اذ قيل له ان الشرط تسأل عنك فى النخع وسبب ذلك ان أمة سوداء لقيتهم فقالت من تطلبون فقالوا حجر بن عدى فقالت هو فى النخع فخرج حجر من عنده فأتى الازد فاختفى عند ربيعة بن ناجد فلما اعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الاشعث وقال له والله لتأتينى به اولاقطعن كل نخلة لك واهدم دورك ثم لا تسلم منى حتى اقطعك اربا اربا فاستمهله فامهله ثلاثا واحضر قيس بن يزيد أسيرا فقال له زياد لا بأس عليك قد عرفت رأيك فى عثمان وبلاءك مع معاوية بصفين وانك انما قاتلت مع حجر حمية وقد غفرتها لك ولكن ائتنى بأخيك عمير فاستأمن له منه على ماله ودمه فامنه فأتاه به وهو جريح فأثقله حديدا وأمر الرجال ان يرفعوه ويلقوه ففعلوا به ذلك مرارا فقال قيس بن يزيد لزياد الم تؤمنه قال بلى قد أمنته على دمه ولست أهريق له دما ثم ضمنه وخلى سبيله ومكث حجر بن عدى فى بيت ربيعة يوما وليلة فأرسل الى محمد بن الاشعث يقول له ليأخذ له من زياد امانا حتى يبعث به الى معاوية فجمع محمد جماعة منهم جرير بن عبد الله وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على ان يرسله الى معاوية فأجابهم فأرسلوا الى حجر بن عدى فحضر عند زياد فلما رآه قال مرحبا بك أبا عبد الرحمن حرب أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس على اهلها تجنى براقش فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة وانى على بيعتى فأمر به الى السجن فلما ولى قال زياد والله لاحرصن على قطع خيط رقبته وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد فاختفيا بجبل هنالك فرفع خبرهما الى عامل الموصل فسار اليهما فخرجا اليه فأما عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع وأما رفاعة فكان شابا قويا فركب فرسه ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو ما ينفعنى قتالك عنى انج بنفسك فحمل عليهم فافرجوا له فنجا وأخذ عمرو اسيرا فسألوه من أنت فقال من ان تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضر عليكم ولم يخبرهم فبعثوه الى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفى الذى يعرف بابن ام الحكم وهو ابن أخت معاوية فعرفه فكتب فيه الى معاوية فكتب اليه انه زعم انه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فاطعنه كما طعن عثمان فأخرج وطعن فمات فى الاولى منهن أو الثانية وجد زياد فى طلب أصحاب حجر فهربوا وأخذ من قدر عليه منهم فأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسى بامان فحبسه وجاء قيس بن عباد الشيبانى الى زياد فقال له ان امرأ منا يقال له صيفى من رؤس أصحاب حجر

فبعث

على الهمة توفى وعمره خمس وستون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وتولى الملك بعده ولده

(السلطان السعيد يلدرم بايزيدخان الغازى ابن السلطان مرادخان)

وكان السلطان يلدرم بايزيد واخوه يعقوب مع أبيهما فى السفر فلما قضى نحبه اتفق رأى أركان الملك على تولية بايزيد فدعوه الى الوطاق فاعلموه بوفاة والده فعزوه وهنوه بالسلطنة واجلسوه على سرير الملك ودعوا اخاه يعقوب فقالوا له ان السلطان قد ضعف ويريد حضورك اليه فلما دخل الوطاق قبضوا عليه وخنقوه وكان ذلك فى رمضان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم بعد ذلك فتح السلطان المذكور قره طوه وهى معدن الفضة الخالصة التى لا نظير لها وفتح بلاد اسكوب وهى من اجل البلاد الاسلامية وفى هذه السنة فتح قلعة ودين وفيها اخاف ابن ايدين من السلطان وسلم مفاتيح قلاعه الى السلطان وفيها اطاع السلطان اهالى بلاد قره سى وصاروخان وفيها هرب صاحب قسطمونى وهو ابن منتشا فأرسل السلطان من يضبط تلك البلاد جميعا ولما نقض العهد علاء الدين صاحب بلاد

وكم عدة لي منك انك راجعي * فلم تغن بالميعاد عنى حبترا
فاصبحت أرعى النيب طوراوتارة * أهرهران راعى الشويهات هرهرا
كأنى لم أركب جواد الغارة * ولم أترك القرن الكمى مقطرا
ولم أعترض بالسيف منكم مغيرة * اذا النكس مشى القهقرى ثم جرجرا
ولم استحث الركض فى اثر عصبة * ميممة عليا سجاس وأبهرا
ولم أذعر الابلام منى بغارة * كورد القطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أر فى خيل تطاعن مثلها * بقزوين اوشروين اوأغزكيدرا
فذلك دهر زال عنى حميده * واصبح لى معروفه قد تنكرا
فلا يبعدن قومى وان كنت عاتبا * وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم * وان كنت عنهم نائى الدار محصرا

فمات عبد الله بالجبلين قبل موت زياد ثم أتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمى من أصحاب حجر بن عدى فقال ما اسمك قال كريم بن عفيف قال ما احسن اسمك واسم ابيك واسوأ عملك ورأيك فقال له اما والله ان عهدك برأيى منذ قريب قال وجمع زياد من أصحاب عدى اثنى عشر رجلا فى السجن ثم دعا رؤساء الارباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبا بردة بن أبى موسى على ربع مذحج واسد فشهد هؤلاء ان حجرا جمع اليه الجموع واظهر شتم الخليفة ودعا الى حرب أمير المؤمنين وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا فى آل ابى طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين واظهر عذر أبى تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس أصحابه على مثل رأيه وأمره ونظر زياد فى شهادة الشهود وقال انى لاحب ان يكونوا أكثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا عليه فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبى معيط وعمرو بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم وكتب فى الشهود شريح بن الحرث القاضى وشريح بن هانئ فاما شريح بن هانئ فكان يقول ما شهدت وقد لمته ثم دفع زياد حجر بن عدى وأصحابه الى وائل بن حجر الحضرمى وكثير بن شهاب وأمرهما ان يسيرا بهم الى الشام فخرجوا عشية فلما بلغوا الغريين لحقهم شريح بن هانئ واعطى وائلا كتابا وقال ابلغه أمير المؤمنين فأخذه وساروا حتى انتهوا بهم الى مرج عذراء عند دمشق وكانوا حجر بن عدى الكندى والارقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى وكريم بن عفيف الخثعمى وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمى البجلى وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب التميمى وعبد الله بن حوية السعدى التميمى فهؤلاء اثنا عشر رجلا واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن نمران الهمدانى فتموا اربعة عشر رجلا فبعث معاوية الى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما واخذ كتابهما فقرأه ودفع اليه وائل كتاب شريح بن هانئ فاذا فيه بلغنى ان زيادا كتب شهادتى وان شهادتى على حجر انه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم

يقول له اما ان تخرج من البلاد وتسلمها الى وأما سرت اليك فأتيتك فى أعزاما كنك الملك تخاف منه والتزم له بالخراج فى كل سنة عشرة آلاف ذهب وان يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يفصل الخصومات فرضى بذلك ولم يتعرض له السلطان فاستمرت هذه الحالة الى زمان وقعة تيمور فعند ذلك نقض العهد واخرب الجامع واخرج المسلمين من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر فى كتابه أنباء الغمر فى ابناء العمر واشتهر يلدرم بايزيد بالجهاد فى الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الملك الظاهر برقوق وهاداه وأرسل اليه أميرا بعد امير ولم يبق أحد من ملوك الارض حتى كاتبه وهاداه حتى كان يقول الظاهر برقوق انا لا اخاف من الكفار فان كل أحد يساعدنى عليهم وانما اخاف من ابن عثمان وفى سنة اثنتين وثمانمائة سار ملوك الطوائف ببلاد الروم الذين اقتلعهم يلدرم بايزيد خان من ممالكهم مثل ابن كرميان وابن منتشا وابن ايدين وابن اسفنديار وغيرهم الى تيمور صاحب الشرق يشكون اليه من السلطان

وقد كنت تعطى السيف فى الحرب حقه * وتعرف معروفا وتنكر منكرا
فيا أخويّنا من هميم عصمتما * وبشرتما بالصالحات فأبشرا
ويا أخوىّ الخندفيين ابشرا * بعامعنا حيتما ان تتبرا
ويا اخوتا من حضرموت وغالب * وشيبان اقيتم جفانا مبشرا
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم * عجاجا لدى الموت الجليل واصبرا
سابكيكم مالاح نجم وغرّد الحمام ببطن الواد يبين وقرقرا
فقلت ولم أظلم أغوث بن طيّ * متى كنت أخشى بينكم ان أسيرا
هبلتم ألا قاتلتم عن أخيكم * وقد ذدت حتى مال ثم تجوّرا
تفرّجتم عنى فغودرت مسلما * كأنى غريب من اياد واعصرا
فمن لكم مثلى لدى كل غارة * ومن لكم مثلى اذا البأس أصحرا
ومن لكم مثلى اذا الحرب قلصت * واوضع فيها المستميت وشمرا
فها انا ذا آوى بأجبال طيّ * طريدا فلو شاء الاله لغيرا
نفانى عدوّى ظالما عن مهاجرى * رضيت بما شاء الاله وقدّرا
وأسلمنى قومى بغير جناية * كأن لم يكونوا لى قبيلا ومعشرا
فان ألف فى دار باجبال طيّ * وكان معانا من عصير ومحضرا
فما كنت أخشى ان أرى متغربا * لحا الله من لاحى عليه وكثرا
لحا الله قيل الحضرميين وائلا * ولاقى القنانى بالسنان الموقرا
ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا * علينا وقالوا قول زور ومنكرا
فلا يدعنى قومى لغوث وطيّ * اذا دهرهم اشقى بهم وتغيرا
فلم أغزهم فى المعلمين ولم أثر * عليهم عجاجا بالكويفة اكدرا
فبلغ خليلى ان رحلت مشرقا * جديلة والحيين معنا وبحترا
ونبهان والافناء من جذم طيّ * ولم ألفكم ذا الغناء المشتزرا
الم تذكروا يوم العذيب أليتى * امامكم أن لا أرى الدهر مدبرا
وكرى على مهران والجمع حابس * وقتلى الهمام المستميت المسورا
ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم * ويوم نهاوند الفتوح وتسترا
وينسوننى يوم الشريعة والقنا * بصفين فى اكتافهم قد تكسرا
جزى ربه عنى عدى بن حاتم * برفضى وخذلانى جزاء موفرا
اتنسى بلائى سادرا يا ابن حاتم * عشية ما اغنت عديك حزورا
فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت أنا الخصم الالد العذورا
تولوا وما قاموا مقامى كأنما * رأونى ليثا بالاباءة مخدرا

وقد تقدم ما فعله عبد الله مع عدى فى وقعة صفين فلهذا لم نذكره هنا

نصرتك اذ خان القريب وأبعض الشبعيد وقد افردت نصرا موزرا
فكان جزائى أن أجرّ بينكم * سجيبا وأن اولى الهوان وأوسرا

خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان المذكور على سيواس واماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وفى آخر هذه السنة بلغه ان بايزيد الرومى صاحب قسطموني اغار على بعض البلاد التى بيد السلطان وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر الغزو الكفار الى طرف روم ايلى تركه ورجع قاصدا لقتال بايزيد فاتفق انه مات وتولى مكانه ولده اسفنديار فلما وصل السلطان استولى منها على بلدة طرقلو بولى ومدينة قسطمونى وقلعة عثمانجق وكان قصده ان يستولى على جميع البلاد التى كان يملكها بايزيد بيك كما سبق فأرسل اسفنديار الى الملك وافدا ومعه هدية يستعطفه ويسترضيه ويقول ان أبى جنى وقد مات وانا مطيع لاوامر مولانا السلطان ومن جملة مماليكه فالمناسب لعدله ان لا يؤاخذ احدا بذنب غيره وارجو من مكارمه ان يترك لى مدينة سينوب وهى مدينة أبى ومسقط راسى ويجعلنى فيها نائبا من قبله فأجاب السلطان الى مسؤله واعطاه وعاد الى مدينة بروسة وأرسل الى تكور صاحب القسطنطينية

ابو اب الحق قال قتلت نفسك قال بل اياك قتلت ولا ربيعة بالوادي يعني ليشفعوا فيه فرده معاوية الى زياد وامره ان يقتله شر قتلة فدفنه حيا فكان الذين قتلوا حجر بن عدي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب السعدي التميمي وكدام بن حيان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي الذي دفنه زياد حيا فهؤلاء السبعة قتلوا ودفنوا وصلي عليهم قيل ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر واصحابه قال صلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا نعم قال حجوهم ورب الكعبة وأما مالك بن هبيرة السكوني حين لم يشفعه معاوية في حجر فجمع قومه وسار بهم الى عذراء ليخلص حجرا وأصحابه فلقيته قتلتهم فلما رأوه علموا انه جاء ليخلص حجرا فقال لهم ما وراءكم قالوا قد تاب القوم وجئنا لنخبر أمير المؤمنين فسكت وسار الى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم فأرسل الخيل في اثر قتلتهم فلم يدركوهم ودخلوا على معاوية فأخبروه فقال لهم انما هي حرارة يجدها في نفسه وكأنها طفئت وعاد مالك الى بيته ولم يأت معاوية فلما كان الليل أرسل اليه معاوية بمائة ألف درهم وقال ما منعني ان أشفعك الا خوفا ان يعيدوا الناس بأن يكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر فأخذها وطابت نفسه ولما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحرث الى معاوية فيه وفي أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين غاب عنك حلم أبي سفيان قال حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت وقالت عائشة لولا انا لم نغير شيأ الا صارت بنا الامور الى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله ان كان ما علمت لمسلما حاجا معتمرا وقال الحسن البصري أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلاه من حجر ويا ويلاه من حجر وأصحاب حجر قيل وكان الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعوة زياد وقالت هند بنت زيد الانصارية ترثي حجرا وكانت تتشيع

ترفع أيها القمر المنير * تبصر هل ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الامير
تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا * كأن لم يحيها مزن مطير
الا يا حجر حجر بني عدي * تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عديا * وشيخا في دمشق له زئير
فان تهلك فكل زعيم قوم * من الدنيا الى هلك يصير

وقد قيل في قتله غير ما تقدم وهو ان زيادا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر بن عدي الصلاة فمضى في خطبته فقال له الصلاة فمضى في خطبته فلما خشي حجر بن عدي فوت الصلاة ضرب بيده الى كف من حصى وقام الى الصلاة وقام الناس معه فلما رأى زياد ذلك

وشغروكيف تولى وكفروأين للتاتار الطغام الضرب بالبتار الحسام وما لهم رشق سوى النبال والسهام بخلاف ضراغم الاروام وأما نحن فالحرب دأبنا والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا رجالنا باعوا انفسهم وأموالهم من الله بأن لهم الجنة فكم اضربناهم في آذان الكفار من طعنة ولسيوفهم في قلانس الفوارس من رنة وأنا أعلم ان هذا الكلام يمثلك الى بلادنا انبعاثا فان لم تأت تكن زوجتك طالقا ثلاثا وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقابلك البتة فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا البتة ثم أنهى خطابه وردّ على هذه الطريق جوابه فلما وقف تيمور على جوابه استقبحا منه بالنساء الكناية وكان السلطان يلدرم بايزيد على مدينة استانبول محاصرها وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب أوزارها فتركها وتوجه لقتاله واستعد لاستقباله وخاف من الهجوم على بلاد الروم فأجرى من عساكره السيول الهامرة وأخذ بهم على قفار غامرة حذرا على رعاياه من مواطئ مطاياه فانه كان على الضعيف من رعيته شفوقا

والمال فان شئت فاقتله وان شئت فدعه فقال معاوية ما أرى هذا الا قد أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء فوصل اليهم الرجلان اللذان الحقهما زياد بحجر وأصحابه فلما وصلا سار عامر بن الاسود العجلى الى معاوية ليعلمه بهما فقام اليه حجر بن عدى فى قيوده فقال له ابلغ معاوية ان دماءنا عليه حرام واخبره انا قد أومنا وصالحناه وصالحنا وانا لم نقتل احدا من اهل القبلة فيحل له دماؤنا فدخل عامر على معاوية فاخبره بالرجلين فقام يزيد بن اسد البجلى فاستوهبه ابنى عمه وهما عاصم وورقاء وكان جرير بن عبد الله البجلى قد كتب فيهما يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر فى الارقم فتركه له وشفع أبو الاعور السلمى فى عتبة بن الاخنس فتركه وشفع حمزة بن مالك الهمدانى فى سعد ابن نمران فوهبه له وشفع حبيب بن مسلمة فى ابن حوية فتركه له وقام مالك بن هبيرة السكونى فقال دع لى ابن عمى حجرا فقال له هو رأس القوم واخاف ان خليت سبيله أن يفسد على مصره فيحتاج ان نشخصك اليه بالعراق فقال والله ما انصفتنى يا معاوية قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ثم سألتك ابن عمى فمنعتنى ثم انصرف فجلس فى بيته فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعى والحصين بن عبد الله الكلابى وأبا شريف البدى الى حجر وأصحابه ليقتلوا من أمروا بقتله منهم فأتوهم عند المساء فلما رأى الخثعمى احدهم اعور قال يقتل نصفنا ويترك نصفنا فتركوا ستة وقتلوا ثمانية وقالوا لهم قبل القتل انا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من على والعن له فان فعلتم تركناكم وان أبيتم قتلناكم فقالوا لسنا فاعلى ذلك فأمر فحفرت القبور وأحضرت الاكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن عدى اتركونى اتوضأ واصلى فانى ما توضأت الا صليت فتركوه فصلى ثم انصرف منها وقال والله ما صليت صلاة قط أخف منها ولولا ان تظنوا انى جزع من الموت لاستكثرت منها ثم قال اللهم انا نستعديك على امتنا فان أهل الكوفة شهدوا علينا وان أهل الشام يقتلوننا اما والله ان قتلتمونى بها فانى لاول فارس من المسلمين هلك فى واديها وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا له زعمت انك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالى لا أجزع وأرى قبرا محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا وانى والله ان جزعت من القتل لا اقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة فقال عبد الرحمن بن حسان العنزى وكريم الخثعمى ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته فاستأذنوا معاوية فيهما فأذن باحضارهما فلما دخلا عليه قال الخثعمى الله الله يا معاوية فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ثم مسؤل عما اردت بسفك دمائنا فقال له ما تقول فى على قال أقول فيه قولك قال اتبرأ من دين على الذى يدين الله به فسكت وقام شمر بن عبد الله من بنى قحافة بن خثعم فاستوهبه فوهبه له على ان لا يدخل الكوفة فاختار الموصل فكان يقول لو مات معاوية قدمت الكوفة فمات قبل معاوية بشهر ثم قال لعبد الرحمن بن حسان يا اخا ربيعة ما تقول فى على قال دعنى ولا تسألنى فهو خير لك قال والله لا أدعك قال اشهد انه كان من الذاكرين الله تعالى كثيرا من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس قال فما قولك فى عثمان قال هو أول من فتح ابواب الظلم واغلق

بايزيد ويرغبونه الى الروم ويستنجدون به عليه فى رد ممالكهم فأجاب تيمور الى سؤالهم بعدان رجع من البلاد الشامية وبغداد فدخل حدود الروم فى أواخر سنة أربع وثمانمائة وأرسل تيمور الى الملك السعيد بايزيد فى الصلح على عادته من المكر والدهاء وقال انك رجل مجاهد فى سبيل الله وأنا لا أحب قتالك ولكن انظر اى البلاد التى كانت معك من ابيك وجدك فاقنع بها وسلم لى البلاد التى كانت مع ارثنا وكان عند السلطان بايزيد خفة وشجاعة ولم يكن عنده صبر ساعة وكان اذا تكلم وهو فى صدره مكان فلا يزال فى حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان فلما وقف على كتابه وفهم فحوى خطابه قال ايخوفنى بهذه الترهات ويستفزنى بهذه الترهات او يحسب انى مثل ملوك الاعاجم أو تاتار الدشت الاغنام أو ما يعلم ان أخباره عندى ان اول امره حرامى سفاك الدماء هتاك المحارم نقاض العهود والذمم وكيف يختل الملوك

ابواب

وخرج على زياد أيضا رجل من طيء يقال له معاذ فأتى نهر عبد الرحمن بن أم الحكم في ثلاثين رجلا هذه السنة فبعث اليه زياد من قتله وأصحابه وقيل بل حل لواءه واستأمن ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس سعيد بن العاص وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات عمران بن الحصين الخزاعي بالبصرة وأبو أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد شهد العقبة وبدرا وقد تقدم انه توفي سنة تسع وأربعين عند القسطنطينية وكعب بن عجرة وله خمس وسبعون سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ﴾

فيها كان مشتى عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي بارض الروم وفيها افتتحت رودس جزيرة في البحر فتحها جنادة بن أبي أمية الازدي ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شيء على الروم يعترضونهم في البحر فيأخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفي معاوية أقفلهم ابنه يزيد وقيل فتحت سنة ستين

﴿ ذكر وفاة زياد ﴾

وفي هذه السنة توفي زياد بن أبيه بالكوفة في شهر رمضان وكان سبب موته انه كتب الى معاوية اني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده على الحجاز فبلغ اهل الحجاز فأتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكروا ذلك فقال ادعوا الله عليه ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه وكان من دعائه ان قال اللهم اكفنا شر زياد فخرجت طاعونة على اصبع يمينه فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحا القاضي فقال له قد حدث ما ترى وقد امرت بقطعها فأشر علي فقال له شريح اني أخشى ان يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذم وقد قطعت يدك كراهية لقائه أو ان يكون في الاجل تأخير فتعيش أجذم وتعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون في لحاف واحد فخرج شريح من عنده فسأله الناس فأخبرهم فلاموه وقالوا هلا أشرت بقطعها فقال المستشار مؤتمن وأراد زياد قطعها فلما نظر الى النار والمكاوي جزع وتركه وقيل بل تركه لما أشار عليه شريح بتركه ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لك ستين ثوبا أكفنك بها فقال له يا بني قد دنا من أبيك لباس هو خير من لباسه أو سلب سريع فمات ودفن بالثوية الى جانب الكوفة فلما بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك وكان مولده سنة احدى من الهجرة قال مسكين الدارمي يرثيه

رأيت زيادة الاسلام ولت * جهارا حين ودعنا زياد

فقال الفرزدق يجيبه ولم يكن هجا زيادا حتى مات

أمسكين أبكى الله عينيك انما * جرى في ضلال دمعها فتحدرا

بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا * ككسرى على عدانه أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نعيه * به لا بظبي بالصريمة أعفرا

وكان زياد فيه حمرة وفي عينه اليمنى انكسار أبيض اللحية مخروطها عليه قميص ربما رقعه

﴿ ذكر وفاة الربيع ﴾

السلطان الا المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة وقليل ماهم فثبت للمجاولة بمن معه من الرفاق ويخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق فصبر لجلاد ثبات الدهر وما انهزم وأراد أن يفي على مذهب الامام مالك بما التزم فأحاطت به اساورة الجنود أحاطة الاساورة بالزنود ووقع السلطان في القنص وصار مقيدا كالطير في القفص وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة ووصل ولده الامير سليمان الى بروسه معقل بن عثمان فاحتاط على ما فيها من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى برادنه وكان للسلطان المذكور من الاولاد المذكور الامير سليمان هذا وهو اكبرهم وعيسى وموسى ومصطفى ومحمد وهو أصغرهم وكل طلب لنفسه مهربا وانحاز اليه من العسكر طائفة فجيا فكان محمد وموسى في قلعة اماسية وهي حصينة شاهقة عاصية وأما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان الى أن قتله أخوه الامير سليمان وموسى فيما بعد قتل الامير

نزل فصلى بالناس وكتب الى معاوية وكثر عليه فكتب اليه معاوية ليشده فى الحديد ويرسله اليه فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه فقال حجر لا ولكن سمعا وطاعة فشد فى الحديد وحمل الى معاوية فلما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية أمير المؤمنين أنا والله لا أقيلك ولا استقيلك أخرجوه فاضربوا عنقه فقال حجر للذين يلون أمره دعونى حتى اصلى ركعتين فقالوا صل فصلى ركعتين خفف فيهما ثم قال لولا ان تظنوا بى غير الذى اردت لاطلتهما وقال لمن حضره من قومه لا تطلقوا عنى حديدا ولا تغسلوا عنى دما فانى لاق معاوية غدا على الجادة وضربت عنقه قال فلقيت عائشة معاوية فقالت له أين كان حلمك عن حجر فقال لم يحضرنى رشيد قال ابن سيرين بلغنا ان معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول يومى منك يا حجر طويل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

﴿ذكر استعمال الربيع على خراسان﴾

وفى هذه السنة وجه زياد ربيع بن زياد الحارثى أميرا على خراسان وكان الحكم بن عمرو الغفارى قد استخلف عند موته أنس بن أبى أناس فعزله زياد وولى خليد بن عبد الله الحنفى ثم عزله وولى الربيع بن زياد أول سنة احدى وخمسين وسير معه خمسين الفا بعيالاتهم من اهل الكوفة والبصرة منهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة ولهما صحبة فسكنوا خراسان فلما قدمها غزا بلخ ففتحها صلحا وكانت قد أغلقت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس فى قول بعضهم وفتح قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة مات جرير بن عبد الله البجلى وقيل سنة أربع وخمسين وكان اسلامه فى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات سعيد بن زيد وقيل سنة اثنتين وقيل ثمان وخمسين ودفن بالمدينة وهو أحد العشرة وأبو بكرة نفيع بن الحرث له صحبة وهو أخو زياد لامه وفيها ماتت ميمونة بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم بسرف وفيه دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة ثلاث وستين وقيل ست وستين وحج بالناس هذه السنة يزيد ابن معاوية وكان العمال بها فى هذه السنة من تقدم ذكرهم (بريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين﴾

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الاسدى الروم وشتى بارضهم وتوفى بها فى قول فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزارى وقيل ان الذى شتى هذه السنة بارض الروم بسر بن أبى ارطاة ومعه سفيان بن عوف وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفى

﴿ذكر خروج زياد بن خراش العجلى﴾

وفى هذه السنة خرج زياد بن خراش العجلى فى ثلاثمائة فارس فأتى أرض مسكن من السواد فسير اليه زياد خيلا عليها سعد بن حذيفة أو غيره فقتلوهم وقد صاروا الى ماه

﴿ذكر خروج معاذ الطائى﴾

وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا وكان غالب عسكر التاتار قوم ذوو يمين ويسار فأرسل تيمور الى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمعاونة والمعاودة وكان تيمور قد نازل انكورية فلم يفق السلطان من رقاده الا وتيمور قد مزق جميع بلاده فقامت عليه القيامة واكل يديه حسرة وندامة ولما تدانت الجيوش من الجيوش واضطربت الوحوش وامتلأت منهم الصحارى والقفار وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عساكر العثمانية التاتار واتصلت بعساكر تيمور كما رسم أولا وأشار وكانوا هم صلب العسكر والاوفر والاكثر بل قيل ان ذلك الجمهور كانوا نحوا من جند تيمور وكان مع السلطان من اولاده اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعله التاتار علم انه قد حل بابيه البوار فاخذ باقى العسكر وقهقر عن ميدان المصاف وتاخر وترك أباه فى شدة البأسا ورجع من معه الى جهة بروسا فلم يبق مع

كتب اليك فلم تفعل ولم تعاني فقال سعيد ما كنت لآمن عليك وانما أراد معاوية ان يحرض بيننا فقال مروان أنت والله خير مني وعاد ولم يهدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا انه يضغن بعضنا على بعض فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين وعفوه وادخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الاولاد ذلك فوالله لو لم نكن أولاد أب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا لكان حقا على أمير المؤمنين ان يرعى ذلك فكتب اليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل وانه عائد الى أحسن ما يعهده وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيرا فقال له معاوية ما باعد بينه وبينك قال خافني على شرفه وخفته على شرفي قال فما له عندك قال أسره شاهدا وغائبا

❁(ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان)❁

وفي هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب واستعمل على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان ستة اشهر وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وكان سبب ولايته انه قدم عليه بعد موت أبيه فقال له معاوية من استعمل أبوك على الكوفة والبصرة فأخبره فقال لو استعملك أبوك لاستعملتك فقال عبيد الله انشدك الله ان يقولها الى أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك لاستعملتك فولاه خراسان وقال له اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيأ فان في تقواه عوضا وفر عرضك من ان تدنسه واذا أعطيت عهدا ففِ به ولا تبيعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الارض فلا يغلبوك على بطنها ولا تطمعن أحدا في غير حقه ولا تؤيسن أحدا من حق هو له ثم ودعه وكان عمر عبيد الله خمسا وعشرين سنة وسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارا على الابل فكان أول من قطع جبال بخارا في جيش ففتح رامني ونسف وبيكند وهي من بخارا ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ولما لقي الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقي الآخر فأخذه المسلمون فقوم بمائتي ألف درهم وكان قتاله الترك من زحوف خراسان التي تذكر فظهر منه بأس شديد وأقام بخراسان سنتين

❁(ذكر عدة حوادث)❁

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وكان على الكوفة عبد الله بن خالد وقيل الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وفي هذه السنة توفي أبو قتادة الانصاري وعمره سبعون سنة وقيل مات سنة أربعين وصلى عليه علي وكبر عليه سبعا وشهد مع علي حروبه كلها وهو بدري وفيها توفي حويطب بن عبد العزى وله مائة وعشرون سنة وفيها توفي ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وقيل توفي أسامة سنة ثمان وخمسين وفيها توفي سعيد بن يربوع بن عنكثة وكان عمره مائة وأربعا وعشرين سنة وله صحبة ومخرمة بن نوفل وهو من مسلمة الفتح وعمره مائة سنة وخمس عشرة سنة وعبد الله بن أنيس الجهني وفيها قتل زيد بن شجرة الرهاوي في غزوة غزاها وقيل سنة ثمان وخمسين

❁(ثم دخلت سنة خمس وخمسين)❁

الارض وكان مجاهدا مرابطا وقد فتح من بلاد الكفار وهدم الكنائس ما لم يعسها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوي النفس شديد البطش عالي الهمة ذكر الحافظ ابن حجر في تاريخه بعد ما اثنى عليه ان الحوض الذي يغتسل منه كان فضة وكذا كانت أوانيه التي كان يأكل فيها ويشرب ويستعملها وكان الامن في زمانه بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحا بالبضاعة فلا يتعرض له احد وكانت مدة ملكه اربعة عشر عاما وثلاثة أشهر وعمره ثمان وخمسون سنة وخلف خمسة أولاد ذكور وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد كما سبق وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتي عشرة سنة الى أن استقل بالملك

(السلطان محمد خان الغازي ابن السلطان يلدرم بايزيد خان)❁

جلس على سرير الملك بمدينة بروسه في سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره اذ ذاك تسع وثلاثون سنة لان مولده في سنة سبع وسبعين وسبعمائة وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحاربه قره دولتشاه من التاتار في نواحي اماسية فـ..ان

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان من قبل زياد وكان سبب موته انه سخط قتل حجر ابن عدي حتى انه قال لا تزال العرب تقتل صبرا بعده ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا ولكنها اقرت فذلت ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة فقال أيها الناس انى قد مللت الحياة وانى داع بدعوة فأمنوا ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك عاجلا وامن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خليد بن يربوع الحنفى فأقره زياد ولما مات زياد كان على البصرة سمرة بن جندب وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد فأقر سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرا وقيل ستة أشهر ثم عزله معاوية فقال سمرة لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبنى أبدا وجاء رجل الى سمرة فأدى زكاة ماله ثم دخل المسجد فصلى فأمر سمرة بقتله فقتل فمر به أبو بكرة فقال يقول الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال وما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة (الثوية بضم الثاء المثلثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مغيرة)

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة سعيد بن العاص وكان عامل المدينة وخرجت هذه السنة وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى البصرة سمرة وعلى خراسان خليد بن يربوع الحنفى (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها) وفيها مات عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بطريق مكة فى نومة نامها وقيل توفى بعد ذلك وفيها توفى فيروز الديلمى وكانت له صحبة وكان معاوية قد استعمله على صنعاء وفيها مات عمرو بن حزم الانصارى وفيها مات فضالة ابن عبيد الانصارى بدمشق وكان قاضيها لمعاوية وقيل مات آخر أيام معاوية وقيل غير ذلك شهد أحدا وما بعدها

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

(ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد)

فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمى وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبى أمية جزيرة أرواد قريب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين وكان معهم مجاهد بن جبر فلما مات معاوية وولى ابنه يزيد أمرهم بالعود فعادوا

(ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان)

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان وكان سبب ذلك ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص ان يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ويقبض منه فدك وكان وهبها له فراجعه سعيد بن العاص فى ذلك فأعاده معاوية الكتاب بذلك فلم يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده فعزله معاوية وولى مروان وكتب اليه يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص وهدم داره فأخذ الفعلة وسار الى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد يا أبا عبد الملك أتهدم دارى قال نعم كتب الى أمير المؤمنين ولو كتب اليك فى هدم دارى لفعلت فقال ما كنت لافعل قال بلى والله قال كلا وقال لغلامه ائتنى بكتاب معاوية فجاءه بالكتابين فلما رآهما مروان قال

سليمان بعيسى ثم بعد الكل محمد فقتل موسى وأما مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين بسببه ثم انه لم يزل السلطان فى أسر تيمور وقصده ان يطلقه اذا وصل الى حدود تبريز فمرض فلم يمهله حتى توفى فى مدينة آقشهر يوم الخميس رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة من علة الخناق وضيق النفس ودفن فى المدينة المذكورة بطريق الامانة ثم نقله ولده موسى جلبى بمعرفة تيمور الى تربته بمدينة بروسه فلما سمع تيمور بوفاته تأسف وحزن وبكى ثم ان تيمور قسم بلاد الروم على زعمه للملوك الذين خلفهم الملك السعيد بايزيد ما كان لهم وأطلق تيمور ابنى قرمان من الحبس وسلم اليهما مملكة ابيهما وفوض بلاد اناطولى على زعمه الى عيسى وموسى ابنى السلطان يلدرم خان ثم مضى الى سبيله بعد ما خان وافسد العباد واخرب البلاد وهتك الستور واباح البكور ولم يسلم من شره من رعايا الروم لا الثلث ولا الربع وصارت جماعتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما اكل السبع وكان السلطان السعيد يلدرم بايزيد من خيار الملوك

عملك وتحدث مع من تثق اليه في ذلك وترى ونرى فودعه ورجع الى اصحابه فقالوا مه قال لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على امة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق ابدا وتمثل

بمثلي شاهدي النجوى وغالى * بي الاعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق اليه ومن يعلم انه شيعة لبني امية امر يزيد فاجابوا الى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال اكثر من عشرة واعطاهم ثلاثين الف درهم وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها فقال معاوية لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على رأيكم ثم قال لموسى بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال بثلاثين ألفا قال لقد هان عليهم دينهم وقيل ارسل اربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا انما اشخصهم اليه النظر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا يا امير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب لنا علما وحد لنا حدا ننتهي اليه فقال اشيروا علي فقالوا نشير بيزيد بن امير المؤمنين فقال او قد رضيتموه قالوا نعم قال وذلك رأيكم قالوا نعم ورأي من وراءنا فقال معاوية لابنه وتسرا عنهم بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال بأربعمائة دينار قال لقد وجد دينهم عندهم رخيصا وقال لهم ننظر ما قدمتم له ويقضي الله ما أراد والاناة خير من العجلة فرجعوا وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد فأرسل الى زياد يستشيره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري وقال له ان لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدع بهم خصلتان اذاعة السر واخراج النصيحة الى غير أهلها وليس موضع السر الا أحد رجلين رجل آخرة يرجو ثوابها ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه وقد خبرتهما منك وقد دعوتك لامر اتهمت عليه بطون الصحف ان أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد فالق أمير المؤمنين وأد اليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالامر فأحرى لك ان يتم لك لا تعجل فان دركا في تأخير خير من فوت في عجلة فقال له عبيد أو لا غير هذا قال وما هو قال لا تفسد على معاوية رأيه ولا تبغض اليه ابنه وألقى انا يزيد فأخبره ان أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك في البيعة له وانك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه وانك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الامة فقال زياد لقد رميت الامر بحجره اشخص على بركة الله فان أصبت فما لا ينكر وان يكن خطأ فغير مستغش وتقول بما ترى ويقضي الله بغيبه ما يعلم فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع وكتب زياد معه الى معاوية يشير بالتؤدة وان لا يعجل فقبل منه فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل الى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر هذا أراد ان ديني عندي اذن لرخيص وامتنع ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن الحكم اني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الامة بعدي وقد رأيت ان أتخير لهم من يقوم بعدي وكرهت ان أقطع امرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واعلمني الذي يردون عليك فقام مروان في الناس فأخبرهم به فقال الناس اصاب ووفق وقد احببنا ان

بمدينة ادرنه ولم يزل ينقل مرضه حتى مات وكان قد عهد في حياته بالملك لولده مراد خان وسبب ذلك انه رأى رؤيا انه جالس في محل لطيف قدموا له سماطا فتناول منه شيئا يسيرا ولم ينل منه غرضه فرفعوه ووضعوه بين يدي ولده العادل مراد خان وهو في بيت غير البيت الذي هو فيه فلما انتبه علم انه لا يدوم في الملك وان ولده سيلي الملك بعده وامر ببناء الجامع والمدرسة والعمارة بمدينة بروسه وكان ولده مراد خان يوم وفاة ابيه في اقصى بلاد روم ايلي في الغزو فأخفى الوزراء موت السلطان مدة احد واربعين يوما حتى وصل السلطان مراد خان الى مدينة بروسه واستقر على التخت ثم بعد ذلك اظهروا موت السلطان وشيعوه الى مدينة بروسه ودفنوه قبالة جامعه الذي انشاه بالمدينة المذكورة وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام وعشرة أشهر وعاش ثمانية واربعين عاما وكان رحمه الله ملكا جليلا مهابا محبا للعلماء والصلحاء وهو أول من عين الصرة من محصول اوقافه لاهل الحرمين من سلاطين بني عثمان وتولى السلطنة بعده ولده

(الملك العادل السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان)

جلس على سرير الملك بعد وفاة والده بعهد منه اليه في اواخر سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثماني عشرة سنة وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل يدعى بمصطفى

في هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الازدى فى قول وقيل بل الذى شتى هذه السنة عمرو بن محرز وقيل بل عبد الله بن قيس الفزارى وقيل بل مالك بن عبد الله

(ذكر ولاية ابن زياد البصرة)

فى هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاها عبيد الله بن زياد وكان سبب ذلك ان عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بنى ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا ان صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم فاكتب لنا كتابا الى امير المؤمنين يخرج به أحدنا اليه يخبره انك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح فكتب لهم فلما كان رأس السنة توجه عبيد الله الى معاوية ووافاه الضبيون بالكتاب وادّعوا انه قطع صاحبهم ظلما فلما رأى معاوية الكتاب قال أما القود من عمالى فلا سبيل اليه ولكن أدى صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله عن البصرة واستعمل ابن زياد عليها فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى فلم يغز ولم يفتح بها شيأ

(ذكر عدة حوادث)

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس وقيل ما تقدم وفيها مات الارقم بن أبى الارقم المخزومى وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختفى فى داره بمكة وكان عمره ثمانين سنة وزيادة وقيل مات يوم مات أبو بكرة وفيها توفى أبو اليسر كعب بن عمرو الانصارى وهو بدرى وشهد صفين مع على وقيل توفى قبل وحج بالناس هذه السنة مروان ابن الحكم

(ثم دخلت سنة ست وخمسين)

فيها كان مشتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل غزا فيها فى البحر يزيد بن شجرة وفى البر عياض بن الحرث واعتمر معاوية فيها فى رجب وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان

(ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد)

وفى هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة ابن شعبة فان معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص فبلغه ذلك فقال الرأى ان أشخص الى معاوية فاستعفيه ليظهر للناس كراهتى للولاية فسار الى معاوية وقال لاصحابه حين وصل اليه ان لم أكسبكم الآن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبدا ومضى حتى دخل على يزيد وقال له انه قد ذهب اعيان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآله وكبراء قريش وذوو اسنانهم وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا واعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين ان يعقد لك البيعة قال أوترى ذلك يتم قال نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعقد له فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة قال ومن لى بهذا قال أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين احد يخالفك قال فارجع الى

عليه وهزمه وتبدد شملهم ثم قصد قتال اسفنديار بيك صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد وانهزم اسفنديار أقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ممالكه ثم بعد ذلك صفا له الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه فى ملكه ثم لما بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لاخذ بعض البلاد سار اليه بجيش كثير فقاتله وهزمه فتبعه حتى أسره وأسر ولديه محمد ومصطفى وأحضر بين يدى السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه وأطلقهما وعين لهما بعض بلادهما وأخذ عليهما العهد والميثاق بأن لا يخونا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان منها قلعة سورى حصار وقلعة قيرشهرى وقلعة نيكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدى شهرى وقلعة ارغارى وقلعة بكشهرى وقلعة سعيد ايلى ثم سار واستولى على قلعة صامسون وغالب هذه البلاد كان افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد الروم ردها الى اصحابها وفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة مرض السلطان محمد خان من الاسهال وهو يومئذ

ويدق ظهره مخباه حتى فضرب وجه راحلته ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية لا أهلا ولا مرحبا شيخ قد خرف وذهب عقله ثم أمر فضرب وجه راحلته ثم فعل بابن عمر نحو ذلك فأقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون فخرجوا الى مكة فأقاموا بها وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال من أحق منه بالخلافة فى فضله وعقله وموضعه وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم وقد أنذرت ان اغنت النذر ثم انشد متمثلا

قد كنت حذرتك آل المصطلق * وقلت يا عمرو أطعنى وانطلق

انك ان كلفتنى ما لم أطق * ساءك ما سرك منى من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة وقد بلغها انه ذكر الحسين وأصحابه فقال لاقتلنهم ان لم يبايعوا فشكاهم اليها فوعظته وقالت له بلغنى انك تتهددهم بالقتل فقال يا ام المؤمنين هم أعز من ذلك ولكنى بايعت ليزيد وبايعه غيرهم افترين ان أنقض بيعة قد تمت قالت فارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب ان شاء الله قال افعل وكان فى قولها له ما يؤمنك ان أقعد لك رجلا يقتلك وقد فعلت بأخى ما فعلت تعنى أخاها محمدا فقال لها كلا يا ام المؤمنين انى فى بيت أمن قالت أجل ومكث بالمدينة ما شاء الله ثم خرج الى مكة فلقيه الناس فقال أولئك النفر نتلقاه فلعله قد ندم على ما كان منه فلقوه ببطن مر فكان أول من لقيه الحسين فقال له معاوية مرحبا وأهلا يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين فأمر له بدابة فركب وسايره ثم فعل بالباقين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة فكانوا أول داخل وآخر خارج ولا يمضى يوم الا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيأ حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وقرب مسيره فقال بعض اولئك النفر لبعض لا تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه الا لما يريد فأعدوا له جوابا فاتفقوا على ان يكون المخاطب له ابن الزبير فأحضرهم معاوية وقال قد علمتم سيرتى فيكم وصلتى لارحامكم وحملى ما كان منكم ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم فى شئ من ذلك فسكتوا فقال الا تجيبون مرتين ثم اقبل على ابن الزبير فقال هات لعمرى انك خطيبهم فقال نعم نخيرك بين ثلاث خصال قال اعرضهن قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما صنع أبو بكر او كما صنع عمر قال معاوية ما صنعوا قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر قال ليس فيكم مثل ابى بكر واخاف الاختلاف قالوا صدقت فاصنع كما صنع ابو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بنى أبيه فاستخلفه وان شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الامر شورى فى ستة نفر ليس فيهم احد من ولده ولا من بنى أبيه قال معاوية هل عندك غير هذا قال لا ثم قال فأنتم قالوا قولنا قوله قال فانى قد أحببت ان أتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر انى كنت اخطب منكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبنى على رؤس الناس فأحمل ذلك وأصفح وانى قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد على احدكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع

العون فى حق مراد فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم النصر له ان شاء الله تعالى فلما أصبح بعث الشيخ الى السلطان مراد وبشره بالنصر وقلده بيده السيف وقال مر باذن الله فى حفظ الله فانك منصور فشكر له السلطان ذلك وقبل يده المباركة فسار بعساكره ونزل نهرا ولوباذ وهو نهر كبير من عجائب الدنيا لانه يجرى ستة أشهر الى الشرق وستة أشهر الى الغرب لامر اقتضته قدرته فأمر بوضع الجسر الراكب على النهر المذكور فسرنوه ثم قدم الطاريجى فنزل فى شط النهر الى الجانب الآخر واستقر العسكر ان هنالك زمانا من

يخبرانا فلا يأ لو فكتب مروان الى معاوية بذلك فأعاد اليه الجواب بذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال ان امير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده فقام عبد الرحمن بن ابي بكر فقال كذبت والله يامروان وكذب معاوية ما الخيار أردتما لامة محمد ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما الآية فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت يامروان يامروان فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت أنت القائل لعبد الرحمن انه نزل فيه القرآن كذبت والله ماهو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير فكتب مروان بذلك الى معاوية وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الامصار فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس في وفد اهل البصرة فقال محمد ابن عمرو لمعاوية أن كل راع مسؤل عن رعيته فانظر من تولى أمر أمة محمد فأخذ معاوية بهر حتى جعل يتنفس في يوم شات ثم وصله وصرفه وأمر الاحنف ان يدخل على يزيد فدخل عليه فلما خرج من عنده قال له كيف رأيت ابن أخيك قال رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده اني متكلم فاذا سكت فكن أنت الذي تدعو الى بيعة يزيد وتحثني عليها فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين انه لابد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للدهماء وآمن للسبل وخيرا في العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو في شأن ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ماعلمت وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ اليه ونسكن في ظله وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ومن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء وتكلم من حضر من الوفود فقال معاوية للاحنف ماتقول يا أبا بحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت يا أمير المؤمنين اعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى وللامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا وقام رجل من أهل الشأم فقال ماندري ماتقول هذه المعدية العراقية وانما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف فتفرق الناس يحكون قول الاحنف وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه فلما بايعه أهل العراق والشام سار الى الحجاز في ألف فارس فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس فلما نظر اليه قال لا مرحبا ولا أهلا بدنة يترقرق دمها والله مهريقه قال مهلا فاني والله لست بأهل لهذه المقالة قال بلى ولشر منها ولقيه ابن الزبير فقال لا مرحبا ولا أهلا خب ضب تلعة يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله ان يؤخذ بذنبه

ويدق

في نواحي سلانيك وادعى انه الامير مصطفى ابن الملك السعيد يلدرم بايزيد الذي فقد في وقعة تيمور ولم يعلم له خبر فاجتمع عليه خلق كثير فاستفحل أمره جدا حتى قام واستولى على جميع بلاد روم ايلي وعلى مدينة ادرنه ثم اجتاز البحر الى طرف اناطولي لقتال السلطان مراد وكان السلطان مراد بعث قبل وزيره بايزيد باشا وصحبته عساكر كثيرة الى قتال الخارجي المذكور فقاتلوه بقرب أدرنه فانتصر الخارجي وانهزم عسكر مرادخان واسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجي فلما بلغ ذلك السلطان مرادخان اندهش فقام وتضرع الى الله تعالى والتجأ الى قطب العارفين مولانا السيد محمد البخاري وكان الشيخ اذذاك في قيد الحياة واستمده فوعده الشيخ بالنصر (حكى) عن الشيخ المذكور انه قال توجهت في هذا الامر توجها تاما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت قدمه المباركة وسألته النصر فلم يقل شيأ ثم توجهت ثاني مرة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقبلت رجليه وتضرعت فلم يقل شيأ ثم توجهت ثالث مرة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقبلت رجليه وتضرعت وقلت ياملاذ الملهوفين يارسول رب العالمين أسألك

واستعمل عليها الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وقيل لم يعزل مروان هذه السنة وحج بالناس الوليد بن عتبة وكان العامل على الكوفة الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سعيد بن عثمان وفي هذه السنة مات عبد الله بن عامر وقيل سنة تسع وخمسين وعبد الله ابن قدامة السعدى وله صحبة وقيل هو عبد الله بن عمرو بن وقدان السعدى وانما قيل له السعدى لان أباه استرضع في بنى سعد بن بكر وهو من بنى عامر بن لؤى وعثمان بن شيبة بن أبي طلحة العبدرى وهو جد بنى شيبة سدنة الكعبة ومفتاحها معهم الى الآن واسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وجبير بن مطعم بن نوفل القرشى له صحبة وام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل بقيت الى قتل الحسين

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

في هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الخثعمى ارض الروم وعمرو بن يزيد الجهنى في البحر وقيل جنادة بن ابي امية

ذكر عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال ابن ام الحكم

وفي هذه السنة عزل معاوية الضحاك بن قيس عن الكوفة واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفى وهو ابن ام الحكم وهو ابن اخت معاوية وفي عمله هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السلمى ومعاذ بن جوين الطائى فخطباهم وحثاهم على الجهاد فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا الى بانقيا فسار اليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعا ثم ان عبد الرحمن ابن ام الحكم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولاه مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر فقال له ارجع الى خالك فلعمرى لا تسير فينا سيرتك في اخواننا من أهل الكوفة فرجع الى معاوية ثم ان معاوية ابن حديج وفد الى معاوية وكان اذا قدم الى معاوية زينت له الطرق بقباب الريحان تعظيما لشأنه فدخل على معاوية وعنده اخته ام الحكم فقالت من هذا يا أمير المؤمنين قال بخ بخ هذا معاوية بن حديج قالت لا مرحبا تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فسمعها معاوية بن حديج فقال على رسلك يا ام الحكم والله لقد تزوجت فما أكرمت وولدت فما أنجبت اردت ان يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في اخواننا من أهل الكوفة وما كان الله ليريه ذلك ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه ولو كره هذا القاعد يعنى خاله معاوية فالتفت اليها معاوية وقال كفى فكفت

ذكر خروج طواف بن غلاق

كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون الى رجل اسمه جدار فيتحدثون عنده ويعيبون السلطان فأخذهم ابن زياد فحبسهم ثم دعا بهم وعرض عليهم ان يقتل بعضهم بعضا ويخلى سبيل القاتلين ففعلوا فأطلقهم وكان ممن قتل طواف فعذلهم أصحابهم وقالوا قتلتم اخوانكم قالوا اكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان وندم طواف وأصحابه فقال طواف امامن توبة فكانوا يبكون وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية فأبوا وعرضوا عليهم القود فأبوا

السلطان محمد خان وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فاعتزل بها عن الملك وشاع هذا الخبر في الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك وجعل منصبه لولده وهو صبى صغير لا يخشى منه فاتفق قرال انكروس وقرال الملان وقرال بجه وقرال له واميرلاطين وامير بوسنه وصاحب افلاق وبغدان وطائفة الافرنج على قتال المسلمين وان لا يدعوا من بلاد الاسلام حجرا على حجر فلما بلغ ذلك أركان الملك خافوا واسترهبوا واستصوبوا ان يدعوا السلطان مراد من مغنيسا ليكون معهم لانه سلطان شاع بذكره الاخبار وطال ما انكى

كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب فليضربا رأسه فهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز امر دونهم ولا يقضى الا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة فلقي الناس اولئك النفر فقالوا لهم زعمتم انكم لا تبايعون فلم رضيتم واعطيتم وبايعتم قالوا والله ما فعلنا فقالوا ما منعكم ان تردوا على الرجل قالوا كادنا وخفنا القتل وبايعه اهل المدينة ثم انصرف الى الشام وجفا بني هاشم فأتاه ابن عباس فقال له ما بالك جفوتنا قال ان صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه فقال يا معاوية اني خليق ان انحاز الى بعض السواحل فأقيم به ثم انطق بما تعلم حتى ادع الناس كلهم خوارج عليك قال يا ابا العباس تعطون وترضون وترادون وقيل ان ابن عمر قال لمعاوية ابايعك على اني ادخل فيما يجتمع عليه الامة فوالله لو اجتمعت على حبشي لدخلت معها ثم عاد الى منزله فاغلق بابه ولم يأذن لاحد قلت ذكر عبد الرحمن بن ابي بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين وانما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت

(ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان)

في هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد وسبب ذلك انه سأل معاوية ان يستعمله على خراسان فقال ان بها عبيد الله بن زياد فقال والله لقد اصطنعك أبي حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى اليه ولا تسامى فما شكرت بلاءه ولا جازيته وقدمت هذا يعني يزيد وبايعت له والله لانا خير منه ابا واما ونفسا فقال معاوية اما بلاء أبيك فقد يحق علينا الجزاء به وقد كان من شكري لذلك اني قد طلبت بدمه واما فضل أبيك على أبيه فهو والله خير مني واما فضل امك على امه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب واما فضلك عليه فوالله ما أحب ان الغوطة ملئت رجالا مثلك فقال له يزيد يا امير المؤمنين ابن عمك وأنت احق من نظر في أمره وقد عتب عليك فاعتبه فولاه حرب خراسان وولى اسحق ابن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية امه ام ابان بنت عتبة بن ربيعة فلما صار بالري مات اسحق فولي سعيد حربها وخراجها فلما قدم خراسان قطع النهر الى سمرقند فخرج اليه الصغد فتواقفوا يوما الى الليل ولم يقتتلوا فقال مالك بن الريب

مازلت يوم الصغد ترعد واقفا * من الجبن حتى خفت ان تتنصرا

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم في مدينتهم فصالحوه وأعطوه رهنا منهم خمسين غلاما من أبناء عظمائهم فسار الى ترمذ ففتحها صلحا ولم يف لاهل سمرقند وجاء بالغلمان معه الى المدينة وكان ممن قتل معه قثم بن عباس بن عبد المطلب وفي هذه ماتت جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين)

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم وفيها عزل مروان بن الحكم عن المدينة

غيران يجري بينهما قتال ثم ان الله تبارك وتعالى وهو الواحد القهار ينصر من يشاء من عباده سلط على الخارجي الرعاف فاستمر به ذلك ثلاثة أيام حتى ضعف جدا وجعل يخلط في الكلام واختل عقله فلما تحقق ذلك أركان دولته ووجوه عسكره تيقنوا بخذلانه فداخلهم الخوف فتفرقوا شذر مذر وهرب الخارجي مع ضعفه الى طرف روم ايلي فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا النهر فساقوا خلف المنهزمين فأسروا منهم خلقا كثيرا وقتلوا غالبهم وغنموا منهم اموالا ودواب كثيرة ثم امر السلطان بعض امرائه حتى لحقوا الخارجي بقرب ادرنه فظفر به فقتله وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة نزل السلطان مراد خان عن السلطنة لولده

سوء خلق فان يعلم مرداس فلا يرجع فلما كان الوقت الذي كان يعود فيه اذا به قد أتى فقال له السجان أما بلغك ما عزم عليه الامير قال بلى قال ثم جئت قال نعم لم يكن جزاؤك مع احسانك الى ان تعاقب واصبح عبيد الله فقتل الخوارج فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ظئرا لعبيد الله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهبه له وخلى سبيله ثم انه خاف ابن زياد فخرج في أربعين رجلا الى الاهواز فكان اذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث اليهم جيشا عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين وقيل ابو حصين التميمي وكان الجيش الفي رجل فلما وصلوا الى ابي بلال ناشدهم الله ان لا يقاتلوه فلم يفعلوا ودعاهم اسلم الى معاودة الجماعة فقالوا أتردوننا الى ابن زياد الفاسق فرمى أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبي بلال فقتلوه فقال ابو بلال قد بدؤكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم وقال هزمك اربعون وانت في الفين لا خير فيك فقال لأن تلومني وانا حي خير من ان تثني علي وانا ميت فكان الصبيان اذا رأوا اسلم صاحوا به أبو بلال وراءك فشكا ذلك الى ابن زياد فنهاهم فانتهوا وقال رجل من الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويقتلهم بآسك اربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس الوليد بن عتبة في هذه السنة وفيها مات عقبة بن عامر الجهني وله صحبة وشهد صفين مع معاوية وفيها توفيت عائشة عليها السلام وسمرة بن جندب وله صحبة ومالك بن عبادة الغافقي وله صحبة وعميرة بن يثربي قاضي البصرة فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

في هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في البر وغزا في البحر جنادة بن أبي امية وقيل لم يكن في البحر غزوة هذه السنة وفي هذه السنة عزل عبد الرحمن ابن أم الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصاري وقد تقدم سبب عزله وقيل كان عزله سنة ثمان وخمسين

ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان

وفيها استعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمي وأخذ اسلم بن زرعة فحبسه وأخذ منه ثلثمائة ألف درهم ثم قدم عبد الرحمن وكان كريما حريصا ضعيفا لم يغز غزوة واحدة وبقي بخراسان الى ان قتل الحسين فقدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم فقال ان شئت حاسبناك وأخذنا ما معك ورددناك الى عملك وان شئت أعطيناك ما معك وعزلناك وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم قال بل تعطيني ما معي وتعزلني ففعل فأرسل عبد الرحمن الى ابن جعفر بألف ألف وقال هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف مني

المسلمين فاتفق ان تقنطر به فرسه فتسارع اليه المسلمون فحزوا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم قتلا ذريعا وكان يوم غم وسرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسارى فلا تحصى ولا تحصر ثم ان السلطان لما عاد من الغزو امضى سلطنة ابنه السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال على هذا المنوال الى ان تحزبت طائفة الينكجرية وعاثوا وكبسوا بيوت الامراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك في سنة خمسين وثمانمائة فعند ذلك

وبقى طواف الهشهاث بن ثور السدوسى فقال له اما ترى لنا من توبة فقال ما أجد لك الا آية فى كتاب الله عز وجل قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فدعا طواف أصحابه الى الخروج والى ان يفتكوا بابن زياد فبايعوه فى سنة ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلا من بنى عبد القيس بالبصرة فسعى بهم رجل من أصحابهم الى ابن زياد فبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء فندب ابن زياد الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقى طواف فى ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله فقال شاعرهم

يارب هب لى التقى والصدق فى ثبت ❊ واكف المهم فأنت الرازق الكافى
حتى ابيع التى تفنى بآخرة ❊ تبقى على دين مرداس وطوّاف
وكهمس وابى الشعثاء اذ نفروا ❊ الى الاله ذوى اخبات زحاف

❊(ذكر قتل عروة ابن أدية وغيره من الخوارج)❊

فى هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة ابن أدية اخو ابى بلال مرداس ابن ادية وأدية امهما وابوهما حدير وهو تميمى وكان سبب قتله ان ابن زياد كان قد خرج فى رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع اليه الناس وفيهم عروة فاقبل على ابن زياد يعظه وكان مما قال له أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما قال ذلك ظن ابن زياد انه لم يقل ذلك الا ومعه جماعة فقام وركب وترك رهانه فقيل لعروة ليقتلنك فاختفى فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فاخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه وقتله وقيل ابنته واما اخوه ابو بلال مرداس فكان عابدا مجتهدا عظيم القدر فى الخوارج وشهد صفين مع على فانكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه ورأى على ابن عامر قباء انكره فقال هذا لباس الفساق فقال أبو بكرة لا تقل هذا للسلطان فان من أبغض السلطان أبغضه الله وكان لا يدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل الا من قاتلنا ولا نجبى الا من حمينا وكانت البثجاء امرأة من بنى يربوع تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وكانت من المجتهدات فذكرها ابن زياد فقال لها أبو بلال ان التقية لا بأس بها فتغيبى فان هذا الجبار قد ذكرك قالت اخشى ان يلقى أحد بسببى مكروها فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها فمر بها أبو بلال فى السوق فعض على لحيته وقال لهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ما ميتة أموتها أحب الى من ميتة البثجاء ومر أبو بلال ببعير قد طلى بقطران فغشى عليه ثم افاق فتلا سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ثم ان ابن زياد ألح فى طلب الخوارج فملأ منهم السجن وأخذ الناس بسببهم وحبس ابا بلال قبل ان يقتل أخاه عروة فرأى السجان عبادته فأذن له كل ليلة فى اتيان أهله فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصبح وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم فانطلق صديق مرداس اليه فاعلمه الخبر وبات السجان بليلة

الكفار فأرسلوا يطلبونه امتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلونى فلم يزالوا يلحون عليه حتى رضى وسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو والتقى تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثر كل من الفريقين على الآخر واتفق ان انهزم المسلمون وجعل الكفار يطاردونهم ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مرادخان فى القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يديه الى الله تعالى وسأله النصر والعون واستغاث بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى أغتر قرال انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عسكره وانفرد وجعل يدعو السلطان مرادا لمبارزته ثم هجم على

اناس اجاورونا فكان جوارهم * اعاصير من فسو العراق المبذر
فاصبح جارى من جذيمة نائما * ولا يمنع الجيران غير المشمر

فقال لعبيد الله

يغسل الماء ما صنعت وقولى * راسخ منك فى العظام البوالى

ثم سيره عبيد الله الى أخيه عباد بسجستان فكلمت اليمانية بالشام معاوية فيه فأرسل الى عباد فأخذه من عنده فقدم على معاوية وقال فى طريقه

عدس ما لعباد عليك امارة * امنت وهذا تحملين طليق
لعمرى لقد نجاك من هوة الردى * امام وحبل للامام وثيق
ساشكر ما اوليت من حسن نعمة * ومثلى بشكر المنعمين حقيق

فلما دخل على معاوية بكى وقال ركب منى ما لم يركب من مسلم مثله على غير حدث قال اولست القائل * الا ابلغ معاوية بن حرب * القصيدة فقال لا والله الذى عظم حق امير المؤمنين ما قلت هذا وانما قاله عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان واتخذنى ذريعة الى هجاء زياد قال الست القائل * فاشهد ان امك لم تباشر * ابا سفيان فى أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد اذهب فقد عفونا عنك فانزل اى أرض الله شئت فنزل الموصل وتزوج بها فلما كان ليلة بنائه بامرأته خرج حين أصبح الى الصيد فلقى انسانا على حمار فقال من أين أقبلت فقال من الاهواز قال فافعل ما مسرقان ٣ قال على حاله فارتاح الى البصرة فقدمها ودخل على عبيد الله فآمنه وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم فكلم فيه فقال لا أرضى عنه حتى يرضى عنه ابن زياد فقدم البصرة على عبيد الله وقال له

لانت زيادة فى آل حرب * أحب الى من احدى بنانى
اراك أخا وعما وابن عم * فلا أدرى بغيب ما ترانى

فقال أراك شاعر سوء ورضى عنه

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبى سفيان وكان الوالى على الكوفة النعمان بن بشير وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى المدينة الوليد بن عتبة وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وفيها مات قيس بن سعد بن عبادة الانصارى بالمدينة وقيل سنة ستين وكان قد شهد مع على مشاهده كلها وفيها مات سعيد بن العاص وولد عام الهجرة وقتل ابوه يوم بدر كافرا وفيها مات مرة بن كعب البهزى السلمى وله صحبة وفيها مات أبو محذورة الجمحى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل يؤذن بها حتى مات وولده من بعده وقيل مات سنة تسع وستين وفيها مات عبد الله بن عامر بن كريز بمكة فدفن بعرفات وفيها مات أبو هريرة فحمل جنازته ولد عثمان بن عفان لهواه كان فى عثمان وفيها غزا المسلمون حصن كمخ ومعهم عمير بن الحباب السلمى فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف

يرسل لاهالى الحرمين الشريفين وبيت المقدس من خاصة ماله فى كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار وكان يعتنى بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء مهد الممالك واتقن المسالك واقام الشرع والدين واذل الكفار والملحدين وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وله من العمر تسع واربعون سنة

﴿ ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده اليها ﴾

وفي هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة واعاده اليها وسبب ذلك ان ابن زياد وفد على معاوية في وجوه أهل البصرة وفيهم الاحنف وكان سيئ المنزلة من عبيد الله فلما دخلوا رحب معاوية بالاحنف وأجلسه معه على سريره فاحسن القوم الثناء على ابن زياد والاحنف ساكت فقال له معاوية مالك يا ابا بحر لا تتكلم فقال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا واليا ترضونه فلم يبق احد الا اتى رجلا من بني امية او من اهل الشام والاحنف لم يبرح من منزله فلم يأت احدا فلبثوا أياما ثم جمعهم معاوية وقال لهم من اخترتم فاختلفت كلمتهم والاحنف ساكت فقال مالك لا تتكلم فقال ان وليت علينا احدا من اهل بيتك لم نعدل بعبيد الله احدا وان وليت من غيرهم فانظر في ذلك فرده معاوية عليهم واوصاه بالاحنف وقبح رأيه في مباعدته فلما هاجت الفتنة لم يف له غير الاحنف

﴿ ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بني زياد وما كان منه ﴾

كان يزيد بن مفرغ الحميري مع عباد بن زياد بسجستان فاشتغل عنه بحرب الترك فاستبطأه ابن مفرغ واصاب الجند الذين مع عباد ضيق في علوفات دوابهم فقال ابن مفرغ

الا ليت اللحى كانت حشيشا * فنعلفها دواب المسلمينا

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية فقيل ما اراد غيرك فطلبه فهرب منه وهجاه بقصائد وكان مما هجاه به قوله

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب رحلك بانصداع
وأشهد ان امك لم تباشر * اباسفيان واضعة القناع
ولكن كان امرا فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

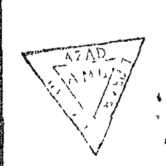
وقال ايضا

الا ابلغ معاوية بن حرب * مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال ابوك زان
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وقدم يزيد بن مفرغ البصرة وعبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية فكتب اليه أخوه عباد بما كان منه فاعلم عبيد الله معاوية به وانشده الشعر واستأذنه في قتل ابن مفرغ فلم يأذن له وأمره بتأديبه ولما قدم ابن مفرغ البصرة استجار بالاحنف وغيره من الرؤساء فلم يجره احد فاستجار بالمنذر بن الجارود فأجاره وأدخله داره وكانت ابنته عند عبيد الله بن زياد فلما قدم عبيد الله البصرة أخبره بمكان ابن مفرغ واتى المنذر عبيد الله مسلما فأرسل عبيد الله الشرط الى دار المنذر فأخذوا ابن مفرغ وأتوه به والمنذر عنده فقال له المنذر أيها الامير اني قد اجرته فقال يا منذر يمدحك وأباك ويهجوني وابي وتجيره علي ثم امر به فسقي دواء ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح في ثيابه فقال يهجو المنذر

تركت قريشا ان اجاور فيهم * وجاورت عبد القيس اهل المشقر

رأى الوزراء وسائر أركان الملك ان يعيدوا السلطان مرادخان الى الملك ليستر هوه فطلبوه واجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمدخان الى مكانه بمغنيسا واستمر السلطان مراد يغزو ويفتح بلاد ارنود واستولى على معظم بلاد الكفار وفي سابع المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة نهار الاربعاء توفي السلطان مرادخان وكان ملكا عاقلا عادلا شجاعا وكان



اياس

الروم فصعد المسلمون فقتحه بعمير
وبذلك كان يفتخر
ويفخر له بذلك
تم

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله ثم دخلت سنة ستين ﴾